

کتابخانه آصفیہ سرکار عالی حیدرآباد دکن

————— ❁ —————

نمبر داخلہ ۵۲۲۲

تاریخ داخلہ ۱

نام کتاب ... کتاب الاستغفار لخواجہ مولیٰ للربیع الاخر (۱۲۸۵ھ)

فصل کتاب المہج

نمبر کتاب در فن مذکور ۵۶۶



425.

في فهرسة الجزء الثاني من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الأقصى

صفحة	صفحة
١٢	٢
وقعة تلاغين يعقوب بن عبد الحق ويعمراس	الخبر عن دولة بني مرين ملوك فاس والمغرب
ابن زيان	وذكر اوليئهم وأصلهم
١٣	٣
فتح حضرة مراكنس ومقتل أبي دوس	الخبر عن دخول بني مرين أرض المغرب الأقصى
وانقراض دولة الموحدين بها	واستيلائهم عليه والسبب في ذلك
١٤	٣
مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر	الخبر عن رياسة الامير أبي محمد عبد الحق
بالله الحفصي للسلطان يعقوب بن عبد الحق	ابن محيو المربني
١٤	٤
عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبي	حرب بني مرين مع عرب رباح ومقتل الامير
مالك بسلام وانشاء ذلك من خروج قرابته عليه	عبد الحق رحمه الله
١٥	٤
هجوم النصاري على العرائش وتشمس من	بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته
تغور المغرب	الخبر عن رياسة الامير أبي سعيد عثمان
١٥	٥
وقعة ايسلي بين السلطان يعقوب بن عبد	ابن عبد الحق
الحق ويعمراس بن زيان	الخبر عن رياسة الامير أبي معزف محمد
١٧	٥
فتح طنجة وسبته وما كان من امر العزفي بها	ابن عبد الحق
فتح سجلماسة وما كان من أمرها	الخبر عن دولة الامير أبي بكر بن عبد الحق
١٨	٦
أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن	استيلاء الامير أبي بكر على مكاسفويعة
عبد الحق المربني في الجهاد وما كان له	أهلها لان أبي حفص بواسطته
بالاندلس من الذكرا الجليل والفخر الجزيل	٧
الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس	استيلاء الامير أبي بكر على فاس وبيعة أهلها
برسم الجهاد	٨
٢١	٨
فتح جبل تينمل وتبش قبور بني عبد المؤمن	انتقاض أهل فاس على الامير أبي بكر
على يد الملاني	ومحاصرته اياهم
٢١	٩
بناء المدينة البيضاء السماء اليوم ضامن الجديد	استيلاء الامير أبي بكر على مدينة سلا ثم
الجواز الثاني للسلطان يعقوب الى الاندلس	ارتجاعاهم عنه وهزيمة المرتضى بعد ذلك
برسم الجهاد	٩
٢٢	٩
حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن	استيلاء الامير أبي بكر على سجلماسة ودرعه
الاجر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة	وسائر بلاد القبلة
الخضراء وغير ذلك	١٠
٢٧	١٠
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس	وفاة الامير أبي بكر رحمه الله
مغني الطاغية ومغتفر فرصة الجهاد	الخبر عن دولة أبي حفص الامير عمر بن أبي بكر
٢٨	١٠
انقضاء الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاجر	ابن عبد الحق
٢٩	١٠
الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس	الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب
برسم الجهاد	ابن عبد الحق
٣٠	١٠
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحوار	استيلاء نصاري الاصبنيول على مدينة سلا
الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما	وايقام السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها
	١١
	خروج بني ادريس بن عبد الحق على هم
	السلطان يعقوب بن عبد الحق
	١٢
	حصار السلطان يعقوب حضرة مراكنس
	ونزوع أبي دوس منها اليه وهلاك المرتضى

حقيقة	حقيقة
٤٧ الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع سليمان ابن أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق	٣٢ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
٤٨ نكبة الفقيه الكاتب عبد الله بن أبي مدين واستئصال بني وقاصصة اليهوديين بعد ذلك انتقاض أهل سبتة على بني الاجر ومرضهم طاعة بني مرين	٣٣ الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق
٤٩ انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك	٣٤ قدوم بني اشقبالة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصر كرامة والسبب في ذلك
٥٠ الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	٣٥ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعمان ابن يدراس بن زيان صاحب تلمسان
٥١ غزو السلطان أبي سعيد تاجية تلمسان خروجه الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك	٣٦ انتقاض الطاغية سائجة واجازة السلطان يوسف اليه
٥٢ وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستعصاخهم اياه على الطاغية	٣٧ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاجر واستيلاء الطاغية على طريق عطا هرة ابن الاجر له عليها
٥٣ انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما تشاء ذلك	٣٨ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بمحسن تازوطا
٥٤ بناء مدارس العلم بمصر فاس حرسها الله	٣٩ انشقاق الصالح بين السلطان يوسف وابن الاجر ووفادته عليه بطنجة
٥٥ اخبار بني العزقي أصحاب سبتة	٤٠ فتكة ابن الملباني شبيب وخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب في ذلك
٥٦ المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي	٤١ الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الاحداث على تلمسان
٥٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله	٤٢ نكبة بني وقاصصة من يهود فاس
٥٨ الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	٤٣ انتقاض ابن الاجر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة
٥٩ حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وأبي علي ثم مقتل أبي علي والسبب في ذلك	٤٤ ثورة عثمان بن أبي الهاء بجبال غمارة
٦٠ وفادة السلطان ابن الاجر على السلطان أبي الحسن بمصر فاس وفتح جبل طارق	٤٥ وفاة السلطان يوسف رحمه الله
٦١ انتقاض الدولة الاولى لبني زيان بجهلكه	٤٦ بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته
٦٢ مراسلة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة	٤٧ الخبر عن دولة السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
٦٣ نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب ابن	٤٨ ثورة يوسف بن محمد بن أبي عباد بن عبد الحق وما كان من أمره
	٤٩ غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرتة لعمان بن أبي الهاء
	٥٠ بناء مدينة تطاوين

صحيفة	صحيفة
٩٩ غزوة السلطان أبي عنان افرريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها	السلطان أبي الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك
١٠٠ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افرريقية	٦٥ ثورة ابن هيدور الجزائر وما كان من أمره
١٠١ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله	٦٥ أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف المشهورة
١٠١ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته	٦٧ استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء
١٠٢ الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر ابن أبي عنان بن أبي الحسن المريني	٦٧ بقية أخبار بني أبي العلاء
١٠٣ ظهور أبي حوا موسى بن يوسف الزياتي واستيلائه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها	٦٨ مرسله السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفراء اسمعيل بن محمد بن قلاوون
١٠٣ ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وانشأ عن ذلك	٧٤ هدية السلطان أبي الحسن الى ملك مالي من السودان المجاورين للغرب
١٠٤ الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني	٧٥ مهابرة السلطان أبي الحسن ثاني مع السلطان أبي بكر الحفصي
١٠٥ قدوم الغني بالله ابن الأجر ووزيره ابن الخطيب مخلاوعين على السلطان أبي سالم سفر ابن الخطيب الى مراکش وأعمالها	٧٥ غزو السلطان أبي الحسن افرريقية واستيلائه على تونس وأعمالها
١٠٨ وزيره لا وليتهما ورجلها والسبب في ذلك	٧٧ انتقاض عرب سليم بافرريقية على السلطان أبي الحسن وانشأ عن ذلك
١١٢ بقية أخبار ابن الخطيب بسلاحه من الله	٧٩ انتقاض الأطراف وثورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن واستيلاءه على المغرب
١١٩ انتقاض الحسن بن عمر القودودي ونهوضه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك	٨٢ ركوب السلطان أبي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن
١١٩ نهوض السلطان أبي سالم الى تلمسان واستيلائه عليها	٨٥ استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزم عنه الى هنتاتة أهل جبل درن ووفاته هناك
١٢٠ وفاة السودان من أهل مالي على السلطان أبي سالم واغترابهم في هديتهم بالرافة الحيوان المعروف	٨٦ بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته
١٢٢ مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله	٨٩ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن
١٢٣ الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاتسين الموسوم بن أبي الحسن المريني	٩٠ تمكك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها
١٢٤ الفتك بفرسية بن انطول قائد القصارى ومقتل جنده معه والسبب في ذلك	٩٠ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
١٢٤ ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرة لغاس الجديد ثم فراره عنها	٩١ خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك
١٢٥ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي	٩٤ وفاة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه التقي بالله لسلطان أبي عنان
	٩٩ رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارحه على وليه الأكبر أبي العباس ابن عاشر رضي الله عنه

١٣٧	خروج الحسن بن الناصر بقمارة ونهوض الوزير ابن ماسا اليه	١٣٧	زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني
١٣٨	وفاة السلطان موسى بن أبي عثمان رحمه الله	١٣٨	وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
١٣٨	الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن	١٣٨	وفادة عامر بن محمد المهناتي على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
١٣٨	الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن	١٣٩	مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
١٣٩	الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس ابن أبي سالم بن أبي الحسن	١٣٩	الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز ابن أبي الحسن
١٣٩	ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بسجلماسة ثم اضمه لاه بعد ذلك	١٣٩	انتفاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك
١٣٩	نكبة الكتاب ابن أبي عمرو وحو كان بن حسون ومقتلها	١٣٩	انتفاض عامر بن محمد المهناتي وحصار السلطان عبد العزيز بآياه وظفره به
١٤٠	أخبار تلسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها	١٣٩	ارتجاع الجزائر الخضراء من يد الاصفهاني
١٤٠	وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق الى السلطان أبي العباس	١٣٩	نهوض السلطان عبد العزيز الى تلسان واستيلاؤه عليها وقرار سلطانها أبي جابر يوسف عنها
١٤٠	بناز او السبب في ذلك	١٣٩	زوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغي بالله الى السلطان عبد العزيز بتلسان
١٤٠	وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله	١٣٩	وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن
١٤١	الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس بن أبي سالم	١٣٩	الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن
١٤٢	بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفاته	١٣٩	الخبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن
١٤٢	الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي العباس بن أبي سالم	١٣٩	محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله
١٤٢	الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم	١٣٩	بقية أخبار أمير مراكش عبد الرحمن بن أبي يقلون
١٤٢	حجابه أبي العباس القبايلي ونكبه ومقتله	١٣٩	ذكر المناوئة وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم
١٤٦	حجابه فارس بن مهدي وأوليتهم وسيرته	١٣٩	نهوض السلطان أبي العباس الى تلسان وفتحها وتخريبها
١٤٦	حجابه أبي محمد الطريفي وسيرته	١٣٩	خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب في ذلك
١٤٧	حدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس المخلصي	١٣٧	الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن أبي عثمان بن أبي الحسن
١٤٧	استيلاء البرتغال على مدينة سبتة		
١٤٩	الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد ابن أبي العباس بن أبي سالم المريني		
١٤٩	زحف البرتغال الى طنجة ورجوعهم عنها		

صفحة	صفحة
١٤٩ أخبار الوزراء والجباق ونصر فاتهم	١٧١ زحف السلطان أبي عبد الله البرتقال الى
١٤٩ وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل	أصيل
الوطاسيين معه والسبب في ذلك	١٧١ استيلاء البرتقال على ثغرها زمور حرسه الله
١٥٠ رئاسة اليهوديين هررون وشاويل وما نشأ	١٧٢ استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة حرسه الله
عن استبدادهم من المحنة والفتنة	١٧٢ أخبار السلطان أبي عبد الله البرتقال مع
١٥٠ استيلاء البرتقال على طنجة	الشيخ أبي محمد الغزواني رضي الله عنه
١٥٠ مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد	١٧٤ نهوض السلطان أبي عبد الله البرتقال الى
بقية أخبار بني الاجر واستيلاء العدو على	مراكش ومحاصرتها أبا العباس الاعرج
غرناطة وسائر الاندلس منها وانقراض كلمة	السعدية بها
الاسلام منها	١٧٤ ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله
١٥٥ أخبار البرتقال بالغرب الاقصى على الحملة	١٧٤ وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه الله
١٥٨ الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد	١٧٤ انخبر عن الدولة الاولى للسلطان أبي حنون
وأوليه	ابن محمد الشيخ الوطاسي
١٥٨ بيعه السلطان أبي عبد الله الحفيد	١٧٥ انخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن
١٥٨ قتله الشاوية ووصولهم الى بلاد المغرب	محمد الوطاسي
١٥٩ استيلاء البرتقال على مدينة آفني وأصيل	١٧٥ وقعة آغاي بين الوطاسيين والسعديين
١٥٩ خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض	١٧٥ عقد الصلح بين السلطتين أبي العباس
أمره	الوطاسي وأبي العباس السعدي
١٥٩ انخبر عن دولة بني وطاس وذكور نسبهم وأوليتهم	١٧٦ غزوة الجرف قرب أصيل حرسها الله
١٦٠ انخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ	١٧٦ وقعة أبي عقبة وادي العيمدوما كان فيها بين
ابن أبي زكرياء الوطاسي	الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد
١٦١ وبأسنة بني راشد من شرفاء العلم بغمارة	١٧٧ بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة
وبناؤهم مدينة شمشاون وما يتبع ذلك	الرصيف بقاص حرسها الله
١٦١ قورة هررون سليمان السيفي بلاد السوس	١٧٨ وقعة وادي درنة بدلا وأسر الامير أبي
١٦٢ بناء مدينة تطاوين	زكرياء الوطاسي ومهلكه رحمه الله
١٦٣ قدوم أبي عبد الله ابن الاجر مخاضعا على	١٧٨ استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على
السلطان محمد الشيخ الوطاسي	فاس وقبضه على بني وطاس ومهلك سلطانهم
١٦٨ استيلاء البرتقال على ساحل البريجية	أبي العباس رحمه الله
وبناؤهم مدينة الجديدة صانها الله	١٧٨ بقية أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي
١٧٠ استيلاء البرتقال على سواحل السوس	١٧٩ انخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حنون
وبناؤهم حصن فوتي قرب أكادير	الوطاسي
١٧٠ وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله	١٨٠ محي السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس
١٧٠ انخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ	واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبي
الوطاسي المعروف بالبرتقال	حسون رحمه الله
١٧١ استيلاء البرتقال على ثغرها آفني حرسه الله	وقعة - المهرست

﴿الجزء الثاني﴾

من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى

تأليف العالم العلامة المحقق الفهامة وجيد

الادب وفريد الزمان بحر العلوم الراوى

الشيخ أحمد بن خالد الناصرى

السلوى حفظه الله

وأدام علاه

آمين

حقوق الطبع محفوظة للؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم

في الخبر عن دولة بني مرين ملوك فاس والمغرب وذكرا أوليهم وأصلهم

(اعلم) ان العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبعين الطبقة الأولى هي التي سكن منها متراوة ملوك فاس وبنو يفرن ملوك سلا وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى والطبقة الثانية هي التي سكن منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الأقصى وهؤلاء هم الذين تعلق الفرض الا أن يذكروهم فاعلم ان جيل زناتة في المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف العين والثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكني النعام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب في الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفة وشعارهم من بين البربر اللغة التي يترابطون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر وطانة البربر ومواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فثمهم بلاد الضيل ما بين غدامس والسوس الأقصى حتى ان عامة تلك القرى الجريدية الصحران منهم ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أورابن بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد وأذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرفهم فيقال وطن زناتة ومنهم بالمغرب الأقصى أم آخر وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب أحياء من طوائع مجاهلات القفر من فيحج الى مصلحاسة الى ملوية ورجما يخطلون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكرونسابتهم ان الرياسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورزي بن فكوس بن كرماط بن مرين ومرين يتصل نسبه بزمانا ابن يحيى أبي الجليل وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنتان منهم شقيقان وهم حمامة وعسكرو خمسة أشقاء وكان يقال لهم بسلا زناتة تبريعين ومعناه الجماعة وبريعون ان محمد بن ورزي اهلك فام بامرهم في قومه ابنه حمامة بن محمد وكان الأكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكرو بن محمد ثم من بعده ابنه الخشب بن عسكرو وذلك سنة أربعين وخمسمائة في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن والمرابطين

ثم قام باصر بنى مري بعد المنحصب ابن عمه أبو بكر بن حمادة بن محمد إلى أن هلك فقام باصرهم ابنه أبو خالد
محمود بن أبي بكر ولم يزل مطاعا فيهم إلى أن استغفرهم يعقوب المنصور إلى غزو الأراك بالاندلس
فتهدوا وأبلاؤا فيها البلاء الحسن وأصاب محييون أبي بكر يومئذ أحوال هلك منها بصراء الزاب سنة
الثنين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها في عقبه ما ذكره أن شاء الله

في الخبر عن دخول بنى مري من أرض المغرب الأقصى واستيلائهم عليه والسبب في ذلك

كان السبب في دخول بنى مري لهذا القطر المغربي أنه لما كانت وقعة العقاب بالاندلس سنة تسع
وسمائة وهزم الناصر وملك الجهور من حماسة المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث
عقب ذلك الوفاء العظيم الذي تحيف الناس الأقبالا وملك الناصر سنة عشر بعد هاقبا بغير الموحدون
ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لا يحسن التدبير وشغلته مع ذلك أحوال الصبا ولذا الملك
عن القيام باصر الرعية فتضافرت هذه الأسباب على الدولة الموحدية فأضعفتها حينئذ وأمر منها المرض
الذي كان سببا لحينها وكان بنو مري يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب افرريقية إلى سجلماسة يتنقلون
في تلك القفار والعصاري لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تتألم الدولة بهم ضيقة ولا يؤدون البهاض بركة
كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا حرفا ثم اغتنمهم الصيد وطراد الخيل والفارات على أطراف البلاد
وكانت طائفة منهم يتجمعون تخوم المغرب وتوليه زمان الربيع والصيد فيكثرون من أطراف البلاد
ما يحتاجون إليه من الميرة ويعرون فيها تلك المدة أنعامهم وشاءهم حتى إذا قبل فصل الشتاء اجتمع
جميعهم كما كرسيف ثم شقوا الرحلة إلى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين فلما كانت سنة عشر
وسمائة أقبل جمعهم على عادتهم لارتياف والميرة حتى إذا أطاوعا على المغرب من ثناء الفوة قد نسقت
أحواله وبادت خيله وورباله وفنت حاتم وأبطاله وعربت من أهله وأوطانه ونف منها سكانه وقطانه
ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنة خصيبة المرى غزيرة المأسوسة الاكتاف فسيحة الزارع متوفرة
العشب لقلة راعيها فخصرة التلول وبالعدم غاشيها فاقاموا بملكهم وبنوا إلى اخوانهم فاختبروهم
بحال البلاد وما هي عليه من الخصب والأمن وعدم المحاي والمداغ فاختفوا الفرصة وأقبلوا مسرعين
بجمعهم وملكهم وانتشروا في وادي المغرب وأوجفوا عليه ما يجنبهم وركبهم واكتسبوا بالفارات
والنهب بسيطها ولجأت الرعايا إلى حصونهم ومعاقها وتم لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسط المغرب
وميله واتبعوا مواقع طله ووبله

في الخبر عن رياسة الامير أبي محمد عبد الحق بن محيى المربى رحمه الله

لما دخل بنو مري من المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيى بن أبي بكر بن حمادة بن محمد المربى
فكثرت عليهم ضررهم بالمغرب وأعضل دأبهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم إلى
الظليفة تبرا كس وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهز لهم جيشا كثيفا من عشرين
ألفا وعقد عليه لابي علي بن واديين وكتبه إلى صاحب فاس السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن
يا امره بالخروج معه لغزو بنى مري والافتحان فيهم وعدم الأجرة عليهم مهما قدر على ذلك واتصل الخبر
بنى مري وهم في جهات الريف ببلاد بطونة فتركوها أنفأ لهم وبعثوا إليهم بمحمد بن تازو طامن أرض الريف
وصعدوا إلى الموحدين فالتقى الجمعان بوادي نكور فكان الظهور لبنى مري على الموحدين فهزم موهم
وقتلوهم واعتلات الأيدي من أسلاهم وأمنعتهم ورجع الموحدون إلى فاس يخفون عليهم من ورق
النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشكلة لكثرة الخصب يومئذ اعتمار الغدن بالزروع وأصناف الباقي
فصبرت تلك السنة يومئذ بعام المشحولة وهي سنة ثلاث عشرة وسمائة ثم خفف الامير عبد الحق

في ذي الحجة من السنة المذكورة بجموع بني مرين المرباط تالزاحتي وقض بازا بن يتونه انخرج عاملها
لحرية في جيش كثيف من الموحدين والعرب والحسد من قبائل تسول ومكاسة وغيرهم فقتل
بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه وجمع عبد الحق الاسلاب والخيول والسلاح وقسم ذلك كله
في قبائل بني مرين ولم يحسك منها نفسه شيئا وقال لبنيه اياكم ان تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم
منها الثناء والظهور على أعدائكم

﴿حرب بني مرين مع عرب رباح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله﴾

لما اتصرت بنو مرين على أعدائهم الموحدين حصل في نفوس بني عسكر بن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم
وضافت صدورهم من استقلال بني عمهم حامية بن محمد باراسة دونهم فغالقوا الامير عبد الحق وعشيرته
الى مظاهرة الموحدين وأولياهم من عرب رباح وكان رباح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقوام
شوكا وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالعرز والبداوة فغزاهم الموحدون يومئذ بني مرين
لينتصفوا الحسم منهم واتفقت كلمتهم عليهم وسجعت بنو مرين بأقبال العرب والموحدين وبني عسكر اليهم
فاجتمعوا الى اميرهم عبد الحق فقالوا له ما ترى في امر هؤلاء العرب المقيدين اليه فقال يا معشر مرين
أمامادمت في أمركم بجمعهم وفي آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفي ذات الله اخوانا
فلا أخشى ان ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلف أهواؤكم وتشتت آراؤكم فظفر بكم عدوكم فقالوا له
اياخذ ذلك الا ان يبع على السم والطاعة وان اختلف عليك ولا نفر عنك أو غوت دونك فانهم رضوا اليهم
على بركة الله فنهض الامير عبد الحق في جموع بني مرين فكانت اللقا بجربة من وادي سبوا على أميال
من تافراطت فكانت بينهم حرب بهد العهدة لثقل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس
ولم اأت بنو مرين ما وقع بامر هوايته حيث وغضبت وأقسمت بأيمانها ان لا يدفن حتى يأخذوا بشاره
فصموا العزم لقتال رباح واسانوا الجسد لقراهم وصبروا صبرا جادا لا تقصرهم الله على عدوهم
فهزموا رباحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وتردوهم في الشعب والادوية ورؤس المضارب واحتروا على
ما كان في محلتهم من السلاح والخيول والاثاث وقام بامر بني مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان
على ما ندكره ان شاء الله

﴿بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته﴾

قالوا كان الامير عبد الحق المريني مشهورا في قومه بالتي والفضل والدين موسوما بالصلاح ووجهة
اليقين معروف بالورع والعفاف موصوفا في سيرته بالعدل والانصاف بطم الطعام وبكفل اليتام
وبوئر المساكين ويحجوا على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة وكانت
قنصوته وسراويله يتبرك بهما في جميع احياء زمانه وكانوا يحملون فضله ورضوته فيستشفون بها
لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائما طول عمره في الحرو والبرد لا يرى مضطرا الا في ايام الاعياد كثير
الذكر والاوراد لا يفرغ عنها في سائر الحلات مضريا لا كل الحلال لا يقات الا من لحوم ابله وألبانها
أو ما يمانية من الصيد معظما في بني مرين مطاعا فيهم يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه
﴿حكي﴾ ابن أبي ذرع عن حديثه من الثقات أنه قدم على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق في وفد من
أعيان فاس وقعتها وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة والامير يعقوب يومئذ رباط الفتح يريد
العبور الى الاندلس برسم الجهاد قال فخرى في مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب
كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قل فصل واذا عاهدوني لم يخلف بالله قط بارأول احائنا
ولم يشرب مسكرا قط ولا ارتكب فاحشة فضع الحوامل ببركة ازاره متى عبرت عليه من الولادة وكان

يسرد الصوم ويقوم أصح كثر الليل وإذا سمع يخبر صالح أوعا بد قصدا لزيارته واستو هب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضع لهم وكان مع ذلك سعة لاعدائه قاهر لهم وما وجدنا الأبركة وبركة من دعائه من الصالحين اه قالوا وكان الأمير عبد الحق في ابتدائه أمره قليل الأولاد ف رأى ذات ليلة في منامه كأن شهلا أربعم نازح من منامه فقلوب في جوف المغرب ثم احتو على جميع أقطاره فكان تأويلها تلك بنيه الأربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي وآها عبد الملك بن مروان من بوله في الحراب أربع مرات فكان تأويلها ان ولوا الخلافة أربعة من بنيه الوليد وسليمان وزيد وهشام وكان للأمير عبد الحق تسعة من الولاد ادريس وهو أكبرهم وقتل معه في حرب رباح وعثمان ومحمد وأبو بكر ويعقوب وهؤلاء الأربعة هم الذين ولوا الامر بعده وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحوا رزيان وأبو عياد وبنت هي العاشرة والله أعلم

في الخبر عن رياسة الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

لما فرغ بنو مرين من حرب رباح ووجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بني أبيه بعد ادريس فغزوهم عصاب أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الأمير أبو سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفع ما أقسم أن لا يرجع عن حرب رباح حتى ينأى بمائة شيخ منهم فسار اليهم واتفق فيهم حتى شاف نفسه وأذعنوا الى الطاعة ولاذوا بالسلام فسلمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة ثم ضفت شوكة الموحدين وتداهى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم على روية الاضمحلال وتقص ظل حكمهم عن اليد وجملة وفست السابلة واختلط المرحى بالهمل فلما رأى الأمير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وتقدم الى القيام بأمر الدين والنظر في مصالح المسلمين فاسرعوا الى اجابته وبادروا بالتبليسة دعوته فسار بهم أبو سعيد في نواحي المغرب يتحرى مسالكه وشعوبه ويتبع تلوه ودروبه ويدعو الناس الى طاعته والدخول في عهده وجانيته فن أجابه منهم آتته ووضع عليه قدر معلوم من الخراج ومن أبي عليه نابذه وأوقع به مباديه من قبائل المغرب هواردة وكارة ثم تسول ومكاسة ثم بطو يقو فشتاة ثم سدداتة ومهولة ومدونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكاسة وتازا وقصر كرامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على ان يكف الفارة عنهم ويصلح سابلهم ثم لما كانت سنة عشرين وستمائة غزا بلاد فزاز ومن هم من طواعين زناتة فافض فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذاية الناس بالفارات والنهب في الطرقات ثم في سنة احدى وعشرين مدها غزا عرب رباح أهل ازغار وبلاد الهبط فافض فيهم حتى كاد يأتى عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتبال علمه كان رباة صغيرا فشب وسؤل له الشيطان الفسكية قرصد غرته وطلعه بجرى في مضرة فانت لوقته سنة ثمان وثلاثين وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وابتكار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح سالكا في ذلك سن أبيه رحمه الله

في الخبر عن رياسة الأمير أبي معروف محمد بن عبد الحق رحمه الله

لما هلك الأمير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معروف محمد بن عبد الحق فافضى سن أخيه في تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصار وجباية المغارم من باديته وبعث الرشيد بن المأمون صاحب مراكش قائدها بالبحرين وادوين لحرب بني مرين وعقده على مكاسة فاجتباها لها في المغارم ثم نزل بنو مرين في بعض الأحيان بنوا حياها وأجلبو اعليه اقتادى أبو محمد في عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين وبارز محمد بن ادريس ابن عبد الحق قائدا من قواد الفرغ

فأختلفا خبرتين هاتك العلي باحداهما ورح محمد بالآخرى فاندمل جرحه وصار أثرافي وجهه لقب من
أجده بابي خربة ثم شد بنو مري بن علي الموحدين فأنكشروا ورجع ابن واثق بن الربيع إلى مكاسة مغلولاً وبقى
بنو عبد المؤمن أثناء ذلك في مرض من الأيام وتناقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم بإيضاة الجلود وذلك
أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة وولى أخوه علي وتلقب بالسعيد وابعه أهل المغرب
انصرفت عزائمه إلى غزو بني مري وقطع أطاعهم عما سمع اليه من تلك المواطن فجهر عساكر
الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمسلمة وجوع الفريخ فقبضوا سنة اثنتين وأربعين وستمائة
في جيش كثيف بناه زعير بن ألفاسمع الأمير أبو معرف فباقيهم فاستغلقتهم وزحف اليهم فكان
اللقاع موضع يعرف بهضرة أبي يباس من أحوال فاض فدارت بينهم حرب شديدة وصبر الفريقان ولما كان
عشي النهار قتل الأمير أبو معرف بن عبد الحق في الجولة يسدزعم من زعماء الفريخ تحاملا فمتر من
أبي معرف به وأمكنك العلي به الفريضة فاعتصمها وطعنه فمات فانهزمت بنو مري وتبعهم الموحدين
فأخذوا الليل جدلاً وأسر وأطول ليلتهم بجلهم وعيالهم وأموالهم فأصبوا إصبيال غنائمة من نواحي تازا
فاعتصموا بها أياماً ثم خرجوا إلى بلاد مصر وأولو عليهم أبي بكر بن عبد الحق على ما ذكره وكانت هذه
الوقفة وهلاك الأمير أبي معرف عشية يوم الخميس تاسع جادى الأشهر سنة اثنتين وأربعين وستمائة

﴿الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله﴾

هذا الأمير هو الذي رفع من رايته بنى مري وسماها إلى مرتبة الملك وكنيته أبو يحيى وهو أول من جند
الجند منهم وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطلوف والتسلاد
بإيعة بنو مري بعد هلاك أخيه أبي معرف في التلويح المتقدمة فكان أول ما ذهب إليه ورآه من النظر
لقومه أن قسم بلاد المغرب بقبائل جبايته بين بني مري وأتزل كلاً منهم ناحية منه وسوغهم إياها سائر
الأيام طمعة لهم وأمر كل واحد من أشيائ بني مري أن يستركب الرجل ويستطيق الاتباع فحسنت
حالمهم وكثرت غاشيتهم وتوفرت جوعهم

﴿استيلاء الأمير أبي بكر على مكاسة وبيعة أهلها لابن أبي حفص واسطته﴾

ثم ساء الأمير أبو بكر محنته فقتل جبل زرهون ودعا أهل مكاسة إلى بيعة الأمير أبي بكر يان أبي حفص
صاحب إفريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفي ولايته وحاصرها وضيق عليها منع المرافق وترديد
التأورات إلى أن أذعنوا الطاعة فاقتمها صلحا بعد اخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق زعيمها إلى الحسن بن
أبي العافية وبعثوا ببيعةهم إلى الأمير أبي بكر يان أبي حفص وكانت البيعة من انشاء أبي المظفر بن عميرة
الخزوي وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيره ولى القضاء لبني عبد المؤمن عدنة سلام استقصوه
بعد هلاك مكاسة فتشهد هذه القضية وكتب البيعة ولما فتح الأمير أبو بكر مكاسة أقطع أخاه يعقوب ثلاث
جباياتها زواله على واسطته وكان فتح مكاسة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم أنس الأمير أبو بكر من
نفسه الاستبداد من قبيلة الاستيلاء فاختار الآلة لذلك وسماها بنفسه إلى مرتبة الملك وأعدله عدته وانتهى
الخبر إلى السعيد صاحب مراکش بتخاب الأمير أبي بكر على مكاسة وحصرها لأن أبي حفص فوجهم لها
وفاوض الملائم أهل دولته في أمره وأرأهم كيف اقتطع الأمر عنهم شيئاً حتى لم يبق بيدهم
الأقواله مراکش وما حولها بعد امتداد نطل ملكهم على المغربين وإفريقية والأندلس ثم نهض
السعيد من مراکش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكاسة وبني مري أولاً ثم تلمسان ويغمراسن
ابن زيان ثانياً ثم إفريقية وابن أبي حفص آخرها ولما وصل إلى وادى بهت عرض جيوشه وميزها واتصل
الخبر بالأمير أبي بكر وهو بمكاسة فخرج وحده ليدل على نجس الأخبار ويستطلع أحوال السعيد

وجوعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد بفرأى مالا طاقة له به ورأى من
 الرأي ان يقتل السعيد من البلاد ولا ينجزه الحرب فلفق بمكاسة واستدعى بني مرين من أما كههم التي
 عين لهم قتل اقرباءه وساروا الى قلعة تازوطامن بلاد اريف فحصبوا بها وتقدم السعيد الى مكاسة
 قتله أهلها خاضعين مستسفين اليه بشيوخهم وصبيانهم فمخاضهم ثم سار الى فاس فقتل بظاهرها من
 ناحية القبلة ونزع اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فكرم عنهم وأبى ثم ارتحل الى
 رباط تازا فقتل بظاهرها وهنالك بعث اليه الامير أبو بكر ببيعتة فقبلها وكتبه ولقومه بالامان وكان
 فيما خاطبه الامير أبو بكر ان قال له ارجع يا امير المؤمنين الى حضرتك وأنا أكفك أمة بغير اسن وأفزع
 لك لسان فشاو السعيد خاصته في ذلك فقالوا لا تفعل يا امير المؤمنين فان الزناني أخوان الزناني لا يسلمه
 ولا يفضله وانما تخاف أن يصطلم على حرك فأسعفهم وكتب الى الامير أبي بكر يقول له أقم بموضعك وابتع
 الى بحصة من قومك فأمدته بخمس مائة من بني مرين وعقد عليها الآن معه أي عياد بن أبي يحيى بن حمامة
 وتقدم السعيد الى لسان فكان من هلاكه على قلعة تاحزر دكت ما قد مناه في أخبار دولته وكان الامير
 أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطامن بطن من بني مرين أجمعوا العتق
 به غيرة ونفاسة عليه فدس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما وطأوا عليه من غدره فارتحل الامير
 أبو بكر عنهم الى بني زناس وكانوا تازلين يومئذ بعين الصفا فاقام هنالك معهم حتى رجعت اليه الحصنة
 التي كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله واقترا بجوعه فانتزع الامير أبو بكر الفرس في قتل الموحد بن
 واعتزضهم بالكرسي فاستلمهم وانزع الالة من أيديهم وأدار اليه كتيبة الفرغ والناسبة من
 الاغزاز واتخذ المركب الملوكي من يومئذ ثم أغذ السير الى مكاسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها
 أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فاقتصرها ودق جبالها وذلك أو اخر صفر سنة ست
 وأربعين وستمائة

استيلاء الامير أبي بكر على فاس وبيعة أهلها

لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزعها من يد بني عبد المؤمن
 وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بني عبد المؤمن فأناخ عليها الامير أبو بكر بجيله ورجله
 وتلطف في مدخله أهلها وضمن لهم جيل النظر وجيد السيرة وكف الأذى عنهم فأجابوه ونفوا بعبده
 وغنائهم وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتهال للدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بني عبد المؤمن
 بأمرهم صريحهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالي
 ونسده الله على الوفا بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسأول طريق العدل فيهم فكان
 حضوره ملائكة تلك العقدة والبركة التي تعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة ودخل الامير أبو بكر مدبنة
 فامسك واليوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الاخر سنة ست وأربعين وستمائة بعد موت
 السعيد صاحب مراکش شهرين ولما دخل الامير أبو بكر قسبة فاس آمن السيد أبا العباس عامل
 الموحد بن جلاوخرجه من القسبة بياها وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يلقونه الى ما منه فاجازوه
 وادى أم الربيع ورجعوا ثم نهض الامير أبو بكر الى غنزالة تازا وها يومئذ السيد أبو علي بن محمد
 أخو أبي دوس قتلها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد
 نفورها وأقطع أئامه يعقوب بن عبد الحق رباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة
 واستقامت له الامور ودفعت عليه الوفود وأمر القبايل بالنزول في البساتن وعمارة القرى والمدائن
 وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وطمع أمر الناس واغتبطوا بولايته

في انتفاض أهل قاس على الأمير أبي بكر ومحاصرة بنياتهم

لما استولى الأمير أبو بكر على المغرب وملك مدينة قاس كما ذكرنا من في ربيع الأول سنة سبع وأربعين
 وسبعمائة إلى معدن العوام من بلاد فارس لفتح بلاد زانة وتوابعها واستخلف على قاس مولاه
 السعدي بن خريش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الأمير أبو بكر لما فتح قاسا استبق من كان
 فيها من عسكري بني عبد المؤمن من غير أنفسهم على الوجه الذي كانوا عليه من الخدمة مع الموحد بن وكان
 من جملتهم طائفة من النصاري نحو المائتين وعليهم قائد منهم يقال له شريد القرشي فكانوا من حصنة
 السعديين الكوفة في بينهم وبين شيعة الموحد بن من أهل قاس مدخله وعزم القاسيون على الفتك
 بالسعديين وتحويل الدعوة إلى المرتضى فاجتمعوا إلى القاضي أبي عبد الرحمن المغيرة وفاوضوه في ذلك
 فوافقهم على رأيهم فاستدعوا شريدا وقالوا له تقتل هذا الأسود وتضبط البلد حتى نكتب إلى المرتضى
 فيبعث اليك من يقوم بأمرنا فأجابهم إلى ذلك وكان ميله إلى الموحد بن وهو معهم لكونه ضيعتهم وكان
 الذي مشى في هذه الثورة وتولى كبارها المشرف ولد القاضي المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبي طاط
 وولده فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء الموافق عشرين من شوال سنة سبع وأربعين وسبعمائة طلع الأشياخ
 المذكورون إلى القسبة للسلام على السعديين على عادتهم في ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه
 ببعض المحاورات فغضب وانتهرهم فوثبوا به ونادوا به هارهم وكان شريد القرشي واقفا في عسكره أمام
 القسبة قد واطأهم على ذلك فاقسم على السعديين قتله وقتل معه أربعة من رجاله واحترقوا القسبة رأسه
 ورفعوه على عصا طافوا به في أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فانتبهوه وسبوا الحرم ونصبوا
 النصاري لضبط البلد وعثوا ببيعهم إلى المرتضى صاحب مراکش واتصل الخبر بالأمير أبي بكر وهو
 منازل بلاد فارس فخرج عنها وأغذ السير إلى قاس فأتاه على ما عسا كره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها
 وبعث أهل قاس إلى المرتضى بالصرح فخرج إليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لكشف
 ما تزل بهم حيلة ولا وجهها سوى أنه استجاب على الأمير أبي بكر يفر من بن زيان صاحب تلمسان
 وأمله لكشف هذه النازلة عن انجاس إلى طاعته فأجابه بغير من إلى ذلك وطمع أن يكون ذلك سببا
 في غلب المغرب وسلب السعديين ذروة ملكه فاحتشد لحركته ومنع من تلمسان ألا أخذ بحجة الأمير
 أبي بكر عن قاس وأهلها واتصل بالأمير أبي بكر خبره فوضه إليه تسعة أشهر من منازلته فأسا لحمر
 الكتاب عليها وصعد إليه قبل فصوله عن تغزو بلاد فلقية وادى إلى من بسطت وجدة فتراحف
 القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد إبراهيم بن هشام من بني عبد الواد
 ثم انكشف بنو عبد الواد ونجا بغير من بن زيان إلى تلمسان برأس طمرة ولجام وترك محلة بما فيها
 فاحتوى عليها الأمير أبو بكر وانكفرا رجعا إلى قاس فلا أخذ بمنتهى فوصل إليها في جادى الآخرة سنة
 ثمان وأربعين وسبعمائة وأتاه على ما تكلمه واستأنف الجدة وأرهب الحدة وشدت في الحصار وأيس أهل
 قاس من إغاثة المرتضى وسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة
 بني مرين فسألوا الأمير أبي بكر الأمان فبذل لهم على غرم ما أتفقوا به بالنصر من المال يوم الثورة وقدره
 مائة ألف دينار فتصملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها في الثالث والعشرين من الشهر المذكور
 فأقامها الدرج المولى له وطالبهم بالمال فسوقوه وتلقوا في المقال فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة
 من أشياخها وأمنائها وأتاهم بالحديد وطالبهم بالمال والآن الذي انتبهوه من القصر فقال له شيخ
 يعرف بجان الحياض النافذ الذنب منسنة فكيف تم لك ما فعل السفهائين ولو فعل الأمير ما أشربه عليه
 لكان صوابا من رأى فقال وما ذلك قال تعمد إلى هؤلاء النفر السنة الذين سعوا في الفتنة فتأخذ رؤسهم
 وتتردهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بغيرم المال فقال لعمرى لقد أصبت ثم أمر بالقاضي المغيرة وابنه

وابن طاط وابنه وابن جشار وأخيه فقتلوا ورفع على الشرفات رؤسهم وأخذ الباقيين بغرم المال طوعاً وكرهاً قال ابن خلدون في ذلك لما عبد ربيعة فأس وقادها للاحكام بنى مري بن وضرب الرهب على قلوبهم فقتلت منهم الاصوات وانقادت منهم الهمم ولم يحتجوا بهداً أنفسهم بفسهم يدي قسنة وكان مقتل النضر المذكورين خارج باب الشريعة يوم الاحد الثامن من رجب المذكور

في استيلاء الامير أبي بكر على مدينة سلام ارجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك في

لما اكمل الله لامير أبي بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بني مري بن مارجع الى ما كان فيه من منزلة بلاد فارس فاقبضها ودوخ أو طلق زناته واقضى مقارمهم وحسم على الناصر بن مرام تخطى ذلك الى مدينة سلاور باط الفتح سنة تسع وأربعين وسقانة فلكها وناخم الموحد بن بنغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك النضر وضم الاممال اليه وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى عبر اكش فأمه الشأن وأحضر الملا من الموحد بن وفاوضهم واعتزم على حرب بني مري بن وسرح العساكر سنة خمس وسقانة فأحاطت بسلام اقمتهوا وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابي عبد الله بن دهلوا من مشيخة للموحد بن ثم أجمع للمرتضى النهوض بنفسه الى بني مري بن فبعث في المدائن والقبائل حاشرين فاهربت اليه أم الموحد بن والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وسقانة في نحو الثمانين ألفاً والى السير حتى انتهى الى جبال جلولة من فواحي فاس وصعد اليه الامير أبو بكر في عساكر بني مري بن ومن اجتمع اليهم من ذويهم والتقى الجمعان هناك وصدقهم بنو مري بن الجلاذ فاختل مصاف الموحد بن وانهمز عساكر المرتضى وأسلمه قومه وورجع الى مراكش مغلولاً واستولى بنو مري بن على معسكره واستباحوا سرادقه وانهبوا ما طبطه وغنموا جميع ما وجدوا من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهور وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتزأ أمرهم وانبط سلطانهم وكان يومه مابعد في ووفى القرباس في ان انهزام جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جوان فرس بين أخينهم ليلا فغسبو ان بنى مري بن قد أغاروا عليهم فانهزموا الى ياون على شئ والله أعلم ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح ما فيها من بني جابر عرب جشم واستلم أبطالهم ولأن من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال هذه الحروب كان مقتل علي بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخي الامير أبي بكر شعر منه بفساد الخلعة والاجاع للتوب على الامر فدمس لابنه أبي حديد مفتاح ابن أبي بكر بقتله فقتله في جهات مكاسة سنة احدى وخمسين وسقانة والله تعالى أعلم

في استيلاء الامير أبي بكر على سجلماسة ودرة قوسا بلاد القبلة في

لما كانت سنة خمس وخمسين وسقانة نهض الامير أبو بكر الى محاربة بقصر اسن بن زيان وسمع به بقصر اسن فنهض اليه ايضا فكان اللقاء على مليط فاقبضوا وانهمز بقصر اسن واعتزم الامير أبو بكر على اتباعه فتنازع عن رايه في ذلك أخوه يد يعقوب بن عبد الحق لمهدنا كدينه وبين بقصر اسن فرجع ولما انتهى الى القرمدة من أحواز فاس بلغه ان بقصر اسن قصد سجلماسة ودرة لداخله كانت له من بعض أهلها وعودة أطمعته في ملكها فاسرع الامير أبو بكر السير بمجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول بقصر اسن اليها يوم ثم جاءه بقصر اسن حتى نزل خارجا باب ناحست وسقط في يده وبش من غلبة الامير أبي بكر عليه وادرت بينهم محارب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الامير أبي بكر وانقلب بقصر اسن الى بلاده وعقد الامير أبو بكر على سجلماسة ودرة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن زكاسن واستعمل على الجباية عبدا لاسلام الاوربي وجعل مسلحة الجنديا لتظار أبي يحيى القطراني وملكه قيادتهم وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم

وفاته الامير أبي بكر رحمه الله

لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سبلماسة أقام بها أسبوعا ثم مضى الى سبلماسة أيضا متفقدًا لثغورها فاقبل منها عيلا ووصل الى فاس فتوفي بقصره من قصبتها وأسطر رجب سنة ست وخسين وسقانة ودفن داخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبي محمد الغنصالي حسيما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما ذكره

في الخبر عن دولة أبي حفص الامير عمر بن أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله

لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتغل العامة من بني مرين على ابنه أبي حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامير وتباروا في خدمته ومالت الشيعة وأهل العقدا والجل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عندهم ذلك أخيه تازا فلما بلغه الخبر أسرع اليه فاجتمع اليه وجوه الكبار وأحسن همم رعي الناس الى عمه يعقوب فخلق ذلك وأعزاه أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ثم سعى الناس في الإصلاح بينهم فقتلوا يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على ان تكون له بلاد تازا ويطو بقوملوة التي كان أقطعه لها أخوه من قبل فاقصدا على ذلك وخلص الامر لهم واستقر فاس أشهر الى ان غلب عليه عمه المذكور حسيما قصص عليك

في الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بني مرين على الإطلاق وسامع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوفى السمع والطرف وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بني عبد الحق وكانت أمه واسمها أم العيين بنت علي البطوي رأته وهي بكر كان القمصر خرج من قبلها حتى صعد الى السماو وأشرق نوره على الارض فقصر وياها على أبيها فصار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الويا كلى قصصها عليه فقال ان صدق رؤياها فستلذذ ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق عن ابن أخيه عمر ولما أصيب اليها اجتمع اليه كافة بني مرين وعذلوهم فيما كان منه من الضلعي عن الملك وجاء على العمود في الامر ووعده من أنفسهم المظاهرة والنصر الى ان يتم امره فاجابوا بدموعه وصعد الى فاس فبرز الامير عمر لقائه ولما تراءى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلوه فرجع الى فاس فملوا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطع له مكاسة وينزل له عن الامر فاجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخسين وسقانة ونفذ كلته في بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سبلماسة وقصر كرامة وأقصر عمر على اماره مكاسة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه فصر سنة من امارته فمكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع والشقاق عن ملكه وكان يغمراسن بنزبان لما سمع موت قرنه الامير أبي بكر سمع له أمل في الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بني عبد الواد واستطهر بني توجين ومغراوة وودعدهم ومناهم وأطعمهم في غيل الاسد ثم نهض بهم الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كدما من ممداهم الامير يعقوب قضاهم وردهم على أعقابهم ورميهم راسن في طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فاحرقوا وتسف واستباح وأعظم النكابة ورجع الامير يعقوب الى فاس واقفا فذهب أخيه الامير أبي بكر في فتح أمصار المغرب وتوحيق أقطاره وكان عمه أكرم الله ان فتح أمره باستقام مدينة فاس من أيدي نصارى الامم بنيول فكان له بها أثر جميل وذكره خالد رحمه الله

في استيلاء نصارى الاصبيول على مدينة سلا وإيقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها

كان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد استعمله عمه الامير أبو بكر بن عبد الحق على مدينة سلا لما ملكها

كما ذكرناه ولما استرجعها للوحدون من يده أقام يتقلب في جهنم امتزجها بالفرصة وامكنها فيها
 ولما ودع عنه السلطان يعقوب بن عبد الحق أسفته بعض الاحوال منه فذهب مغاصباح حتى تزل عين
 غمولة والطف الحيلة في غلظ رباط الفخ وسلا يعتد به اذ ردة لما سر في نفسه من التوسل على الامر
 فتمت له الحيلة وملك سلا وركب عاجلها أبو عبد الله بن يملو الجرجاني الذي آزره ورخف أمواله وحرمه
 فملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالطلع وصرف الى منازعة عنه السلطان يعقوب
 وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين العقوبين وداخل يعقوب بسلا لتجار الحرب من الاصبينولي في
 الامداد بالسلاح قتلوا في ذلك وكثرت سفن المتردين منهم اليها حتى كثروا أهلها وزاد عددهم
 فزمو على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين وسقاة عند استئصال الناس
 بعيدهم وناروا بسلا في اليوم الثاني من شوال فوضعوا السيف في أهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم
 وانتهبوا الاموال وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتمعن يعقوب بن عبد الله برباط الفخ وطار
 الصريح الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بدنة تازاد خلها وأهل شعبان من السنة
 المذكورة لاستشراف احوال يعقوب بن زيان فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور
 فنهض السلطان يعقوب من قوره بعد ان صلى العصر تازا من ذلك اليوم فاسرى ليلته تلك في نحو
 الخمسين فراسا من الغد صلى الصبح بظاهرها فلا فكل قطع مسافة ما بينهما في يوم وليلة وهذا امر
 خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يده هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والافسافة ما بين تازا
 وسلاست من احل أو أكثر ثم تلاحق به جيوش المسلمين من القبائل والتطوعة من جميع آفاق المغرب
 فحاصروا نصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربع
 عشرة ليلة من حصارها وأنحن فيهم بالقتل ونجاسن فيجاءهم الى سفهم قنصر واقولعهم وذهبوا يلتقون
 وراءهم ثم شرع السلطان يعقوب برجه القتيق بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادي منها فانها
 كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المؤمن بن علي فانه كان قد هدم أسوار قواعدا المغرب مثل
 فاس وسنة وسلا حسيما قد تمنا الخبر عنه في دولته من هذه الجهة كان دخول النصارى الى سلا فشرع
 السلطان يعقوب برجه الله في بناءه فبناه من أول دار الصناعة قبله الى الجرجاني فوفا وكان رجه الله يقف
 على بناءه بنفسه وبنال الخبر يده ابتغى ثواب الله وتواضعوا في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور
 على أحسن وجه وأكله ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الاساطيل
 البحرية والمرابك الجهادية يجلب اليها العود من غابة العمورة فتصنع هناك ثم ترسل في الوادي وكان
 ذلك من الامر المهم في دولة الموحدون حسب سلفه وقال في الجفوة دار الصناعة بسلا بناها المعلم
 أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشيلية وكان من العلوفين بالحيل الهندسية
 ومن أهل المهارة في نقل الاجرام ورفع الاتقال بصير باتخاذ الاساطيل البحرية الجهادية اه وأما يعقوب
 ابن عبد الله الناصر فانه خشي بالخرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفخ وأسلمه فقبضه
 السلطان ونقته ثم نهض الى بلاد تامسانا فاستولى عليها وملك مدينة آني وهي السحاة الآن بالدار
 البيضاء فقبض عليها وحق يعقوب بن عبد الله بعض عاودان من جبال غمارة فامتنع به وشرع السلطان
 ابنه أبا مالك عبد الواحد على بن زيان لما زلته وسار هو الى لقاء يعقوب بن علي فلقبه وعقد معه المهادنة واقترقا
 على السلم وضع أوزار الحرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما ذكره

فخرج بنو ادريس بن عبد الحق على مهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رجه الله

قد تقدم لنا ان الامير عبد الحق المربني كان له تسعة من الولد أكبرهم ادريس وقتل مع والده في حرب
 رباح وكان لادريس هذا عدة اولاد بقوا في كفالة اعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب كان

أولاد ادريس قد ملكوا أمرا أنفسهم واشتد شكيتهم ففسدوا عليه ما آتاه الله من المال ثورا وأأنهم
أحق به منه لأن أباهم هو الأكرم من ولد عبد الحق كما مر في جوار على عنهم يعقوب ولحقوا بقصر كرامة
وتابعوا ابن عنهم يعقوب بن عبد الله على رأيه واجتمعوا إلى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم
اليهم من كل على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فقبض اليهم السلطان يعقوب
ونفذ اليهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعاصم بن ادريس منهم سنة ستين وسقانة على عسكر من
ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطوعة من بني مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بهم ووجههم
وفرض لهم في العطاء وشفع بهذه القعدة الحسنة عمله في واقعة سلا وهو أول جيش عبر البحر إلى الاندلس
من بني مرين فكان لهم في الجهاد والرابطة مواقف مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف
ودام ذلك فيهم برهة من الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم ورحمهم الله
وجزاهم عن المسلمين خيراهم وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجا بالنواحي متتلا في
الجهات إلى أن قتله طلحة بن يحيى من أولياء السلطان يعقوب على ساقية غبولة من ناحية رباط الفخ سنة
ثمان وستين وسقانة فكفى السلطان يعقوب أمره

في حصار السلطان يعقوب حضرة مراكش وتزوج أبي دوس منها اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك

لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الثمار حين عليه من عشيرته أجمع رأيه لنزلة المرتضى والموحدين في
دارهم وحضرهم ورأى أنه وهن لشوكتهم وأقوى لأمره عليهم فبعث في قومه واحتشد أهل مملكته
واستكمل التعمية وسار سنة ستين وسقانة حتى انتهى إلى جبل جليز فشارف دار الخلافة ونزل بعقرها
وأخذ يعضقها ونصفت أوليته على جناتها وعقد المرتضى على حربه لابي دوس ادريس بن محمد بن
أبي حصن بن عبد المؤمن فبما كانت له ورتب مصافه وبرزلاد ففتحهم ظاهرا لحضرة فكانت بينهم حرب بعد
العهد عثما هلك فيها الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق فقتل مملكة في عضدهم وارثوا عنها إلى
أهلهم واعتزضتهم عساكر الموحدين وادى أم الربيع وعليهم يحيى بن عبد الله بن أوودين فاقتهوا
في بطن الوادي وانهمز عساكر الموحدين هزيمة شنعاء وركبوا الأموال والالاث فاحتوى بنوهم
على ذلك كله وهي واقعة أم الربيع ثم سعى سماسة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقاد حربه
أبي دوس بانه يطلب الأمر لنفسه وشعره بالسعاية في جانبه فغنى بادرة المرتضى ولحق بالسلطان
يعقوب سنة إحدى وستين وسقانة عند دخوله إلى فاس من محاصره مراكش فأقام عنده مليا ثم سأله
الإعانة على أمره بصكر عيته بهوا لا يتخذ هلالا له ومال يصرفه في ضرورياته على أن يشركه في الفخ
والنعيمة والسلطان فأمده السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين وبالمستجد من الآلة والكفاية
من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغبرهم أن يكونوا معه يدا واحدة حتى يبلغ
مراده من فتح مراكش وسار أبو دوس في السكائب حتى شارف الحضرة ودس إلى أشياعه من الموحدين
بأمره قتل المرتضى فكان من فراره إلى أزمو روزن وله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده
ما قدمنا ذكره في جلوته واستتب أمر أبي دوس بمراكش وثبت قدمها فبعت إليه السلطان في الوفاء
بالشارطة فاستكشف واستكبر ونقض العهد وأسأله الرقضاء اليه السلطان يعقوب في جوع بني مرين
وعساكر المغرب فغام عن اللقاء واعتصم بالأسوار فزحف إليه السلطان يعقوب ومأمره أياما ثم سار في
الجهات والتواحي يحطم الزروع وينسف الأقوات وعجز أبو دوس عن مداقته فاستجاش عليه بيغمرا من
ابن زيان ليقتل في عضده ويشغله عما أمامه عاروا به فكان ما ذكره

في وقعة تلاح بين يعقوب بن عبد الحق ويغمرا من بن زيان

لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراکش ورجع على ترابسه للتوثيق عليها لم يجد أبودبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه بنصر اس بن زيان لياخذ بحجزه عنها فبعث اليه بالصرح مخفي ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فثمر بنصر اس لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بسنن الغارات على نفور المغرب وابقادار الاقتتافها فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهف منه حذاماضيا فافرج الوقت عن مراکش ورجع عوده على يدته برید تلسان وصاحبها بنصر اس بن زيان فزله فاسا وتلوهمها أياما حتى أخذ أهبة الحرب وعة النزال ثم نهض الى تلسان منتصف محرم سنة ست وستين وسقانة وسلك على آكر سيف ثم على تافراست وتراحف الغريقان بوادي تلاغ وعبا كل منهما كتابته ورتب مصافه وبرز النساء في القباب سافرات على سبيل التكريش والتخريض والتجم القتال وطال القراع والنزال ولما فاء الى عومال النهار وكثرت خشود بني مر بن جوع بن عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومحموا العدو أكتافهم وهلك في الحومة أبو حصص عمر بن يغمر اس بن زيان وكان كبيرا أولاده وولى عهده وهلك معه جماعة من عشيرته ولما انهم بنو عبد الواد بن يغمر اس في ساقاتهم حاميا لهم من بني مر بن زكريم من خلفهم فكانت بردة الهم الى ان وصلوا الى بلادهم وكنس وقعة تلاغ يوم الاثنين الثاني عشر من جادى الاخيرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراکش والله غالب على امره

فتح حضرة مراکش ومقتل أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين بها

لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمر اس صرف عزمه الى غزو مراکش والعود الى حصارها كما كان أول مرة فنهض اليها من فاس في شعبان سنة ست وستين وسقانة ولما عبر وادي أم الربيع بث السرايا وشق الغارات وأطلق الاعنة والايدي للثب والعيث فخطمو ازرعها وانتسفوا آثارها وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه ثم غزا عرب الخط من جثم تبادل فافهم واستباحهم ثم نزل وادي العبيد فأقام هنالك أياما ثم غزا بلاد صنهاجة فاستباحها ولم يزل يتنقل ركبته في أحواز مراکش ويحوس خلالها الى آخر ذي القعدة من سنة سبع وستين وسقانة فاجتمع أسياخ القبائل من العرب والمصامدة عند أبي دبوس وقالوا له يا مولانا كم تقعد عن حرب بني مر بن قذرى ما نزل بنا في حرمنا وأموالنا منهم فخرج بنا اليوم لعل الله يجعله سبب الفتح فانهم قليلون وجهوهم وذو الشوكة منهم قد بقوا رباطا نازا لحراسة ذلك الثغر من بني عبد الواد ولم يزلوا يفتلون له في الذروة والغارب حتى أجابهم الخبر أنهم فاستعدت العرب وبرز من حضرة مراکش في جيوش ضخمة وجوع وافرة فاستجبره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليعبد عن مدد الصريح فيستمكن منه فلم يزل أبودبوس يسعى خلفه حتى زل ودغخوا فحينئذ كرت عليه السلطان يعقوب فالتهمت الحرب واختل مصاف أبي دبوس وفر يسابق الى مراکش وأمن منه مراکش فأدر كنهه لثبول وحطمة الرماح فخر صريحا وأحترز رأسه ووجي به الى السلطان يعقوب فبعث شكر الله تعالى وذلك يوم الاحد ثاني محرم سنة ثمان وستين وسقانة ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراکش وفر من كان بها من الموحدين الى تيفلل ويادعوا اسحق أخا المرتضى فسبق ذبالة هنالك الى ان قبض عليه سنة أربع وسبعين وسقانة ووجي به في جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبد المؤمن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملاء وأهل الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب فخرجهم وأنتهم ووصلهم ودخل مراکش في عسكر خضم وموكب فخم يوم الاحد التاسع من محرم للذكور وورث ملك آل عبد المؤمن وعقلاء واستوسق أمره بالمغرب ونظامن الناس لبأسه وسكنوا الطلل سلطانه وأقام عراکش الى رمضان من سنته ثم أغزاه الامير بالملك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فاقتتها وأغل في ديارها ودوخ أقطارها

ورجع الى آبيه واستقر السلطان يعقوب بجرا كش يصلح شؤنه الى رمضان من سنة تسع وستين وسقائه
تخرج بنفسه الى بلاد درعة فاقع بعمرها الواقعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم ورجع لشهر من
غزائه ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه فاس فمقد على مرا كش محمد بن علي بن يحيى من كبار أوليائهم ومن
أهل خولته وكان من طبقة الوزراء عوازله بقصة مرا كش وجعل المسالخ في أعمالها لتطرد وعهد اليه
بتدوير الاقطار ومحو آثار بني عبد المؤمن وفصل من مرا كش فاصد احضرة فاس في شوال من السنة
المذكورة والله تعالى أعلم

في مر اسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الخفصى للسلطان
المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

كانت دولة بني أبي حفص أصحاب تونس والقرية قرا من دولة بني عبد المؤمن وشعبة منها حسانها
عليه غيرة ولما خضت دولة بني عبد المؤمن بجرا كش والمغرب كان صاحب القرية أبو زكريا يحيى
ابن عبد الواحد المكنى بأمل الاستيلاء عليها والتكلم لهاو يفتي ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى انه
أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بني عبد المؤمن لانها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة
مرا كش لم تعرف الا للمساعدة من قديم الزمان وقبيلة هنتا تهى معيها وذواتها فبذلوا ونحوه كان
بنو أبي حفص يتناولون الى ملك مرا كش ولما نزع نور من بالمغرب وظفروا على الكثير من ضواجه
كانوا يدعون الى أبي زكريا الخفصى تأليفا لاهل المغرب واستجلا بالرضا منهم واتيانا لهم من ناحية
أهواهم لكانت صبغة الدعوة الموحدة قدر صحت في قلوبهم فلو دعو الى غيرهما من أول الامر لمخلصوا
عنها حصة جمر الوحش ولما لم يكن بني مرين ان يدعو الى بني عبد المؤمن لانهم أقتلهم واباهم بنزلعون
ولهم محارون ويحالون دعو الى طاعة الخفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى
أصله فلم تغرق في أهل المغرب عن أولئك سكان بنو مرين بسرتون من ذلك حسوا في ارتقاء ولهذا
لما استقل السلطان يعقوب بالامر وعسكر له السلطان بالمغرب قطع دعوة الخفصيين حال بعد ان كان
أولا يدعو اليها هو واخوته من قبله ولكن بنو أبي حفص ينشطون لذلك ليعود بنو مرين ويعتقونهم
بالسلح والصلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازلة مرا كش كتب الى أبي عبد الله محمد
المستنصر بالله بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص يخبره بذلك ويستجده حتى كأنه نائب عنه
لاخبره وأرسل بكتابته مع ابن أخيه عامر بن إدريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه دولته فأكرم
المستنصر وفادتهم ثم لما فتح السلطان يعقوب مرا كش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بدية فيها
من أصناف الخيل الجياد والصلاح والنياب الرفعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة
من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكافي فتلطف الكاتب المذكور في ذكر
المستنصر على منبر مرا كش حتى تم له ذلك بمحض وفد الواحد بن فظلم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم
بأنخبروا واطلبت المودة والمهادنة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ولما هلك المستنصر وبيع
أبيه أبو زكريا يحيى الدعوى بالوفاق حتى صانأ يسه في ذلك فبعث الى السلطان يعقوب بدية مائة
مع قاضي بجاية أبي العباس الغماري سنة سبع وسبعين وخمائة فظلم موقعا من السلطان يعقوب
وكان لابي العباس الغماري هذا المغرب ذكر تحت الناس به دهره فوقع السلطان يعقوب لاول أمره
الدعوة الى الخفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم

في عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبي مالك بلا ومانشاعن ذلك من خروج قرائته عليه

كان السلطان يعقوب حين خرج من مرا كش بعد فتحها فاصد احضرة فاس دار ملك بني مرين اجتاز

عبد بنه سلاطرا حيا يا ما قطره من ضوعك منه وعكاشديدا فلما بل من مر منه جمع قومه وعقد العهد لا كبر اولاده أي مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذته البيعة عليهم جميعا فاعطوها طواغية وعز ذلك على القرابة من بني عبد الحق وهم أولاد سوط النساء بنو ادريس بن عبد الحق بنو عبد الله بن عبد الحق بنو روح بن عبد الحق ولتأقيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء الثلاثة من بني عبد الحق كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أي مالك بولاية العهد أسغهم ذلك لانهم كانوا ابرون انهم أحق بالامر حسبما سلف فارتدوا على أعقابهم ووقبلوا المعهم ظهر الجن وعادت هيف الى أدليهم وأسرهم ليلتهم من سلا ولم يصجروا الا بحيل عاودان من بلاد غماره عش خلافهم ومدرج قنتهم وكان ذلك في عيد الفطر من سنة تسع وستين وسثمائة وانضم اليهم بنو أبي عياد بن عبد الحق وشايعوهم على إخراجهم فخرج السلطان يعقوب في أثرهم وقد بين يديه ابنه الأمير يوسف بن يعقوب في خمسة آلاف فاحاط بهم وأخذ بخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره ومعه مسعود بن كاثون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب في عساكره فاصروهم ثلاثا ولم يروا أن قد أحبط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأزلهم وصح صدورهم واسترضاهم واستل صحتهم ووصل بهم الى حضرة نفسا وأمنه الا ان في الحاق بلسان حياه مما ان تكبوه من الخلاف فاذن لهم فاجازوا البحر الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آتس من ميله اليه فيقتل بلسان حتى توثق لنفسه بالمهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان يعقوب بلسان حسبا نذ كره عن قرب (قال ابن خلدون) واحتل هؤلاء القرابة من بني عبد الحق بارض الاندلس على حين أغفر من الحامية جوهها واستأبد المدو على ثغورها وتعلبت شفاها لالتهاهما فقبووها أو داضارية وسيوفا ماضية معودن اقاء الابطال وقرع الحتوف والزال مستظلين بخشونة البدوة وصرامة العز وبسالة التوحش فغلطت نكابتهم في المدو واعترضوا في صدره مصبي دون الوطن الذي كان طعمته في ظله وارتدوه على عقبه ونشطوا من هم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آل المهملد اقامة طغيتهم وزاحوا أمير الاندلس في ديارستان عكس قوى قضباي لهم عن خطة الحرب بوراسة الفزاة من أهل الصدوة من أعياصهم وغيرهم من أم البربر وناقوه في مستقر عزه وساحوه في الجابية بغرض المطا والديوان فبذله لهم واستعدوا على المدو وحسن اثرهم فيه حسبما تلح بالبعض من ذلك ان شاء الله

﴿هجوم النمصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب﴾

لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وسثمائة هجم النمصارى على مدينة العرائش وتشمس من ثغور المدوة المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها تاراور جمعوا عودهم على بدعهم فركبوا أجنحتهم وطفوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراکش في التاريخ المذكور ولم يبين في القراطس هؤلاء النمصارى من هم

﴿وقعة ايسلي بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان﴾

لما أتم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه في أقطار المغرب وتواجهه ونفذ كلمته في حواضره وبواديه وتم له المصنع بفتح مراکش وورائه كرمي بني عبد المؤمن بها وعاد الى فاس فاقتلتا تحرك ما كان في نفسه من ضغائن يغمراسن بن زيان وما أسغهم بمن تخذيل عزائمه ومجادبته عن قصده ورأى ان وقعة تلاع لم تنصف صدره ولا أطفأت نار موجدته فاجع أمره لغزوه ونشط لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان فخشى جميع أهل المغرب وعزم على استنصاه وقطع دابره فسكر بفاس وبعث ولده أبا مالك الى مراکش في جناحه من خواصه حائرين في مدائنها وضواحيها فاجتمع عليه من

قبائل العرب والمصامدة وصنهاج وقبايعسا كر للوحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج
 وناشبة لغزو واستكروا من ذلك كله واحتل السلطان يعقوب باس كذا ثم نهض منها غرة صفر سنة
 سبعين وستمائة فسار حتى زلوا دى ماوية فاقام عليه اياما حتى لحقه ابنه ابو مالك في جموعه وتوافت
 لديه امداد العرب من قبائل جشم اهل تلمسان الذين هم صفيان وتلخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم
 من الانبيج وقبائل ذوى حسان والشبانات من معقل اهل السوس الاقصى وقبائل رياح اهل ازغار
 وبلاذ الميط فعرض هناك عساكره وصبرها ورتبها فيقال انها بلغت ثلاثين الفا واربع مائة تلمسان
 ولما انتهى الى هناك قدمت عليه رسل ابن الاخرى وقد اهل الاندلس يستصرخونه على العدو
 ويسألونه الا اناة النصر ويخبرونه بانة قد كذب عليهم وشبهه لانهم بلادهم فتكرت همته رحمه الله
 اليهم اذ نصر المسلمين وانما المستضعفين منهم وتطرق في صرف الشواغل عن ذلك فجمع السلم مع يفراسن
 وعزم عليها واستشار الملا من اشياخ العرب وبني مرين في ذلك فصر وارايله لما كانوا عليه اياما من
 ابناء الجهاد وحبته فبعث السلطان يعقوب جماعة من اشياخ القبائل الى يفراسن يدعونه الى الصلح
 واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله ان الصلح خير كله فان جمع يفراسن اليه واناب فذاك والا
 فاسرعوا الى ما تلبرفساوت الاشياخ الى يفراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد اخذ اهبته واستعد
 للقاء واحتشد قبائل زناتة المجاورين له في تلك البلاد من بني عبد الواد وبني راشدوا حلافهم ومغراوة
 من عرب بني زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكر وصم عن سماع
 قولهم وموعظتهم وقال ابعد مقتل ولدى اصلحه والله لا كان ذلك ابد حتى انا ربه واذا بقبائل اهل الغرب
 النكال من اجله فرحمت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر وتراخى الفريقان فكان اللقاء على وادى
 ايسلى من بسيط وجدة وعبا السلطان يعقوب كتابته ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد في الميمنة
 وابنه يوسف في الميسرة ووقف هو في القلب ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك في الحومة
 ابو عثمان فارس بن يفراسن بن زيان في جماعة من بني عبد الواد وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا
 معهم ثلثياتهم بنبات يفراسن فطعنهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم رئيس ولهمزم بالاقون ونجى
 يفراسن في فله حاميا لهم ومدد افعانهم من خلفهم ومر في هزيمة بفساطيطه فاصر مها نارا فتاديا من
 معركة احتيلا العدو عليها وانتهت بنو مرين باقى معسكره واستبحت حرمة واربع السلطان يعقوب
 من الغد في اثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فامرهم بمدها اقتسارعت ايدى الجند اليها وجعلوا
 عاليها سافلها والصقوا بالراغام جدرانها وتركوها قاعا صغصغا وكانت هذه الوقعة منتهى مغرب من
 سنة سبعين وستمائة ثم تقدم الى تلمسان فقتل عليها حاصرها اياما واطلق الايدي في ساحاتها بالانهب
 والعيث ثم شق الغارات على البساط فاكسها سبيوا ونسفها نسفا وهلك في طريقه الى تلمسان وزيره
 عيسى بن ماسا وكان من علية وزرائه وجماعة مبداته وله في ذلك اخبار مذكورة وكان مهلكة في
 شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير اوزيان محمد بن عبد القوي بن العباس
 ابن عطية كبير بني توجين من زناتة في جيش كثيف من قومه مبايها يبنوده وطبولة وآلة حربه وكان
 قدومه هذا بقتل مظاهرة السلطان يعقوب على يفراسن وتلمسان له داوة كانت بينهم ما فسكرم
 السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس لقاائه واتخذت رتبة السلاح لمبايهاته واحمر الحصار على تلمسان
 وعظمت تكة بة بني توجين فيها بغرب الرياح واتساف الجنات وقطع الثمار وافساد الزرع وتحريق
 القرى والضياع لما كان يفراسن يعاملهم في بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ولما امتنت تلمسان على
 السلطان يعقوب وأيس من فتحها لخصائمه واشتد دأشوكه حامية عزم على الافراج عنها وأشار على الامير
 محمد بن عبد القوي بالقول الى ما منه قبل ان ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملاحقائهم من

التحف وجنب لهم مائة من الخيل القربان الجياد عرا كهبا وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعهم بلخاخ
الفائرة والصلات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والغازات والفساطيط وجعلهم على الظهور
وارتحلوا إلى منبجاتهم ومقرهم من جبل وانثريس وتلقم السلطان يعقوب عليهم أياما ريثما وصلوا
حذرا عليهم من يعمر أسن أن ينهز الفرصة في اتباعهم ثم أفلح السلطان عن نلسان وثني عناته إلى المغرب
فوصل إلى رباط تازافى أول يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة فعيدم بعيد البحر ثم ارتحل إلى فاس
فدخلها فاتح سنة إحدى وسبعين وسقانة فأقام بها إلى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفي ولده وولي عهده
الأمير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب ثم نهض إلى مراكنس فدخلها
أوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة فأقام بها شهرًا حتى أصح من شأنها ثم نهض إلى طنجية وسنة
على مائة كره

في فتح طنجية وسنة وما كان من أمر العزفي بها

قد تقدم لنا في دولة أبي حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفي استبد عليه بسنة وتوارث ذلك
بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوت سنة وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ولما ضعف
أمر بني عبد المؤمن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي برياضتها وضبطها وانتظم
في طاعتها سائر أعمالها ولما كانت سنة ثلاث وستين وسقانة بعث الفقيه المذكور أجناته إلى مدينة
أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قبعتها لانخاف عليهما من خلائها أن عليهما العدو وينزعجها أو استمرت
أموره في سنة ونواحيها على السداد وكانت طنجية نالبة لسبته في سائر أحوالها وكانت عامرًا من أحسن
بلاد المغرب فدخل صاحب طنجية وهو أبو الحاج يوسف بن محمد الحمداني المعروف بابن الأمير في طاعة أبي
القاسم المذكور ثم انتفض عليه بعض سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب إفريقية
ثم للطنيفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه وسلك في طنجية مسلك العزفي في سنة ولبسوا على ذلك ماشاء
الله حتى إذا ملك بنو من المغرب وأقتصموا عاقله وحصره هو ذلك الأمير أبو بكر بن عبد الحق وابنه
أبو حفص عمر من بعده فتصير بنوه في اتباعهم وحشمهم إلى ناحية طنجية وأصيلا فأولطنوا صاحبها وعانوا
في نواحيها وضيقوا على أهل طنجية حتى شاربهم ابن الأمير على خراج معلوم على أن يكتفوا الأذية
ويحبوا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا إلى البلد لاقتضاء حاجتهم ثم مكروا
وأضرموا القندوق دخلا في بعض الأيام تأبطن السلاح وتكويبان الأمير غيلة فنارت بهم عامة أهل
طنجية واستنظمهم طنجية في مصرع واحد سنة خمس وستين وسقانة واجتمعوا على ولده فبايعوه
وبقيت في ملكه خمسة أشهر ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فنهض إليها بعضا كره من الرجل بر
وبعرا وملكها وفر ابن الأمير فلق بنونس ونزل على المستنصر الخفصي واستقرت طنجية في إيالة العزفي
فضببطها وقام بإمرها وولي عليها من قبله وأشرك المسلمين أسرارها في الشورى ولما استولى
السلطان يعقوب على حضرة مراكنس وحجى دولة آل عبد المؤمن منها فرغ من أمر عدوه بغير أسن
هم تلك الناحية وأحب أن يضيها إلى ما يده ليصفوه أمر المغرب الأقصى كله فنهض إلى طنجية ونزلها
مفتح اثنتين وسبعين وسقانة لأنها كانت في البسيط دون سنة فكان أمرها سهل فحاصر هانحو ثلاثة
أشهر فاستمتع عليه وشس منها وعزم على الأفراج عنها فينها هو مقاتل في عتي اليوم الذي عزم على
النهوض في غده إذا جماعة من رماها فامروا على برج ورفعو اللواء أبيض ونادوا بشعار بني مرين وذلك
لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند إليهم فلكوهم البرج فتسوروا إليه الحيطان وقتلوا عليه
سائر ليلتهم إلى الصباح ثم تكاثرت جيوش بني مرين واقتصموا البلدة عنوة ونادى منادى السلطان
يعقوب بالامان فلم يملك من أهلها الا نضر يسير من رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول وكان

ذلك في ربيع الأول سنة اثنين وسبعين وستمائة ولسافرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الأمير يوسف إلى ستة فحاصرها العز في أياما ثم لاذ بالطاعة على أن يبق عمتا بحسنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأقربت عنه عساكره وعاد إلى فاس والله غالب على أمره

فتح بصلحامة وما كان من أمرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الأمير أبي بكر بن عبد الحق على بصلحامة ودرعة وأنه عقد على مسلحتها لابي يحيى القطراني الذي كان السبب في قتلها عليه ولما هلك الأمير أبو بكر استبد القطراني المذكور ببصلحامة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطراني بواسطة القاضي ابن حجاج حسانة ثم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يعمراس بن زيان بواسطة عرب المنبات من بني معقل أهل العصراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة إلى أمه وهي أخت يعمراس بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانظمها في ملكه وجه عزمه إلى اقتراح بصلحامة واتزاعها من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها فنهض إليها في رجب سنة اثنين وسبعين وستمائة في جوع بني مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ونزلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك فقل ابن خلدون رحمه الله عليه انه قد انقضى القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدره بارئها اه كلامه قلت وفيه فائدة أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وإن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصرتهم وحرورهم ويحدث وفيه رد لما نقله أبو زيد القاسمي في شرح منظومته الموصوفة في العمل الجباري فاس قال كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبع مائة حسنا ذكره بعضهم في تأليفه في الجهاد وأنه استخرج حكيما كان يعمل الكيمياء ففرقه فاعاده فأجبه فاستخرج منه هذا البارود اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويقلب على ظني ان لفظ الستائة تصحف بالسبع مائة فمصرى الغلط من ذلك والله أعلم و أقام السلطان يعقوب على حصار بصلحامة حولا كاملا وكان سفهاؤها يصعدون فوق الأسوار ويعلنون بالسب والفتش إلى ان هلك المجنيق ذات يوم طائفة من دورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف وعات الجندي أهلها فقتلوا المقاتلة وسوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنينة ومن كان بها من أشياخ بني عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكل يقتضها السلطان يعقوب فتح بلاد المغرب ونحست طاعته في أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعونه ولا جاعة تعبير إلى غير فتنه

أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد وما كان

بني بالاندلس من الذكراجيل والفتخر الجليل رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين في وقعة العقاب من الظهور والقبلة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالمغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جبل نفورها وحصولها والضعف أمر الموحدين بالمغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا إلى المنافسة فيما بينهم واستظهروا بعضهم على بعض بالطاغية وأسلام حصون المسلمين اليهم في سبيل تلك الفتنة فقتل رجالا بالاندلس بعضهم إلى بعض وأجمعوا على إخراج الموحدين من أرضهم فثاروا بهم وقت واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم من بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر ونازع ابن هود

الرياسة بالاندلس ولا يزال عما ذهب في منازلهم من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة
 الشهيرة التي منها قرطبة واشبيلية قاعدة تاراض الاندلس كان كل واحد من هذين الثائرين يتقرب الى
 الطاغية بما يغلب عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده وانقرض امر ابن هود عن امد
 قريب واستمرت دولة ابن الجمر في عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب امر ابن الجمر بالاندلس
 عقد السلم مع الطاغية على ان ينزل له عن جميع سائط عرب الاندلس فقتل له عنها اجمع ولبا بالمسلمين
 الى سيف البصر معتصمين باوعاره وتثبيت بمعاقله وحصونه واختار ابن الجمر لتزوله مدينة غرناطة
 واتخذها كرسي مملكته وابتقى بها السكاه حصن الجراء وكان ابن الجمر هذا يدعى بالشج وكان قد عهد
 الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا تاهأ امر من
 العدو أو وصل اليه مكره ان يستنصر عليه بني مرين ويدرأ بهم في غره ويحفظهم وقاية بين العدو وبين
 المسلمين فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل بالشر والهدوء وقد مضت
 الاندلس كافة على السلطان يعقوب برجه الله فقيه وقد هم منصرفا من فتح سجلماسة فبادر والاسلام
 عليه وألقوا اليه كنهه اغلبر عن كلب العدو على المسلمين ونقل وطأ لمطغي وقد هم واستبشر بتقدمهم وبادر
 لاجابة داعي الله واثار الجنة وكان السلطان يعقوب برجه الله منذ أول امره موثرا يحمل الجهاد كفاية
 مختار الله لو أعطى الخبار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الفز والى الاندلس أيام أخيه الأمير
 أبي بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية فلما قدم عليه هذا
 الوفدين بعزته وأفظوا عنته فاعمل في الاحتشاد وبحث في الغيرة ونهض من فاس في شوال سنة ثلاث
 وسبعين وسفائة فوصل الى طنجة وأقام هناك وجه خمسة آلاف من قومه أزاح عنهم وأجزل
 أعطائهم وعقد عليهم لابنه أبي زيد وأعطاه الراية واستدعى من العزفي صاحب سبعة السفن لاجازتهم
 فوافاه بقصر المجاز منه عثرون اسطولا فاجاز العسكر المذكور ووزل بطريق في السادس عشر من ذي
 القعدة من السنة المذكورة فزاح الأمير أبو زيدان بطريق ثلاثمائة دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب
 على نفورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من الغنائم وأغنوا بالقتل والامر وتخريب العمران ونسف
 الآثار حتى نزل بساحة شريش فقام حاميها عن اللقاء وتخصوا بالاسوار وقفل الأمير أبو زيدان الى
 الجزيرة الخضراء فقام ثلاث أيدي عسكره من الاموال وحقاتهم من السبي وركائبهم من السلاح
 والاثاث ورأى أهل الاندلس ان قد ثاروا بعام العقاب بعد ان لم تنصر لهم هداية من ذلك اليوم الى الآن
 ولله خالب على امره

في الجواز الأول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد

ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب برجه الله ان العدو قد أخفق الاستعداد وعزم على الخروج الى بلاد
 المسلمين فاعترم على الفز ونفسه وخشي على نفور بلاده من عادية يغمرا من صاحب تلسان نبعت
 حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب بن قديم بن مرين لعقد السلم مع يغمرا من الرجوع لا لتخاف
 والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فآكرم موصله وموصل قومه وبادر
 الى الاجابة والافسة وأودع مسيحية بن عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل
 وأسنى المديونية وجع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من
 الميل الى الجهاد واثار مبرورات الاعمال فبث الصدقات شكرا لله تعالى على ما منحه من النفي فذلك
 ثم استغفر الكافة واحتشد القبائل والجمع ودعا المسلمين الى جهادهم وخطب في ذلك سائر أهل
 المغرب من زناتة العرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغارة وأورينو مكاحة وجميع قبائل البربر
 من المرزقة والمنطقة وأهابهم وشرع في عبور البحر فاجازهم من فريضة قصر الجاز في صفر سنة أربع

وسبعين وسفانة واحتل ساحل طريف وكان السلطان يعقوب حين استصرجه ابن الأجر وأوقد عليه
مشايخ الأندلس اشتدوا عليه السلطان يعقوب التزول عن بعض الثغور بساحل القرضة لاحتلال
عساكره بها فاجتباى له عن ردة وطريف ولما أحسن الرئس أبو محمد بن اشقيولة باجازه السلطان يعقوب
قدم اليه الوفد من أهل مالقة بينهم وصرى عنهم وكان أبو محمد بن اشقيولة وأخوه أبو اسحق من أهل
ابن الأجر وكانا مستولين على مالقة وادى آس وقلاش ووقت بينهما وبين ابن الأجر منافسة ففجرا
عن طاعته ولما عبر السلطان يعقوب الى الأندلس بادر أبو محمد بن اشقيولة اليه واتصل به وأخضعه
الود والنصح وسابق ابن الأجر في ذلك ونازعه في برو ومقدمه والأذعان له ورعى أصدرت من ابن اشقيولة
في حق ابن الأجر حفوة بمحضر السلطان يعقوب أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الأجر مغاضبا
للسلطان من أجل ذلك ولما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كتابته ساحة الأرض ما بينها
وبين الجزيرة الخضراء ثم نهض الى العدو قبل ان يسبق اليهم لمخبر فدخل دار الحرب وانتهى الى الوادي
الكبير فبعد هنالك لولاه الأمير يوسف على خمسة آلاف من عساكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره
وسرح كتابته في البساط وحلال المعافاة تنسف الزروع وتحطم القروى وتخرب العمران وتنتهب
الأموال وتكنس المرح وتقتل مقاتله وتسبي النساء والذرية حتى انتهى الى حصن المدور وبناحية
وأبدة واتهم حصن بلة عنوة وآتى على سائر الحصون في طريقه فمطمس معالمها واكتسح أموالها وفضل
السلطان يعقوب رجح اللهو الأرض فخرج سبيها الى ان عرس باسجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير
باتباع العدو آثاره لاستقذا أسرارها واسترجاع أمواله وانزعيم الفرغ وعظيهم فونه خرج في طلبهم
في أم النصرانية من الختم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا من الفرسان أمامه لوسار
بقتيها من خلفها حتى إذا طلت دلائل المدوم ورائهم كان الرض ورتب المصاف وجرد السيف
وذكر اسم الله وراحت زنا تبصائر هالوعزاتها وتصركت همها وأبلى في طاعنها وأوذب عن دينها
وجاءت جابر عرف من بأسها وبلائها في مقامات هارموا فنهضوا لم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر
أمر الله وانكشف جوع النصرانية وقتل الزعيم فونه وكان هذا الله بن زعيم النصرانية بالأندلس
قد قدسه القنش على جيوشه واستعمله على حروبه وقوس له في جميع أموره وكان النصراني
قد سلبوا بطائره وتجنبا بقتيته لانه لم ترم له قط راية وكان وبالاعلى بلاد الاسلام كثير القلارات عليها
حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكذا القارات وألحقه بآمه الهاوية ومخ
السلمين وقلب الفرغ واستحرقهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الألوف وجمعوا من رؤسهم ما كان
أذنوا عليه المصالح الظهور والعصر واستشهد من المسلمين ما ناهز الثلاثين أكرمهم الله تعالى بالهياة
وأثرهم بجاعده ونصر الله عز وجل وأولاده وأظهر دينه وبدا للعدو ما لم يكن يحسب به بمحاربة هذه
العصاة عن الله وقامها نصر الكعبة وبعت السلطان يعقوب رجح الله برأس الزعيم فونه الى ابن الأجر
فيقال انه بعثه سر الى قومه بسد ان طيبه وأكرمه ولاية أخضها لهم ومداراة وانحرافا عن السلطان
يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين (هو أعلم) ان هذا الزعيم بسمه كثير من المؤرخين دون فونه
ولفظة دون معناها في لسانهم السيد والعظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها وقتل السلطان يعقوب
من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء فمقتصر بربع من السنة لذلك كورة فقسم في الجاهدين الغنائم
وما تقوله من أموال عدوهم وسباياهم وأمرهم وكرامهم بعد الاستئثار بالجنس لبست المال على
موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر
وأربعة وعشرين ألفا من السبي ومن الاسارى سبعة آلاف وعشائة وثلاثون ومن الكراع أربعة
عشر ألفا وسفانة وأما القوم فانتفعت عن المصير كثره حتى لقد زعموا انه قديمت الشاة الواحدة بدوهم

وذلك السلاح وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياماً ثم غزى في جادى الأولى من السنة المذكورة غزاه بالشيلة فحاص خدالمها وتقرى وأحياها وأقطارها وأقضى بالقتل والنهب في جهاتها وعات في عمراتها وأوغل في مسيره حتى وقف على بابها وزعمت طبوله في جزوها وخفت ألويته على جنباتها ولبأت الفرغ إلى الأسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ثم ارتحل إلى شريش فاذا بهم وبأل البيت والاكساح مثل ذلك أو أكثر ورجع إلى الجزيرة لشهرين من غزاهم فبعت القرنية من سيهم باعتقال ونصف الكثرة السبي حيث نود دخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب في اختطاط مدينة بفرصة المجاز من العدو لتزول عسكره متبذاعن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتغير لها مكانا ملاصقا للجزيرة فأنجز بنياء المدينة المشهورة بالبنية ثم أجاز البحر إلى الغرب في رجب من سنة أثنى سنة أربع وسبعين وسماثة فكانت فيه وراء الجزيرة أسير واحتل قصر مهيودة وأمر ببناء السور على بادي من مرطاة السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل إلى فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة

﴿ففتح جبل تيفل ونيس قبور بني عبد المؤمن على يد الملباني عفا الله عنه﴾

قد تقدم لنا أن جبل تيفل كان حصنا للوحدين ومجاهاً لهم إذا نالهم مكروه وكان مصيده من أراغهم لا يمدفن أمامهم ولم يخطئهم فكانوا يعكفون عليه ولم يسمون بركة تباروه ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم فربما يتقربون بها إلى الله تعالى ولما استولى السلطان يعقوب على مراکش فرمى كل من كان بها من الموحدين إلى الجبل المذكور واعصموا به وبادعوا الحق أخا المرتضى وأملوا منه رجوع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك إلى هذه السنة فنقض عامل مراکش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد ابن علي بن محلي أحد خولته ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم اقتحمه عنوة واقتضى عذوته وتلك خنياه وتقبض على خليفة للوحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن أبي الربيع ومن معهم من الألبان وجنبا إلى مصارعهم باب التربة من مراکش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب القبائلي وأولاده وعانت عساكر بني مرين في جبل تيفل واكتسوا أمواله ونشوا قبور خلفاء بني عبد المؤمن واستخرجوا أشلاءهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور قطعت رؤسهم وتولى كبر ذلك أبو علي بن أحمد الملباني كان أبو علي هذا نازعاً على الخفصيين بدينه ملية فجوزوا إليه عساكرهم وأجهضوه عنها ففر إلى السلطان يعقوب فقبضه وأواهوا وأقطعوه بلاداً ثم أكرامه فحضر هذه الواقعة في جلة العسكر ولار تكب هذا الفعل الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخد لا تقي من أرامهم والبيت بأشلائهم وقد أنكر الناس عاقبة السلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوا مع ذلك فقد تجاوز له السلطان يعقوب عنها أناسا فترسبه ورعيا لجواره ولما توفي السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى إليه في الملباني هذا فكتبه على ما ذكره أن شاء الله ولما وصل السلطان يعقوب من غزواته إلى فاس انتقض عليه طلبة بن محلي أحد أحواله وتمنع بجبل آصر وامن بلاد فاز انفسار إليه السلطان يعقوب وحاصره فأناب إلى الطاعة وزل على الأمان وذلك في منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وسماثة وفي ثاني يوم من شوال من هذه السنة تارت العاقبة باليهود فباس بسبب حدث أحنوه فقتلوا منهم أربعة عشر مردوا ولولا أن السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت آياها

﴿بناء المدينة البيضاء السماء اليوم فاس الجديد﴾

لما فتح جبل تيفل ومحيط منه بقيه آل عبد المؤمن وتمهد ملك المغرب السلطان يعقوب واستفعل أمره

وكثرت غاشيته رأى أن يختط بلاد ينسب اليه ويقيم بسكاه ويتزل فيه بمحاشيته وأولياؤه الحاملين لسرى
ملكه فامر ببناء المدينة البيضاء لاصقة لمدينة فاس على ضفة وادي الخترق الهامن جهة أعلاه وشرع
في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وسثمائة وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطت
مساحتها وأسست جدرانها وجمع الأيدي عليها وحضر الصناع والعسلة لبنائها وأحضر لها أهل النجاسة
والمعدلين لحركات الكواكب فاخترها والهامن الطوالع ما يرضون أثره محمدون سيره وأسست فيه وكان
في أولئك المعدلين إمامان شهران أبو الحسن بن القطان وأبو عبد الله بن الحياك المقدمان في الصناعة
فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسمه رجه الله وكارضى وزلها بمحاشيته وذو به سنة أربع وسبعين المذكورة
واختط الناس ما الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور وكانت من أعظم آثار هذه الدولة
وأبقاها على الأيام **قال ابن أبي زرع** ومن سعادة طالعها أنه لا عوت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء قط
الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا ثم أمر رجه الله ببناء مقبة مكعبة فشرع في بنائها وبناء جامعها
في السنة المذكورة ثم استوزر ضيعته بأبى سالم ففتح الله السدراق وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم
ثم كفايته مراسن بن زيان على هديته التي كان يعثم اليه قبل إجازته الى الأندلس فبعث اليه فسطاطا
رائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من البغال الفارسة ذكرنا وانانا وغير ذلك مما يهدي به مالوك
المغرب وفي سنة خمس وسبعين وسثمائة أهدى اليه الأمير محمد بن عبد القوي التوجيني صاحب جبل
واشترى أربع مائة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة ورأى أنما على قلة عددها أحصل هدية
وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر الجهاد شغل شاغل يغطي اليه سائر أعماله حسبا يذكره ان شاء الله

في الجواز الثاني للسلطان يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد

أفضل السلطان يعقوب من غزوه الأولى واستتزل الخوارج ونقب الثغور وهادى الملوكة واختط
المدينة البيضاء لئلا تزداد كذا كرنا خرج فافغ سنة خمس وسبعين وسثمائة الى جهة مرا كش لستغوررها
وتنقيب أطرافها وتوغل في أرض السوس ويعث وزيره ففتح الله السدراق في العساكر ففاس خلالها
ثم انتكفأ رجاء هناك خاطب السلطان يعقوب رجه الله بمائل المغرب كافة بالذخيرة الى الجهاد فتأقلا
عليه فلم يزل يعرضهم وهم يستوفون الى ان دخلت سنة ست وسبعين بعدها ولما رأى تناقل الناس عليه
نمض الى رباط الفخ وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فابطوا عليه نفق في خاصته وتقدم في محاشيته حتى
انتهى الى قصر المجلزودة لاحق به الناس من كل جهة لارأوا من عزمه وتصميمه فاجازهم البحر
واحتل بطريف آخر محرم من السنة المذكورة ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة فوافاه بها
الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن اشيقلولة صاحب مائقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي
الحسن برسم الجهاد معه ثم ارتحل السلطان من رندة فافغ ربيع الأول من السنة المذكورة حتى انتهى
الى اشيلية فمرس عليه يوم المولد النبوي وكان بها يوم مشد ملك الجلالقة ابن اذفونش فلم يجدها من
الخروج اليه بعد ان خام عن اللقاء أولا فبرز في جوعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية
السلطان وأظهر من أجرة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الدروع السوانج والبيض اللوامع
والسيوف الموارو وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد شماعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان
يعقوب رجه الله بعد ان صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم قرب مصافه وجبل ولده
الأمير يوسف في المقدمة وزحف على النعية فاقتتلوا مليا ثم انهزمت الأرض فقتلوا بعضهم في الوادي
وانحدر آخرون مع ضفغته وتصاعد آخرون كذلك واقفهم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلواهم في لجته
حتى صار الماء أجروطف جيفهم من القذ عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر وبات السلطان والمسلمون
تلك الليلة على صهوات خبوتهم يقتلون ويأسرون وأضرمو النيران بساحة اشيلية حتى صار الليل

نهارا وباتت الفرغ على الاسوار ينغثون في القرون ويحترسون طول ليلتهم ثم ارتحل السلطان من
 الغدا الى جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقرب تلك الجهات حتى آباد عمرها وطمس معالمها
 ودخل حصن قطينية وحصن حليتة وحصن القليعة عنوة وأنخن في القتل والاسبي ثم ارتحل بالغنائم
 والانتقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فراح بها وقسم
 الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شربش منتصف ربيع الآخر فقاتلوا واذقوا نكال الحرب
 وبال الحصار وقطع الزياتين والاعناب وسائر الاشجار واباد خضرها وحرق ديارها وأنخن فيها
 بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب بن اسير قطع الشجر والتمر بسده وسرح ولده الامير يوسف من
 حسكره في سربة للفرار على اشيلية وحصون الوادي الكبير فبالغ في النكابة واكسح حصن رروطة
 وشالوة وغياثة والقناطر ثم صبح اشيلية فاكنصها وانكفأ راجعا بالغنائم والسبي الى السلطان يعقوب
 فسر تقدمه وفعلا واجبا الى الجزيرة الخضراء فراح السلطان بها اياما وقسم في المجاهدين غنائمهم
 ثم جمع اشياخ القبائل وندهم الى غزو قرطبة وقال يا معشر المجاهدين ان اشيلية وشربش واحوازها
 قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها صكبير نفع ولا نكابة وان قرطبة واعمالها بالاد حصينة عامرة وعليها
 اعتماد الفرغ ومنها ما شهم وما تدتهم فان غزوها واستأصلتم خضرها مثل ما فعلتم باشيلية
 وشربش كان ذلك بسبب ضعف النصرانية بهذا القطر فاجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق خيهم
 الاموال وانطلق وناطح ابن الاجر يستغفره للجهاد معه وقال له ان خروجه على امير قرطبة يكون لك
 مهابة في قلوب انفرغ ما عشت سوى ماتت وتوجه من الله تعالى من الثواب في ذلك ونمغن السلطان
 الى قرطبة فاتح جادى الاولى من سنة ست وسبعين المذكورة فوافاه ابن الاجر بتاحية شديدة فاكرم
 موصله وشكر خوفه الى الجهاد وباداه اليه ونالوا حصن بني شربش فدخلوه عنوة وقتلت المقاتلة
 وسبيت النساء ونقلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له اثر ثم ثبت السلطان وجهه الله السرايا والغارات
 في البسائط فاكنصها واهلها ثلاث الايدي واثرى العسكر وفاض عليهم من الفم والبقرو المعز والخيول
 والبغال والخيرو والقمح والسمير والزيت والسمل ما لا يوصف ثم ساروا ويتقرون المنازل والعمران
 في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فقاتلواها ونهقت اولوية السلطان في نواحيها وزعت طبوله
 في فضاءها وتقدم في ابطاله وجماعته حتى وقف على بابها ثم دار بأسوارها فنظر كيف الحيلة في قتالها ووقف
 ابن الاجر بمساكر الاندلس امام محلة المسلمين يحرسونهم اخوفا من كرة العدو وخس الفرغ وراه
 الاسوار وانبت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحي قرطبة وقرها فانسفوا آثارها ونحوها عمرانها
 وترددوا على جهاتها ودخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها
 الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك ثم قدم بعثا الى مدينة جيان فقام بها حظه من الخسف
 والدمار وحام الطاغية عن اللقاوا يقين بخراب عمراته واذلاف بلادته ففخ الى السلم وخطبه من السلطان
 يعقوب ورغب فيه اليه وبث الاقسمة والرهبان للوساطة في ذلك فرغهم السلطان يعقوب الى ابن
 الاجر وجعل الامر في ذلك اليه تكرمة لشده ووفاء بحقه وقال لو قد الفرغ انما باضيف والضيف
 لا يصلح على رب المنزل فساروا الى ابن الاجر وقالوا له ان السلطان يعقوب قد رد الامر اليك ونحن
 قد جئناك لتعقد معك صلحا موبدا لا يتعبه عذر ولا حرب واقسموا له بصلبانهم ان لم رضه القنص
 ليخلفه لانه لم ينصر الصليب ولا حي الخوذة فاجابهم ابن الاجر اليه بعد عرضه على امير المسلمين والتماس
 اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانه قد السلم في آخر شهر
 رمضان من السنة المذكورة وقتل السلطان يعقوب من غزاه هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء
 بالسلطان ابن الاجر ونحوه عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاجر وساقها الى غرناطة وقال له

السلطان يعقوب بكون حفي بن مريم من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فصل يوسف بن تاشفين رحمه الله مع أهل الأندلس يوم الزلاقة ولما قتل السلطان يعقوب من هذه الغزاة اعتل الرئيس أبو محمد ابن اشقيولة ثم هلك غرة جادى من السنة المذكورة فلقق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان وهو متوهم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الفز وكذا كرهناه فقتل له عن مائة وعدها الى حوزها منه وقال له ان لم تحزها أعطيتا الفرج ولا يملكها ابن الاجر فحازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه أبي زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وعلقه او عز ذلك على ابن الاجر غاية لانعلما بلغة وفاة أبي محمد ابن اشقيولة تمامه اليها وان ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعه له لا يبقى به بدلا فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مائة فدخلها سادس شوال من السنة بورز اليه أهلها في يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرور واجتهدم السلطان واعتباطا بدخولهم في دعوته وانخرط لهم في سلك رعيته وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها العمر بن يحيى بن محلي من منافع دولتهم وأزل معه المسالحو وزك عنده زيان بن أبي عباد بن عبد الحق في طائفة لظهروه من أبطال بني مريم واستوصاه بمحمد بن اشقيولة وارثا له الى الجزيرة الخضراء ثم أجاز منها الى المغرب فافق سنة سبع وسبعين وثمانمائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلأت القلوب سرورا بما هيأه الله من نصر المسلمين بالأندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله موجدة ابن الاجر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

فحدثت الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاجر وما نشأ عن ذلك

فمن حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك

قد تقدم لنا ان بني اشقيولة كانوا اعمار ابن الاجر وانهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء في جواز الاول صدرت من ابن اشقيولة كلمات أحفظت ابن الاجر وغائتة فذهب لاجلها مضاضا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الفز ولا عرج على الجهاد ولما نصر الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العجب وبعث برأسه الى ابن الاجر طيبه وبعثه الى قومه انخرافا عن السلطان وموالاة للعدو ولما أجاز السلطان يعقوب الجواز الثاني اقتبض عنه ابن الاجر ولم يبقه حتى خاطبه السلطان واستغفره الى الجهاد فلحقه بشدونه كما مر ولما صنع الله للسلطان ما صنع من الظهور والعز الذي لا كفا له واستولى على مائة من يد ابن اشقيولة ارباب ابن الاجر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن تاشفين من يد ابن اشقيولة ارباب ابن الاجر بمكانه وظن به الظنون وتخوف بينهما ما دارت بينهما من مخاطبات شعبة على السنة الكلب في معنى العتاب ولم تزل القوارس بين السلطانين تجري وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الاجر على ملكه يشتد ويزيد وأوامر الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى ان استحسنت البقضاء وضاق بينهم راحب القضاء ففرع ابن الاجر الى مدخل الطاغية في شأنه واتصال يده بيده وجبله بجبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فاعتنم الطاغية هذه الفرصة ونكت عهد السلطان يعقوب وتغنى السلم وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالحو السلطان يعقوب وجنوده وأوسد بالزقاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغائته اياهم واتصلت يد ابن الاجر بيد الطاغية واتقفا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر ودخل ابن الاجر عمر بن يحيى بن محلي صاحب مائة في النزول له عنها بعض فضل واستولى ابن الاجر عليها ثم راسل هو والطاغية بغير من بني زيان من وراء البحر ورأسهم هو في مشاققة السلطان واقساد غوره وانزال العوائق المانعة له من حركته والاخذ

بإذيله عن النوض إلى الغزو وأسواقها بينهما الهدايا والتحف وجنب ضمها من إلى ابن الأجر ثلاثين
من عناق الخليل مع ثياب من عمل الصوف وبعث إليه ابن الأجر مكافأة على ذلك عشرة آلاف دينار
فأرض بالمال وورده وأصغفت آراؤهم جميعا على السلطان يعقوب وروا أن قد بلغوا في أحكام أمرهم
وسد مذاهبه اليهم واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو عرا كس كان خرج إليها رجمه من الغزو
في المحرم سنة سبع وسبعين وسقاة لما كان من عيت عرب جشم يتامسنا وفسادهم السابله فتقف
أطرافها وحسم مادة فسادها ثم اتصل به خبر ابن محلي وتزوله عن مالقة لابن الأجر ومنازلة الطاغية
بأساطيله الجزيرة الخضراء وقضية على المسلمين بها فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مرا كس ثالث
شوال من السنة يريد طنجة فوصل إلى قرية مكيول من بلاد تامسانا قواالت عليه بالاعطار والسيول
وعاقبه عن النوض وينها هو في ذلك ورد عليه الخبر أيضا بتزول الطاغية على الجزيرة الخضراء
واحاطة عسكريها بعد أن كانت أساطيله منازل لها في البحر منذ ستة أشهر وأوسبعة وأنه مشرف على
التهامها وبعثوا إليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل ثم اتصل به الخبر بالانجروج
مسعود بن كاثون السفياني بـ لا دنفيس من أرض المصامدة خامس ذي القعدة من السنة وإن الناس
اجتمعوا إليه من قومه وغربهم فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدروا يصنع
الانحرأي انية قدّم أمر ابن كاثون والعرب فكر راجعا إليه وقدم بين يديه حافده ناشفين بن أبي مالك
ووزره يحيى بن حازم العلوي وجاء هو على ساقهم وفر مسعود بن كاثون وجوعه أمام السلطان فانتخب
معسكرهم وحلهم واستباح حرب الحارث من سفان ولحق مسعود بجبل سكيوة فاعتصم به وشايخ
عبد الواحد السكبي وى القائم به على خلافه ونازله السلطان يعقوب بعساكره أيا ما وسرّح ابنه الأمير
أبازيان منديل إلى بلاد السوس لتجهدها وتدويع أقطارها فأوغل في ديارها وقفل إلى أبيه في آخر يوم
من السنة المذكورة فوصل بالسلطان ما تناضعف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال
واعوز الأوقات ولنهم خستوا الأصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرفة الكفر فاحم ذلك وكان
اقسم أن لا يرتحل عن ابن كاثون حتى يتزل على حكمه أو يملك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص
أهل الجزيرة فعدّ لولي بعده ابنه الأمير يوسف وكان عرا كس على الغزو إليها وكان أهل الجزيرة
كافلتا قد أحاط بهم العدو برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعيبت عليهم الانباء الا ما يتهم به الحما من
جبل طارق وفي أكثرهم القتل والجوع وسهر الليل على الاسوار وشدة الحصار حتى أنشرف بقيتهم
على المسالك وأيسوا من الحياة فحينئذ جمعوا صيولهم وخستهم كاسر وينهاهم على ذلك قدم الأمير
يوسف بجيوشه إلى طنجة وكان قدومه إليها في أوائل صفر من سنة ثمان وسبعين وسقاة وكان
السلطان يعقوب لما بعث ابنه الأمير يوسف إلى طنجة قد كتب إلى النفور بأعداد الأساطيل وعملاتها
وتوجيهها إليه وقسم الاعطآت وحسن الناس على النوض فتوفرت هم المسلمين على الجهاد وأجابوا من
كل ناحية وأبلى القبية أوجام العز في صاحب سنة لما بلغه الخطاب من السلطان في شأن الأساطيل
البلاء الحسن وقام فيه القيام محمود فها خمسة وأربعين أسطولا واستقر كافة أهل بلده من المحتل إلى
الشيخ فركبوا البحر أجمعون ولم يبق بسبلة الا التماسع والشمسوخ والصيان وروى ابن الأجر منازل بأهل
الجزيرة قوا أشهر الطاغية على أخذها فقدم على عمالاته أياه وأعدّ أساطيل سواحلها من المنكب والمربة
ومالقة فكانت اثني عشر أسطولا فبعثها سدد المسلمين وقدم من بادس وسلاو اثني خمسة عشر أسطولا
ففض في الوقت اثنتان وسبعون أسطولا واجتمعت كاهل البحر فامسبة قد أخذت بطرف الرافق في أحفل زى
وأكل استعداد ثم تقدمت إلى طنجة ليراهها الأمير يوسف فتشاهدوا سرّحها وعقد لهم رايته مع جماعة
من أبطال بني مرين وغبوا في الجهاد ثم أفلتت الأساطيل عن طنجة ثامن ربيع الأول سنة ثمان وسبعين

وسماتوا تشربت قلوبهم في البحر فأجازوه وباؤا ليلة الموالد الكرم بعمراً مجبى الغض وصحبوا العدو
 وأساطيلهم ومثدتا هزأر بعانة قتلهم المسلمون في دعوهم وأسفوا من شكهم وأخلصوا الله عزائمهم
 وتنادوا بالجنة وشعلواها ووعظ خطباؤهم وذكروا صلواتهم والتم القتال ونزل الصبر فليكن الاكل
 ولا حتى فضخوا العدو بالنبل ففسدت أفر وطئهم واختل مصافهم وانكشفوا وتساقطوا في عباب البحر
 فاستلمهم السيف وغشيتهم اليه واستولى المسلمون على أساطيلهم فلكوها وأسروا قاندها الملتدني
 جعاعة من حاشيته واستقر متقاعا حتى فر بعد ذلك وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بضاد
 أفر وطلة العدو وهلاكها ولم أر أي عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر منهم من القتل
 والأسر داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الأمير يوسف عليهم اذ كان مقبلا بساحل طنجة مستعدا للعبور
 فقوضوا أبنيتهم وأفرجوا عن البلد حينهم وانتشر المسلمون والتساو الصياد بساحة البلد كما تخافوا
 من قبر وغلبت عقاباتهم كثير من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الحظوة والادام والقوا كما ما هلا
 أسواق البلد أما حتى وصلتها الميرة من النواحي وأجاز الأمير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل
 الجزيرة وأرهب العدو في كل ناحية لكنه صد عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الأجر فرأى ان يعقد مع
 الطاغية سلا ويصل يديه بيدته لئلا تغر ناطة دار ابن الأجر فاجابه الطاغية الى ذلك رغبة من بأسه
 ومو جده على ابن الأجر في مدد أهل الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك وأحكامه فأجازهم الأمير
 يوسف الى أبيه وهو نائحة مرا كش فغضب لها وانكر على ابنه وزوى عنه وجهه رضاه وأقسم أن
 لا يرى أسقامهم الا ان يراه بروضه ورجعهم الى طائفتهم فحقق السبي كلني البلبا ووصلت في هذه
 السنة هبة السلطان إلى زكريا يحيى الوراق الحضي مع أبي العباس الغماري حسبما مر من الإشارة
 اليه قبل هذا ثم ان السلطان يعقوب وجهه القفر جمع الى فاس وبعث خطابه الى الاتفاق مستغفرا
 للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وسماته حتى انتهت الى طنجة وعين ما دخل من
 أحوال المسلمين في تلك الفترة وما جرت اليه فتنة ابن الأجر من اعتزال الطاغية وما حدثتة نفسه من
 التهام الجزيرة الاندلسية ومن فيها وكان قد أمر أمره في هذه المدة ونظاره أعداءه ابن الأجر من بني
 اشقبالة وغيرهم عليه حتى حاصر واغمر ناطة ومرج أمر الاندلس ونقلت أطرافها وأشفق السلطان
 يعقوب وجهه الله على المسلمين الذين بهلوا على ابن الأجر مما تاله من خسف الطاغية فراسله في المواعدة
 واتفاق الكلمة على أن ينزل لعن مائة التي خادع عنه ابن محلي كما تقدم فامتنع ابن الأجر وأساء الرد في
 ذلك فرجع السلطان يعقوب الى إزالة العوائق عن شأنه في الجهاد وكان من أعظمها فتنة يعمر اسر
 واستيقن ما كان بينه وبين ابن الأجر والطاغية ان اذقونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن
 الغزو فبعث الى يعمر اسر يسأله عن الذي يلقه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة فبلغ في
 الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن عما وقع بينه وبين أهل العدو الاندلسية مسلمهم وكافرهم من
 الوصلة وانهم معترض على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب غزوه الى غزو يعمر اسر ونقل الى فاس
 لثلاثة أشهر من حوله بطنجة فدخلها آخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يعمر اسر لاقامة
 الحق عليه وقال له فيما خاطبه الى متى يا يعمر اسر هذا التفور والتصادي في القروو أما أن أنتشرح
 الصدور وتنقضي هذه الشرو في كلام غير هذا فم يعمر اسر عن ذلك كله ولم يرجع بها سوا ما ليس
 السلطان يعقوب من اقلعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع وسبعين وسماته وقدم ابنه الأمير
 يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بترا ولما انتهى الى ملوية تلوم أيا ما في انتظار العساكر ثم ارتحل
 حتى نزل وادي تافنا ومهد اليه يعمر اسر بجميع عزائته والعرب بصلاتهم ونجبتهم وشائمهم ونعمهم والتقت
 طواع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما العسكران والتم القتال سائر النهار وكان

الزحف بالموضع المعروف باللمب من أحوار نلسان ثم انكشف بنوعه الواد عند ما أراح القوم وانتبه معسكرهم بحافيه من الكراخ والصلاح والفساطيط والمناجم وبات عند معسكر السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جبالدهم واتبعوا من القدا نازعدهم واكتسفت أموال العرب النالجة الذين كانوا مع نعمان وامتلات أيدي بني مرين من شائهم ونسبهم وتوغلوا في أرض نعمان ووافاه هنالك محمد ابن عبد القوي أمير بني توجين لقيه بناحية القصبات وتواجعا في بلاده فغريما ونها ثم أذن السلطان يعقوب لبني توجين في البعاق بلادهم وأخذ هو بمحقق نلسان محاصر الماسحتي يصل محمد بن عبد القوي الى مأمنه من جبل وانشر يس خوافا عليه من غائلة نعمان واتباعه اباه ثم أفرج عنها وفضل الى القوي فدخل حضرة فاص في رمضان سنة ثمان وسثمائة ثم نهض الى مراكش فدخلها فاق سنة احدى وعثمان بعدها فبني بها امرأة مسعود بن السفياني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة وسرح ابنه الأمير يوسف الى السوس لتدويج أقطاره ثم وافته وهو عرا كس صريح الطاغية على ما نذكره الآن

في الجوز الثالث السلطان يعقوب الى الاندلس مفيئنا للطاغية ومفتننا فرصة للجهاد

لما كان السلطان يعقوب برجه القبراء كش سنة احدى وعثمان وسثمائة قدم عليه كتب طاغية الاصنبول وامه هرثاءه مع وفد من بطارقه وزعماء دولته مستصر خاله على ابنه سانجة الخاراج عليه في طائفة من النصارى وانهم غلبوه على امره زاعمين بان شاح وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستصره عليهم ودعا لحرقهم وأقبله لاسترجاع ملكه من يدهم فاعتزم السلطان يعقوب هذه الفرصة في الحال وجعل جوابه نفس التوض والارتحال فصار معهم لم يرجع على شيء حتى أتى قصر الجاز وهو قصر مصموده فعبر منه واحمل لوقته بالجزيرة انخضراء في ربيع الثاني من سنة احدى وعثمان المذكورة وأوعز الى الناس بالتصير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالخ الثغور بالاندلس وسلو حتى نزل حضرة بعباد هذا التقدم عليه الطاغية هرثاءه دليلا لعزة الاسلام مؤقلا صريح السلطان فاكروم موصله وأكروم وفاته فيجوز كراين خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الابان في ان هذا الطاغية لما اتفق بالسلطان يعقوب قبل يده اعتيلا ما قدره وخضوعا لعزوه فدعا السلطان روجه اقتبعا افضل يده من تلك القبلة بمحض من كان هنالك من جوع المسلمين والفرج ثم التمس الطاغية من السلطان أن يعده بشئ من المال ليستعين على حربه ونفقائه فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه فيقال ابن خلدون في وبق هذا التاج بدار بني يعقوب بن عبد الحق فخر اللاعاب لهذا العهد في وقت وما بعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطلو دين حاجب التقي الذي لم يسلم قوس أيده على قنابل السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين المهم العريسة والجمعة من البون وحال الفريقين في الابتذال والصون ثم ان السلطان يعقوب روجه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وهاجمها من ناحية ابن الطاغية الخاراج عليه مع طائفة مقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتقل في جهاتها وبعت سراياه الى جيان فأفسدوا وزرعها ثم رتحل الى طليطلة فقاتل في جهاتها وغرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى النغر فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استافوها فضل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتلها في شعبان وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسبح الدهر مثلها في وفي هذه السنة توفي نعمان بن زيان على ماني القرطاس فيجوز كراين خلدون في أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له يا بني ان بني مرين بعد استئصال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة عرا كس لاطافة لتابعيهم فاباك أن تخارجهم فان مددهم موفور ومدك محصور ولا يفرنك اني كنت أحاربهم ولا أنكس عن لقتهم لاني كنت أخشى معرفة الجبن عنهم بعد التمس بهم والاجراء عليهم وأنت لا يضرك ذلك لانك لم تخارجهم

تقوا اعتبر

ولم يفر من بهم فليلكم التحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستدلاء على ما جاؤوك من
 حالات الموحدين أصحاب تونس يستعمل بها ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك قال فعمل ابنه
 عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يقراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس في جوارزه الرابع
 فقدمه السلم على صاحب انكفار راجعا الى أخيه فطابت نفسه وتفرغ لفتح البلاد الشرقية

في انعقاد الصليبين السلطان يعقوب وابن الاجر والسبب في ذلك

لما اتصل به السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع ملكه خشي ابن الاجر
 عاديته فخرج الى موالاته ابنه سانجة الخارج عليه ووصل بيده وكده الله قد واضطربت الاندلس
 ناراً وفتنة بسبب هذا الخلاف ولما قتل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه أجمع
 على منازلة مائة التي استحوذ عليها ابن الاجر وندع عنها ابن محلي فقبض السلطان اليها من الجزيرة
 الخضراء فخرج سنة اثنتين وعشرين وسقاة قلب أولاء على الحصون الغربية كلها ثم أسف الى مائة فأنشأ
 عليها بساتين كره وضاق على ابن الاجر النطاق ولم تكن عنه موالاة سانجة شيئا وبدا له سوء المصبة في شأن
 مائة وندم على تناولها فاعمل نظره في التخلص من ورطتها ولم يراه الا الامير يوسف ابن السلطان
 يعقوب فخطب بجهته من المغرب مستصر خاله لرفع هذا الحرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين
 على عدوهم فأجابوه واغتمم الثوبة في مساهمة وعبر البحر الى الاندلس في صفر سنة اثنتين وعشرين المذكورة
 فوافى أباه بمعسكره على مائة ورغب منه السلم لابن الاجر في شأنها والتجافي عنها فاسخر رغبة ابنه لما
 يؤمل في ذلك من رضا الله عز وجل في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقاد السلم وانسطأ أمل ابن الاجر
 وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان يعقوب الى الجزيرة الخضراء فبث السرايا في دوائر الحرب
 فأوغلوا وانضروا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من
 سنة اثنتين وعشرين المذكورة حتى انتهى الى قرطبة فأنشأ وغنم وغزب العمران وفتح الحصون ثم
 ارتحل نحو البر وتترك محله على سياسة الغنائم والاتقال وترك معها خمسة آلاف فارس يجمعونهم من
 كره العدو ثم أغد السرايا في أرض فرة ليلتين حتى انتهى الى البر من فواحي طليطلة فشرح الخيل
 في البساط وبالت في أكنافها ولم يته الى طليطلة لتساقل الناس بكثرة الغنائم وأنشأ في القتل وقتل على
 غير طريقه فأنشأ وغزب وانتهى الى أبدة فوقف بساحتها وقاتلها ساعة من نهار فرماه عجم من خلف السور
 بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها الى معسكره بياسة فأراحها ثلاثا فانسأ آثارها ويقنع أسباجها وقفل
 الى الجزيرة وبين يديه من السبي والغنائم ما يهجزه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة
 فقسم الغنائم ونقل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب فهلك شهيدا على
 شريش بسهم صموم لشهرين من ولايته ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ووجه ابنه أبو زيد
 منديل فأراح بطليطلة ثلاثا ثم مضى الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عبده ارتحل
 الى مراکش لتهديتها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلاحها فأقام برباط الفتح شهرين
 اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العزيزت محمد بن حازم العلوي وهي أم الامير يوسف وكانت وفاتها
 برباط الفتح فدفنت ببشارة ثم مضى السلطان يعقوب الى مراکش فدخلها فاتح ثلاث وعشرين سنة
 وبلغه مهلك الطاغية هراثة بن اذقونس واجتماع التصراية على ابنه سانجة الخارج عليه فتمحرك
 همته الى الجهاد ثم سرح ابنه الامير يوسف وولى عهده بالعسكرة ببلاد السوس لغزو العرب الذين بها
 وكف عاديته ومحوا آثار الخوارج المتمردين على الدولة فأجلاوا امامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء
 آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك الغارات وعاو عشا وقتل راجعا بالفسه من
 اعتلال والده السلطان يعقوب فوصل الى مراکش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكر الله تعالى

على نعمة العافية **وفي هذه السنة** وصل ماعين غبولة الى قصبة رباط القنبر بامر السلطان يعقوب
وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج والله تعالى اعلم

في الجواز الرابع السلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد

لما اعترم السلطان يعقوب على العبور الى الاندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عليهم وبعث في قبائل
المغرب بالغير ونهض من مراكن في جادى الآخرة لثلاث وثلاثين وسقانة واحتل رباط القنبر
منتصف شعبان فقصي به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر الجزار وسرع في اجازة العساكر والحشود من
المرتزقة والمتطوعة خاتم سنة ثم اجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعد هاء واحتل بظاهر
طريف ثم سار الى الجزيرة الخضراء فراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول
في بلاد العدو وبساتينه يحرق وينسف فلما قرب بلاد النصرانية وقرر أروهم قصد مدينة شريش
فقتل بساحتها وأناخ عليها في العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث المراكب والفلوات
في جميع نواحيها وبعث عن المسالح التي كانت بالنغور وقواته لا يوصله حافده عمر بن عبد الواحد يجمع
وأقر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا وواقته حصاة العز في صاحب سنة غزاة ناشبة تناهز
خمسائة وأوغر الى بولي عهده الأمير يوسف باستقار من بقي من أهل العدو وكان السلطان رجه الله
لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطا ومحمد بن عمران عيونافوا وحسن القناطر وروطة
واستكشفوا ضعف الحامية واختلال النغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ثم عقد السلطان لحافده
منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بني مرين والغزو وعرب العاصم والخط والأبج وأعطاه الراية
وبعته لغزو اشبيلية وذلك في يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فتمروا وروا
بقرمونة في منصرفهم فاستباحوها وأغصوا بالقتل والأسر وجعلوا قدامتلات أربعهم من القنائم
ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع
الأول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بساتن وادى لك فوجعوا من القنائم عاملا العساكر بعد
ان اغصوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمارتها ثم سرح ثامن ربيع
المذكور عسكران خمسمائة فارس للاغارة على حصن وكش فوافوه على غرة فاكسحوا أموالهم
وسبوا ثم عقد تاسع ربيع أيضا لابنه أبي معروف على ألف من الفرسان وسرحه لغزو اشبيلية فساروا
حتى هجموا عليها يوم المولد المكرم ونصفت منه حاميتها بالأسوار فغرب عمارتها وقطع أشجارها
وأم ثلاث أبي عسكره سيابا وأموال الأورجع الى محلة السلطان وهي نزالة على شريش كما قد مناهلوا
الحقائب ثم عقد ثالث لحافده عمر منتصف ربيع المذكور ولغزو حصن كنان بالقرب من معسكره كان
أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة
والفيلة ثلاث من الساحة والفوس وأمد بالرجل من المصامدة وغزاة بته فاقصموه عنوة على أهلها
وقتلوا مقاتلة وسبوا النساء والذرية وألصقوا أخذة بالتراب ونسفوا آثاره ونسفا ولسبعة عشر من الشهر
ركب السلطان الى حصن من تقوط قريب من معسكره فغربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل مقاتله وسبي
الأهل ولعشرين من شهر المذكور وصل الى عهده الأمير يوسف من العدو المغربية بنسب أهل
المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان لقايتهم وروى مقدمهم
وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة
المغرب كلهم من متطوعين بالجهاد ففقد السلطان لوى العمد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من
المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من
ربيع الأول المذكور وسرحه لغزو اشبيلية والأندلس في نواحيها فبسا كتابه ونهض لوجهه وبث

الغارات بين يديه فالتفتوا وسبوا وقتلوا واقتسموا الحصون واكتسبوا الالام والوجاع ولولمعه على
 الشرق والغاية من بسيط اشيلية قصف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل الى معسكر السلطان وهو
 يمكنه من حصار شريش وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني قدم أوزيان مندبل ابن السلطان
 يعقوب من الغرب في جيش كثيف فبهم خمسمائة فارس من عرب بني جابر أهل ناد لامع كبيرهم يوسف
 ان يقبضون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كثير فقتله السلطان غدا وصوره وأمه بعسكرا آخر
 وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على قرمونة وطعمت ماميتها في المدافعة فبرزوا له وصدهم القتال
 فانكشفوا حتى أدخلواهم البلاد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار ووقعوه
 عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشيلية فأغار واقتحم بها كان هنالك عينا على
 المسلمين وأضرهم نارها ثلاث أيدي عاكروهم وقفل الى معسكر السلطان على شريش وثلاث عشرة
 ليلة من ربيع الثاني عقد السلطان لولي العهد الامير يوسف لئلا تجز به كبتور فصد البها وقاتها
 واقتحمها عنوة وفي ثاني جمادى الاولى عقد السلطان الحاج أبي الزبير طلحة بن يحيى بن محلي وكان بعد
 مداخلة أخاه عمر في شأن المقتلة خمس وسبعين خرج الى الحج قضى فرضه ورجع ومضى طريقه
 بتونس فاتهمه الديني ابن أبي حمزة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنتين وعشرين ثم سرحه ولحقه بقومه
 بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع السلطان يعقوب فقتله في هذا اليوم على مائتين من الفرسان
 وسرحه الى اشيلية ليكون بينه للعسكر وبعث معه لذلك عيوناً من اليهود والمجاهدين من النصاري
 يتفرون له أخبار الطاغية سانجة والسلطان يعقوب برحه الله أننا هذا كله بنادي شريش ويراوحها
 بالقتال والقترب يوسف الاندلس السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو ولا يخلو يوم من تجهيز عسكر
 أو اغزاه جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتصف العمران في جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط
 اشيلية وليلة وقرمونة واسجدة وجمال الشرف وجميع بسائط الغر تيرة وأبلى في هذه الغزوات عباد بن
 أبي عباد الداهمي من شيوخ جشم والخضر الفزي من أمراء الاكراد بلاء عظيما ولكن لهم فيها ذكر
 وصيت وكذلك غزاة سبتة وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلول بن يحيى الخطلي صهر
 السلطان ويوسف بن قيطون الجابري وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم فلما قدر هاند ميرا وأوسها تخريبا
 ونسفها نسفا واكتسبها غارة ونهباً وبهم فصل الشتاء وانقطعت المدة عن العسكر اعتزم السلطان على
 الفضول وأفرج عن شريش لا يخرج احدى الاولى من السنة المذكورة بصدان حاصرها نحو من ثلاثة
 أشهر وعشرة أيام واتصل به ان العدو وأغزاه الى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض
 فأغزاه السلطان الى جميع سواحلها من سبتة وطنجة وبسالداريف ورباط الفخج والتكسب والجزيرة
 وطبرق بفتح طوجيه أساطيلهم فتوافقت منها ستة وثلاثون اسطولا من تكامله في عدتها فاجتبت أساطيل
 العدو عنها وارتقت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء وهي المسماة اليوم بجوز يرت
 غرة رمضان من سنة أربع وعشرين وسفانة وتزل بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بلزائم فبرزت
 أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس عشور قصره فلقبوا بجرأى منه في البحر وتجاوزوا وتسلطوا
 وتطاردوا كفعالهم ساعة الحرب فسرت بذلك وأحسن اليهم وصرقهم الى حال سبيلهم

وقيادة الطاغية على السلطان يعقوب بأحوال الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينه ما والسبب في ذلك

وقال ابن خلدون رحمه الله لما نزل بسالدار النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدبير قراهم
 واصكتساح أموالهم وحي نسلهم وإبادة مقاتلتهم وتخريب معاملهم وانتساف عمرانهم زادت منهم
 الالباب وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا مخلص لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاعنتهم سانجة
 خاشعة أبصارهم زرعهم فله متوجعين عما إذا قهرهم جنود الله من سوء العذاب وأليم التكال وجاوه

على الضراعة لا مبر المسلمين في السلم وايقاد الملا من كبار النصرانية عليه في ذلك والا فلا تزال نصيبهم
منه قارة أو تحمل قربان دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضبة قلديته وأوفد على أمير
المسلمين وهو بالجزيرة لتضرب اوفد من بطارقتهم وسماستهم يخطبون السلم ويضربون في المهادنة
والا بقا ووضع أو زار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزل اعليهم ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على ان
يشترط ما شاء من عزديته وقومه فاسعدهم أمير المسلمين وخرج الى السلم لما يتقن من صاغيتهم اليه وذلمهم
لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالة المسلمين كافة من قومه وغير قومه
والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ووقع الضريبة عن تجار المسلمين بدار
الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في قتلة واستدعى السلطان الشيخ
أبا محمد عبد الحق الترجان وبعثه لاشترط ذلك وأحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سانجقوهو
باشيبيلية فمعه الصلح واستبلغ وأكثى الوفاء بهذه الشروط ووفدت رسول ابن الاخرى الى الطاغية
وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وإن يكون معه يد واحدة عليه فاحضرهم
الطاغية بعث عبد الحق وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل مائة كافة وقال لهم انما أنتم
عبيد أباي فليستم معي في مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة فلو استطيع مقاومته
ولادفاعه عن نفسي فكيف عنكم فأنصرفوا ولم أرأى عبد الحق ميسله الى رضا السلطان وسوس اليه
بالوادة عليه لتمكين الالفه وتسليم العقدة وأراه مغبة ذلك في سبل الضميمة وتكسين الحفيظة لئال
الى موافقته وسأله اني الامير يوسف ولى عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل اليه واثقه على فراخ
من شريش وباي عسكر المسلمين هناك ثم ارتحل الى بغداد لقاء السلطان بعد ثوب وكان قد أمر الناس
بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعائر الاسلام وأهله وان لا يلبسوا الا البياض فاحتفلوا
وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفود الحامية وقدم الطاغية في جماعته سود القباس خاضعين
ذليلين فاجتمعوا بالامير بمصن المصبرات على مقريش من واديك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان
سنة أربع وعشرين وسثمائة وتقدم الطاغية فلقبه أمير المسلمين باحسن مبرة وأنتم كرامة يلقى بها مثله من
عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أنصحب السلطان وولى عهدته كان فيها زوج
من الخيول الوحشي المسمى بالفيل وجارة من جر الوحش الى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان
وابنه وأضفوا له المكافأة وكل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضي بعز الاسلام عليه وانقلب
الى قومه بل مسدوره من الرضا والمسة وسأل منه السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التي بأيدي
النصارى منذ استبلاهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر جلا فيها جيلة من مصاحف
القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والنحلي ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتفسير والاحتذاء كل
ومن كتب الاصول والفروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك فأمر السلطان بوجه الله بعملها الى فاس
وتحصيلها على المدرسة التي أسسها الطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة ليلتين بقينا
من شعبان فمضى صومه ونسل عيده وجعل من قيام ليله جز المحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات
أنشدوها يوم عيد الفطر بعهد الخلافة مجلس السلطان وكان من أسمعتهم في ذلك الميدان شاعر الدولة
أبو فارس عبد العزيز المازني الاصل المكاسي الدار ويعرف بعز ورائي بقصيدة طويلة من بحر الوافر
على روى الباء المفتوحة المدودة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وبنية وحفدته
وامتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على
اختلافها وأنشدت بحضر السلطان والحاشية فأمر السلطان أن يشبها بالف دينار وخلعة ولتندوها
بما اثنين دينار ثم أعمل السلطان تطره في الثغور فرتبها بالمسالح وبعث ولده الامير أبا زيان منديلا

ليقف على الحدين أرضه وأرض ابن الأجر وعقدته على تلك الناحية وأتزل به حصن ذكوان قرب مالقة وأوصاه أن لا يحدث في بلاد ابن الأجر حداً وعقد لعابدين أبي عباد المعاصمي على مسلحة أخرى وأتزله بأسطبلونة وأجاز ابنه الأمير يوسف إلى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره أن يبنى على قبر والده أبي الملوك عبد الحق بن أسفر طاسنزاوية فاخط هنالك الرباط فاحملوا بني علي قبر الأمير عبد الحق وابنه اندريس أسنة من الرخام وقصها بالسكاية ورتب عليها قرائع ثلاثة القرآن ووقف على ذلك ضياعاً وأرضاً تسع حوث أربعين ذوا رحم الله الجميع عنه

وفاته السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

وفي آخر ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وسقائه مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذي توفي منه غزل آلله يستدوماً نصف إلى أن توفي بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس في غنى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم فاقب سنة خمس وعشرين وسقائه وحمل إلى الرباط الفخ من بلاد العدو فدفن بحسب شالته وقبره اليوم طامس الاعلام رحمه الله

بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته

كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكين كامل الوجه معتدلاً أشب نقي البياض حليماً متواضعاً جواداً عظيم القدر منصور الراية ميمون النقيبة لم يقصد جيشاً إلا هزمه ولا عدواً إلا قهره ولا بدلاً إلا انتقمه صواماً قواماً دائم الذكر كثير البر لا تزال سمته في يده مقر بالعلماء مكرماً للصلحاء صادراً في أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الأمر بنى المرسنات للرضى والمجانين ورتب لهم الأطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على النكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجدوى والعمى والفقراء رتب لهم ما لا معلوما يقبضونه في كل شهر من جزية اليهود وبني المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الأوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى لنفعه الله بعمده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى

لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرين بالبحر إلى ولي عهدده الأمير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاقبل به الخبر وهو باحواز فاس فأسرع السير إلى طنجة وقدمات أبوه قبل وصوله فاخذ البيعة له الوزير أبو الأشياخ ولما عبر إليهم البحر واحتج بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وعشرين وسقائه وأخذوه إلى الكافة فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الأموال وأجزل الصلات وسرح المصون ورفع عن الناس الأخذ بركاة الفطرو وكلهم فيها إلى أمانتهم وكف أيدي الطلبة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الأتزال عن دور الرعية وصرف اعتناؤه إلى إصلاح السابلة فأزال أكثر الترب والقبالات التي كانت بالمغرب إلا ما كان منها في الأقطار الخالية والغارات المخوفة فغضت من تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه ولكن أول شيء أحدث من أمره أن بعث إلى ابن الأجر وضرب له موعد الاجتماع ببادر إليه ولقيه بظاهر مراكش في العشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة فلقاه السلطان بمبرة وتكرماً واحتجاباً به عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملكه أبيه وتزل عنهما ما عدى الجزيرة ورتب وطريف وتفرق من مكانه ما على أكل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف إلى الجزيرة فقدم عليها وقد الطاغية ساجدة مجتذدن عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله ولما تمهد للسلطان يوسف أمر الاندلس عقد لأخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشج المجاهد أبي الحسن علي بن يوسف

ابن يزكان على مسطحة لوجبل اليه أمر الحرب وأعنة الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بني مرين والعرب
ثم عبر البحر إلى المغرب يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فقبل بقصر الحجاز ثم سار إلى
حضره فأسفد فدخلها ثاني عشر جمادى الأولى منها ولحقه استقرارهم فخرج عليه محمد بن إدريس
ابن عبد الحق في بنيته وأخوته ومن انضم اليه ولحقه بجمال ورعة ودعان نفسه فسرّح إليه السلطان يوسف
أخاه أبا معرفي محمد بن يعقوب فبذل في النزوع اليهم فلقى بهم وشاد بهم على رأيهم من الخلاف فأغزاهم
السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوث والكاتب ثم تطلق في استئزال أخيه حتى نزل على
الامان وفر بنو إدريس إلى تلمسان فقبض عليهم أثنا عشر بقرهم ورجع بهم في الحسد إلى تلمسان
السلطان يوسف أخاه أبا يان فقتلهم خارج باب الشرعة منها في رجب من السنة ورهب الأعيان
من بني عبد الحق ومشدّوا فافوا بإدارة السلطان يوسف فلقوا بقر ناطقة متلفين على بني إدريس منهم
ثم ارتحل السلطان في رمضان من السنة المذكورة إلى مراکش لتهدئة فاجبهات وتغيب أطرافها
فدخلها في شوال وأقامهم إلى رمضان القابل من سنة ست وعشرين وسفانة فقبض من مراکش لغزو
عرب معقل يعصر امدرة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم في اثني عشر ألفا من
الخيول ومروا على بلاد هسكورة معتز صاحب درن وأدركهم فاجع بالغير فأنقذ منهم بالقتل والسبي
واستكثر من رؤسهم فخلعت بشرافات مراکش وسجل مائة وفاس وقفل من غزو آخر شوال من السنة
المذكورة إلى مراکش فكتب محمد بن علي بن علي عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة
الموحدية لما وقع من الارتياح بالولاد على بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبتهم غرة محرمة سنة سبع
وعشرين وسفانة وهلك في السجن في صفر المواليد وعقد السلطان يوسف على مراکش وأعمالها محمد
ابن عطاء الجباني من موالى دولتهم ولا محلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل
السلطان يوسف إلى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

في قدوم بني اشقبالة على السلطان يوسف بسلا واطاعه اياهم فصر كتابه والسبب في ذلك

قد تقدم لنا ابن اشقبالة كوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة حتى صاهرهم ابن الأحمر بانيته
وأخته وقاموا معه في اثبات قواعده ملكه ثم انصرفوا عنه إلى موالى بني مرين ونزل محمد بن عبد الله بن
أبي الحسن منهم إلى السلطان يعقوب عن مائة وكان عمه أبو اسحق بن أبي الحسن صاحب وادي آس
وأعمالها واصل ذلك في بنيته إلى ابن أبي يعقوب السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت
المودة بين السلطان يوسف وابن الأحمر على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الأحمر من السلطان يوسف ان ينزل
له عن وادي آس التي هي لبني اشقبالة التمسكين بدعوته كاتزل له عن غيرهما من الثغور فأجابها السلطان
إلى ذلك وكتب إلى أبي الحسن بن أبي اسحق بن اشقبالة بأمره بالتحلي له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته
البحر إلى السلطان يوسف سنة سبع وعشرين المذكورة فلقبهم بدينه سلا فاعطاه السلطان يوسف القصر
الكبير وأعماله طعمة ست وعشرين أياها فلم تزل ولايته متوارثة في بيته حتى انقرضوا آخر دولة بني مرين
واستمكن ابن الأحمر من وادي آس وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازل من قرابته والله أعلم

في حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يعمر اسن بن زيان صاحب تلمسان

قد تقدم لنا ان يعمر اسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان ان لا يتحدث مع بني مرين حربا ولا يوافقهم
في حرب ما استطاع لاستقلال أمرهم عليه على كلهم المغرب الأقصى وأعماله وان عثمان قد عمل على ذلك
فاوفد أخاه محمد بن يعمر اسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع إلى أخيه كاتقدم
ولما ولي السلطان يوسف وقفل من مراکش إلى فاس في هذه المرة بعد ان ترك ابنه أبا عامر عبد الله

مع محمد بن عطاء عامل مرا كش نارا أبو عامر المذكور هو وخلق طاعة أبيه ودعا إلى نفسه وشايه
 أن عطاوا على ذلك واتصل بالخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير إلى مرا كش وبرز إليه ابنه
 أبو عامر فاقبلوا ثم انهم أبو عامر فعاد إلى مرا كش واكتسح بيت المال بها وفر إلى تلمسان ومعه
 ابن عطاو المذكور قدماه سنة ثمان وثمانين وسقانة فأوهم عثمان بن يغمر أسن ومهد لهم المكان
 فلبسوا عنده مليا ثم عطف السلطان على ابنه الرحم فرضى عنه وأعادته إلى مكانه وطالب عثمان
 ابن يغمر أسن أن يسلم إليه ابن عطاو الناجم في النفاق مع ابنه فأبى من اضاعة جواره وانخفاء ذمته
 وأغلظ له الرسول في القول فسطابه عثمان واعتقله فصار من السلطان يوسف الحفاظ الكامنة
 وتحركت عنه الا حن القديعة والتزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مرا كش
 في صفر من سنة تسع وثمانين وسقانة بعد أن عقد عليها لابنه الأمير أبي عبد الرحمن يعقوب بن يوسف
 ثم نهض من فاس إليها آخر ربيع الآخر من سنة في عسا كره وجنوده وحشد القبايل وكافة أهل
 المغرب وسار حتى نازل تلمسان فحصر منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه
 ونصب عليه المجانيق وكان حصاره لها في رمضان من السنة المذكورة ثم سار في نواحيها يشرف
 الأندلس ويغرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بفروع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه إلى ناض
 وحاصرها أربعين يوما وقطع أنجارها وأباد خضرها ولما امتنع عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا إلى
 المغرب وقضى نسكا فطرب بين الصفا من بلاد بني زناس ونسك الأحمى وقربانه بتازا وتلبس بها أياما
 ثم نهض منها إلى الأندلس بقصد الجهاد على ما نذكره

في انتفاضة الطاغية سامجة واجازة السلطان يوسف إليه

لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وأقامه الخبر وهو بتازا أن الطاغية سامجة قد انتقض ونسك
 المهدي ونبأوا الضوم وأغار على الثغور وراوغ السلطان إلى قائد المسالحي بالاندلس علي بن يوسف بن زكائن
 بالدخول إلى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية فقبض لذلك في ربيع الآخر
 من سنة تسعين وسقانة وحاصرها في أطوارها وأبلغ في النكاية ثم فصل السلطان يوسف
 من تلمسان إلى أثره في جادي الأولى من السنة المذكورة واحتل قصر معبودة وهو قصر المجاز
 واستقر أهل المغرب وقيامه ففر وشرع في إجازتهم بالبر فبعث الطاغية أساطيلها إلى الزقاق عجزهم
 دون الاجازة فأوعز السلطان يوسف إلى قواد أساطيلها بالسواحل بعمارهم المقابلة أساطيل العدو ففعلوا
 وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقبلوا وانكشف المسلمون
 وحصرهم الله وقتل قواد الأساطيل فامر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخاضت
 أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فلكته أساطيل السلطان فاجاز آخر يات رمضان من السنة
 واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بغير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث الصرايا
 في أرض العدو ودد الغارات على شريش وأشبيلية ونواحيها إلى أن بلغ في النكاية والافتخار غرضه
 وقضى من الجهاد وطره وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكرية ففرج عن الحصن ورجع
 إلى الجزيرة الخضراء ثم عبر إلى المغرب فاقبضه إحدى وتسعين وسقانة فظاها ابن الأحمر والطاغية على
 منعه من الجواز مرة أخرى كآذ كره الآن

في حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر واستيلاء الطاغية على

في طريق غنظاهرة ابن الأحمر عليها

لما فصل السلطان يوسف من الأندلس وقد أبلغ في نكاية العدو كآتنا عظم على الطاغية أمره وثقلت

عليه وطأته فشرع في أعمال الحيلة في الافساد بينه وبين ابن الاخر وكان ابن الاخر يتخوف من السلطان يوسف أن يقبله على بلاده فخاص مع الطاغية نجيا وتفاوضا في أمر السلطان يوسف وان تمكنه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام تغور المسلمين حفافيه وتصرف شوانهم وسقنهم فيه متى أرادوا فاضلا عن الاساطيل الجهادية وان أم تلك الثغور هي طرف وانهم اذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عيناهم على الزقاق وكان أسطولهم يعرفها رصدا الاساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر فاعترم الطاغية على منزلة طرف وبها يومئذ مصلحة بني مرين وتكفل له ابن الاخر بظواهره على ذلك وترم له بالمدد والميرة ~~للمسك~~ كرايام منازلها على ان تكون له ان خلصت للطاغية وتعاهدوا على ذلك وانما الطاغية بعساكر النصرانية على طرف والحق عليها بالقتال ونصب لآلات من الجانيق والعرايات وأحاط بهار او بحر او قطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريح السلطان واضطرب ابن الاخر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة وأصناف الاقوات وبعث عسكر المنزلة حصن اسطبونة فتغلب عليه بعد عدة من الحصار واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طرف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح والتزول عن البلد فصالحهم واستقر لهم وتكلمها آخر يوم من شوال سنة إحدى وتسعين وسمائة وفي لهم بعاهدهم عليه واستترف ابن الاخر الى تعاقب الطاغية له عنها حسما تعاهدا عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل له على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بيم الثمل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

قصة ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحسن تازوطاه

(اعلم ان بني وطاس نخس من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبدالحق وكانت الرياسة فيهم لبني الوزير منهم وبنو الوزير يزعمون ان نسبهم دخيل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين التوفيق لحقوا بالبادية وتزولوا على بني وطاس فالتصوا بهم ولبسوا جلدهم وحازوا رياستهم ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قتل من بقيت بلاد الريف خالصة لبني وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها للزعم وأعمالها وروعاها للجبابرة وكان حصن تازوطاه من أمنع معاقل المغرب ولما غلب الأمير أبو بكر بن عبدالحق على مكاسة وأقام فيها دعوة المحفصيين ونهض السعيد بن المأمون الموحدى من مراكش لاثروه فزأماهم الى حصن تازوطاه هذا وتزل به على بني الوزير هؤلاء لاجبا اليهم ومستعير بهم فاردوا القتل به غيرته منه وحسداه فشرعهم وتقول عنهم الى عين الصفا من بلاد بني يزنا من حسما تقدم ذلك كله ولما انقضى أمر بني عبدالمؤمن واستقام ملك المغرب لبني مرين صرفوا عنايتهم الى هذا الحصن فكانوا يتزولون به من الحامية من يتقون بغنائه واضطلاعه ليكون أخذ ابناصية هؤلاء الرط من بني وطاس لما يعملون من سمومهم الى الرياسة وتطلهم اليها وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب وكان عمرو عامر ابنا يحيى بن الوزير برئيسين على بني وطاس لذلك العهد فاستهزوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحذقوا أنفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتلك الناحية فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد في شعبان من سنة إحدى وتسعين وسمائة وقتل بجاشته ورجاله وأزجعه عن الحصن وغلبه على ما كان يقصره من مال وسلاح ومتاع وأعشار الروم كانت خزانة هناك وضبط الحصن وشمته بجاهه ووجوه قومه ولحق منصور ابن عبد الواحد بعده السلطان يوسف فهلك ليلال أسفا على ما أصابه ومرتج السلطان يوسف وزره الناصح أباعلى عمر بن السعود بن خرياش الحشمي بالحاء المهملة في العساكر لتألة حصن تازوطاه فأتاخ

عليه بكل كاه ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفي صحبته عامر بن يحيى بن الوزير أخو عمر الناصر فإنه كان قد نزع إليه فأحاط السلطان بالحسن وضيق عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن أنه قد أحبط به قدس إلى أخيه عامر في كشف ما نزل به فضمن عامر للسلطان يوسف نزول أخيه إن هو تركه بعد إليه حتى يجمع به فاذن له السلطان يوسف في ذلك فعد إليه وتقاضى أمرهما وآخر الأمر أن عمر احتمل الذخيرة وفريلا إلى تلسان وبدا العامر في النزول عند ماصار في الحصن فامتنع به فقبل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذ بثأر ابن أخيه منصور ولا غلابة أخاه من يده واستمر على ذلك إلى أن قدم على السلطان يوسف وقد الاندلس وفيهم الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل بن الأجر صاحب مالقة وأغياقي الصلح مع ابن عمه ومعتذر عنه فارسي أساطله يبري غساسة ونزل إلى السلطان وقدم بين يديه هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسي وهو في الحصن فبعث إليهم يسألهم الشفاعة عند السلطان يوسف لوجههم لديه فشجع له الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينتقل بحاشيته إلى الاندلس وكره عامر ذلك فأنظر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته إلى الرمي وركب أكثرهم الأسطول وتأخر عامر إلى جوف الليل فقتل من الحصن وخاض الغلاة إلى تلسان فتبع الخيل أثره فقاتهم وأدركوا ولده أبا الخيل فجنى به إلى السلطان يوسف فبعث به إلى فاس فصر بن عتقه وعلب هناك وأزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الأسطول فأمر بهم فاستلموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرباتهم وذريتهم وقاتل السلطان يوسف من ناز وطا وأزله جماله ومسلحته وقفل إلى حضرة بفاس آخر جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين وسمائة ولما كان السلطان ناز لا على نازوط أقدم عليه رجل من فرج جنوة بديلة جليلة فهاشميرة عتوقه بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للتوكل العباسي وفي هذه المدقة عند السلطان يوسف بالولاد الأمير أبي بكر بن عبد الحق وإنهم أرادوا الخروج عليه فخذ عليهم ذلك وأحسوا بالشرف فزروا إلى تلسان وأقاموا هناك إلى أن بعث السلطان يوسف إليهم بالامان فأقبلوا حتى إذا كانوا بصيرة من ناحية ملوية اعترضهم الأمير أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلمهم أجمعين وهو يرى أنه قد أرضى أباه بذلك الفعل وأقبل الخيل بالسلطان يوسف فخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريدا ييلاذ الريف وجبال غمارة إلى أن هلك بيني سعيد منهم آخر سنة ثمان وتسعين وسمائة ووصل إلى فاس فدفن بالزواية التي داخل باب القصور وحلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداد فكلهم جدهم السلطان يوسف إلى أن هلك فولى الأمر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسياق ذكرهما إن شاء الله

في انقضاء الصلح بين السلطان يوسف وابن الأجر وقادته عليه بطخبة

لما استولى الطاغية على طريق عظاهرة ابن الأجر له وعليه انقض الطاغية عهد ابن الأجر في النزول له عنها سقط في يد ابن الأجر ونفذ على فعله ورجع إلى التمسك بالسلطان يوسف فأودع عليه ابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل وزره أبا سلطان عزيز الداني في وفد من أهل حضرة لتجديد العهد وتأكيده المودة وتقدير المعذرة عن شأن طريق فوافقه بمكانه من حصار نازوطا كما قدمنا فافروا بالعقد وأحكموا الصلح وانصرفوا إلى ابن الأجر سنة اثنتين وتسعين وسمائة باسعاد غرضه من المواخاة واتصال البد فوقع ذلك منه أجل موقع وطا سرور آمن إعادته وأجمع الرحلة إلى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ في المعذر عن واقعة طريق والرجعة إليه في نصرة بلاد الاندلس وإغاثة المسلمين الذين بها فقبلا ذلك وعبر البحر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وسمائة واحتل بجبل بنيون من ناحية سبتة ثم أرسل إلى طخبة فلقبه بها الأمير أبو عامر عبد الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لازال يومئذ من أيه بعين الرضا ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للقائه وبرور

مقدمه فوافاه بطعنة فقتل ابن الاجر بن يدى بجواه هدية اتصف بها السلطان يوسف كان من أحسنها
 موقلا به الحصف الكبير الذي يقال انه مصفف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بنو أمية
 يتوارثونه بقرطبة ثم خلس الى ابن الاجر فأتصف به السلطان يوسف في هذه المرة قبل السلطان ذلك
 وكافاه باضماقه وبالغ في تكريمه وأسعفه بجميع مطالبه وأراد ابن الاجر ان ييسر العذر عن شأن
 طريقه فقبض على السلطان يوسف عن سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبرأ حتى ووصل وأجزل ونزل
 لابن الاجر عن الجزيرة ووردة والغريبة وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل في ملكه وملكة
 أبيه وعاد ابن الاجر الى أندلسه آخر سنة اثنين وتسعين وستمائة بمحبو ومحجورا وعبرت معه عساكر
 السلطان يوسف لحصار طريق ومنارته وعقد على حربه الوزير الشهير المذكور هرب من السعود بن خرياش
 الحشمي فتأزله لمدة فامتعت عليه وأفرج عنها وفي سنة ثلاث وتسعين بعد هافرخ السلطان يوسف
 من بناء جامع تازا وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون فطار او عدد كوسها
 خمسمائة كاس وأربعة عشر كاسا وأضيق السلطان في بناء الجامع وحمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف
 دينار ذهباً وفي سنة أربع وتسعين بعد هافرخ السلطان يوسف لغزو تلسان فوصل الى ناويرت وكانت
 تخمها مل بن مري بن عبد الواد فقتلها السلطان يوسف ونصفها لعمان بن يعمر اسن وسلك واحد
 منها بعامل من ناحيته فطرد السلطان يوسف عامل ابن يعمر اسن وشرع في بناء الحصن الذي هنالك
 فادار سور وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بناءه بنفسه من صلاة الغداة الى المساء
 لا يغيب عن العسيلة الا في أوقات الضرورة وفي غم من بناءه وتحصينه في رمضان من السنة المذكورة
 ولما تم تحصنه بالسكر والسلاح وعقد عليه لانيه أبي بكر بن يعقوب وبني أبي يحيى وانكفأوا جعلوا الى
 الحضرة ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعد هافرخ تلسان فصار حتى نزل على يدرومة فحاصرها
 وشدد في قتالها وماها بالفتيق أربعين يوما فامتعت عليه فافرج عنها ثاني عبد الفطر من السنة
 المذكورة ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فصار الى تلسان وزير عثمان بن يعمر اسن لمداقته فانهزم
 وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف حتى نزل على تلسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقطع عنها ورجع الى
 المغرب قضى نسل الاضي من السنة المذكورة بباط تازا وأمر ببناء القصر بها وسار الى فاس فدخلها
 فاقع سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكاسة قضى بها بعض الطور ثم عاد الى فاس ثم خرج منها
 في جادى الاولى من السنة المذكورة غازيا تلسان ومر في طريقه بمدينة وجدة فامر ببنائها وكان أبوه
 السلطان يعقوب قد هدمها كما أمر فبناها السلطان يوسف في هذه المرة وحسن أسوارها وبني بها قسبة
 ودار السكاه وحماما ومسجدا ثم سار الى تلسان فقتل بها اختيارا عاكر بها الحاطة الهالة بالقتل
 ونصب عليها القوس البعيدة التزع العظيمة الهيكل المشما بقوس الزيل اخترعها الهندسون والصناع
 وتقرى الى السلطان بعمها فاعجبته وكانت تحمل على احد عشر بغلا ولما امتعت تلسان عليه أفرج
 عنها فاقع سنة ثمان وتسعين وستمائة ومر في عوده الى المغرب بوجدة فقتل بها الحامية من بني عسكر بن محمد
 لتطرد أخيه الامير أبي بكر بن يعقوب كما كوثا ناويرت وأمرهم بشن الغارات على أعمال تلسان مع
 الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم

فقته ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويده الكتاب بهم والسبب في ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تيفل ان أباعلى الملياني كان قد سعى في نبش قبور بني عبد المازن
 والعبيد بالله لأهم وان الناس قد ناطقهم ذلك لاجل المصامدة منهم ولما هلك السلطان يعقوب وولي بعده
 ابنه يوسف استعمل أباعلى الملياني على جباية المصامدة فبأثر هامة ثم سعى به شيوخ المصامدة عند
 السلطان بأنه المال لنفسه فامر السلطان بحملته فحوسب ونظرت تحاليل صدقهم عليه فكتبه

السلطان يوسف أولاً ثم قتله نائباً واصطنح ابن أخيه أبا العباس أجدن على اللباني واستعمله في كتابته وأقامه ببلدة في جيلة كتابه وكان السلطان يوسف قد مضط على بعض شيوخ المصامدة منهم على بن محمد كبير هنتا بنو عبد الكريم بن عيسى كبير قديمية وأوغز إلى ابنه الأمير على بن يوسف عبرا كش باعقة الهما فاعتقلهما فبينهما من الولد والحاشية وأحسن بذلك أجدن اللباني فاستبجل الثار الذي كان يمتده عليهم في عهده أي على وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة إلى كتاب الدولة لم تخصص بواحد منهم لما كانوا كلهم نفقات أمناء وكانوا عند السلطان كلنن المشط فكتب أجدن اللباني إلى الأمير أبي على كتابا على لسان والده يأمره فيه أمر اجز ما يقتل مشيخة المصامدة ولا يعيهم طرفه عين ووضع عليه العلامة التي تنفذها أوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد **في** قال ابن الخطيب **في** ولما أكد على حامله في الجهل وضايقه في تقدير الأجل تأتي حتى إذا علم أنه قد وصل وإن غرضه قد حصل قرأ في تلسان وهي بحال حصارها فاقبل بانصارها حالاً بين أنوفها وأبصارها ونجيب الناس من قراره وسوء لغتله ورجعت الطنون في آثاره ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على اعلام تلك القبيلة فتركها شتت على الأيام وعار في الأقاليم على جيلة الأقاليم **في** ولما وصل الكتاب إلى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين إلى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهنتاني وولده وعبد الكريم بن عيسى القديمي وبنوه الثلاثة عيسى وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد وطير الأمير على بالاعلام إلى ولده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتثل الأمر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر إلى السلطان يوسف بطش بقتله غيظاً عليه وأخذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقعد ذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من نفقات الكتاب وعدوهم وجعلها يومئذ للقبه الكتاب أي محمد عبد الله بن أي مدين وكان من الكهنة المضطمين بأمور الدولة المتصلين لكثير من أعيانها وأما ابن اللباني فانه فر إلى تلسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الإفراج عنها بعد حين انتقل إلى الأندلس فبقي هناك إلى أن توفي بقرنطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يخبر هذه القطة وغيره أقوله

العزم اضربت عليه قبالي • والفضل ما شملت عليه ثيابي
والزهر ما أهداه غصن براعتي • والمسك ما أبداه نفس كناني
فالمجد ينح أن يزاحم موردي • والعزم يأبى أن يضام جنابي
فاذا سلوت صنعة جازيتها • بجميل شكري أوجز لوائي
واذا عقدت مودة أبريتها • مجرى طعابي من دمي وشراي
واذا طلبت من الفراق دوسهي • نارا فاشك أن أنال طلالاي

في الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الأحداث على تلسان **في**

تقدم لنا ان السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلسان فاقم سنة ثمان وتسعين وسبعمائة مرقى طريقه بوجوده فأنزلها الحامية من بني عسكر إلى نظر أخيه الأمير أبي بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بني زيان فامتثل الأمير أبو بكر أمره وألح على التواحي بالغارات وأفساد السابلة فضاق أهل ندرومة بذلك فزعوا وأودوا فودوا منهم على الأمير أبي بكر بسأ لونه الأمان لهم ولبن وراهم من قومهم على أن يكونوا من قياد بلادهم ويدينوا بطاعة السلطان يوسف فذل لهم من ذلك ما أراضاهم ونهض إلى البلد فدخله بعد شكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الأمير أبو بكر جماعة من أهل البلد إلى أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأودوا طاعتهم فقبلها ورغبوا إليه في الحركة إلى بلادهم ليرى بهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يعمر اسن وصفوا له من

عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما كدغزمه على التهور فنهض لحينه من فاس في رجب المذكور بعد ان استكمل حشدته وندى في قومه وعرض عسكره وأجزل أعطيائهم وأزاح عنهم وسار في التبعة حتى نزل بساحة تلسان ثاني شعبان سنة ثمان وتسعين وسقاة فأنخ عليها بكل كفه ورض قبالة تعالى راتبه وأزل محطته بقتلها وأحاط بجيج جهاتها وتحصن بغير اسن وقومه بالجدران وعقوا على الحصار ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سوراً عظيماً جعله سياجاً على تلسان وما اتصل بهم من العسمران وصبرها في وسطه ثم أردف ذلك السور من ورأه بخبر بريد المهوى وفتح فيه مدخل خربها ورتب على أبواب تلك المدخل مسلحاً حرسه وأوعد بالعقاب من يخلف إلى تلسان برفق أو يئس ليل اليها قوت وأخذ يخنفها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص إليها الطير لابل الطيف واستمر مقيماً عليها كذلك مائة شهر ولما دخلت سنة اثنتين وسبع مائة اختط إلى جانب ذلك السور مكان فسطاطه وقبابه قصرًا لسكناه واتخذ به مسجدًا ملائنه وأدار عليه ماسورًا يحرسها ثم أمر الناس بالناس حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجر والمياه وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمراستان وابتنى مسجدًا جامعًا قامه على الصهرج الكبير وشيد له منارًا رفيعًا وجعل على رأسه تغافج من ذهب صير عليها سبع مائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استنصر هراثمها وغفت أسواقها ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المتصورة فكانت من أعظم أمصار المغرب وأحفظها إلى أن تروى بها آل بقراسن عند مهلك السلطان يوسف وأورتحال جيوته عنها ولم يتمكن السلطان يوسف من حصار تلسان سرح كدائه وسراياه في أعمالها وحصونها فاستولى في مدة قريبة على ندر ومدة وهنين ووهران وتالموت وناضردكت ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبلخاء ومازوت وواتنريس ومليانة والقصبات ولديّة وناظر جينيت وجميع بلاد بني عبد الواد وبلاد بني توجين وبلاد مغراوة وبادية ابن علان صاحب الجزائر وأخذ رعبه بلك النواحي وكانت دولة بني أبي حفص يومئذ قد انقسمت قسمين فصل كرسى منها تونس وآخر بجاية فتناقص صاحب تونس وصاحب بجاية في مصانعة السلطان يوسف والتقرب إليه بالهدايا والتحف وصار السلطان يوسف في ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة والإطلاق والله غالب على أمره

عن نكبة بني وقاصه من يهود فاس

كان بنو وقاصه هؤلاء من يهود ملاح فاس وكانوا مداخلين للسلطان يوسف من مسفره إلى كبره وكانوا يتولون قهرمة داره ويقضون أموره الخاصة به ويخلصون إلى الكثير من بطن أمره قد التصوا به أثناسا وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه في خلواته وينادونه في ساعة أنسه فغلب جاههم عند الخاشية لا قبل السلطان عليهم واستتبعوا الوزراء في دنوهم من رجال الدولة وتعدت فيهم الرؤساء القهارمة فكان منهم خليفة بن وقاصه وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الأصغر وغيرهم واستقر وأعلى ذلك برهة من الدهر ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقة والتفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته في شأنهم فأجه أمرهم وشعر كاتبه بذلك القائم بأمر دولته أبو محمد عبد الله بن أبي مدين فسي عنده فيهم وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة منكروة واعتقوا في شعبان من سنة إحدى وسبع مائة بمسكروهم من حصار تلسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتي وأخوه بعدد ان ام تحنووا مثلهم وأنت النكبة على حاشيتهم وأقاربهم فلم يبق منهم باقية إلا أن السلطان استبقى منهم خليفة الأصغر ارحمًا لثأته حتى كان من قتله بعد مائة كره وبعث بسائرهم وطهرت الدولة من رجسهم وأزبل منها معرفة رياستهم والأمور بيد الله سبحانه ثم لما كانت سنة ثلاث وسبع مائة توفي عثمان ابن بقراسن في الحصار عقب شهرين يقال انه جعل فيها ماسور به فعل ذلك بنفسه تغاديا من معرفة

غلبة عدوه عليه فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان واجتمعوا عليه ثم رزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فجمع على عثمان وهب من صرامة قومه من بعده

في انتفاض ابن الاجر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة

كان محمد بن الاجر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبع مائة وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالخالع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكم الرندي وكان من أول ما فعله محمد الخالع بعد استيلائه بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فوعد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدافق ووزره الكاتب أبا عبد الله بن الحكم فوصلوا الى السلطان يوسف بجسكته من حصار تلمسان فلقاهما بالقبول والمبرة وجذبت لهما احكام الود والولاية وانقلبا الى غر ساهما خبير منقلب وطلب السلطان منهما ان عدوه بالجل من عسكر الاندلس وناشبتهم المودين منازل الحصون والمناخلة بالباطل فأسفوه ثم فسلما بينهما فاستجرت الى ذلك فانتقض ابن الاجر وعاد لسنة سالفه من موالاة الطاغية ومما لا على المسلمين أهل المغرب وأحكم المود مع هرثمة بن سنانة من بني اذفونش ملوك قشتالة فدخلهم الله ثم أعز ابن الاجر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فخرج من اسمعيل صاحب مالقة في أعمال الحيلة في الغدر بأهل سبتة ففضل ودخل في ذلك بعض عمال بني العز في بها فأمكنه من البلدة فاقصمها بأبائيل وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بني العز في وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فلقاهم ابن الاجر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقر وبالأندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كائذ كرا واستبد الرئيس أبو سعيد بامر سبتة وعقب أطرافها لوستنقروها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فخشي أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الأمير أبا سالم ابراهيم في جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تافراغن شيأور جمع مهزوما فقصته السلطان لذلك وأهمله وبقي على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتفاض ابن الاجر سنة ثلاث وسبع مائة

في ثورة عثمان بن أبي العلاء بمجال غرناطة

كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق من اعيان الملك المريني وكان قد قدم من الاندلس في حجة الرئيس أبي سعيد عند استيلائه على سبتة ثم ناز بعد ذلك ببلاد عمارة ودعا لنفسه وبقي منتقلا هنالك مدة فطلب على تكساس وأصله والعراش وانتهى الى قصر كتامة وخب في الفتنة ووضع الى ان لحق بالاندلس لأول دولة السلطان أبي الربيع فولى بها مشيخة القزاة وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء كما سيأتي ان شاء الله وفي سنة ثلاث وسبع مائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تهاجر خمسمائة فارس من الابطال وخطب صاحب الديار المصرية لعده وهو الملك الناصر محمد ابن قلاوون الصالحى من عمال بني أيوب اللعروفين بالبحرية واستوصاه بحاج أهل المغرب وأتحفه بهدية استكرهها من اغليل العرب والمطايا الفارفة يقال كان عدد اغليل أو المطايا بأربع مائة الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصفا ضخما اعتنى به واستكتبه وجعل له عشاء مكللا بغنيس الدر وشريف الباقوت ورفيع الاجار ونهج السلطان يوسف رحمه الله هذا الركب والمهدة السبل لحاج المغرب فاجعوا الى سنة أربع بعد هاجم جمع منهم عدد وافر وركب ضخم ففقد السلطان يوسف على دلائهم لابي زيد الغفارى وقصاوا من تلمسان في شهر ربيع الاول من السنة

المذكورة وفي شهر ربيع الآخر بعده قدم حاج الركب الأول الذين جلاو المصحف والمهدية وقدم معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد لبيدة بن أبي غني نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه جيفته وزمينة بعد مهلك أيهم أبي غني صاحب مكة فاستبلغ السلطان يوسف في أكرامه والتتويه بقدره وسرّحه إلى المغرب ليجول في أقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره وأوعز إلى العمال بالبرور به واتحافه على ما يناسب قدره ورجع هذا الشريف إلى حضرة السلطان من تلسان سنة خمس وسبع مائة ثم فصل منها إلى مشرفه وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الثاني ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد أسفهم بالتقبض على أخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا إلى السلطان يوسف ثوبان كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا لبوسه في الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركابه وهو أياك الملك الناصر صاحب مصر فانه حكما كافا للسلطان يوسف على هدنته بان جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات وتحو ذلك مثل الفيل والازرافة ونحوهما وأوفده مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبع مائة فوصلوا إلى السلطان يوسف وهو بالمصورة في جادى الآخر سنة ست بعد هاوا هتزلقوهم وأركب الناس لقتيهم وأكرم وفادتهم وبهضم إلى المغرب للتطوف به على العادة في مسيرة أمثالهم وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الأمر إلى حاقده أبي ثابت فاحسن منقلبهم وملاحقائهم وفصلوا من المغرب إلى بلادهم في ذى الحجة من سنة سبع وسبع مائة ولما انتهوا إلى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان بعد هاوا هتزلقوهم الاعراب بالقرى فانتهبوهم وخلصوا إلى مصر بحرية للنفق فلم يعاودوا بعدها إلى المغرب سفرا ولا لقتوا إليه وجهها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدهم من رجال دولتهم من يربله ويهادونهم ويكافئون ولا يزيديون في ذلك كله على الخطاب شيئا

وفاة السلطان يوسف رحمه الله

كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ في جملة حاشيته ومما يليكه خصما اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تمير إليه من جهة أبي علي الملباني أيام كان عماله على مرا كش وكان السلطان يوسف في ابتداء أمره يخطب الخصبان بأهله ولا يحجهم عن حومه وعياله ثم حدثت للسلطان ريبة في بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عريتهم وجب سائرهم فارتاعوا ذلك وفسدت نياتهم فسوّلت لهذا الخصى الخبيث نفسه الشيطانية القتل بالسلطان فعمد إليه وهو في بعض حجر قصره فأسند عليه فأذن له فألفاه مستلقيا على فراشه محتضبا بجناحه فوثب عليه وطمع طمغان قطع بها المعاء وخرج هاربا وانطلق بعض الأولياء في أثره فأدركه من العشي بناحية ناسلة فقبض عليه وحججه إلى القصر فقتله العبيد والحاشية وصار السلطان يوسف منته إلى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الأربعاء سابع ذى القعدة من سنة ست وسبع مائة وقبر هناك ثم نقل بعد ما سكنت الحية إلى مقبرتهم بشالة قد فن بم مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة إلى الآن ومجوت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يفراسن وقومهم من بني عبد الواد وسائر أهل تلسان وكانت المدة في ذلك مائة شهر كما قلنا لهم فيهمان الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الأمم واضطر إلى أكل الجيف والقطوط والفيران حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الملوك من الناس ونحو السقوف للوقود وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق بما يتجاوز حد العادة وعجز وجددهم عنها فكانت من مكال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف متقالين ونصف من الذهب العين وغن الشخص الواحد من البقرتين متقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا واثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والخيول ثمن المتقال ومن التحليل بشر

المنقال والرطل من الجلود البقرى، بنة أومد كي بثلاثين درهما والحر الداجي بمنقال ونصف والكلب
بمنقال والفار بعشرة دراهم والحية بمنقال ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم
والعصافير كذلك والأوقية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمنقال ومن الشحم بعشرين درهما
ومن الخبز بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والأصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المنقال ومن
الخس بعشرين درهما ومن اللبث بخمسة عشر درهما والواحدة من القنء والفقوس بأربعين درهما
والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والأجاص بدرهمين واستمك
الناس أموالهم وموجودهم وضائق أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعتزموا على الالتجاء باليد والخروج
للاستغاثة فنهأ الله لهم المصنع القريب ونفس عن تخلفهم بمالك السلطان يوسف على يد المصلي المريب
وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأغنائهم من القصور وكتبوا بعد هذه الحادثة في
سكتهم ما أقرب فرج الله استراحا لها **قال ابن خلدون** حدثني شيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم
الأبلي قال جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يوسف من صبيحة يوم الفرج وهو يوم الأربعاء سابع
ذي القعدة في زاوية من زوايا قصره يفكر واسم تدعى ابن جفاف خازن الزرع فسأله كم بقي من الأهراء
والمطامير المختومة فقال له انما بقي عولة اليوم وغدا فسأله بكم كان ذلك ويغناهم بهذا كرون في ذلك
دخل عليهم أخوه أبو جوافا خبروه بذلك فوجهم وجلسوا لسكونا لا ينطقون واذا بعد قهر مائة القصر
وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبي اسحق حليبة أياهم فخرجت من القصر اليهم وحيثهم
وقالت لهم تقول لكم خطا بقصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا والبقا وقد أحبطكم وأسفعدوكم لانهماكم
ولم يبق الا فوق نافذة لمصارعكم فأرى يحزنون من مرة السبي وقرى ونالى مصارعنا وأرى يحزنون أنفسهم فبينا
فالحية في الذل عذاب والوجود بعدهم عدم قالت أبو جوافا الى أخيه أبي زيان ولكن من الشفقة يمكن
فقال قد صدقتك لغير ما تنتظر من فقال ياموسى أرعيتي ثلاثا لعل الله يجعل بعد عمرى راسا ولا تشاورنى
بعد هافيتى بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهم وتعال الى تخفى جمع قومنا الى عدونا فنسيت
ويقتضى الله ما شاء فغضب أبو جوافا ونكر عليه التناخير في ذلك وقال اغناضن والله نتر بص المعرفة
وبأنفسنا وقام عنه مضطربا وجوش السلطان أبو زيان بالكلمة قال ابن جفاف وأنا بكفى بين يديه لأمك
متأخر اولاً متقدماً الى ان غلب عليه النوم فلما عني الأحرى بالبالب يشير الى أن أعلم السلطان يمكن
رسول جاف من محلة بنى مرين وها هو بسدة القصر قال ابن جفاف فلم أطق رد جوابه الا بالاشارة واتبعه
السلطان من همساته فاعا علمته فاستدعاه للعين فلما وقف بين يديه قال ان السلطان يوسف بن يعقوب
هناك الساعة وأنا رسول حافده الى نائب اليكم فاستبشر السلطان أبو زيان واسم تدعى أخاه وقومه حتى
بلغ الرسول المذكور رسالته فسمع منهم فكانت احدى المقربات في الايام وكان من خبر هذه الرسالة ان
السلطان يوسف لما هلك تطاول لآمر بعده القرابين اخوته وولده وحفده وتعين حافده أبو نائب الى
بنى ورتاجن غلوة كانت له فيهم فاستجاشهم واعصوا صوابا عليه وبعث الى بنى زيان ان يعطوا آلة
الحرب ويكونوا مغزاة ان اخفى مساعاه على انه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مرين وأفرج عنهم
فما قدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره وتزل لهم عن جميع الاعمال التي كان السلطان يوسف غلب عليها
من بلادهم ورحلوا الى مقرهم والله غالب على أمره

في بقية أخبار السلطان يوسف وميرته

كان السلطان يوسف رحمه الله أبض حسن القد ملج الوجه أثنى الأنف مهيبا لا يكاد أحد
يبدؤه بالكلام جوادا مشفقاً على الرعية متفقد الاحوالها شجاعا شهيدا ذا عزة
اذا هم أثنى بين عينيه همه * وتكعب عن ذكر العواقب جانباه

وهو أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه روق الحضارة وبهاء الملك وكان غليظ الخيال لا يكاد يصل
إليه إلا بعد الجهد ومن أعيان كتبه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدن العماني ومن أعيان شعراته
أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو طاهر عبد العزيز المزروعي المكاسي وغيرهما والله تعالى أعلم
وهو ولد كركما كان في هذه المدة من الأحداث (في سنة ست وخمسين وثمانمائة) وهي السنة التي وبع
فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كل الزنا المغرب بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيره أربع
منه بدرهم والقمح ستة دراهم المصنف والسبع ثلثة دراهم المصنف وأما القطن فلم يكن له ثمن
والسبل ثلاثة أرطال بدرهم والزيات أربعون أوقية بدرهم والزياب بدرهم ونصف للربع والقرغمانية
أرطال بدرهم والوزع بدرهم والشابل الطري فردة بغير راط والمخجل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية
بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكباش خمسة دراهم وهكذا هو في سنة إحدى وستين
وسمائه ظهر الخيم أو اللواتي يكون ابنه انطهور ليلة الثلاثاء الثاني عشر من شعبان من السنة
الذكرى وفيه يطلع كل ليلة وقت الصبح نحو من عشرين يوما وفي سنة أربع وستين وثمانمائة كان
دخول الشريف الولي حسن بن قاسم الحسني من أرض بنج الجزائر إلى سجلماسة وهذا الشريف هو جد
الاشراق الموليين السجلماسيين ملوك المغرب الأقصى في عصرنا هذا أعلى الله تعالى قدرهم وخلد
محمدهم ونفخهم وعند الكلام على دولتهم السعيدة تذكر كيفية دخول هذا الشريف إلى المغرب
والسبب فيه أن شاء الله وهو في سنة ست وستين وثمانمائة سرق من بيت المال بقبة فاس اثنا عشر ألف
دينار وثلاث فلان يساوي أكثر من ذلك وهو في حدود السبعين وثمانمائة كان ظهور البربر وعلى
ما أمر من أن السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة في هذه المدة والله تعالى أعلم وهو في سنة سبع
وسبعين وثمانمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد وهو في سنة تسع وسبعين وثمانمائة عطف به ثراه وذلك
يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول من هذا الزمان هذه الترابسة قاطرة وخمسة عشر رطلا
وعند كثرهما ما شأنا كسب بالتبعية وسبع وثلاثون كلسا وفيها كان الجراد العام بالقرب أكل الشجر والزروع
ولم يترك خضرا على وجه الأرض وبلغ القمح عشرة دراهم الصاع وهو في سنة ثمانين وثمانمائة بنيت
قطرة وادى النجا وقطرة ما ربح وهو في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة كان بالقرب قطرة شديد البرد الناس
قطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذي توفيت فيه المرأة أم العزيزت
محمد بن حازم العلوية من بني علي بن عسكروهي أم السلطان يوسف ففعل الله العباد وأجبر رحمة البلاد
وهو في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بنيت بقبة تطلو بن وفيها ركبت الناعورة الكبرى على وادى فاس
شرع في عملها في رجب من السنة المذكورة ودارت في صفر من السنة بعدها وهو في سنة ست وثمانين
وسمائه بنى سور قصر الجحاز وركب أوامه وفيها غرس بستان المصارة بفاس الجديد وبنيت الدار
البيضاء أيضا وهو في سنة تسع وثمانين وثمانمائة كانت الريح الشرقية المتوالية الهبوب ونشأ عنها القحط
الشديد استمر ذلك إلى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله بلاده وعباده وفيها توفي الشيخ الصالح أبو يعقوب
الاشعري الكندي من بلاد بني ملول من أحواز طنس ولعل أبي يعقوب هذا هو الذي نسب إليه الحجة
التي قد نال الكلام عليها في أخبار التصور للوحدى والله أعلم وفيها بنى المسجد الجامع بعينه نازا وبنيت
قبة مكاكة الزنن وورباعها وهو في سنة إحدى وسبعين وثمانمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق بعمل المولد النبوي وتعليقه والاحتفال به وصبره عياد من الأعياد في جميع بلاده وذلك في شهر
ربيع الأول من السنة المذكورة وكان الأمر به قد صدر عنه وهو بصيرة من بلاد الدار يعني آخر صفر من
السنة فوصل برسم أقامته بمحضرة فاس النقية أو يحيى بن أبي الصبره وإعلم أنه قد كان سبق السلطان
يوسف إلى هذه المنبة المولدية بنو العزني أصحاب سنة فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب

ولله تعالى أعلم وهو في سنة ثلاث وتسعين وستمائة هـ كان كسوف الشمس وذلك قريب زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من وجب من السنة المذكورة كسف منها نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب أبو عبد الله بن أبي المبرح حتى انجلت فجر من المحراب ووقف بأزائه فوعظ الناس وذكرهم وفي هذه السنة وقعت أيدي الموثقين من الشهادة بفاس ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلا من أهل العدالة والمعرفة وكانوا قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال من السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد المغرب وافر بقيته وهو صر فكانت الموتى تحمل اثنتان وثلاثة وأربعة على القنصل وبلغ القمح عشرة دراهم للذ والدقيق ست وأواق بدورهم وأمر السلطان يوسف بتبديل الصبيان وجعلها على مذة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بالحضرة على يد الفقيه أبي فارس عبد العزيز المازري الشاعر المشهور وهو دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة هـ فصار صليح أمر الناس وانجبرت أحوالهم ورخصت الأسعار في جميع الأمصار فبيع القمح بعشرين درهما القصعة وفي هذه السنة كسف الشمس أيضا الكسوف الكلي بحيث غاب قرص الشمس كله وصار الظلال كالحالة التي تكون ما بين العشاءين وظهرت النجوم وماج الناس وضافت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم بسرعة انجلائها لمكروا بزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة وهو في سنة سبع مائة هـ أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة بأرض تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبا من الخبر على ذلك مستوفى وبالله تعالى التوفيق

في الخبر عن دولة السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

قد تقدم لنا أن أباعا عمر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد انتدع ابنه وبقي متعلا في جهات الرب وبلاذغارة إلى أن هلك في بلاد بني سعيد منهم واتخلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا الذي بولي الأمر بعده حدثه ذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله المنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا في جلته وكان في بني ورتاج من أهل تلك البلاد دخوله فلقبهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه في أمره وبايعه معهم أشياخ بني مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس ثاني يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شافعهم بدخل المنصورة إلى بيعة الأمير أبي سالم ابن السلطان يوسف وكذا أمر بني مرين بغزوهم فقتلهم فبعت السلطان أبو ثابت لحينه وكان شهيدا مقداما إلى صاحب تلمسان أبي زيد وأبي جواد بن عثمان بن يعمر اسمن ففقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يعقدوا بالآلة ويرضوا له كسر يدهم ويضموه اليهم أن غاب أهلهم ولم يتم له أمر فاجابوه إلى ذلك وحضر العقد أبو جواد فأحكمه وشروط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرض المدينة جده المنصورة بسوموان يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وأن من أراد الإقامة بها من أهلها فها لا حاد عليه من سبيل لأن الناس كانوا قد استوطنوها وأنفوها وطاب مقامهم بها وتناولوا الأثاث والمتاع ولطروني وسائر المساعون مما يشيط المرتحل وينقل جناح الناهض قبل أبو جواد ذلك كله وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلته قومعه واختل أمر أبي سالم فلم يتم وكب السلطان أبو ثابت إلى حامية بني مرين وحصلها التي كانت متفرقة في الثغور والشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فاقبلوا إليه ينسألون من كل حذب وأسلموا البلاد إلى أهلها من بني عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت همه بأب سالم بن يوسف ثم اتبعه بهم أبيه أبي بكر بن يعقوب في آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ورفيقية القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلقبوا بعمان ابن أبي العلاء النائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فبايعوه على أمره وتقوى بهم على ما ذكره

ثم ارتحل السلطان أبو ثابت فاصدا حضرة فاس في جوع لانحصى وأتم لاتستقمى فبعد عيد الاصمى من سنة ست وسبع مائة في طريقه من تلمسان ووجدته ثم نهض الى فاس فدخلها فاق سنة سبع وسبع مائة ثم نهض بعد ذلك الى مراکش على مائة كره ولما علم بنو يغمور ان ابا ثابت قد ابعدهم وانه توغل في البلاد المراكشية واشتغل بحروب الثائرين جاءه عدد الى المنصورة فجعلوا عليها ساقطها وطمسوا محلها ومحو آثارها فصارت كأن لم تكن بالأمس

قصة يوسف بن محمد بن أبي عباد بن عبد الحق وما كان من أمره

كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر في أحوال فاس والغرب وأمره بضبطها وتسريح معيونيها ورد مظالمها وتفرق الأموال على الخاصة والعامة ففعل ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عباد بن عبد الحق على مراکش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها ففعلها واحتل بها وعسكر منها ثم حدثته نفسه بالانتراف فاستحق واستر كبر واتخذ الآلة وجاهر بالظلمان وتقبض على الوالي بمرأى كرش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جادى الآخرة سنة سبع وسبع مائة ودعا لنفسه واتصل بالخبر بالسلطان أبي ثابت وهو فاس فصرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن يونس الطنجي بالحاج المهمة ويعقوب بن أحنك في خمسة آلاف فارس فصار والى مراکش وبرز يوسف بن محمد بن أبي عباد الى حرمهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفة الشريعة فهزموه وعاد الى مراکش واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عباد مراکش فقتل جماعة من جند الفرغ الذين جاءوا وسبي ذراريهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ثم فر الى جبال هكورة فقتل على كبرها تخلف بن هنو المسكوري ولحقه موسى بن سعيد الصيصي من اغمات تدلى من سورها فلقى به ودخل السلطان أبو ثابت مراکش منتصرا رج من سنة سبع وسبع مائة وأمر بقتل أورية المداحين لان أبي عباد في انتزاعه فاستلموا جميعا ولحق ابن أبي عباد تخلف بن هنو المسكوري واستخبر به لم يجره على السلطان أبي ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه بعثهم في الحديد اليه وهو بمرأى كرش فقتلوا في مصرع واحد بعد ان مثل بهم السياط وبعث برأس ابن أبي عباد الى فاس فطيف به فيها ونصب على سورها ثم اتخن أبو ثابت في كل من كان على رأى ابن أبي عباد وخاص معه في الفتنة فاستلم منهم بمرأى كرش ما ينفي على السماتة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب مراکش الى برج دار الحرة عزوة وقتل في اغمات منهم مثل ذلك وخرج منتصف شعبان الى منزلة السكسوى بوندوج جهات مراکش فقتل بتامز وارت وتلقاه السكسوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ثم بعث قائده يعقوب بن أحنك في جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد احماح برسم غزو قبائل زكنة فقروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبيلة وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان بتامز وارت وأخبره بسكون البلاد وأنها فأنكفأ السلطان أبو ثابت واجعا الى مراکش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع وسبع مائة ثم خرج منها في منتصفه فاصدار باط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة وعبر وادى أم الربيع من مشرع كمامة في القوارب لزيادة الماء يومئذ ثم ارتحل فاجتاز ببلاد تامسان فالتقاه بمرأى كرش من قبائل لطل وسفيان وبنى جابر والعاصم فاستعصمهم معه الى مدينة آتني بعد ان استأنوه في الرجوع فلم يأذن لهم ولما احتل باآتني دعا بأشباخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم وأودعهم معجن آتني وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطنين للسبل وصلبهم على سور آتني ثم نهض الى الرباط الفتح فدخله في السابع والعشرين من رمضان فبعد هذا لك عييد الفطرو قتل به ثلاثين من قتلك العرب المتهمين بالحرية وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ثم ارتحل منتصف شوال لغزو عرب رياح

الموطين باني طويل وخص آزرغار وبلاد الحيط فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسي
ذرايرهم وانتهب أموالهم ونهض الى فاس فاحتلها منتصف ذي القعدة وعيدها عيد الاضحى ثم نهض
الى سبتة على مائذ كره

في غزو السلطان أبي تابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعمان بن أبي العلاء

قد تقدم لنا ان عثمان بن أبي العلاء كان قد وود من الاندلس حجة الرئيس أبي سعيد بن الأجر المتغلب على
سبتة أيام السلطان يوسف وانه تار بجبال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه
خبره وأمره شأنه الا انه كان رجوا ان يفتح لسان عن قريب ثم نهض اليه فمأجله الحام دون ذلك
ولما قضى الامر الى السلطان أبي تابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة
يوسف بن محمد بن أبي عباد براكش كما قدمناه ففقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق
ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فزحف اليه ونهض عثمان بن أبي العلاء الى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع
وسبعمائة فغزاه عثمان بن أبي العلاء واستلم من كان معه من جنود الفرج وهلك في تلك الوقعة
عبد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشعين للوزراء وسار عثمان بن أبي العلاء الى قصر كرامة
فدخله واستولى على جهاته وكان بطيلا من الابطال وعلى اثر ذلك كان رجوع السلطان أبي تابت
من غزاه مراكش وقد حسم الداء وحجى اثر النفاق فاعتزم على النهوض الى بلاد غمارة ليصومنها اثر
دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبتة من يد ابن الأجر المتغلب عليها لانها
صارت ركبانا بين روم الخرورج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله فقبض
السلطان أبو تابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى الى قصر كرامة
فقتلهم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مريين والعرب والراماة من سائر البلاد فمرض جيشه واربع فاصدا
جبال غمارة وكان عثمان بن أبي العلاء قد فرأ مامه الى ناحية سبتة فصار السلطان أبو تابت في اتباعه حتى
نازل حصن علودان واقصمه عنوة واستلم به زهاء أربع مائة ثم نازل بلاد الدمنة على شاطئ البحر فقتل
الرجال وسي النساء والذرية وانتهب الأموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه الى القصر
في وسط بلادهم وبالقوافي تضيقه واكرامه ودخلوا معه القصر وأصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلها
ثم ارتحل السلطان أبو تابت الى طنجة فدخلها فتح سنة عثمان وسبعمائة وتقصص ابن أبي العلاء بسبتة
مع أوليائه من بني الأجر وشرح السلطان أبو تابت عما سكره ففرقت في نواحي سبتة بالفارقات
واكساح الأموال (بنا مدينة تطاوين) ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لتزول عسكره
وللاخذ بمخفق سبتة هكذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون (وواع) ان تطاوين هذه هي تطاوين القديمة
وقد تقدم لنا ان قصبتها بنيت في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وذلك لأول دولة السلطان يوسف بن يعقوب
ابن عبد الحق ثم بنى السلطان أبو تابت هذا المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو فاتح سنة ثمان
وسبعمائة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناها كان محكما وثيقا واستمرت هذه المدينة
عامرة الى صدر المائة التاسعة فغربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبا باني الخضر عن ذلك
مستوفى ان شاء الله تعالى (قالوا) وللفظ تطاوين مركب من كلمتين تبط ومعناها في لسان البربر العين ووين
وهي كناية عن المخاطب نحو بافلان وما أشبه ذلك (قالوا) والسبب في تسميتها بذلك انهم في وقت اختطاطهم
لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالهار تطاوين
تطاوين أي بافلان افتح عينك لان عادة الحارس ان يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها وبظهر ان هذا
من كلام العامة ولا أصل له وكذا قول بعضهم تبط معناها العين ووين معناها المظلة ومعنى مجموع
الكلمتين مقله العين والاضافة مقولية كما هي في لسان بعض الأمم الجمية فانه لا مستدله والله تعالى

أعلمه ولما شرع السلطان أبو ثابت في بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبي يحيى بن أبي المسير
إلى ابن الأجر صاحب سبتة في شأن التزول له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينظر الجواب بما إذا يكون
وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفي يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة وقد دفن
بظاهر طنجة ثم حل شلوه بعد أيام إلى مدقن آباءه بشالة فووري هنالك رجة الله عليه وعليهم

﴿الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع سليمان بن أبي حامر عبد الله بن يوسف﴾
﴿ابن يعقوب بن عبد الحق رجه الله﴾

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدق لقيام بالامر محمد علي بن يوسف المعروف بابن زريقه أعوهي أمه وعلى
هذا هو الذي قتل شيوخ المصاهرة بكتاب ابن الملياني كاتبتهم وخلص الملا من بني مرين أهل الحسل
والعقد إلى أبي الربيع المذكور أخى أبي ثابت فبايعوه واستتب أمره فقبض على محمد علي بن زريقه
وسجنه بطنجة فبقي مسجوناً بها إلى أن هلك سنة ثمان وسبعمائة وبث السلطان أبو الربيع العطاء في
الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفاه الأمر ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمسلة
تطاوين من الجند فأقبلوا إليه وأرضاهم بالمال كذلك ولما فصل عن طنجة تبعه عثمان بن أبي العلاء
من سبتة في جيش كثيف ليضرب في محنته لئلا تنفريه عن عسكر السلطان أبي الربيع فأشهرهم واليهتم
وبأشغال صهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك فجازهم الحرب فهزموه
وقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان السلطان أبي الربيع الظهور والذي لا كفاه له
ووصل أبو يحيى بن أبي المسير من الأندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الأجر صاحب غرناطة ولما
رأى عثمان بن أبي العلاء ذلك سقط في يده وأيس من المغرب فغسر البصر فمعه من القرابة إلى
الأندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في جهاد العدو ألباليل ضاعوا علا أمره بالأندلس وزاحم بني
الأجر ملو كها في رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الأمر من أيديهم وشروا باندائه ومارسهم
وما وسوه مدة طويلة وعدلوا في أمره إلى الصانعة والمجاهلة في أخبار ليس جنبها من غرضنا إلى أن توفي
لكنا ذكر من ذلك نغزو جايستدله الواقع عليه على ما واده فقول لما توفي عثمان بن أبي العلاء رجه
الله كتب على قبره ما صورته في هذا قبر شريح الحماة وصدر الإبطال والكافة وأحد الجلالة لبث الأقدام
والبصلة عمل الإعلام حاشي ذمار الإسلام صاحب الكائب المتصورة والأفعال المشهورة
والمغازي المسطورة وإمام المغوف القائم باب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم
الاعاد وأسد الأساد العالي المهمم الثابت القدم المهام الماجد الأرضي البطل الباسل الأمضي
المقدس الروحاني سعيد عثمان بن الشيخ الجليل المهام الكبير الأصل الشهير المقدس الروحاني
العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانين سنة أتقنه ما بين روحه في سبيل الله
وغدوة حتى استوفى في المشهور سبعمائة واثنين ولانين غزوة وقطع عمره مجاهدات مجتهد في طاعة الرب
محتسبا في إدارة الحرب ما مضى الغزاة في جهاد الكفار معاد ما بين جوعهم تدفق السيار وضع الله
تعالى فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره في الأقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رجه الله
وغيار الجهاد على أئوبه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزبه خلت على ما عاش عليه وفي ملحمة
الجهاد قبضه الله إليه واستأثر بسيد امرئضي وسبقه على رأس ملك الروم منتفضي مقدمة قبول
واسعاد وتبجعه جهاد جواد ودليلاً على نيته الصالحة وتجاوله الراجعة فارتجت الأندلس لبعده
أنتم الله رجه من عنده توفي يوم الأحد الثاني من ذي الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة رجه الله وهو أما
السلطان أبو الربيع فقامت المسارعة عن طنجة دخل حضرة فاس حادى عشر ربيع الأول من سنة ثمان
وسبعمائة فقام بها سنة المولد الكريم وفرق الأموال واستقامت الأمور وتمهد الملك وعقد السلم مع

صاحب تلسان أبي جواموس بن عثمان بن يعمر اسن وأقاموا دعاء بحضرته مجتبا ثمرة ملكه وكان في أيامه غلاء إلا أن الناس انقضت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تقالوا في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى تقديع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العدين وتنافس الناس في البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والزخام وأنواع النقوش وتأنقوا في لبس الحرير وركوب الفلوة وأكل الطيب واقتناء الخيل من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى

في نكبة الفقيه الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين واستدعى ابنه وقاصه اليهوديين بعد ذلك

كان الفقيه الثابت أبو محمد عبد الله بن أبي مدين شعيب بن مخلوف من بني أبي عثمان إحدى قبائل كتامة المجاورين لقصير الكبير وكان يتهيب العلم والدين واتصلوا بخدمة بني مرين أيام دخولهم المغرب واستبلاهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع السلامة على الراسل وقوض اليه في حسان الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الأوامر بالقبض والبسط فيهم واحتضنه لما جاءه والافضاء اليه بسره ولما هلك السلطان يوسف وولي بعده السلطان أبو ثابت ضاع مرتبة هذا الرجل وشغف لديه خطه ومنصبه ورفع على الأقدار قدره ثم ولي بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب خلفه واضطلع أبو محمد بن أبي مدين بأمور دولته وكان يروى وقاصه اليهوديين تكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبي محمد فيهم وكان خليفة الأصغر منهم قد أظنت من تلك النكبة كاذباً كرهه فلما أفضى الأمر إلى السلطان أبي الربيع استعمل خليفة هذا بداره في بعض المهن فبأسر الأمور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبي محمد بن أبي مدين وكان يورث من السلطان أبي الربيع أنه يحتل مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدمس إلى السلطان بأن أبي مدين يعرض باتهامك في ابنته وإن صدره قد وغر لذلك وأنه مترصد بالدولة ومترصد بها الدوائر فتكنت سعائته من السلطان ووطن أنه صادق وكان يحتسب غائلة ابن أبي مدين بما كان له من الواهقة في الدولة ومدخله القليل فاستجمل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودمس إلى قائد جنده الفرغ بقتله فصار إليه ولقيه بعبارة الشيخ أبي بكر بن العربي فرصده وأتاه من خلفه فطعن طعنة كتبت على ذقنه واحترز رأسه وألقاه بين يدي السلطان أبي الربيع ودخل الوزير سليمان بن برز يكنى فوجد أراسين بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفاً وأيقظ السلطان لكر اليهودي وأطلع على نكبتهم وأخرج له براءة كل بعثها ابن أبي مدين معه إلى السلطان يتصل فيها ويخلف على كذب ما روى به عنده فكتبه السلطان لكر اليهودي وعلم أنه قد خدعه وتدم حيث لم ينفعه الندم وقتل لحينه بخليفة بن وقاصه وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطاهم سطوة الحليكة فأصبحوا مثلاً لا تحزن

في انتفاض أهل سبتة على بني الجرم وراجعتهم طاعة بني مرين

كان أهل سبتة قد شتموا ملكة أهل الأندلس وقتل عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبي العلاء وعبر البحر قصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبي الربيع فانتهز الفرصة فيهم وعقد لنفسه ناشئين بن يعقوب الوطاسي أخو خوزره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بني مرين وسائر طبقات الجنود وبعثه إلى سبتة فاغذال سيرها ليهاتر بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالهم فيما بينهم وتناحوا إشعار بني مرين وناروا على من كان بسبتة من حامية ابن الجرم فخر جوهم منهلوا قهم ناشئين بن يعقوب بالبلد فامر صفر من سنة تسع وسبع مائة وتقبض على قائد القصة أبي

زكرياء يحيى بن مليحة وعلى قائد البحر أبي الحسين بن كاشة وعلى قائد المغرب هما من القرابة عمر بن رحو
ابن عبد الله بن عبد الحق وطير تاشفين بالغرب إلى السلطان أبي الربيع فم السرور وعظم الفرح واتصل
ذلك بابن الأجر فضايق ذرعه وخشي عادية بني مرين وجيوش المغرب حين انتهوا إلى الغرضة وملكوها
قلب رأيهم ورأى أن يخرج إلى السلم مع السلطان أبي الربيع لشدة شوكتهم ولكلب الطاغية عليه
في أرضه لولا أن غزاه بني مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الأجر وهو أبو الجيوش نصر
ابن محمد أخو الخلويع الذي كان قبله وأوفده معه على السلطان أبي الربيع وأغيب في السلم خاطبين للولاية
وتبرع بالنزول عن البحر بروندة وحصونها ترغيبا للسلطان أبي الربيع في الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له
الصلى على ما أراد ونحلب منه أخته فأنكحه ابن الأجر إياها وبعث السلطان أبو الربيع إليه بالمدد
للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع نفسه عثمان بن عيسى اليربوعي أخو وزيره إبراهيم بن عيسى واتصلت
بينهما الولاية إلى أن توفي السلطان أبو الربيع رحمه الله

﴿انتفاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان أبي الربيع﴾
﴿هو مبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك﴾

لما انفسد الصلح بين السلطان أبي الربيع وابن الأجر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت تترسل
ابن الأجر لا تزال تتردد إلى حضرة السلطان فباس قدم منهم ذات يوم بعض التهمكين في اللهو المدمنين
للشرب والتصف فكشف صفحة وجهه في معاينة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس وكان السلطان أبو
الربيع قد عزل قاضي فاس بأبا غالب المغيلى وولى القضاء مكانه الشيخ الفقيه أبا الحسن الزروى المعروف
بالصغير صاحب التقييد على المدونة وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر فسيق إليه ذات يوم
هذا الأندلسي وهو مسكران فامر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم على ذلك
فامضى القاضي حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم الأندلسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن
ابن يعقوب الوطاسي ويقال له رحويا باللسان الزناقي فكشف له عن ظهره برة أثر السياط وينبى عليه
سوء هذا الفعل مع رسل الدول فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالأنف ولعله كان في قلبه شيء على
القاضي فامر وزعته بأحضاره على أسوأ الحالات وعزم على البطش به فبادروا إليه واعتم القاضي
بالمسجد الجامع ونادى في المسلمين فتأثر العاصمهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق واتصل
أنفير بالسلطان قتلا في الأمر وأحضر أصحاب الوزير فضرب أعناقهم وشردتهم من خائفهم جزاء الله
خير أفاست رها الوزير في نفسه ودخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد وكان
من شيوخ بني مرين وأهل الشورى فيهم ودخل قائد الفرغ فغصصوا المنفرد برئاسة العسكر وشوكة
الجند وكان لحولاء الفرغ بالوزير اختصاص بحيث آثروا على السلطان فدعاهم لقطع طاعة السلطان
أبي الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الأعيان فاجابوه وباعوا له
ونتم أمرهم ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة ثمان وستمائة
فر الوزير بالمدكور وقائده الفرنجي ومن شايهم على رأيهم فخرجوا إلى ظاهر البلد الجديدة وجاهاوا
بالعلمان وأقاموا الآلة والرسم وباعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكر والعدوة القصوى
من سبواتهم ساروا إلى ناحية تازا ولما استقروا رباطها أخذوا في جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من بني
مرين والعرب يدعونهم إلى بيعة سلطانهم والمشايع لهم على رأيهم وأوفدوا على أبي حوام موسى بن عثمان
ابن يوسف من صاحب تلسان يدعونه إلى الظاهرة على أمرهم واتصل السيد والمدد بالعسكر والمال
فتوقف أبو حوام ولم يقدم ولم يحجم وبقى ينتظر هذا المنجلى أمرهم واتصل خبر ذلك كله بالسلطان أبي
الربيع فغض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي في جيش كثيف

من بني مريـن وسار هو في ماقسم واتصل خبرتـر وجه بعبد الحق بن عثمان ووزيره فانكشـفوا عن تارـا
ولحقوا بـتلسان وكافوا يظنون ان السلطان لا يخرج اليهم وجداً بوجـوا عاقبة توفـقه عن نصرهم
ويتشـواهم من صـريخه اياهم ولما ضاقت عليهم الارض عـار حـبت أجاز بعبد الحق بن عثمان ووزيره
الى الاندلس ورجع الحسن بن علي ومن معه الى السلطان أبي الربيع بعد ان أخذ منه الامان وهلك
رحوا بن يعقوب بالاندلس لـمـدة قـريـبة ولما احتل السلطان أبو الربيع بتاراجـم الداء وحـي أثر الشقاق
وأفـنـح في حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبي ثم اعتل أياماً أثناء ذلك فتوفي بتاراجـم العشاءين ليلة
الاربـعاء من سـبـح جـادى الاخيرة من سنة عشر وسبعمائة ودفن من ليلته تلك بعين الجامع الاعظم
من تاراجـم الله

في الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والصفاء جو ادا مـتواضعاً متوقفاً في سفك الدماء لقبه السعيد
بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الأمير أبي عطية مهلهل بن يحيى الخطلي ولما هلك السلطان أبو
الربيع بتاراجـم في التاريخ المتقدم تـطاول للامـر عـه أبو سعيد الاصفـهـري وهو عثمان بن السلطان يوسف
وخب في ذلك ووضع وأسدى وألهم فلم يحصل على شيء واجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هـذا مـر
الليل وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبي سعيد الأكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب
ابن عبد الحق فاستدعوه فحضر فبايعوه ليلته ونـم أمره وأنفذ كتبه الى الذواحي والجهات باقتضاء
البيعة ومرتـه انـه الأكبر الأمير أبي الحسن بن علي بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر
وسبعمائة ولـك قصر الخليفة بالحضرة واحتوى على أمواله وذخـيرته وفي غد ليلته أخذت البيعة
للسلطان أبي سعيد بظاهر تاراجـم بني مريـن وسائر زنا تـقوا العرب والعسكر والحاشية والموالي والصنائع
والعلماء والطوائف والناس وعرضهم وانصاف الدماء فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق
الاعطيات وأسنى الجوائز وتنفذ الدواوين ورفع الظلمات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون
ورفع عن أهل فاس ما كان يازم رباعهم من الوظائف الخـزينة في كل سنة فـلـحـل حال الناس في أيامه
ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها وقدم عليه وفود التهـنئة
من جميع بلاد المغرب ثم خرج في ذي القعدة الى رباط الفخ لتفتت الاحوال والنظر في أمور الرعية
وانشاء الاساطيل الجهادية فبعد هذا لك عـيد الاضحى وباتـر أمور الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار
الصناعة من سائر سـمـجـهـاد الفـرغ ثم رجع الى فاس فبعد سنة احدى عشرة وسبعمائة لـخـيه الأمير
أبي البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة وندة وما اليها من الحصون ثم مضى سنة ثلاث عشرة
وسبعمائة الى ناحية مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدي بن هـنـو المـسـكـوري
وتفـقه للطاعة فـنـازـله السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبـعـثـه
موتقفا في الحـسـد يـدالي فاس فـاودعه المطبق وقـتل راجعاً الى حضـرته فاحتـل بها موقـد امنصورا
والله تعالى أعلم

في خبر والسلطان أبي سعيد ناحية تلسان

كان بنو مريـن قد حقدوا على أبي جوا صاحب تلسان من أجل توفقه في أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره
رحوا بن يعقوب الوطاسي وتـسـهـله الطريق لهم الى الاندلس ومدا هنته في ذلك وكان مقضى الصلح
التقدينية وبين السلطان أبي الربيع ان يقبض عليهم ويبعثهم اليه حالاً فـقـد بنو مريـن على أبي جوا
ووجدوا في أنفسهم عليه ولم أقضى الامر الى السلطان أبي سعيد واستوسق له ذلك ودوخ الجهات

المراسية وفرغ من شأن المغرب اعترق على غزو تلسان قنص اليها سنة أربع عشرة ولما انتهت الى وادي ملو به قدم ابنه الامير أبو الحسن وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعية فأكسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فاهتمت عليه ثم نهض الى تلسان فنزل بالمعب من ساحتها وتحصن أبو جواربال اسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقله وسائر ضواحيها فخطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بني زناسن وأنحن فيهم وانتهى في قفوله الى وجدة فقرأ أخوه أبو البقاء بعيش وكان في معسكره من أجل استراحة لحقته من السلطان وسار الى تلسان فقتل على أبي جواررجع السلطان أبو سعيد على التعية فانتهى الى تازا فاقامها وبعث ابنه الامير أبا علي الى قاص فكان من خروجه عليه ما نذكره

فخرج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك

كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الأبراهيم من أمته الحبشية وهو أبو الحسن علي بن عثمان وثانيهما وهو الأصغر من عجمة من سبي الفرج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الأصغر ألقى قلب السلطان وأحبها اليه ولما استولى على ملك المغرب رخصه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شر به ووضع له ألقاب الامارة وصير معه المجلس والخاصة والكتاب وأمره باخذ العلامة في كتبه ولم يذكر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لاراهيم بن عيسى اليرباني من كبار الدولة ووجوهها وكان أخوه الأكبر أبو الحسن شديدا البرور بابيه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه أبي علي انغاض هو أيضا اليه وصار في جملته وخط نفسه بمحاشيته طاعة لابييه ومساورة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخطبه ملوك النواحي وخطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الزايات وأثبت في الدوان ومحى وزاد في الطاء ونقص وكاد يستبد بالامر كله ولما فضل السلطان أبو سعيد من تلسان أو نحو سنة أربع عشرة وسبعمائة أظهم بتازا وبعث ولده الى قاص فلما استقر الامير أبو علي بما حدثته نفسه بالقيام على أبيه وخط طاعته فراوده المداخون له على التبرص حتى يكره يايه ويقبض عليه باليد فأبى واستبجل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه طاعة الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم وعسكر بساحة البلد الجديد بريدغز وأبيه قبرز السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره يقتدر جلا ويؤخر أخرى ثم بدد الامير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى وعزم على القبض عليه لانه بلغه انه يكتب أباه فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف الفودودي وتغطن الوزير لما أراد من المكربه قبض هو على الفودودي ونزع الى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضي عنه وكان الامير أبو الحسن قد لحق بابيه قبل ذلك فلما عن جلته أخيه فتوى جناح السلطان بمواصلة تحمل الى لقاء ابنه أبي علي ولما تراءى الجمعان بالقرمدة ما بين قاص وتازا اختل مصاف السلطان وانهم زعموا الى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصرهما ويقال ان أبا الحسن انما لحق بابيه بعد الخنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي بالصلح على ان يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتهم فقط فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهمل الامصار واستحكم العقدينه ملوان كفا الامير أبو علي واجعا الى حضرة قاص ملكا على المغرب وتوافقت اليه بيعات الامصار وفودهم واستوسق أمره ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بطغفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب وذلك ان الامير أبا علي اعتل عقب وصوله الى قاص واشتد وجعه حتى أشرف على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بعونه فتساليوا الى والده السلطان أبي سعيد بتازا ولحق بمسائر خواص الدولة وجاؤه على تلافى الامر وانتهز الفرصة فقتض من تازا واجتمع اليه كافة بني مرين والجنود وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصره وابتقى دار السكاه وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لأخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير أبي علي اختلال أمره

بعث إلى أبيه في الصلح على أن يعقوض بمجلماسة وما والاها فاجيب إلى ذلك ووفى به السلطان بما اشترط
 وأرسل إلى مجلماسة سنة خمس عشرة وسبع مائة فاقامهم أدولة ضخمة واستولى على بلاد القبلة ودون
 الدواوين واستطاع واستركب واستخدم طواعن العرب من بني معقل واقتنع معاقل العصر أو قصور
 قوات وتكرار بنو تامنطيت وغير ذلك وأما السلطان أبو سعيد فانه دخل إلى فارس الجديد ونزل بقصره
 وأصلح شؤون ملكه وأرسل ابنه الأمير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصور وقوض إليه في سلطانه تفويض
 الاستقلال وأذن له في اتخاذ الوزراء والكاتب ووضع العلامة على كنبه وماثر ما كان لأخيه وفدت
 عليه بيعات الامصار بالمغرب وجعلوا إلى طاعته وفي سنة خمس عشرة وسبع مائة أمر السلطان أبو سعيد
 ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة وفيها سار
 إلى مراکش فاقامها أياما حتى أصلح شؤونها عاد إلى الحضرة وفي سنة ثمان عشرة وسبع مائة نكح
 السلطان أبو سعيد كاتبة من مدي بن محمد الكافى وكان السبب في ذلك انه لما ثار الأمير أبو علي إلى أبيه
 وخلعه انخاض إليه منديل هذا ثم انخسل أمر أبي علي عاد منديل إلى السلطان أبي سعيد وترتب
 في منزله التي كان عليها قبل وكان الأمير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انخضائه إلى أخيه لما كان بينهما
 من المناقصة وكان هو كثيرا ما يغرصد ربي الحسن يا يجلب حق أخيه عليه وامتهاته في خدمته فطوى له
 أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو علي إلى مجلماسة وانفرد أبو الحسن يجلس أبيه وخلاه وجهه
 أحكم السعاية في منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما يفضي السلطان في المحورة والمطاب دلة عليه
 وكبرا فاعتد السلطان عليه بشئ من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يفر به به فقصطه سنة ثمان عشرة
 وسبع مائة وأذن لابنه أبي الحسن في نكحته فاعتقله واستمضى أمواله وطوى ديوانه وامتنع أياما
 ثم قبله بحبس مخنقا وقيل جوعا وذهب في الذاهبين وأبوه أبو عبد الله محمد الكافى هو الذي بعثه
 السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى المستنصر الحفصي عند فتح مراکش وعاد إليه منه بالهدية محبة وقد
 أهل تونس وتلف أبو عبد الله الكافى حتى ذكر المستنصر في الخطبة على منبر مراکش وفرح الوفد
 بذلك حسبا فاقدم الخبر عنه مستوفى ونشأ ابنه منديل هذا في ظل الدولة المرينية فكان من أمره
 ما قصناه عليك

وهو فادأهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصر اخهم إياه على الطائفة وانشأ عن ذلك

كان الملوك من بني مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر منذ ذولة السلطان يوسف بن
 يعقوب لانشغاله في آخر أمره بمحاصر تلمسان واشتغال حقدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم
 قضاول العدو ووراء البصر على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على تغور هاجم إن القرابة من
 بني مرين كانوا ضمني في صدره وقتل في عينيه في تلك البلاد حسبا لمنا إليه غير مرة ولما أفضى الأمر
 إلى السلطان أبي سعيد اشتغل في صدر دولته بأمر ابنه أبي علي وغزو وجه عليه فاهتبل الطائفة الغرة في
 الاندلس وزحف في جوعه إلى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبع مائة وكان من خبر هذه الواقعة أن
 الطائفة بطرقة بن سانحة ويقال دون بطرقة وقد نهت على لفظة دون فيما سبق ذهب إلى طلبه ودخل
 على مرجهسم الذي يقال له البيا بومجده وتضرع بين يديه وطلب منه استئصال ما بقي من المسلمين
 بأرض الاندلس وأكدهزموه وتأهبوا لذلك غاية الأهمية فوصلت أنفاله ومجانقه وآلات الحصار
 والقوات في المراكب وتقدم في جوعه حتى زل باحوار غرناطة وكان يدفعه في ذلك الجند علما آخر
 يقال له جوانوا فاضم إليهم ملوك آخرون من ملوك الأحراف قبل سبعة قديلا أكثر واستلات الأرض
 بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس وكان جيشهم فيما قبل يستعمل على خمسة وثلاثين ألفا
 من الفرسان وعلى نحو مائة ألف من الرجال الغاتلة ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صر يخضم إلى

السلطان أبي سعيد فقدم عليه وقد هم بمحضرتهم فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحاتهم الشيخ
أبو عبد الله الطنجاني والشيخ ابن الزيات البلشي والشيخ أبو اسحق بن أبي العاص وغيرهم فاعتذر اليهم
السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبي العلاء من دولتهم ومحلهم من دار ملكهم وكان عثمان بن أبي العلاء
يتولى بومشد مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبع مائة حينما فسرط
عليهم السلطان أبو سعيد ان يكتنوه منه ليتأني له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشویش
وقال ادفعوه اليانار فتمسح حتى يتم أمر الجهاد ثم زده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفرق كلمتهم
فاستعجب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلون من صرامة عثمان بن أبي العلاء وادلا له بأهله وبأهله
عشيرة فأخفق معهم ورجعوا عن كسرين وأطالت الفرغ المقام على غرناطة وطسموا في التهامها
ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقتهم ودافع قدرته عنهم وهيا العثمان بن أبي العلاء في الفرغ واقعة كانت
من أغرب الوقائع وذلك انه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جادى الاولى من سنة تسع عشرة
وسبع مائة عند عثمان بن أبي العلاء الى جماعة جندته واختار من أتباعه ديني مريين منهم نحو المائتين وقيل
أكثر وقد قدم بهم نحو جيش الفرغ قطن النصاري انهم اغتاروا بالامر غير القتال من معاوضة
أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية ووديعه جوان صمواعثوها حتى خالطوها
في مرأى كثرها فصرعوها في جملة من الحاشية ولهم ذلك الجمع من حينه وولوا الديار واعترضهم من
ورائهم مسارب الماء الشرب على نهر شينل فتطرحوا فيها وهاك أكثرهم وانكسحت أموالهم وتبعهم
المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام ونجح أهل غرناطة لجمع الاموال واخذوا لاسرى فاستولوا على
أموال عظيمة منها من الذهب فماتل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن
السيب سبعة آلاف نفس حسيما كتب بذلك بعض الغرناطين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى
امراة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الشخ وعثمانية عشر حصنا فاحكى
بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك فقلت في هذا خطأ في الرأي وضمن في السياسة قالوا وزادت عقدة
القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم
بالطريق وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك السبعة جميعهم وقيل خمسة
وعشرون واستمر السبع في الاسرى والسيب والدواب سنة أشهر ووردت البشارة بهذا النصر العظيم الى
سائر البلاد ومن القهب انهم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وبلغ الطاغية
بطرة وحشي جلده فطنوا على باب غرناطة وبقي مقلقا سديا وطلبت النصاري الهندنة فمعدت لهم
والله تعالى أعلم

في انتفاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك

لما كانت سنة عشرين وسبع مائة انتفض الامير أبو علي صاحب سجلماسة والعصر اعلى أبيه السلطان
أبي سعيد وتقلب على درعة وسما الى طلب مراكش فقتل السلطان أبو سعيد على حربه لانيه الامير
أبي الحسن وأغزاه اياه ثم نهض على أثره فاحتل براكش وثقف أطرافها وحسم عليها وعقد عليها
لكنكدوز بن عثمان من صنائع دولتهم وقتل الى الحضرة ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة
نهض الامير أبو علي في جوعه من سجلماسة وأخذ السير الى مراكش فاقصمها باسكاره قبل ان يجمع
لكنكدوز أمره وتقبض عليه وضرب عنقه ورقعه على القنطرة وملك مراكش وسائر ضواحيها وبلغ الخبر
الى السلطان أبي سعيد فخرج من حضرته في عساكره بعد ان حشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات
وقدم بين يديه ابنه الامير أبو الحسن ولى عهده وجاءه هو على ساقته وصار واعلى هذه النية ولما انتهوا الى
وادي ملوية اتصل بهم الخبر ان أبا علي يريد ان يبيتهم فأسهر واليهم وباو اعلى ظهور خيلهم وبعد

مضى جزء من الليل طرقهم أبو علي في جموعه فكانت الدبرة عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغدق أثره
 وكان قد سلك جبل درن فاقتربت جنوده في أوعاره ولحقهم من الشاق ما يقوت الوصف حتى ترجل
 الأمير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه ونحاص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة
 ومهد السلطان أبو سعيد فواحي مرا كش وعقد عليها الوسي بن علي المثنائي فغلظ غناؤه في ذلك
 واضطلاعهم وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافسه الأمير أبو علي بالخضوع
 ووعب اليه في الصبح والرضا والعود الى السلم فأجاب السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان
 يؤر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الأمير أبو علي عكاته من مملكة القبلة الى ان هلك
 السلطان أبو سعيد وتقلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذر كره ان شاء الله

في بناء مدارس العلم بمضرة فاس حرمها الله

قد تقدم لنا ان السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق
 التنبيه عليه ووقف عليها كتب العلم التي يهتم اليه الطاغية سافعة عند عقد الصلح معه ووقف عليها
 غير ذلك واقتنى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثر وامن بناء المدارس العلمية والزاويا
 والربط ووقضوا عليها الاوقاف المغلة وأجرى واعلى الطلبة الجرايات الكافية فامسكوا بسبب ذلك من
 رفق العلم وأحياهم اسمه وأخذوا بصيغته جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا ولما كانت سنة عشرين
 وسبع مائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديدة فبنيت أنفق بناءها أحسنه
 ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر
 وحبس عليها الرباغ والضياع ابتهاجا بآثاره ورغبة فيما عنده وفي سنة إحدى وعشرين بعد هابني وفي
 عهد الأمير أبو الحسن المدرسة التي بنى في جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكل الهبات
 وأعجها وبني حولها سقاية ودار وضوء وقد قال سكتي طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك كله من عين خارج
 باب الحديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جليلة تزيد على مائة ألف دينار وشحنها بطلبة العلم
 وقرأ القرآن وحبس عليها رباغا كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الاتفاق والكسوة
 نفعه الله بقصدته وفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة في فاس شحان منها أمر السلطان أبو سعيد أيضا
 ببناء المدرسة العطشى بازاء جامع القرويين بفاس وهي المعروفة اليوم بمدرسة العطارين فبنيت على
 يد الشيخ أبي محمد عبد الله بن قاسم الزور وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه في جماعة من الفقهاء وأهل
 الخبر حتى أسست وشرع في بنائها بمضرة فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث لم يكن ملك
 قبله مثلها وأجرى بها ماء معينان بعض العيون هنالك وشحنها بالطلبة ورتب فيها أاما ومؤن ورتب
 يقومون بها مهورت فيها الفقهاء لتدريس العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية
 واشترى عدة أملاك ووقفها عليها احسانا لله تعالى وسأق التنبيه على ما بناه ابنه من ذلك أو الحسن
 أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله وبالجمل في ذلك كان لبنى مريم جنوح الى الخير ومحبة
 في العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها وفي مثل ذلك يحسن ان
 ينشد
 هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنين
 ان البناء اذا عظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

في أخبار بني المرز في أصحاب سبته

قد تقدم لنا ان الرئيس أباسعيد فرج بن اسمعيل بن الاخر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبته وقبض
 على رؤسائهم من بني العزفي وغيرهم الى غرناطة سنة خمس وسبع مائة فاستقر واهلك في ابالة السلطان

ابن الاجر المعروف بالخروج مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المربني على سبتة ونفي بني الاجر عنها
 استأذنه بنو العزقي في الرجوع الى المغرب والتقدم عليه فأذن لهم واستقر بأفاس وكان أبو زكريا يحيى
 وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحد العزقي من سرواتهم
 وأهل المروعة والذين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلماء وسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من
 انتحاله وكان السلطان أوسعيد أيام ولاية بني أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن المصيري
 وكان أبو زكريا يحيى بن أبي طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده فلما أفضى
 الامر الى السلطان أبي سعيد رحمه الله بن العزقي تلك الوسيلة قائم عليهم وعقد لابي زكريا معهم على سبتة
 وردهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبع مائة وأقاموا فيها دعوة السلطان
 أبي سعيد والتموا طاعته ولما قوض السلطان أوسعيد الى ابنه أبي علي الامر وجعل له ابرام والقض
 عقداً أبو علي على سبتة لابي زكريا حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل أبا زكريا يحيى بن أبي طالب منها
 واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا في جلة السلطان وهلك أبو طالب
 بفاس أثناء تلك المدة ثم كان من خروج الامير أبي علي على أبيه وانتقامه عليه ما قد مرنا في حق أبو زكريا
 ابن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومغارقين لابنه الشار على ما استقر وافي
 حلقته الى ان مرض الامير أبو علي وزحف أبوه اليه وحاصره بفاس حسبما مر فحينئذ عقد السلطان
 أوسعيد لابي زكريا على سبتة ثانياً وبعث اليه بالقيم دعوته في تلك الجهات وترك ابنه محمد بن أبي زكريا
 تحت يده وهنأ على الطاعة فاستقل أبو زكريا بما مارتها وأقام دعوة السلطان أبي سعيد بها واتصل ذلك
 منه نحو سنتين ثم هلك عمه أبو حاتم بسبتة سنة ست عشرة وسبع مائة وانتقض أبو زكريا بن أبي طالب
 على السلطان أبي سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد وإقامة الشورى بالبلد واستقدم من الاندلس
 عبد الحق بن عثمان الذي كان خرج على السلطان أبي الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه
 وعقد له على الحرب ليفرقه كلمة بني مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتصف عليه وطأنهم واتصل ذلك كله
 بالسلطان أبي سعيد فقام وقعد وجوز الى سبتة العساكر من بني مرين وعقد على حرم الوزير ابراهيم
 ابن عيسى البريناني فزحف اليها وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكريا بحبس ابنه عنه ومغارقته وأنه
 اذا رجع اليه ابنه بطل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد ليعلمه الى
 أبيه بعد ان يقتضي منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبي زكريا بان ابنه قد قدم وأنه كان
 بفسطاط الوزير بساحل البصر بحيث تنأى الفرصة في أخذه فبعث أبو زكريا الى عبد الحق بن
 عثمان قائد الحرب وأعلمه بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على اقتراعه منهم ثم هجم ايلافي جماعة من
 حاشيته على فسطاط الوزير فاحتل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر الوزير بالهزيمة فركبوا
 وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتقدم الوزير بالولد الذي كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بأنه
 مالا شبيعة أبيه على أخذه والافلا يقدم أحدهما الاقدام بدون مداخلته من بعض الجيش فتقبصوا
 على الوزير وجاوه الى السلطان ايلافي الطاعة وابلاغاً في العذر فسكرهم ذلك وأطلق الوزير لعله
 ببراهته ونقصه ثم غلب أبو زكريا بعد هاق رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو
 سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكريا فباقيانه صدقه وعقد له على سبتة
 واشترط هو على نفسه جل الجباية الى السلطان واسنائه الهدية في كل سنة واستمرت الحال على ذلك
 الى ان هلك أبو زكريا سنة عشر من وسبع مائة وقام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكريا الى ان نظر ابن
 عمه محمد بن علي ابن الفقيه أبي القاسم شيخ قرايتهم وكان قائداً للاسطيل بسبتة في النظر فيه ابعد ان
 نزع الفلأندلسي الرنداسي الى الاندلس وتطلب محمد بن علي هذا سبتة واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب

الامر على بني العزفي ما فاتت السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع التهور باليهام فمض سنة ثمان وعشرين وسبع مائة وتزل عليها فبادر أهل مكنة بآياتهم وعجز محمد بن أبي بكر يامن المناهضة ونظما محمد بن علي من نفسه فعرض لأمري في أوغاد من لغتها اجتمعوا اليه فداهم الإل من أهل مكنة عن ذلك وجاؤهم على الطاعة واقتادوا بني العزفي إلى السلطان أبي سعيد فاقفادوا اليه واحتل السلطان بمكة سنة وثمف جهاتها ورم مثلها وأصلح خلها واستعمل كبار رجاله ونحوهم مجلسه في أمها ففقد الحاجه عامر بن فخر الله السدرا في على حاميها وعقد في القاسم بن أبي مدين العثماني على جبابها والتفري مبانها وانخرج الاموال للنفقات فيها وأسنى جوارز الاملا من مشيخها ووفر اقطاعهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افرال على مكنة فمض عرواني بناتها سنة تسع وعشرين وسبع مائة واتكفأ راجعا إلى خضرته فمؤد ذكره ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي بكر ياه هذا اقل فيه ماصورته فرع نأود من الرياسة في دوحه وتردين غدوة في المجدور وحة نشأ والرياسة العزفية تسلمه وتلمه والده ريسر امه الاقصي ويسلمه حتى اتسقت أساليب بعده وانتهت اليه رياسته سلغته من بعده فالقت اليه راجها وحطت ومعتبه بغيرها بعد ما شطت ثم كلفه الدهر بعد ماتهم وعاد زعمان سبيهم الذي كان تنسم وعاق هلاله عن غمه ما كان من قلب ابن عمه واستقر هذه البلاد لنزح الدار بحكم الاقدار وان كن نبيه المكنة والمقدار وجرت عليه بواقة واسعة ورعاية متتابعة إلى آخر كلامه ويعني بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم

﴿المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي بكر بن أبي بكر ياه﴾
﴿الحفي والنسب في ذلك﴾

كل أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي جوام موسى بن عثمان بن يوسف من صاحب تلمسان قد ضايق بني أبي حفص أصحاب تونس وافر بقة في بلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعث والسرايا إلى أطراف محالكم وفي سنة تسع وعشرين وسبع مائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ونصب مع ذلك الملك تونس وافر بقة بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبي هجران كان بطا اليهم في بعض الفتن التي كانت له مع بني عمه وتقدم هذا الجيش إلى أبي بكر بن أبي بكر ياه الحفي فمزموه واقتسموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا الملكها والولاية عليها محمد بن أبي هجران الذي كور ليس له من الملك الا الاسم والامر كله بيد يحيى بن موسى قائد الجيش وخلص السلطان أبو بكر بن أبي بكر ياه الحفي إلى تونس فبحا مطر وداعن ككرسي ملكه ودار عزه فغزم حينئذ على الوفاة على السلطان أبي سعيد المريني لما أخذه حقه من آل يوسف من التلمين عليه وأراد مع ذلك تجديد الوصلة التي كانت لسلفه مع بني مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بأنفاذ ابنه الأمير أبي بكر ياه صاحب الثغرا استكافاه عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه الذي كور والبصر وبعث معه وزره أبي محمد عبد الله بن فافرا حين نافضا أمامه طرق المقاصد والمجاورات وتزولوا عيسى غسانة من ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبي سعيد بخضرته فبالقوة رساله إلى بكر الحفي فاهتزل ذلك هو ابنه الأمير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين والله لا بذل في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولا سبيرت بعسا كرى إلى تلمسان فأنزلها وكان فيما سطر عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفي بعسا كره إلى منازل تلمسان معه فقبلاوا وانصرفوا إلى منازلهم مسرورين ونهض السلطان أبو سعيد إلى تلمسان سنة ثلاثين وسبع مائة والما انتهى إلى وادي ملوية وعسكر بصيرة جاءه الخبر اليقين بعدو أبي بكر الحفي إلى تونس وجاؤه على كرسية ما فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبي بكر ياه ووزره أبي محمد بن فافرا حين وأعلمها الثغر وأسنى جوارزهم وأمرهم بالانصراف إلى صاحبهم فركبوا أساطيلهم

من غساسة وبعث معهم ابراهيم بن أبي حاتم العزفي والقاضي بمحضرة أبي عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون
بنت السلطان أبي بكر الخفصى لابنه الأمير أبي الحسن فوصلوا الى الخفصى وأدوا الرسالة وانقعد الصهر
بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الأمير أبي بكر يابوزقها اليهم في أساطيله مع مشيخة الموحدون وكبيرهم
أبي القاسم بن عتوف وصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبع مائة تقام بنومرين لها على
أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظهر الى غساسة لركوبها وجل أئقها وصيغت حبات الذهب والفضة
ومدت ولايا لحرير الغشاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد بن محمد بالله وفدها واعراسها بما لم يسمع
بمنه في دولتهم وتحدث الناس به دهر اوهك السلطان أبو سعيد بن محمد موصيها كأنه ذكر

في وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله باقية الخيرة بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي
زكرياء الخفصى سنة احدى وثلاثين وسبع مائة وتعل بنفسه الى تازاليسار في أحوالها كرامة لها
ولا يهاوسر ورا بر من ابنه فاعتل هناك وازداد مرضه حتى اذا أشغالى الملكة ارتحل بهولى العهد
الأمير أبو الحسن الى الحضرة وجله في فراشه على اكثاد الخاشية والجندي تزل وادى سبوا ثم أدخله
كذلك ليلا الى قصره فأدركته المنية في طريقه فتوفي ليلة الجمعة لخامس والعشرين من ذى القعدة
سنة احدى وثلاثين وسبع مائة وكان مرضه بيلة النقرس فوضعوه بكنه من بيته واستدعى ابنه
أبو الحسن الصالحين لواراته فدفن هناك ببعض قبابر رحمه الله وكانت أيامه أعياد او مواسم ومن
أخبار كتابه الرئيس أبو محمد عبد الوهيد الحضري السبتي

في الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحفي رحمه الله

هذا السلطان هو أنعم ملوك بني مرين دولة وأخضهم ملكا وأبدهم صننا وأعظمهم أهمية
وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس ويعرف عند العامة بالسلطان الأكل لأن أمه كانت حبشية
فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود أكل وانما الأكل في لسان العرب أكل العندين
فقط وكان أخوه أبو علي الملوكة من سبي النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا
على الحضرة وأبو علي ملكا على بلاد القبلة فكانا أخوين ملكين في عصر واحد أحدهما أسمر والاخر
أبيض فعرف هذا بالأكل ولا تخر بالبيض للقبالة في ملأهك السلطان أبو سعيد رحمه الله في اجتماع
الخاصة من المشيخة ورجال الدولة على ولي عهده أبي الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وأتوه
طاعتهم فأمر المحين بنقل معسكره من ناحية سبوا الى الزيتون من ناحية فاس ولما فرغ من دفن أبيه
خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بضباطه وتولى أخذ
البيعة له ومنذ على الناس الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار في لسان زانة معناه الرئيس
وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمصرفين وحاجب الباب السلطاني بديم الولاية في ذلك منهذ عهد
السلطان يوسف بن يعقوب ثم زفت على السلطان أبي الحسن زوجته الخفصية فبنى بها بكنه من المعسكر
للمذكور وأجمع رأيه على الانتقام ليهامن عدوه أبي تاشفين الزيناني على ما ذكره

في حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وأبي علي ثم مقتل أبي علي والسبب في ذلك

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لعهد بالامر لابنه أبي الحسن وتحقيق ميره اليه كثيرا ما يستوصيه
بأخيه أبي علي لكأنه بهو شقيقته عليه فلما خلس الامر الى أبي الحسن وكان موثرا ضا إليه جهده
اعتزم على الحركة الى مجمل ماسة لشارفة أحوال أخيه واختبار أمر وما هو عليه من سلم أو حرب ليعمل
على مقتضى ذلك فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا مجمل ماسة فلقته وقود أخيه أبي علي أثناء الطريق

مؤيد حقه وموجب امره ومهتله بما آناه الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متبقي عن المنازعة
 قانع من تراث أبيه بما في يده طالب منه أن يعقده بذلك فأجابه السلطان أبو الحسن إلى ما سأله وعقده
 على مصلحته وما والاها من بلاد القبلية كما كن له هداية وأشهد على ذلك الامن بن مري بن وسائر زبانه
 والعرب وانكفأ السلطان أبو الحسن واجعا إلى تلسان عازم على الانتقام من أبي ناشقين الزباني فصار
 حتى انتهى إلى تلسان ثم تجاوزه إلى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظر القدوم صهره السلطان
 أبي بكر الحفصى عليه وفاء العهد الذي كان انعقد له مع السلطان أبي سعيد أيام وفادة ابنه أفي زكرياء
 عليه من لهما يكونان يدا واحدة على حصار تلسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبه انفسكر أبو الحسن
 بتاسالت ثم بعث بحصنة من جنده في البحر إلى صهره الحفصى مدد له وهو يومئذ بجاية بقاتل جيش
 بني زيان عليها ولما اتصل الخبر بابي ناشقين صاحب تلسان فكر في أمر أبي الحسن وأهل الحيلة
 بأن دس إلى أخيه الامير أبي علي صاحب مصلحته في اتهمه باليديه والاتفاق معه على أخيه أبي
 الحسن وإن يأخذ كل واحد منهما بحجزه عن صاحبه ويستغله عنه حتى يتكامل منه ووعده أبو ناشقين
 ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونقض من مصلحته إلى دعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا
 من قبله ثم سرح العساكر إلى جهة مراكن وأجلب عليها بجعله ورجله واتصل الخبر بالسلطان
 أبي الحسن وهو بمصر فسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصى عليه فانكفأ واجعا إلى الحضرة فجمعا
 الانتقام من أخيه ولما انتهى طريقه إلى حصن تاوريرت شجعه بالسكر وعقده عليه لانه ناشقين
 ابن أبي الحسن ووقف أمره على قتل منديل بن حمامة شيخ بني تبرعين ثم اغذاه إلى مصلحته فقتل
 عليها وأخذ بحصنها وحشر القسطة والصناع لصنع الآلات والبناء بها واحتياها وأقام عليها فاجدها باقتال
 ويراوحها حولا كاملا ونقض أبو ناشقين في عساكره من تلسان يريد الفلوة على أطراف المغرب كي
 يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فأنهى إلى تاوريرت فبرز إليه ناشقين بن أبي الحسن في عساكر مري
 فهزموه وردوه على عقبه إلى تلسان ثم بعث بحصنة من جنده مدد إليه يراى على قديره والى مصلحته
 جماعات وأخذوا حتى تكاملوا اليه فلم يقنوا شيئا وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزلهم
 أنواع النكال حتى اتهم البلد عنوة ثمان عشر محرمة سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ونقض على الامير
 أبي علي عند باب قصره وجى به إلى أخيه أبي الحسن وقد خاره الجوع فلما مثل بين يديه فضرع إليه
 وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بشقيقه وجعله على بغل إلى فاس وانكفأ هو راجعا إلى الحضرة فلما
 دخلها اعتقل أخاه بعض حجر القصر أشهر ثم قتله فصدوا خنقا وكانت من أبي علي يومئذ سبعون ثلاثين
 سنة وكانت دولته بمصلحته تسع عشرة سنة وأشهرها وكان وقيق الحاشية ينتمى إلى الادب وهو الذي
 استقدم أبا محمد عبد المهين الحضري من سنة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبي علي مخاطب
 أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بمصلحته وقد أنقذ زوال أمره

فلا يترك الدهر الخون فك * أباد من كل قبلي بأبا الحسن
 الدهر مذ كن لا يبقى على صفة * لا بد من فرح فيه ومن حزن
 أين السلوك التي كانت تلهم * أسد العرب نوواني الصد والكفن
 بعد الأسرة والتيجان قد محبت * رسومها وعفت عن كل ذي حسن
 فاعمل لا تروى وكن بالله مؤثرا * واستغن بالله في سر وفي علن
 واخترت نفسك أمر أنت أمره * كأنني لم أكن يوما ولم تكن

وفادة السلطان ابن الأحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس وفتح جبل طارق

لهذا السلطان أبو الوليد اسمعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج ابن الأحمر المتخب على ملك الاندلس من

يدان همه أبي الجيوش قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد
 ما شب وعقل ولكن الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبع مائة وراحم
 الفرج به تغور المسلمين وصار يحيى في صدر الدولتين المرينية والاحمرية واستقر الحال على ذلك الى ان
 بويع الامير السلطان أبو الحسن وكان له غيبة في الجهاد اقداه بذهب جده يعقوب بن عبد الحق
 فبادر السلطان محمد بن اسمعيل ابن الاحمر الى الوفاة عليه لاحكام عقد المودة معه وللقاوض في امر
 الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح دولته فقدم عليه بدار ملكه بنفاس سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة فأكبر
 السلطان أبو الحسن موصله وأركب الناس لقائه وأتله بروض المصاراة لصق داره واستبقي في اكرامه
 وقاوضه ابن الاحمر في شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال الجبل واعتراضه
 يحيى في صدور الثغور قبل وشكى اليه امر بني عثمان بن أبي العلاء لانهم كانوا قد استطاعوا عليه في أرضه
 فاشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى في أسباب الجهاد وكان يومئذ مشغولا بجنته أخيه أبي علي ومع ذلك
 فقد أمده بالجنود عقد لابنه أبي علي خمسة آلاف من أنجاد بني مرين وأنفذهم مع ابن الاحمر لنزلة
 جبل الفتح فاحتل أبو مالك بالجزيرة انضروا متابعين اليه الاساطيل بالمدد وأرسل ابن الاحمر في
 الاندلس حاشرين قسايل الناس اليه من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبوا في منازلته
 البلاء الحسن الى ان قصوه سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة واقتحمه المسلمون عنوة ونزلهم الله من كل به
 من التصاريح عامهم وشرع المسلمون في شتمه بالاقوات ينفقونها من الجزيرة انضروا على خيولهم
 خوفا من ككرة العدو وباشروا نقل الاميران أبو مالك وابن الاحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتعين
 الامير أبو مالك الى الجزيرة انضروا وترك الجبل يحيى بن ملحمة بن يحيى من وزراء أبيه ووصل الطاغية
 بعد ثلاث من قصه فاناخ عليه وحاصره ورزأ أبو مالك بعساكره من الجزيرة فقتل بلزائه وزحف ابن
 الاحمر فقتل بازائه أيضا ثم خاف ابن الاحمر عادية العدو وقرب العهد بارتجاع الجبل وخضع من به من
 الحامية والسلاح فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه بجلالاته فغضب من الله في رضا
 المسلمين وسد خلعتهم فقتلوا الطاغية رجلا حاسرا اعظماله وأجابه الى مسائل من الافراج عن هذا المقل
 وأخضعه بذات رحمة ليدار عقل من فوره وشرع الامير أبو مالك في تحصين ذلك الثغر وسد ثغوره وهو قال
 أبو العباس المقرئ في الفتح في ارجع السلطان أبو الحسن جبل طارق بعد ان أنفق عليه الاموال وصرف
 اليه الجنود والحشود ونزلته جيوشه مع ولده وخوادمه وضيقاته الى ان استرجعوه ليد المسلمين واهتم
 ببنائه وحصنه وأنفق عليه أجال المال في بنائه وحصنه وسوره وبني أبراجه وجامعه ودوره ومحاربه
 ولما كاد يتم ذلك نزلته العدو برا وبحرا فصر المسلمون وخيب الله سعي الكافرين فاراد السلطان المذكور
 أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجدي سبيل للتضييق
 عليه بمحاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بجميعه عا حاطة
 الله بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو ثمانية عشر سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر
 وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عثمان وجهما الله تعالى وهو ما بين الاحمر فكان أولاد عثمان بن أبي
 العباس شيوخ الثغور والاندلس الحار وأما حصل بينه وبين السلطان أبي الحسن من الوفاق واتصال اليد
 خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم اذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة المغرب فبضر وجههم عليهم
 ومنابذتهم اياهم غير مرة وأما دولة الاندلس فباستحوادهم على أهلها وهرجهم اياهم في رياستها
 فتشاوروا فيما بينهم وفتكروا بين الاحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فقاصفوه بالراح وقتلوا أخاه
 أبا الحجاج يوسف بن اسمعيل مكانه فقام بالامر بعده وشمر للاخذ بثأر أخيه فاحتال على بني أبي الصلاح حتى
 قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غرهم الى تونس الى ان كان من أمرهم ما نذكره

ففتح تلسان ومقتل صاحب أبي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبني زيان بجهلكم

لما استقام ملك المغرب للسلطان أبي الحسن بمقتل أخيه أبي علي صاحب سطلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس ففرغ لشأن تلسان والانتقام من صاحب أبي تاشفين الذي ضايق أصحابه من بني أبي حفص في أرضهم ونازلهم في ملكهم وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لاول بيعة شغفاء إلى أبي تاشفين في أن يتخلى عن عمل الموحد بن ورجع إلى تخوم أعماله التي ورثها عن سلفه وقال له في جلة ذلك كف عنهم ولو سنة واحدة ليسمع الناس في تالخت عن صهرى ويقدر واقدري فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ الرسل في القول وأغضب بعض السفهاء من عبيده في الرد عليهم بحلته ونالوا من السلطان أبي الحسن بمحضرة فلدات الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فغضب وتأكده عزمه على النهوض إلى تلسان فكان من نهوضه أولاً وانتفاض أخيه عليه وعوده اليه من تالسات ما قصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض إلى تلسان في هذه المرة فسكر بظاهرها من الجدي وبعت وزرائه ووجوه دولته إلى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجويع ثم فجعل وعرض جنوده وأزاح عنهم وعي مواكبه وفصل في التعمية من فاس وأواسط خنس وثلاثين وسبع مائة فصار يجر الشوك والمرد من أم المغرب وجنوده ومرو بوجدة فخير عليها الكتاب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها ثم سار على التعمية حتى أتاه على تلسان ثم بلغه الخبر بتطلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبع مائة فأوترع اليهم بفرض أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافقت لديه امداد النواحي وحشودها ووقفت عليه قبائل مغوارة وبني توجين فأتوه طاعتهم وسرح كتابه إلى القاصية فتنقلب على وهران وهندين ثم على مليانة وتنس والجفازر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبي تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاه بمدة وكرامة ورفع رايته ونظمه في طبقات وزرائه وحلقاته وعقد على فتح البلاد الشرقية ليجي بن سليمان العسكري شيخ بني عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فسار في الاولوية والجنود فظفر صاحبة النمرق واقطع أمامه حتى انتهى إلى المدينة وقطم البلاد في طاعة السلطان أبي الحسن واحتشد جوعها فلقوا بعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات واختط بفري تلسان البلاد الجبلية يسكنها وتزول عساكره وأحياها عالم المنصورة التي كان اختطها معه يوسف ابن يعقوب وخر بها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجاً من السور ونظاماً من الخندق ونصب المجانيق والآلات من وراختنقه وجعلت رماة تضع رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شديد رجا آخر يقرب منهم وترفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيف من أعاليه ورتب المجانيق لرحها وأحكم عملها لكها فقاتلت من ذلك فوق الغاية وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تائق أبو تاشفين في تشيدها وكان السلطان أبو الحسن يصيح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مرا كثرهم ورجا انفراد في طوافه فطاف في بعض الايام منتبذاً عن الحاشية فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فقصوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونهم اقراصه كلتي كانت ليعمراس بن زيان في السعيد الموحدي واضطروه إلى سقم الجبل حتى لحق بابو عاره وكاد يتزل عن فرسه هو ووليه عرب بن يحيى أمير عرب سويدوا حس أهل المعسكر بذلك فركوا زرافات ووحدانا وركب ابنه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جانا عسكره وعقباها فاهله وتهاوت اليهم مقوروني من من كل جوقا فكشف عساكر بني عبد الواد وولوا الادبار منز من لا يولي أحد منهم على أحد واعترضهم مهوى الخندق قطار حوافيه وتم اقتراع على ردمه فكان المهالك يومئذ فيه أكثر من المهالك بالسلاح وهلك من بني توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل

وانشر يس ومحمد بن سلامة بن علي كبير بني بطلان وصاحب قلعة تاوغز وت وهما ما هما في زانة الى اشياء
لها استلموا في هذه الواقعة فخص هذا اليوم من جناح دولة بني زبان وحطم عنها واتصل الحصار مدة
من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من رمضان سنة سبع وثلاثين وصيماثة اتهم
السلطان أبو الحسن مدينة تلسان عنده وقت أبو تاشفين رحمه الله عند باب حصره في جماعة من أصحابه
منهم ولده عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق بن عثمان وهو الذي كان خرج على
السلطان أبي الزبير وبايعه عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي حسيما ثم فانه لحق بعد تلك الواقعة بتلسان
ثم منها الى الاندلس ثم حضر استقامت العز في سبعة سنين فمات في جماعته من بني وبنو أخيه وكافوا احلاس
عنه الى أبي تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشهد في جماعته من بني وبنو أخيه وكافوا احلاس
حرب وقتان كريمة فافوا دون القصر واستمروا عليه الى ان استلموا وورثهم على عصا الرماح
فطيف بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكلفت أبو الجبار حام حتى لقد كذب الناس
على أذانهم ووافقوا في مسارهم فوطئوا بالحوافر وتراكت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك
ما بين السقف ورجبة الباب وانطلقت الایدى على المنازل نهبا وكساحا وهو أبو تاشفين فانه قاتل
حتى قتل ابناه عثمان ومسعود وأمامه وخلصت اليه جراحات فأخضته وتقبض عليه بعض الفرسان
فساقه الى السلطان فلقبه ابنه الأمير أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل في الحبس واحترق رأسه وحط السلطان
ذلك من فعله لانه كان حريصا على توبيخه وتقريره وهو قال ابن الخطيب وقت أبو تاشفين وبنوه بازاء
القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى ان
كوثر واواهم لهم ميتة العز من شد الوناق وامكان التماس فكمن في شأنهم عبرة رحمه الله وخلص
السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ الفتيان بتلسان وهما الامامان الشهيران
أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد وعظوه وذكره بما تال
الناس من النهب والعبث فركب تلك بنفسه وسكن الناس وقض أذى الجند عن الفساد وطاد الى
معسكره بالبلد الجدي وقد كل الفتح وغز النصر ولستولى السلطان أبو الحسن على تلك الامارة المؤلفة
بما اشغلت عليه من نفيس الحلي وثمان الف خيرة وطاق المتاع وخطير العدة وبدع الالة وصاحت المال
وضرب الرقيق وصنوف الالاث والماعون ورفع القتل عن بني عبد الواد أعدائه وشفاف نفسه بقتل
سلطانهم وغيابهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستبعضهم على رايانهم وصرا كثرهم وجمع كلمة
بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين وسائر زانة وصاروا عصبان تحت لوائهم وسد بكل
طائفة منهم قرا من أعماله فأزل منهم بقاصية السوم وبلاذغارة وأجاز منهم الى تغور وعلم بالاندلس
حامية ومرابطين واندرجوا في جلته واتسع نطاق مملكته وأصبح أبو الحسن ملائكة زانة بعد ان كان ملك
بني مرين وسلطان العدوتين بعد ان كان سلطان المغرب فقط ولما الارض لله وورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للتقين

﴿مراسلة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه﴾

﴿الى المساجد الثلاثة شرعها الله﴾

كان للسلطان أبي الحسن مذهب ورأي في ولاية ملوك المشرق والكاف بلعاهد الشريعة اقتداء في
ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين ديانته ورفيع حتمه ولما قضى من
أمر تلسان ما قضى واستولى على الغريين غلب عليه صاحب مصر والشام والجزائر الملك الناصر
محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفع العوائق عن ركب الحاج في سالطهم وكان سفره في ذلك فارس
ابن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرر المودة بين الخلف كما كانت بين السلف فأجمع السلطان

أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليقضها بالحرم الشريف حرم مكة
قربة إلى الله تعالى وابتداء للثبوت في تشهيد موجد الوراثين لتحقيقها وتذهيبها والقراء لضبطها
وتذهيبها وصنع لها وعاصولها من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشي بصفاغيم الذهب
ورصع بالجوهر والياقوت واتخذها أصونة الجلالة المحكمة المرقومة أديها بخطوط الذهب ومن
فوقها غلاف الحرير والديباغ وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينا الشراء الصياغ بالمشرق
لتكون وقفا على القراء فيها وأوقد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهله دولته مثل عريف بن
يحيى أمير بني زغبة من عرب بني هلال ومثل السابق المتقدم في بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل
ابن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وعريف الوزعة ببابه
الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم الزوار واحتفل في الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به
دهرا قال ابن خلدون وقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين الرسول المذكور
ووعيته ثم أنسبته وذكروا بعض قولهم الدارانية كان فيها خمسة مائة من عتاق الخيل القربان بسروج
الذهب والفضة ولها خالصة ومغني ومجوها وخمسمائة حل من متاع المغرب وما عونهوا أسلحتهم ومن نسج
الصوف المحكم ثيابا أكسية وبرانس وعشائم وأزرا معلقة وغير معلقة ومن نسج الحرير ثيابا ثاقق المعلم
بالذهب ملون وغير ملون وساجا ومغنا ومن الدرق المجاوية من بلاد مصر الهككة الدبغ المنسوبة إلى
اللط ومن ثوب المغرب وما عونهوا من متاعه بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصي الجوهر
والياقوت واعتزمت خطية من خطايا أبيه على الحج في ذلك الركب فاذن لها واستبلغ في تكميلها
واستوصى بها وأوقدها سلطان مصر في كتابه وقصلا من ثمانين سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة ووصلوا
إلى مصر في الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم إلى الملك الناصر وقد موا
هديتهم إليه قبله لو حسن موقعه بالديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوم ما مشهودا تحدث الناس به دهرا
ولقاهم سلطان مصر في طريقهم أقوا البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم
حيث أمرهم صاحبه وأثنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المنقوشة القرينة الشكل
والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ورجعهم بها إلى مرسلهم
وقد استبغ في شكرهم وصلتهم وبقى حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد اه كلام ابن
خلدون بعض اصحابه هو وقد ذكره الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن
من أخبار السلطان أبي الحسن هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجله ابن خلدون فقال أرسل السلطان
أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والشمس ثمانمائة
وخمسة وعشرين ومن الزمر مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجدة مائة وثمانية وعشرين ومن
الجوهر النفيس الملوكة ثمانمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهب ثلاثمائة وعشرين
الانان عشرين مذهب ومن الخلال ستة وأربعين ومن القشوع ستة وعشرين مذهب ومن
الحريرات الخمسة ثمانمائة ومن الرمان عشرين شقة ومن الأكسية المخررة أربعة وعشرين ومن
البرانس المخررة ثمانية عشر ومن المشققات مائة وخمسين ومن أحرام الصوف المخررة عشرين
ومن شقق اللثا الرقيق ستة عشر ومن الفضائل المتنوعة والفرش والحداد المنبوق والحلل ثمانمائة
ومن أوجه الخلف المذهب عشرين وحاطين حلة وحنايل مائة واثني عشر كلها حري وقرش جلد مخروز
بالذهب والفضة ومن السيوف الخجلة بالذهب المنظم بالجواهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب
كذلك ومهامير الذهب وثلاثة بركب فضة وستة منجحة ومذهبة ومضمتان من ذهب مایلين بالملوك
وشاشية حديد بذهب مكلل بالجواهر ومن زينات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة

وعشر علامات مفقودة مذهبية وعشر رايات مذهبية وعشر براقع مذهبية وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلد اشرك وأربعة آلاف درق ملط منها مائتان بنود الذهب وثمانمائة بنود الفضة وخمسة مائة كبيرة من مائة بنقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مصرية من صت وثلاثين بنقة مسطحة بحلة مذهبية وهي من حرير أبيض ومرباطها من رملتون وعمودها عاج وأبنوس وأكابرها من فضة مذهبية ومن البزات الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب ثلاثمائة وخمسة وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجبال سبع مائة وتوجهت مع هذه الهدية أمير برسم الحج مع الربعة المعكومة بمئة ربيعة المعصف الكريم وأعطى السلطان الحررة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهباً واقاضي الركب ثلاثمائة وكسوة واقام الذركب أربع مائة وكساوى مئة مائة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفاً ولشرك الركب أحدى مائة يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة وجامعة الفضة مائة من الحجاج مائة و برسم العلماء العرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرابع مئة عشر ألفاً وخمسمائة ذهباً اه في ذكر في الكتاب المذكور ان السلطان أبو الحسن أهدي هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها صاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها ملوك النصارى بعد هداياهم ومنها السلاطين السودان كما صاحب مالي ومنها صاحب افريقية ومنها صاحب تلمسان اه في ذكر في السلامة المقرري في مؤرخ مصر في كتاب السلوك ما نصه وفي ثمان وعشرين من رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحررة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى القابلة تزل لها لها من الاسطول السلطاني ثلاثون قطبوا من بغال النقل سوى الجبال وكان من جلته اربعة مائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها سروج ولحم مسقطه بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك لها عتبتها اثنتان وأربعون رأساً منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها انسان وثلاثون بازا وفيها سيف قرايه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العالي ولكن قد خرج المهندار الى لقاءهم وأزلهم بالقرافة قريب مسجد الغنم وهم جمع كثير جدا وكان يوم طواع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامر اما سرجهم على قدر مراتبهم حتى قصدت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فانه اختص به فقصدت قيمة هذه الهدية عجايز على مائة ألف دينار ثم نقلت الحررة الى الميعة ابن معمار ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوان والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما معهم وفضل عنهم فكان من تبهم كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم ونصف أردب أرزا وفضل حبريدان وربيع قطار سكر وغان فافوسيات شعما وتوابل الطعام وحل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة جل أفتالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحررة فكانت عدة الطاع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قدوا انيول وحل الى الحررة من الكسوة ما يميل قدره وقيل لها ان غلى ما تحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد عناية السلطان اكرامهاوا كرام من معها حيث كانوا فقدم السلطان الى النشور الى الامير اجدان بغا تبجيزها الا انهم اقاموا بذلك واستخدموا لها السقائين والضوءية وهباً كل ما تحتاج اليه في سفرها من اصناف الحلوان والسكر والديق والبيضاوطالبات الحاملة للجل جهازا وأزودتها ونذب السلطان للسفر معها رجال الدين متولي الجيزة وأمره أن يرسل بها في مركب لها بخير دهاقذام المحمل ويعتدل كل ثمانية به وكتب لاميدي مكة والمدينة بتجدها ثم خدمتها اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن مرزوق في الهدية والخطب سهل ثم انتفع السلطان أبو الحسن وجه الله بنسخة أخرى من المعصف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراملا دينسة وبعث بها من تخير لذلك الجهد من أهل

دولته سنة أربعين وسعمائة وفضل مثل ذلك بحرم بيت المقدس فيقال العلامة أبو العباس المقرئ في نفع
الطيب كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها إلى المساجد
الثلاثة التي تشد إليها الحال ووقف عليها أوقافاً جليلة كتب سلطان مصر والشام ووقفه بها معاً
من إنشاء الأديب الشهير جمال الدين بن بياتة المصري ونص ما يتطرق به القرض منه هنا قوله وهو الذي
مدينه بالسيف والعلم فكسب في أحملها وطر الختمات الشريفة فأيد الله عز وجلها بما سطر من أجزائها
وانصرفت ملائكة النصر بلوائه تصدو وتروح وكثرت فتوحه لأملياء القرب قتلت أوقاف الشرق
لا بدلفقر من قروح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بطله المجيد المجدي وخط سطوره بالاعراب
وطال الخط في صفوف الأعداء بالهندى ورتب عليها أوقافاً تجري أقلام الحساب في إطلاقاتها وطلقاتها
وحبس أملاكها صبة تمتد بنم الأملاك التي سرت من مغرب الأرض إلى مشرقها والله تعالى يتبع
من وقف هذه الختمات بما سطره في أكرم العصاف وينفع الجالس من ولادة الأمور في تقريرها
ويتقبل من الواقف اه فيقال المقرئ وقد رأيت أحداً لما حلف المذكورة وهو الذي بيت المقدس
وربسته في غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم واتصلت الولاية بين السلطان أبي الحسن وبين الملك الناصر
إلى أن هلك سنة إحدى وأربعين وسعمائة وولي أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل بن محمد
ابن قلاوون لحاطبه السلطان أبو الحسن أيضاً على ما ذكره بعد أن شاء الله

في تكملة الأمير أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن وقرار وزيره

في بيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك

كان السلطان أبو الحسن وجه الله عندما نهض إلى تلمسان أولاً وبايما ينتظر قدوم صهره السلطان أبي بكر
ابن أبي زكرياء الحفصي عليه لما كان انعقد بينه وبين أبيه أبي سعيد وجه الله من الاجتماع على تلمسان
والتعاون على حصارها ولما فتح أبو الحسن تلمسان في التاريخ المتقدم كان وزير الحفصين الشيخ أبو محمد
ابن نافر حاجب نيشاهد لذلك الفتح قد قدم رسولاً من عند مخدومه السلطان أبي بكر المذكورة فاستأمر إلى
السلطان أبي الحسن بأن مخدومه قد علم عليه لقائه وتمنشته بالنظر بعدد وقتشوف السلطان أبو الحسن
اليها لما كان يجب الفخر ويعني به وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلثين وسعمائة وعسكر بمخيم منتظراً
لوفادة صهره عليه فتكامل الحفصي عن القدوم بسبب تضييق محمد بن الحكيم من رجال دولته إياه
عن ذلك وقال له إن لقاء سلطانين لا يتفق إلا في يوم على أحدهما فكره الحفصي ذلك وتعاذ عنه وطال
مقام السلطان أبي الحسن في انتظاره ثم طرقة بفسطاطه مرض أزمه الفرائض حتى تحثت أهل العسكر
بجهلكه وكان ابنه الأمير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين في ولاية عهدهم منذ أيام جددهما أبي سعيد
وكان أبوهما قد جعل لهما لؤلؤ دولته ألقاب الأماورة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكاتب ووضع العلامة
وتدوين الدواوين وإثبات العطايا واستحقاق الفرائض وانفراد كل به سكره على حدة وجعل لهما مع ذلك
الجلوس بمقعد مفصله منلوب بتنفيذ الأوامر السلطانية فكانا لذلك رغبين في سلطانه ولما اشتد وجع
السلطان في هذه المرة تمشت حماسة الفتن بينهما وارتحز أهل العسكر لهما بين نيشوشوا وأظهرا
فبت كل واحد منهما المال وجعل على المقررات وصال الجيش شيعا وهم الأمير أبو عبد الرحمن بالتونب
على الأمر قبل أن يتبين حال السلطان باغراموز رثائه وبطالته بذلك وتغلظ خاصة السلطان لما وقع
فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج إلى الناس قبل أن يتغافم الأمر ويتسع الخرق فيبرز السلطان إلى
فسطاط جلوسه وتسامع أهل المعسكر به فاردجوا إلى بساطه وتقبل يده وتقبض على أهل الظنعة من
الجيش فأودعهم السجن وضط على الأميرين وأمر برحيل من كل معهما من الجنود فذهبهم إلى معسكره
ثم رجع إلى فسطاطه وطلعت نار الفتنة وسكن سعي المفسدين واتقيد الناس عن الأميرين المذكورين

فبقيا أوحش من وتبع قام فاشتد جرح الأمير أبي عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض الليل فاصبح بحلة أولاد علي أمراء بني زغبة من هلال الموطنين بأرض حزة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل ورده إلى أبيه فاعتقله بوجده ورتب العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين أصحاب تونس فأجاروه ورضي السلطان صبيحة فرار أبي عبد الرحمن عن أخيه أبي مالك وعقد له على نفور عمله بالاندلس وصرفه إليها واتكفأ وأجمع إلى تلسان والله أعلم

في ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من أمره

لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبي عبد الرحمن وأودعه السجن تفرق خدمه وحشمه في الجهات وكان منهم رجل جزائري تسمى مطبحة يعرف ابن هيدور وكان له شبه في الصورة بأبي عبد الرحمن فلحق ببني عامر بن زغبة وكانوا ذلك العهد مغضرين عن طاعة السلطان أبي الحسن لاختصاصه عريف بن يحيى أمير بني سويد أعدائهم فلما لحق بهم ابن هيدور هذا انتسب لحكم إلى السلطان أبي الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فتشبه لهم وباعوه وأجلبوا به على نواحي بلدية فبرز اليهم قائد هاهنزموه ثم جمع لهم وزيرهم عريف بن يحيى فهنهم وافتقر جمعهم ونفذوا الجزاء عنده فلحق ببني زنات من زروالة فنزل على شيخهم شعي من بني عبد الصمد عنهم وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وعلبت عليهم قومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستعمل أمر هبلهم ولما نزل عليها الجزاء المذكور وانتسب لها إلى السلطان أبي الحسن قامت بأمره وشرعت عزائمها لاجارته وجعلت قومها على طاعته وشاع في الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الأموال في قومها وبنها على إسلامه إليه فابت ثم غي إليها الخبير بكذبه وغمي به فتبذت إليه عنده وخرج عنها إلى بلاد العرب فلحق بالدوادة أمره إرياح من بني هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب له في مثل ذلك فأجاره إن صدق نسبه وأودع السلطان أبو الحسن إلى صهره أبي بكر الخفص في شأن الجزاء فبعث الخفص إلى يعقوب بن علي في ذلك فأنصحه إلى السلطان أبي الحسن مع بعض حاشيته فلحق به بمكة يستدبره الجهاد فاقضته وقطعته من خلاف وانضم داوود بنقي بالثرب تحت جباية من الدولة إلى أن هلك في بعض السنين وأما الأمير أبو عبد الرحمن فإنه لما صبر بوحدة بني هنالك إلى سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبير بالسلطان أبي الحسن فأنفذ حاجبه إعلان بن محمد قضى عليه ورحم الله الجميع

في أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك

لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الأيدي به وانفسح نطاق حكمه دعتهم همة إلى الجهاد وكان كلفه فاعز إلى ابنه الأمير أبي مالك أمير الثغور الأندلسية سنة أربعين وسبع مائة بالدخول إلى دول الحرب وجهز إليه العساكر من حضرته وأنفذ إليه الوزراء فتنصص أبو مالك غازيا ووثق في بلاد النصرانية وكتبها وخرج بالسي والقناطير إلى أذنا صمد من أرضهم وأناخهم فافتصل به الخبير أن النصراني قد جمعوا له وأنهم أغنوا السير في اتباعه فاشتر عليه الملا بالبحر ورجع من أرضهم وعبروا الوادي الذي كان تخمها بين أرض المسلمين ودول الحربو يتعبر إلى مدن المسلمين فيجتمع ما فلق في أبياته ومهم على التعريس وكان قوما ثباتا لا تغير بصير بالحرب لآخر سنة فصحبهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم في بيئاتهم وأدركوا الأمير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فخذلوه واستلمه والأكثير من قومه واحتوا على المسكر عاقبه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم واتصل الخبير بالسلطان أبي الحسن فتخجع له لاله ابنه واسترحله واحتجب عند الله أجره ثم أنفذ وزراءه إلى سواحل المغرب لتجهيز الأساطيل وفتح ديوان الطلبة وعرض الجنود وأراح عظامهم

واستقر أهل المغرب كافة ثم ارتحل إلى سنة لباشر أحوال الجهاد وتسامعت به أم النصرانية فاستعتوا
للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله إلى الزقاق ليجتمع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل
المسلمين من مراسي المغرب وبعث إلى أصحابه الخفصيين بجهاز أسطوله لم يهفقدوا عليه لزيدين
فرحون قائداً أسطول بجاية ووافى سبتة في ستة عشر أسطولا من أساطيل إفريقية كان فيها من طرابلس
وقابس وجربة وتونس وبونو وبجاية وتوافت أساطيل المغريين بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان
عليه محمد بن علي العزفي الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبي سعيد وأمر بمناجزة
أسطول النمالي بالزقاق وقد تكامل عديدهم وعنتهم فاستلقوا وتظاهر وافي السلاح وزحفوا إلى
أسطول النمالي فوافتوا عليه ثم فروا الأساطيل بعضها من بعض وقروها للمنافاة فلم يعض الا كلال
ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله للمسلمين بعد وهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلموهم هم هربا
بالسيوف وطعن بالرمح وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم الملتدواستانوا أساطيلهم بجوية إلى
مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤسهم في جوانب البلد وتطمت أصفاد الاسرى
بدار الانشاء وعظم الفخ وجلس السلطان للفتنة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت السادس
شوال سنة أربعين وسبع مائة فكان من أعز أيام الاسلام ثم شرع السلطان أبو الحسن في اجازة العساكر
من المطوعة والمرزقة وانطمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدو إلى العدو ولما تكملت
العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفاً أجاز هو في أسطوله مع حاشيته وحشمه آخر سنة أربعين
وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع في منازلته ووافاه
سلطان الاندلس أبو الجلاح يوسف بن اسمعيل ابن الاخر في عسكر الاندلس من غزاة بني مرين وحامية
النفور ورجالة البسوف وعسكر واحد معه عسكره وأحاطوا بطريف فطافوا واحد أو أزالوا أنواع القتال
ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن العسكر وطال
مقام المسلمين بكانهم حول طريف فغبت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم
ثم احتشد الطاغية أم النصرانية وظاهره البرزقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا إلى المسلمين
لسته أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب إلى طريف جيشا من
النصارى اكنتم بها إلى وقت الحاجة اليه فدخلوها لئلا يعلو حين غفلة من العسس الذين أرسدوا لهم
وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مرادهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا
وقد نبأ أكثرهم فلبسوا على السلطان بأنهم يدخل البلد صوامهم حذر من سطوته ثم زحف الطاغية
من الغد في جموعه إلى المسلمين وعي السلطان مواكبه صفوفا وتزاحوا ولما نشبت الحرب برز الجيش
الكمين من البلد وهو الذي دخل ليلا وخالفوا المسلمين إلى معسكرهم وعمدوا إلى فسطاط السلطان
فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلموهم لقتلهم ثم دافعهم النصارى عن أنفسهم فقتلوه
كذلك وخلصوا إلى خطايا السلطان منهم عائشة بنت عمه أبي بكر بن يعقوب بن عبد الحق وقاطمة بنت
السلطان أبي بكر بن أبي بكر كرية الخفصي وغيرهما من خطايا فقتلوه واستلبوه ومنلوا بهم وانتهوا
سائر الفسطاط وأضرمو العسكر ناراً ثم أحس المسلمون بما وراءهم في معسكرهم فاختلف مصافهم
وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين ابن السلطان أبي الحسن صم في طائفة من قومه وحاشيته حتى
خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به ونقبوا عليه وعظم المصائب سره وكان الخطب على الاسلام قلما فخرج
عنه وذلك ضربة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وولى السلطان
أبو الحسن متحيزاً إلى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى إلى فسطاط
السلطان من المحلة فانكر قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ثم انكفأ راجعاً إلى بلاده ولحق

ابن الاجر يفرطاة وخلص السلطان أبو الحسن إلى الجزيرة الخضراء ثم منها إلى جبل الفتح ثم ركب
الأسطول إلى سبتة في ليلة عده ومحسن الله المسلمين وأجزل نواهم

في استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء

لما رجع الطاغية من طريق استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في النمامهم ورجع عساكر النصرانية
ونازل أول قلعة بني سعيد بفرطاة وعلى مرحلة منها وجمع الآلات والأيدي على حصارها وأخذ
بمخيمها فاصابهم الجهد من العطش فتركوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة وأدال الله الطيب
منها بالخير وانصرف الطاغية إلى بلاده وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز إلى سبتة أخذ نفسه بالعود
إلى الجهاد لجمع الكثرة فدخل في المداين حاشرين وأخرج قواده إلى سواحل المغرب لتجهيز الأساطيل
فتكامل له منها عدد معتبر ثم ارتحل إلى سبتة لمشاركة ثغور الاندلس وقدم عساكره إليها مع وزيره
عسكر بن تاحسريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن تاحسريت من قرابة الوزير وبعث
إليه أمداد من العسكر مع موسى بن إبراهيم البرينقي من الموحدين فلوزارة نيابة وبلغ الطاغية خبره
بفهم أسطوله وأجراه إلى البحر الزاقي لمداقسته وتلاقت الأساطيل ومحسن الله المسلمين واستشهد منهم
أعداد وتطلب أسطول الطاغية على بحر الزاقي فلكه دون المسلمين وأقبل الطاغية من أشبيلية في عساكر
النصرانية حتى أتاه على الجزيرة الخضراء فاه أساطيل المسلمين وفرضة الجاز ورجح أن ينقلها
في ملكه مع جارتها طريق وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الأيدي عليها وطاها الحصار وأخذ
أهل المسكرين يوتامن الخشب للطاولة وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاجر بعساكر الاندلس فنزل قبالة
الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب إلى أهل
الجزيرة المدد من الفرسان والرجال والقوت في أوقات الفعلة من أساطيل العدو تحت جناح الليل
وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ولم ينس عن أهل الجزيرة ذلك للندش واستدعاهم الحصار وأصابهم
الجهد وأجاز السلطان أبو الحجاج إلى السلطان أبي الحسن بفاوضة في شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن
الطاغية في الإجازة مكراه وأرسله بعض الأساطيل في طريقه فصدقه المسلمون القتال وخلصوا
إلى الساحل بعد غصن الريق وضائق أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسالوا
الطاغية الأمان على أن ينزلوا له عن البلد فله لهم ونحو جواف في لهم وأجاز وإلى المغرب سنة ثلاث
وأربعين وسبع مائة فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرام ما عودهم بما فاتهم
وخلع عليهم وجعلهم ووصلهم بما قصت الناس به وتقبض على وزيره عسكر بن تاحسريت عقوبة له على
تقصيره في المداقعة مع عسكره منها وانكشف السلطان أبو الحسن وأجال إلى حضرته موقنا بنظروا أمر الله
واختار وعده والله من نوره ولو كره الكافرون

في بقية أخبار بني أبي العلاء

قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان بلي مشيخة الغزاة بالاندلس وأنه استشهد سنة ثلاثين وسبع مائة
وقام بإمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بعصيته وقومه على بني الاجر فقتلوا محمد بن اسمعيل منهم من جمعه
من فتح جبل الفتح ونصبوا لأمراءه يوسف بن اسمعيل حجة بما تقدمت الامام بذلك ثم إن السلطان
أبا الحجاج هذاني بن جنيته دأب على من بني أبي العلاء الذين قسكو بأخيه فإل يسي في أمرهم حتى
قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غرهم إلى تونس فتركوا على السلطان أبي بكر بن أبي ذكرية الحفصي
واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فكاتب إليه باعتقالهم ففعل ثم بدله فبعث إليه مع عريف الوزعة
بإيه ميون بن بكر في أنصافهم إلى حضرته فتوقف الحفصي عن ذلك وأبى من اختلقتهم فاستأجر

عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين بيثهم اليه وأنه لا يريد بهم الا الخير فيعظم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم
 فقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة فلقاهم بالبر
 والكرامة أكراماً لشفاعتهم وأزلهم بحسره وجعلهم على الخيول المسومة بالركاب الثقيلة وضرب لهم
 القسايط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم في أعلى رتب العطاء وصاروا في جلته ولما احتل بسبته
 إشارة أحوال الجزيرة الخضراء معي عنده فهم بأن كثيراً من المفسدين يدانوا عنهم في الخروج
 والتوئب على الأمر فقبض عليهم وأودعهم السجن بكماسة الزيتون واستمر وأهناك إلى أن قام
 أبو عنان فأطاعهم واستعان بهم على أمره حسباناً ذكره إن شاء الله

في مراسلة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون

قد تقدم لثان السلطان أبي الحسن وأسل الملك الناصر صاحب مصر وهذا بما أعظم وقعه عند الخاصة
 والعامّة واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر إلى أن توفي سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وولى
 الأمر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل فخطبه السلطان أبو الحسن أيضاً وأخضعه وعزاه عن أبيه وأودع
 عليه كتابته وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين وفي حبسه الحرة أخت
 السلطان أبي الحسن فتضى من وفادته ما حمل وأحبه السلطان أبو الحسن كتاباً إلى الملك الصالح أبي
 الفداء وكان وصوله إلى مصر منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبع مائة ونص الكتاب بسبب
 البسطة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين
 المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرن حامي العدوتين مؤثر
 الرابطة والمثاقرة مواز حزب الاسلام حق الموازنة ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن
 أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ملك البرن امام
 العدوتين محمد البلاد مبتدئ عمل الاعاد مجتهد في التصور والرايات والبنود محط الحال مبلغ
 الآمال أبي سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسام الاسلام أبي
 الاملاك مشي أهل الضاد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ
 من نداءه للاتصال القائم بقضاء الدين الحق أبي يوسف مقوب بن عبد الحق أخلص الله وجهه
 جهاده ويسر في قهر عداة الدين مراده إلى نخل ولدنا الذي طلع في أفق العلابداتما وصعد بانواع
 الفخار بحسب غلاما وظلما وجع تحمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما وأحسب رسما حائط الحرمين
 القائم بحفظ القبطين بأسطر الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تاصنه بحياطة
 النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب المجد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل
 الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الانغم العان المؤزر المؤيد المتظفر
 الملك الصالح أبي الوليد اسمعيل ابن محمد أخينا الشهير علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام
 والليال كالعين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول النافذ بصير بأبه في عقود أهل
 الملل والنحل حامي القبطين بعده وحسامه النافذ في حفظ الحرمين أجزاض طلائع بذلك وقيامه
 هازم أحزاب العاندين وجيوشها هادم الكائنات والبيع فهي غاوية على عروشها السلطان الاجل
 المهام الاحفل الانغم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المراط
 المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المتظفر المتم التقي من الظهور زين السلاطين ناصر الدنيا
 والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الارضي المهام الامضي وللا سلاطين الاخيار عاقد لواء النصر
 في قهر الارمن والفرغ والتسار محي رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام في البلاد جمال الايام عمال
 الاعلام فاتح الافام صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المتصور السند قسيم أمير المؤمنين

فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله عيكن أوليائه ونفى دولته التي أطلعها
 له السعد شمساني سمائه وأحسن أزياعه لشكر أن جعله وارث آباءه سلام كريم فخرج زهر الربي
 مسراه وبنافخ نسيم الصبا بجراه يصعب رضوان بدوم مادامت تقبل الفلك حركته ويتولاه روح
 وريحان تحببه بهرجة الله وبركاته أما بعد حمد الله سالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صلحا باليقين ودفعها
 للشك وخاذل من أسر النفاق في التصوي فاصبر على الدخن والافك والصلوة والسلام على سيدنا محمد
 رسوله الذي يحيى بانوار الهدى ظلم الشرك ونبه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودعابه
 حجة الحق فغدت بالكفرة محمولة الافلاك وما جت بهم حاملة الفلك والرضاعن آله ومحببه الذين
 سلوكوا سبل هذه فلك في قلوبهم أجل السلك وملكو أعنة هواهم قلموا من محبة الصواب
 أنجج السلك وصاروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبيل
 والدعاء لاوليائه الاسلا بوجاهة الاعلام بنصر لضافته في العدى أعظم الفتك ويسر بفضائه درك
 آمال الفلج وروا حقل بفلج الدرك فكبتناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوح النعم من
 حضرة تسم مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يبرق مذاهب الاطراف ويكيف مواهب تلهمج
 الالسنة في القصور وعن شكرها بالاعتراق ويصرف من أمره العظيم وقضائه اللتي بالتسليم
 ما يستكون بين النون والكلف ومكانكم العبيد سلطانه وسلطانكم المحيي لمملكته ولولاؤكم الصبح
 برهاته وعلاؤكم الفصح في مجال الجلال مسداته والى هذا زاد الله سلطانتكم عيكننا وأقام مقامكم
 تحصيلنا وتحسيننا وسلككم من سفن من خلف قومه سيلا مينا فلا خفاء كانت عهدة أيدي التقوى
 ومهذبة الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقتسه وبقره مع الارباب
 في علب أنسه من مؤاخذة أحكمت منها اليهود نالبة للكتب والفاضة وحظا عليها حكم الاخلاص
 معوذتهاا المحبة والنية الصالحة فانمقدت على التقوى والرضوان واعتصمت بتعارف الارواح عند
 تنافح الابدان حتى استحكمت وصله الولاء والتأمت كلمة النسب لجملة الاخاء فما كل الاوشكا
 من الزمان ولا حجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلالن وردوارد أو وردنق للشارب وحقق قول
 ومن يسأل الركبان عن كل غائب أنيا باستنار الله تعالى بنفسه الزكية واكتان درته السنية
 واقبله الى ما أعقله من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفسقه في الصدور وعظيم ما تأثرته
 النفوس لو فوج ذلك المقدور حنا للسلام بتلك الاقطار واشفاقا من ان يعتروا قاصدي بيت الله
 الحرام من جوار الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والوصي الحليم ثم حيت
 الاخبار وطوبى طي الميعل الا ثار فلم زخم برصا صفا ولا معلن لستقره ذلك الملك حقا وفي
 أثناء ذلك حفرنا للحركة عن حضرة تاسستصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتوارا الاخبار بان النصارى
 أجمعوا على خراب أوطانها ونحن أثناء ذلك الشان نستنير الوراد من تلك البلدان مما أجدلى عنليل
 الفتن بتلك الاوطان فبعدلأى وقننا منها على التغير وجاءنا بواقعة حرم الله بكم البشر وتعرفنا ان الملك
 استقر منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاع الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدتها
 وأبرأ من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سادلا وعبر طريقتهم جاء فاصلا وطافلا
 ولما احتفت بهذا المنظر القرائن وتوارى بتقبل الحاضر المعين آثار حفظ الاعتقاد البواعث والود
 الصبح تجره حق الموارث فأصدونا لكم هذه الخطابة المتقنة الاطوار الجامعة بين الخير والاستقبال
 للبيعة من العزاء والهناء وبى الشعر والذمار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليهم تجل المصائب
 لفقدانه وتحمل عرى الاصطبار بعونه ولات حين أواته لكن الصبر أجل ما لرتاده ذو عقل حصين
 والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وظاهره ولا يشفق عن ظهور الجزع للحادث

اصطباره ومن خلقته ونامت ذكره ومن قتم بامرته فما زال بل زاد فقره وقدمت التوا للحمد لله العيشة
الراضية بالمحب وطالبين مبداه ومحضه هنيئاً لجامن الاجرا كتب وصار جدياً الى خير منقلب
ووقد من كرم الله على افضل ما منح موقنا ووب فقد ارتضاكم الله بعدد لحياطة أرضه المقتسة
وجاية زوار بيته مقيله أو معرسة ونحن بمد بسط هذه التعزية نهنيكم يا خولكم الله أجل التنية وفي
ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والالظهار فاستقبلوا دولة التي المزعيلها ورافه
وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاهما أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك
الناصر رضوان الله عليه من عهد موثقته وموالاته محققه وثناء كفاه عن أذكي من الزهرغب
القطر مققته ولم يغب عنكم ما كان من بعضنا المصفين الاكرمين الذين خطبوا لعنه اليمين وآوت بهما
الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده
موارد احسانه في ذلك من الفعل الجليل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من
البر الذي لا يصح حتى طبق فله الا فاذكرا وطوق أعناق الوراد والقصا دبرا ولكن من أجل
ما به تعني وأنتف وأعظم ما بعرفه الملك السلام في ذلك تعرف اذنه للتوجهين اذ ذلك في سرار ما ع
توقف على المصفين ورسم المراسم المباركة بضرر ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين بغيرت أحوال
القرا فيهما بذلك الطراج المستفاد وبما يصالحهم من خراج ملو قته عليهم هذه البلاد على ما رسمه
رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة مفصلة وقد امرنا
مؤدى هذا الكالكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاخلى الاكمل أبا المجد
ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاخلى الاكمل المحروم أبي عبدالله
ابن أبي مدين حفظ الله عليه وتبته ويسرى قصد البيت الحرام بيشته بان يتفقد أحوال تلك الاوقاف
ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يتخير لها من يرتضى لتلك ويحدد
تصرفه فيما هنالك وناظرنا سلطانكم في هذا الشأن جرياً على الود الثابت الاركان واعلاماً على والديكم
رحمة الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكالكم يقتضى تخليد ذلك البر الجليل وتجدد عمل ذلك
الملك الجليل وتشييد ما شغل عليه من الشراء الاصيل والاجرا الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في
اعانة هذا الواقف بهذا الكتاب على ما يتوفاه في ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذي
بفاح زهر الربا وبطرح انهم حمام الايك مطربا وبحسب المصافة ومقتضى الموالاة نشرح لكم
للترايدات بهذه الجهات وتبينكم بموجب ابطاء اتمام هذا المطلب على ذلك الجانب وذلك انه لما
وصلنا من الاندلس الصريح ونادى من الجهاد عزما مثل ندائه يصيح أنبأنا ان العسكر اوقد جمعوا
أحزابهم من كل صوب وفرض عليهم بآياهم اللعين التناصر من كل أوب وان تقصدوا نفهم البلاد
الاندلسية بايجافها وتنقص بالتأزلة أرضها من أطرافها ليحسوكلة الاسلام منها ويقلصوا نيل
الايمن عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب
الاقصى وباب الجهاد خلوصنا لها الا وقد أخذ أخذ هذه العدو الكفور وسدت أبحان الطواغيت على
التعاون بحجاز العبور وأوامر أخصانهم بما لا يصح عدداً وأرصدوها بجميع البحرين حيث المجاز الى
دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط في البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء عاهداه الله بكل من
جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلك السمل الجليل
حاولنا المدا دلتكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بما أمكن من الجند وجهزنا أجناساً مختلطين
فرصة الاجازة تردد على خطر عين جهاز الجهاد جهازره وأمرنا بالصاحب الاندلس من المال بما
يجهز به مركبه لدانة محلة حزب الضلال وأجرنا به ولجيشه السطاه الجزل مشاهرة وأرضناهم من

النوال ما ترجو به ثواب الآخرة وجعلت أجبانتا ترد في ميما السواحل وتجر أبواب الخوف العاجل
 لاجرا لا من الآجل مشعونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والغيل المسومة والاقوات
 المقومة فن ناج حارب دونه الاجل وشهد مضي لعند الله عز وجل وما زالت الاجفان تتردد على
 ذلك انظر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجروها عند الله يتخو ثم قطع بهذا العمل في
 الامداد فبعثنا أحدا ولانا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد قاضي من هول البصر وارتجابه
 والحاج العدو ولجأه مله الامثال تضرب وبثله يتحدث ويستقرب ولما خلس تلك العدو عين
 أبغته الشدايد نزل بأزاء الكافر الجاحد حتى كن منه بفرمضين أو أدنى وقد ضرب بطن بصايح
 العدو وبجاسيه بحرب يهتني وقد كن من مدد بل الجيزة جيش شربت شرارته وقويت في الحرب
 ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبلون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الاورق الا ان
 المطالبة بحصارها في البصرة مئة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها في البر نحو عامين مع قودا عليها الصف
 بالمصف أدى الى ققاء الاقوات في البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع قطع المدد وبمن انطلق
 ما يرى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكذب اليأس سلطان الاندلس برغب في الاذن له في عقد
 الصلح ووقع الاتفاق على انه لا يستخلص المسلمين من وجوه التعيم فأذناه فيه الاذن العام اذني
 اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين وتخيلا ذلك المرام هنالك دعي النصاري الى السلم فاستجابوا
 وقد كانوا علفا القوت وما استراوا فتم الصلح الى عشرين ونخرج من بهامن فرسان ورجال وأهل
 وبنين ولا رزقوا بالاولادعة والاتقوا في خروجهم غير التزوج عن أول أرض مس الجبل تراه شدة
 ووصلوا النافذ لنالهم العطاء وأسلمناهم عابري الجلبه فن خيل تزيد على الالف عتاقها وتباع
 تربي على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت النفسى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النصير
 وكف الله ضر الطواغيت عما عداها وما انقلبوا غير مدرة غار سمها وصم صداها وقد كن من لطف
 الله حين قضى باخذ هذا الثغر ان قدرنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو المثل على هذه المدرة
 والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار ويخرج بهذه الجهة منهم مجاوروا
 هذه الاطار فلولا اجلاهم من كل جانب وكونهم سدوا مسلك الصبور بما لجمعهم من الاجفان
 والمراكب لما باننا صفاقهم ولحلتنا معون الله عقد اتفاهم ولكن اللوائح احكام ولا رادنا جرت
 به الاقلام وقد أمرنا تلك الثغر بزيد المدد وتغيرناه ولما اثر تلك البلاد العدو والمدد وعدنا لخصرتنا
 فاس لنستريح الجيوش من وعناء السفر وتربط الجياد ونقتب العدو وقت الظهور المنتظر ونكون
 على أهبة الجهاد وعلى مراقبة الفرصة عند فتحكم في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نسير الراكب
 الجازي موجه الى هنا كم وراحله فأصدرنا اليكم هذا الخطاب اصداو الود الخالص والحب اللباب
 وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخفى جديده من البلاء وما لكم من غرض
 بهذه الانخلاء فوفى قصده على اكمل الالهواء موالى تقيمه على آجل الآراء والبلاد باتحاد الود
 متحدة والقلوب والايدي على ما فيه مرضات الله عز وجل منعقدة جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد
 مدخورا اليوم التناك مسطورا في الاعمال الصالحة يوم للمعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا
 تتفاضر به سعدوا الكواكب وتتضافر على الانتقاده صدور اللواكب وتتقاصر عن نيل مجده
 متناولات المناكب والسلام الائم يتضمك كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكسب في يوم الخميس
 السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبع مائة وصورة العلامة وكتب في
 التاريخ المؤرخ في قال ابن خلدون في قضى أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين من وفادته ما حل
 وكان شأنه عبا في انظار أمة سلطانه والاتفاق على المستغنيين من الحاج في طريقه واتحاف رجال

الدولة التركية بذات يده والتخف عما في أيديهم رجه الله **هو** قال العلامة القرزى **في** وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبع مائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له خطبائه في يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم **هو** كتب إلى أهل الحرمين بذلك **هو** ولعل هذا كتاب آخر غير الذي سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم ونصحة الجواب عن الكتاب الذي سردناه من إنشاء خليل الصفدي شارح لامية الجهم بعد البهجة في قطع النصف بقم الثلث عبد الله وليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد للرباط المتطهر المنصور محمد الدين سلطان الاسلام والسلمين محي العدل في العالمين منصف المتظلمين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والجهم والترك فاجح الأقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان ملك أصحاب المنابر والأسيرة والخفوت والتيجان ظل الله في أرضه القائم بستمه وفرضه ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولي أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل اللاتكة أنصاره وأعوانه يحض المقام العالي الملك الأجل الكبير المجاهد المؤيد للرباط المتأخر العظيم المكرم المتطهر المعمر الاسعد الامجد الاوحد الامجد السني السرى المنصور أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمته الله بالتطهر وقرن عزمه بالتأييد في الأحوال والبكر سلام وشوش البروق وشائعه وادنوت الكواكب ودائعه واستوهب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وتناثرت النخعات المسكية طلائعه ونبلت تغريد في الروض سواجعه وجل في كاسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه **هو** أما بعد **هو** جد الله على نعم أدت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثه وأجلست على سرير مملكة زوايهاب النجوم مبتونة وأحسنت بنا الخلف عن سفه هوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثة وصالته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أملهم وسؤلهم صلاة تحط بالرواض شوبها وتجبر بالخران ذوبها ما ترسل أصحاب وتواصل أحباب فيوضع للعالم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الغائق على الدرر النظيم تفاخرنا لجمال سطوره وبصغ خسة الورد باجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالأفلاحت غصونه والهمزات عليها طيوره ويطلع على الآفاق حل الأيام والليالي فالطرس صباحه والنفس ديجوره لظه يطرب ومناه يعرب في غرب وبلاغته تدل على انه آية لان شمس ياتهم المظلم من المغرب فاختدنا سطوره ربحانا ورجعنا لأفلاطه ألحانا ورجعنا إلى الجذقة شهبنا ألغاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة باقواء الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان للزوجة يوم الكفاح وانتهينا إلى ما أودعوه من اللفظ المسجوع والمعنى الذي يطرب طائر السموع والبلاغة التي تضع الطبع يانها المطبوع فاما الغزاة بما حيك والود قدس للروح وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة حسنة ولولا الوفاق بآته في عدة الشهداء مارام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سيدنا على الأرض ومات شهيدنا يقوز الجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره سير مسير الشمس في الآفاق وبرق عند ضارعة حداثته قطرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والواقع بهود مودة تشبه في اللطف شمالك **هو** وأما **هو** المناصورات مملكة والانحرطام مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم مني هذه المنحة وقابلنا هابتنا يعطر النسيم في كل نغمه ووقفنا عليها جاد اجعل الود علينا ابراده وعلى انفس سرحه لروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجليل

وكرم اخاتكم الذي لا يعيد طود رسوخه ولا يميل **﴿وَأَمَّا﴾** ما ذكرتموه من أمر المصنفين الكرمين
الشريفيين اللذين وقفتموهما على الحرمين الشريفين وانكم جهزتم كتابكم الفقيه الاجل الآسي الاسمي
أبا الجيدان كتابكم أبي عبد الله بن أبي جدين أعزه الله لتفقد أحوالهما والتطرق في أمر أوقافهما فقد
وصل المذكورين معه في حرز السلامة وأكرمنا ترجمهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجعلنا على بذل
الاحسان اليهم ثملهم وحضر المذكورين أيدينا وقريناه وسجعنا كلامه وناطيناه وأمرنا في
أمر المصنفين الشريفين بما أشرتم ورسنا التواثيق ونحى أوقافهم لمجاز كرم وهذا الوقف المبرور بار
على أحسن عادة الفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محي للنازل والمضارب آمن من ازالة
رسخه أو ازالة حكمه بديره أبدا في مطالعته وزهره دائما برقص في كفه لا يزاد الاتخيدا ولا
الطلاق ثبوته الاتقيدا ولا عنق اجتاده الاتقيدا بريا على قاعدة أوقاف مالكا وعادة تصرفاتنا
في مسالكنا وله من يد الرعاية واطادة الحماية وقادة العناية **﴿وَأَمَّا﴾** ما وصفتموه من أمر
الجزيرة المنصورة وما لا فاء أهلها ومنه من الكفار ومنهم ما سهلها فانهشق علينا اسماعه الذي أنسى
أهل الايمان وعنده نوب الزمان كل قلب بائنا مل الخلقان وطالما فترم بالنظر ورزقم النصر على
عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحرب مجال وكل زمان لدوائره دولة ولربا نه رجال ولو أمكنت
المساعدة لطارت بنا اليكم عقبات الجياد المسومة ومالت على عدوكم أباطهم بقسنا المعوجة
وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمراد الرماح وجعلنا ليل البهاج بمزقا بريق الصفاح واتخذنا
رؤسهم لصوالح القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات وعطفنا عليهم الاعنة
وخضنا جداول السيوف ودسنا شوكة الاسنة وقلنا المضربات بالصرخات وأسنا العبرات بالربعات
ولكن أين الغاية من هذا المدى المتناول وأين التريامن يد المتناول وما لنا غير ما سدكم بجنود الدماء
الذي نرفسه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول من صحابانا **﴿وَأَمَّا﴾**
ما فقدتموه من الاجناس التي طرقها لطيف الاتلاف وأتم حرم فائنا الفناء واطاف به بعد اللطاف فقد
وقع هذا الخبر قلب الاسلام وتوقع له الحزن على اختلاف الاصباح والاطلام وهذه الدار ما يتخلو
صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالامن أول الليل وناطبت بالخطب في الصغر ولكن في بقايتكم
ما يسلي عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالأمر هين لأن الدين يندى بالذهب **﴿وَأَمَّا﴾**
ما رأيتكموه من الصلح فرأى عقد مبارك وأمر ما فيه فطر عزم وان كان في تدارك والأمر يحى كما يجب
لا كما تحب والحروب يزورها ضرهات ردة ويضرب مع اليوم غدا وقد ردا الله إذا وبعيد التطرف بالعدا
﴿وَأَمَّا﴾ عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيز لمن يصل من عندكم الى
الحجاز الشريف من الوفود فهذا الأمر ضروري التدبير سروري التعمير لأن النفوس تغل ونير المهاد
فكيف ملازمة صهوات الجياد ونسأم من مجالسة الشرب فكيف ممارسة الحرب وتعرض عن
دوام اللذة فكيف مباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذي فتح الله عليكم وساق هدى هديته
اليكم لعله يكون سبه الى ارجاع ما شرد وحسم هذا الطاغية الذي مررد وهذا النازل الذي كثر
ورد الصبر لما ورد فعادة الاتلاف بكم معروفه وعزما تكم الى جهات الجهاد مصروفة وقد تقاعنا
لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن بطرق وجبل يصم من سهم يمر من قسي الكفار ويمر
﴿وَأَمَّا﴾ ما منعتكموه من الخيل العتاق والسلاسل التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق
والاموال التي ركت عند الله تعالى ونعت على الاتفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم في منازل الدنيا
والآخرة سرفها وشرها واليكم تساق هدايا آتيتها ونحسبكم تحضا واذا وصل وفدكم الحاج وأما رله
بوجه اقبالنا عليهم ليبلغهم الداج كانوا مقيمين تحت ظيل أكراما وشعول اسعاقنا لهم وانه امننا

يقتولون تحفاً أنتم سبها ويتناولون طرفاً في كؤوس الاعتناء بهم بنصدها وإذا كان أو أن الرحيل إلى
الج فمخالم الطريق وسهائهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم عن إذا
زاروا حجارته الشريفة حازوا الراحة من العناء وطاروا بالفتى وإذا عادوا عاملناهم بكل جيل بنسبهم
مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافرين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان في
العواد اليكم وأمرناهم بما ينوونه شفاهاً اليكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لأخذ الثارجاتكم
وتحصيكم بتأييد تزلون ورضه الانضر وتجنون به غير النصر المانع من ورق الحديد الاخضر وتحصمكم
بسعد لا يلبى قنيله وعز لا يحوش بلبه مشيه وتحبسه المبالغة تفادىكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها
المعتبرة وتتأخكم بمنعوكرمه في سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مائة ^{هـ} وقال ابن
خلدون ^{هـ} ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افرقية كما ذكره في كتاب نسخة أخرى
من المصنف الكريم ليوقفها بيت المقدس فلم يقدر قوامها وهلك قبل فراغه من نسخها ^{هـ} وهو
يقضي أن السلطان المذكور ما كتب سوى مصنفين اثنين ويؤيده ظاهراً الكاين السرودين أنفا
مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبي العباس المقرئ أنه وقف على النسخة الموقوفة بيت المقدس والله تعالى
أعلم بحقيقة الأمر

في هدية السلطان أبي الحسن إلى ملك مالى من السودان المجاورين للغرب ^{هـ}

اعلم أن أرض السودان المجاورة للغرب تشغل على ممالك منها ملكة غانة ومنها ملكة مالى ومنها ملكة
كانغا ومنها ملكة برنو وغير ذلك ولكن ملك مالى وهو السلطان منسا موسى بن أبي بكر من أعظم
ملوك السودان في عصره ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بني زيان على
ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره في الآفاق فمأ هذا السلطان وهو منسى موسى إلى
مخاطبة السلطان أبي الحسن وكان مجاور الملكة للغرب على نحو مائة مرحلة في القفر فوقف عليه
جاعة من أهل ملكته مع ترجان من المؤمنين المجاورين لبلادهم من صنهاجة فوفدوا على السلطان
أبي الحسن في سبيل التهنئة بالظفر فأكرمهم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم وترع إلى مذهبه في الفخر
فانتخب طرفاً من متاع المغرب يوماعونه وشيأ من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالاً من أهل دولته
كل فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصى فأوفدهم على ملك مالى
منسا سليمان بن ملك أخيه موسى قبل مخرج وفده وأوعز إلى اعراب الغزاة من بني معقل بالسبر معهم
ذاهبين وجاءين فشمز ذلك على بن غانم أمير أولاد برار من معقل وحسبهم في طريقهم امتثالاً لأمر
السلطان وتوغل ذلك الركب في القفر إلى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم
وأعظم موصولهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا إلى مرسلمهم في وفد من كبار مالى يعظمون السلطان
أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلمهم وقيامه بحق السلطان أبي
الحسن واعتماله في مراضاهما استوصاهم به ^{هـ} وأعلم أن منسا موسى الذي ذكرناه كان من كبار الملوك
كافلاً وهو الذي حبسه أبو اسحق الساحلي المعروف بالطوبجي من شعراء الاندلس كان قد لقيه في
الموسم يعرفه في بعنه وخطبت منزلته عنده فخصه إلى بلاده وأقام عنده معصوماً بالبر والكرامة
وبني للسلطان للذكور وقبة رائعة فازدادت خطوبته عنده ^{هـ} وقال ابن خلدون ^{هـ} أطرف أبو اسحق
الطوبجي السلطان منسا موسى بشاة مربعة الشكل استغنى فيها أجادته وكان مناع الدين وأضنى
عليها من الكلس ووالى عليها بالاصابع المشبعة فجاءت من أتقى المباني ووقفت من السلطان منسا
موسى موقع الاستقرب لفقدها صنعت البناء بأرضهم ووصله باني عنبر ألقام من ماثيل التبر مشوبة
عليها ^{هـ} وكانت وفاة أبي اسحق بتبكيوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جادى الآخرة سنة

في مصاهرة السلطان أبي الحسن ثانيا مع السلطان أبي بكر الحفصي رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وأنه هلك فيها حرم السلطان أبي الحسن من جملته فاطمة بنت السلطان أبي بكر الحفصي فلما قدها أو الحسن بقي في نفسه منها حين إلى ما شفقته به من خلالها ولذا ذه العيش في عشرتها فمما أمه إلى الاعتياض عنها بعض أخواتها فأوفد في خطبتها أوليه عريبن يحيى أمير عرب سويد من بني زغبة المسالين وكانت الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وفتية الفتوى مجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطلي ومولاه عنبر الحفصي فوفدوا على السلطان أبي بكر سنة ست وأربعين وسبع مائة فآثر لهم منزل البر والكرامة ثم دس إليه حاجبه أو محمد عبد الله بن تافراجين عرض وفادتهم وأنهم قدموا غاطبين بعض كرائع السلطان ثم قأى من ذلك صونا لحرمة عن جولة الأقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع في ابنته الأولى فليرزق حاجبه المذكور يخضع عليه الشاب ويظلم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته مع ما ينسبها من الصهر السابق والمخالصة القديمة واليهود المتأكدة إلى أن أجاب وأسف وجعل ذلك للحاجب المذكور فأنقذ المهرين السلطانيين على ابنته عز ونقش حقيقة ابنه أبي العباس الفضل بن أبي بكر صاحب بونه وأخذ الحاجب في شوار العروس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال مقام الرسل بتونس إلى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها في ربيع سنة سبع وأربعين وسبع مائة وأعرز السلطان أبو بكر إلى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبي الحسن قيا بما يحقته وبمن باب جماعة من مشيئة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبي الحسن واتصل بهم الخبر في طريقهم وفاة السلطان أبي بكر فجاءه ليلة الأربعاء ثاني رجب من السنة المذكورة فزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ملو صلا إليه واستبلغ في أكرامهم وأجل موعد أخيهما الفضل بسلطانه ومظاهرتة على تراث أبيه فاطما أنتبه الدار عند السلطان أبي الحسن إلى أن سار في جلته وتحت لوائه إلى إفريقية كما ذكره إن شاء الله

في غزو السلطان أبي الحسن إفريقية واستيلائه على تونس وأعمالها

كان السلطان أبو بكر الحفصي رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي العباس أحمد وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجبه أبا القاسم بن عتو في غرض له وأحضره كتاب العهد إلى السلطان المذكور ليوافق عليه فوقف عليه السلطان أو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه الله وأحكم العقد في ذلك ولما مات السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائبا عن الحضرة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر هذا ذكر الشيخ أبو العباس الوافتر دعي في أقضية المعيار في عن الشيخ ابن عرفة أن سلطان إفريقية أبا بكر الحفصي كتب العهد لولده أحمد فلما توفي السلطان المذكور حضر أبو محمد بن تافراجين قاضي تونس قاضي الجماعة أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضي الإنكحة أبا عبد الله الأجي وأمرهما أن يبايعا ولدا الخليفة عمر فقالا كيف نبايعه ونحن شاهدنا بيعه أخيه أجدوا التزمناها وكان الحاجب ابن تافراجين نبيا فلما رأى امتناعهما قائل ادخلوا دار السلطان واستغلوا بصله وتكفنه فلما دخلوا حضر الحاجب المذكور أهل العقد والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه فلما خرج القاضيان وجد البيعة قد حصلت وكان في انتظار أحد المشهود له بالعهد وهو غائب بقصة خوف الفتنة فبايع القاضيان وكان ابن عرفة يستصوب فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا ويصعها ثانيا ثم قدم ولي العهد ووقع بينه وبين أخيه قتال وجرت خطوب كان في آخرها قتل ولي العهد وقتل وليه أبي المولود بن جزة أمير الكعبين من عرب سليم في آخرين منهم وقطع عمر أيضا أخويه عبد العزيز وخالد من خلأق قهلا وكان الحاجب أبو محمد

ابن نافر ارجين قد أحسن بالشر من جهة عمر المتقلب وتوقع النكبته من جانبه فقتل الى قصره وأخذ ما خفى من ذخيره ولحق بالسلطان أبي الحسن وقص عليه الخبر وأغراه بتلك افرقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها وكان السلطان أبو الحسن يعني ذلك لولا مكان صهره أبي بكر فاقام بتعين لها الاوقات وبتربطه الفرس حتى كانت هذه وانما تتبع المقالة في المرء اذا صادفت هوى في القواد فأظهر أبو الحسن الامتناع لما فعله عمر بانيه ولي العهد من منعه من حقه وألا تم لواقعة ثانية لاسيما وقد كان أعطى خط يده بالواقعة على العهد المذكور وقامع الحركة الى افرقية ولحق به خالد بن جزه بن عمر أخو أبي الهول المقتول مع ولي العهد فاستعداه على عدوه ففتح السلطان أبو الحسن ديوان الطاعون نادى في الناس بالمسير الى افرقية وأزاح عنهم وعسكر بظاهر نلسان ثم نهض في صفر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بغير الدنيا جملت بعد ان عقد لابنه الامير أبي غسان على الغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر في أموره كافة وجعل اليه جبايته وقدمت عليه في طريقه اعراب افرقية وولاء قابس وبلاد الجريد وأطاعته طرابلس والزاسو بجاية وصاحبهاوه ثذأ بوعيد الله محمد بن أبي بكر ياهن أبي بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه أبناء الامير أبي عبد الله بن أبي بكر فبايده وفاقبل عليهم وصرفهم الى الغرب وأترطهم بوجده وأقطعهم جبايتها وأزل بقسنطينة خلفاءه وعملاته وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب بجاية الى ندوة فأنزلهم وأوقفهم الكفاية من جبايتها ثم وقده عليه بنو جزه بن عمر أمراء الكعوب من سليم فاختبره باجفال عمر المتقلب بتونس مع طاعنة أولادهم لهل واستخشوه في اعتراضهم قبل لحاقهم بالقتل فشرح معهم العساكر في طلبه لنظر جواب يحيى العسكري وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطح الجبل منها ثم لوتحل على أثرهم وأغذ جواب يحيى السير مع ناجية أولاد أبي الليث فلحقوا بامر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدا فوجوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم أنزموا وكبا بمرجوا ده في ناقاه بعض اليرابيع وانجلي القبارعنه وعن مولا طاهر راجلين فقبض عليهم ما أوقفهم ما فاند العسكر يده حتى اذاجن الليث ذبحهما نحو فلان ان تقتكهما العرب من يده ويبحث برؤسهما الى السلطان أبي الحسن فوصل اليه ببجاية وخلص الغل من تلك الواقعة الى قابس فقبض عبد الملك بن مكي صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عثمان مشيخة الوحدين وصغير بن موسى من رجالات سد ويكش وغيرهما من أعيان الدولة فقبض بهم ابن مكي الى السلطان أبي الحسن مقرنين في الاصفا فاما ابن عثمان وصغير بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لغيتا الفقهاء بجرأتهم واعتقل الباقي وشرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصهره على ابنته يحيى بن سليمان من بني عسكر فاحتوا بتونس ثم جاء السلطان على أثرهم فقتل بظاهرها يوم الاربعاء الثامن من جادى الاخر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وقد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فأتوه طاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته متبطين بملكته وكانت تونس يومئذ مشهورة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرزاق وابن راشد القفصى وابن هرون والاعلام آخرون ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكبته لدخول الحضرة فصف جنوده بمطابقين من معسكره يسيمون الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مريز في مراكزهم من جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وعن عنقه وليه عريف بن يحيى كبير سويد ووليه أبو محمد عبد الله بن نافر ارجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ياه وهو أخو السلطان أبي بكر ووليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معقدين بقسنطينة فاطفهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا ذلك الموكب فيمن لا يحيى من أعيان بني مريز وكبرائهم وهدرت طبوله وخفت واياته وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفافا

الى ان وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش **وقال** ابن خلدون **يكون** يومان رمثله فيما عتقناه
وقال كان سن ابن خلدون يومئذ ثلث عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنى عشر وثلاثين وسبع مائة
 وكان قدم في جلة السلطان ابي الحسن جماعة كبيرة من اعلام المغرب كان يلزمهم شهو ويحمله ويحبل
 بكتفهم فيه ثم دخل القصر الخلفي وخلع على ابي محمد بن نافر اجين وقرب اليه فرما بسرجه ولبامه وطعم
 الناس بين يديه وانتشر والى منزلهم ثم دخل السلطان ابي الحسن مع ابن نافر اجين الى حجر القصر
 ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرابض المتصلة بها المدعوة برأس الطائفة فطاف على تلك
 البساتين وسرح قطره فيها واعتبر بحالها ثم أغضى منها الى معسكه وأترل يحيى بن سليمان بقصبة تونس
 في عسكر لحايتها ثم ارتحل من القصر الى القبر وان خالف في نواحيها ووقف على آثار الأولين ومما نفع
 الاقدمين والطول المائلة لصنماحة والعبيدين والنفس البركة في زيارة القبور التي تذكر الصحابة
 والسلف من التابعين والاولياء في ساحاتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهدي ووقف على ساحل البحر منها
 ونطوف في معالمها ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثار في الارض واعتبر باحوالهم
 ومرفى طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفأ راجعا الى تونس فاحتلها غرة رمضان من السنة
 وأزل المسالخ على نفور افرقيصة وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات العرب التي كانت
 لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخففت الاصوات وسكنت الدهاء وانقبضت أيدي أهل
 الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا انه عقد على وبنه لصره الفضل ابن السلطان ابي بكر
 اكراما لصره ووفادته عليه واتصلت بمالك السلطان ابي الحسن ما بين مسرارة الى السومس الاقصى
 من هذه العدو والى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحفر ملوك مصر والشام
 ماشاع من بسطته واتساح دولته ونفوذ كلمته والمالك لله بؤيته من يشاء من عبادته والعاقبة للفقين
 وقد كان الشعر ارفعوا اليه قصائد في سبيل التهنة بالغنى وكان سابق الحيلة ومثدا والقاسم الرحوى
 في قصيدة يقول في مطلعها

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب • فلكة هشت لقاء وثير

وهي طويلة تخطينها اختصارا والله تعالى ولي التوفيق عنه

وقال قاضي عراب سليم باقر بركة على السلطان ابي الحسن وما نشأ عن ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب ان جهو وهم كن من بني جشم بن معاوية
 ابن بكر وبني هلال بن عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور وان الذين بقوا منهم باقر بركة هم بنو سليم
 وبعض هلال وكان لهم استطلا على الدول واعتزاز عليها فكان ملوك الحفصيين يتلقونهم بالولايات
 والاقطاعات ونحو ذلك وكان السلطان ابي الحسن للرني حاله مع عرب المغرب الاقصى غير حال
 الحفصيين مع عرب افرقية وملكته لاهل ياديه غير ملكتهم لاهل ياديتهم فلما ورد افرقية واستولى
 عليها رأى من اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما تجاوز الحد المعتاد
 عنده فانكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه باعطيات فرضها لهم في الدوان من جلة الجند
 ولستكر جبايتهم فتقصم الكثر منها ثم شكا اليه اعيان من أولئك العرب وما ينالونهم به من
 الظلمات وضرب الامارة التي يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله وتقدم الى اعاليتهم منها
 فانابت العرب بذلك وفست ضمايرهم ونقلت وطأة الدولة المرينية عليهم فتبصروا وتغير والمها
 وتعاونت ذئابهم في وادهم فاجتمعوا واعر واعلى قباط بن مرين ومسايطهم في نفور افرقية حتى انهم
 أغار واعلى ضواحي تونس فاستاقوا الظهور الذي كان في مرعاها والسلطان ومثبها اعظم عليه ذلك
 وحقد على كبرائهم وأظم الجوينه ودينهم ثم وقد عليه أيام الفطر من رجالهم طالبن حجرة أمير بني كعب

وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله بن بني مسكين وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس فأترجم
السلطان أبو الحسن وأجل لقاءهم مغضبا عما صدر من غوغائهم ثم رفع إليه عبد الواحد بن الصباح
من أولاد الملوك الخفصيين أنهم يبعثوا إليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصّبوه
للإمارة بقرية وأنه خشي على نفسه ما دبره السلطان قبرا إليه من ذلك فقامت قيامة السلطان أبي
الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الخفصى معهم وقرره بمأدار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا
فوجههم وأمرهم فمضوا إلى السمين ثم فتح ديوان العطاء وعرض الخفصى لغزوهم وعسكر بسببهم
من طاهر تونس وذلك بعد قضاء نسل القطر من سنة ثمان وأربعين وسبع مائة واتصل الخبر بأولاد أبي
الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وجمع السلطان لغزوهم فضاقت عليهم الأرض بما رحبت
وانطلقوا في أحيائهم يحزبون الأحزاب ويستثيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهمل
فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبي بكر قد لحقوا بالقطر خوفا من أبي الحسن
لأنهم كانوا شبيعة لعمر المذكور فلما وقع بين أبي الحسن وبين أولاد أبي الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة
اليهم ومعه أمه ونساء أولادها قطار حوا عليهم ورجعوا إليهم في الاجتماع معهم على الخروج على
السلطان ومناذبه فكان أولاد مهمل اليهم من غير أن يطلبوا منهم وتوافت أحياء سليم من بني كعب
وبني حكيم بتوزر من بلاد الجريد قد صاروا متصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا
نفسا واحدة على تبائن أغراضهم وفساد ذات بينهم والتسوا من أعيان الملك من ينصبونه للإمارة فذهب
بعض سماسة الفتن على رجل من بني عبد المؤمن وهو أحمد بن عثمان بن أبي دوس آخر ملوك بني
عبد المؤمن وكان يحترف بالخطاطة في توزر بعد ما طوحت به الطواغيت فأنطقوا إليه وجاؤا به ونصبوه
للإمارة وجعلوا له شيئا من الفساطيط والخيل والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا
عليه بقيادتهم وحملهم ونحوا الفواعل نصرة ولما قضى السلطان أبو الحسن نسل عبد الأضي من السنة
المذكورة لم تحل من ساحة تونس يريد العرب فوافاهم بالوضع المعروف بالثنية بين بسبب تونس
وبسبب القيروان فاجلوا أمامه فابعثهم وأخ عليهم إلى أن وصلوا إلى القيروان فلما رأوا أن لا مجال لهم
منه عزمو على الثبات ونحوا الفواعل الأساقفة وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشغوبا بأعدائه
من بني عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبني توجين وغيرهم فمضوا إلى العرب أثناء هذه
التأوشة بأن يباغوا والسلطان غدا حتى يحضروا إليهم ويحجزوا عليهم ويحجزوا عليهم فاجلوا بهم إلى ذلك وصحبوا
معسكر السلطان من الغد فركب إليهم في التسمية ولما تقابلوا تحيز إليهم الكثير من كان معه واختل
مصافه فأنهزم هزيمة شنيعة وبادر إلى القيروان فدخلها فمعه من القتل مستعير إيهود دفع عنه أهلها
وتساقط العرب إلى معسكره فأنهزم به عافية من المضارب والعدو الآلات ودخلوا فسطاط
السلطان فاستولوا على ذخيره والكثير من حرمه وأحاطوا بالقيروان وزحف إليها حالهم فدارت
بها أسياجا واحدا وتعاوت ذئابهم بالطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت
أفريقية نارا وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبع مائة وبلغ الخبر إلى
تونس وكان السلطان قد خلفها عند درجيلة الكثير من أشائه وحرمه ووجوه قومه وأمناء بيت ماله
وبعض الحاشية من جند فقتلوا بالقصة وأحاط بهم القوغاه كي يستزلوهم عن فاضلتهم وأحاط بهم
وكانوا بها أملاك منهم وكان الأمير أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب في هذا
التاريخ فوافاه الخبر قرب القيروان فأنقض معسكره ورجع إلى تونس فكان معهم في القصة ثم نزح
أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبي الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد ستم عجمته وممل
خدمته لانه كان أيام مجيئه للسلطان الخفصى مستبدا عليه مقوضا إليه في جميع أموره فلما استوزره

السلطان أبو الحسن لم يحجره على تلك العادة لانه كان فاعا على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه وكان ابن نافر احيى نظن انه سبيل اليه أمر افريقية وينصب معه لما تكلمه الفضل ابن السلطان أبي بكر شقيق زوجته ورجل عزموا ان يهاجروه على ذلك فكان في قلبه من الدولة المرينية مرض وكان العرب أيام عزهم على الخروج بقاوضه بذات صدورهم فلما حصلوا على البقية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان احتالوا في أمر ابن نافر احيى فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعث اليهم ليقاوضوه في الرجوع الى الطاعة والانخراط في سلك الجماعة فاذن له فخرج اليهم ووصل يده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبي الحسن فقتلوه عجايبا سلطانهم ابن أبي دؤس ثم سرحوه الى حصار من بالقصبة من بني مرين وطسمعو في الاستيلاء عليها فوض ختامها فصار ابن نافر احيى اليها فاضم اليه أشياء من الموحدين في عزائف من الفواعة وأحاطوا بالقصبة ثم لحق به ابن أبي دؤس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتعت عليهم ولم يبقوا شيئا وابن نافر احيى في أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الأمور واختلال الرسوم الى ان بلغه خلوص السلطان أبي الحسن من القيروان الى سوسة وكان من خبره ان العرب بعد حصارهم لياه بالقيروان اختلعت كلمتهم ليدعوا وكان قد داخل أولاد مهمل في الافراج عنه واشترط لهم على ذلك أموالا ونذر بنو أبي الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن حزة منهم بمكانهم من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله وأطلق أخوه خالد وأحدوم مع ذلك فخر بطمش اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهمل وخليفة بن أبي زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدوه على الافراج عنه والقيام معهم حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليل على التسيعة وذكروا ان العرب تطأ أذناه وضبا عمتوشه الى ان استقر بسوسة وأمن على نفسه وقد أتى التيب على جبل ما كان معه ولم يسمع ابن نافر احيى وهو محاصر بالقصبة وصول السلطان الى سوسة تسلي من أمهاته وركب البحر الى الاسكندرية فاصبحوا وقد قتلوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن أبي دؤس لما علم بخبره فأنقض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخرج بنو مرين فاصبحوا بالبلد ونزوا منازل الحاشية بها ثم ركب السلطان أبو الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مائة فاجتمع ثملها واستتب أمره وكتب الى صاحب مصر في التقبض على ابن نافر احيى فأجابه بعض الأمراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن في اصلاح أسوار تونس وإدارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة مائة ألف دينار وفيه فخره وقوة بني بكره من بعده ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبي دؤس على تونس ونازلوا بالهسمن بها واستلقوا في حصاره ونخلت ولاية أولاد مهمل السلطان فعول عليهم ثم راجع بنو حزة بصائرهم وصاروا الى مهادنته فقتلهم السلم ودخل عليه عمر بن حزة وأخذ الخبيسة حتى قبض أخواته على أميرهم ابن أبي دؤس وقادوه اليه استبلاغا في الطاعة والمحاضا للولاية فتقبل قتلهم وأودع ابن أبي دؤس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حزة فزوج ابنة عمر بانه أبي الفضل واختلعت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبي الحسن في الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة أقامته بتونس الى ان كان ما ذكره والله غالب على أمره

فانتقاض الاطراف وفورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن واسنلاؤه على المغرب

قد تقدم لئان السلطان أبي بكر الحفصي رحمه الله لما تزوج ابنته من السلطان أبي الحسن بمصافحها زفافا شقيقها أبا العباس الفضل بن أبي بكر وان خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ولم يصل الى السلطان أبي الحسن عزاء عن مصاب أبيه ووعده بالمطاهرة على ملكه فبقي عنده بتلمسان الى ان تمض في صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقده على نوبة التي كان يولي عليها أيام أبيه فانقطع أمره وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوب على ملك سلفه وكان اهل قسنطينة وبجاية قد سقوا ملكة بنى مرين ورموا بولابهم
لخالفهم بعض العوائد التي كانت لهم مع الملوك الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قدر مختفى
فوسمهم جيلا به دجيل فصعب عليهم زرعها

نقل فؤادك حيث شئت من الموى * ما الحب الا لصيب الاول

كم منزل في الارض يا فقه الفتى * وحينئذ ابدأ الاول منزل

فاشرأبوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بركة القبروان واتفق أن قدم قسنطينة ركب من اهل
المغرب فاصدين الى السلطان أبي الحسن وكان فيهم عمال الجبابة قدموا بجيادهم عند رأس الحول
كاجرت به عاداتهم في ذلك ومعهم ابن صغير السلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج بعثهم
طاغيتهم بقصد التهنئة بفتح افرقية ومعهم تاشفين ابن السلطان الذي أسرى يوم طريف أطلقه الطاغية
بعد أن أصابه خيال في عقله وأرسل معه مديبة نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالى بعثهم السلطان منسا
سليمان بقصد التهنئة أيضا فتوافوا هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عباب الفتنة على افرقية فأراد
غواؤها انتاب مامعهم ثم تخلموا منهم في خير طويل وفي أثناء ذلك ثار الفضل ابن السلطان أبي بكر
صاحب بونة فراسله أهل قسنطينة في القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدموا بجوت خطوب واتصل
بأهل بجاية ما فعله أهل قسنطينة فقبعواهم على رأيهم من الانتقاض ونسوا على من كان عندهم من
حامية بنى مرين فاستلموا هم وأخروهم عراة واستدعوا الفضل بن أبي بكر من قسنطينة فبادر اليهم
واستولى على بجاية واستتب أمرها وأعاد القباب الخ لافة وبها هوى يحدث نفسه بفزو تونس ثار عليه
أبناء أخيه أبي عبد الله بن أبي بكر فاترعوا منه بجاية وردوه الى عمله الاول وانتقض على السلطان
أبي الحسن أيضا سائر زانته من بنى عبد الواد وعقراة وبنى توجين وبايع بنوعيد الواد لعنان بن عبد الرحمن
ابن يحيى بن نعمان بن زيان وساروا الى تلمسان فاستجبوا لها ملك سلفهم في أخبار طويلة وجرت هذه
الخطوب بوالسلطان أبو الحسن مقيم بتونس فعاد به العرب بالقتال وتراوده وتفرج عليه تارة وتستقيم
أخرى وطال مقامه بها وهيمت أنبأه على أهل المغرب وحدث في النطق الوفاء العظيم الذي عم المشرق
والغرب فارجف عواضا اضطربت الاحوال بالمغرب الثلاثة الأدنى والوسط والأقصى واتصل ذلك
بالامير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه عليها عند ذهابه الى افرقية حسب امر فلما أوجف
بملك أبيه وتسلط اليه الفضل من عسكره عراة رافات ووجدنا ناطول الى الاستئثار بملك أبيه دون
سائر اخوته وكان مرثعا عنده لذلك لم يذ فضل عليه في غير وصف وانفق ان كان عنده رجل من بنى
عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار وكان ينسب الى علم الحدنان ولما سافر السلطان الى
افريقية كل هذا الرجل أول المرجفين به وانه لا يرجع من سفره ثم ان الامر صار الى أبي عنان ونجى
ذلك في أبي عنان لوافقه هواه فاشتمل على ابن جرار وخلطه بنفسه فلما ورد الخبر بركبة السلطان
واخصاؤه أولا بالقبور انهم بتونس لم يستربأوا عنان في صدق ابن جرار وانه على بصيرة من أمره فقتل
للويسه وصهم على الثورة ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه منصور بن أبي مالك
عبد الواحد بن أبي الحسن فاحس الحديد وانه نازها وقع ديوان العطاء واستطرق واستركب ورام التخلب
على المغرب واحتل الامر لنفسه دون غيره وورث في ذلك بأنه انما عزم على الذهاب الى افرقية لاستنقاذ
السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتقاء وتظن لشأنه الحسن بن سليمان بن يزكن
عامل القصة فاحس صاحب الشرطة بالضياع فاستأذنه في الحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق
بأبي عنان على حين أمضى عزيمته على التوب فأخرج ما كان به من السلطان بالنصورة من المال
والذخيرة وجاهر بالاداء لنفسه وجلس بالبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع الثاني من سنة تسع

وأربعين وسعمائة فباعه الملائق وأقرأ كتاب يبيعهم على الأشهاد ثم باعهم العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورست قواعده ملكه وركب في التسيية والالفة حتى نزل بقية الملعب وطعم الناس وانتشروا وعقد على وزارة الحسن بن سليمان بن رزيك القادِم عليه ثم لغارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفاه ورفع مكان ابن جروا عليهم كلهم واختص لمناجاته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ثم فتح الديوان وجعل يستر كبل كل من تساقط اليه من قُلُوبِهم ويخلع عليهم وارثي إلى المغرب وعقد على نلسان لابن جروا وأزله بالقصر القديم منها فاستمر بها واستبدل إلى أن قدم عليه بنو عبد الواد بمحمد بن علي سلطانهم عثمان ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ولما انتهى الأمير أبو عثمان إلى وادي الزيتون وشي إليه الوزير الحسن بن سليمان وأنه عازم على الفتك به بتلوا تقر بالي السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته وأنه قد دخل في ذلك حافده منصور بن أبي مالك الناصر حاس وأطلعته هذا الوائشي على كتاب الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتلته خنقا في مساء ذلك اليوم وأغذ الصبر إلى المغرب وانتهى الخبر إلى منصور صاحب فاس فرحف لقائه والتقى الجماع وادى أبي الجراف من ناحية تاراقحتل مصاف منصور وانهمزمت جوعه ولحق بفاس الجديد فقصص بها وتبعه أبو عثمان فاتاخ عليه خارجا وقد تسابل الناس على طبقاتهم إليه وآؤه طاعتهم وكان قتلهم مع الرعية والجنس من البذل والاستلاف طريقا لم يسبق اليه وكانت منزلته لفاس الجديد في ربيع الآخر من السنة المذكورة فاختد بمنهجها جمع الأيدي والفعل على الآلات لحصارها ثم أرسل إلى مكاسة باطلاق أولاد أبي العلاء المعتقلين بالقصبة منها فاطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فأسا الجديد وضيقوا عليه إلى أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع إلى أبي عثمان أهل الشوكة منهم ثم ان ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بان أظهر التزوع عن أبي عثمان إلى منصور المحصور فدخل البلد وعكس منه وثار به فبين معه من حاشيته واقصمه الأمير أبو عثمان عليهم وزل منصور على حكمه فاعتقه إلى أن قتله بحجسه واستولى على دار الملك وتسابقت اليه وفود الأمصار للتهنئة بالبيعة وتسلك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم رجوعا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزول فقبضوا عليه وخذوه إلى أبي عثمان مبايعين له متقربين به اليه وتولى كبر ذلك فنهزم عيهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلي من آل الحسين السبط رضي الله عنه كان سفله قد انتقلوا من صقلية إلى سبتة فاستوطنوها ثم استوطنوا بعد هاضرة فاس واستوسق للأمير أبي عثمان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بني مريمن الامن أقام مع أبيه بنونس وفاقبجعه وحص جناح أبيه عن الكورة على بني كعب الناكثين لهذه الناكثين عن طاعته فاقام السلطان أبو الحسن رجة الله بنونس برجو الأيام وأمل الكرة والاطراف تنقش والحوارج تتجدد فقط من كان معه من حاشيته وسفوا المقام يارض ليست لهم بدار مقام فحسوا له النهوض إلى المغرب فأسعفهم وعزم على الرحلة فكأنه كره أن شاء الله وفي هذه المدة كتب اليه السلطان أبو الحاج يوسف بن الأحمر كتابا من أنشئه وزيره لسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويمنه عن مصابه ويتأفف له ونص الكتاب المقام الذي أقام سعد في انتظام واتساق وجياد عزه إلى الغاية القوي ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية لله تعالى عليه مديدة الرواق وأياديه الجفة في الاعناق أزم من الاطواف وأحاديث مجده معمر النوادي وحديث الرافق مقام محل أينما الذي شأن قلبه بالاهتمام بشانه وأعظم مطلوبوا من الله تعالى سعادته سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أضاف الله تعالى والصنائع الالهية تحط بيايه والالطاف للغبية تعرض في جنبه والتصر العزيز يحفز ركبته وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشحيحة لفراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذي له المحقوق المحنومه والفواضل المشهورة العلومه والحكرم المسطورة المرسومه

أصل الاثبات
المصليين

والمفاتيح المنسوقة المنظومة الداعي الى الله تعالى في وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة
المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب
عيم كما سطعت في غيب الشدة أو أوار الفرج وهبت نواسم الطاف الله عطره الأريج يخص مقامكم
الاعلى ورجة الله بركانه (أما بعد) جد الله جل الظلم بعد اعتكارها ومقتل الأيام من عثارها ومزمن
سماء الملك بشموسها المحيية وأثارها ومرجع القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ مصلب الرجسة
على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرابها ومتداركها باللطيف الكفيل بقميد
أوطانها ونسبها وأطوارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب
مجدها السامي وبخارها نبي الملاحم وخاتم تبارها ومذهب رسوم الفتن ومطغى نارها الذي لم
ترعه الشدة أندا بضطراب بخارها حتى بلغت كلمة الله ما شئت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها
والرضاء عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بهداه على أحلاء الهوادث وامرارها وباعوا نفوسهم في أعلاء
دعوتها الخفيفة وظاهرها والداخل لقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانصباب العناية
الالهية واسدال أستلها حتى تقف الأيام بياكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابكم ذنوبها راضية
في اغفرها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى اليكم أوفى ما كتب لصالحى السلوك من مواهب اسعاده
وعرفكم عوارف الآلاء في اصدار أمركم الرفيع وإبراده وأجرى القلق الدؤار بحكم مراده وجعل لكم
العاقبة الحسنى كما وعد به في محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من جوار غرناطة حرسها الله تعالى
وليس بفضل الله الذي عليه في الشدة أندا للاعتماد والى كف فضله الاستعداد ثم بركة جاء نبينا الذي
وضع هدايته سبيل الرشاد الا الصنائع التي تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر بسمائها بطولوع
السعد واستقبالها وتدل مخايل بمنها على حسن ما لها لله الحمد على نعمه التي زغب في كمالها ونستدبر
عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى
الله تعالى في اظهاره واتمامه ما لاني العبارة بحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا أيد الله
تعالى أمركم وعلاؤه وصان سلطانكم وقولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذي لا تقيره
الشوائب ما عندنا من الحب الذي وضعته منه المذاهب واعلمنا اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور
التي حببت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوفاية والنعمه لا يستقر
بقولنا القرار ولا تنافي باوطاننا الاطوار تشوقا لما نصحه لكم الاقدار وبرزه من سعادتكم الليل
والنهار ورجاؤنا في استئناف سعادتك يشند على الاوقات ويقوى عمل بان العاقبة للتقوى وفي هذه
الأيام حميت الانباء وتكالبت في البر والبحر الأعداء واختلطت الفصول والاهواء وعاقبت الوارد
الأنواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجهد لارتصالكم بكم حبيبا أو لنفي لاعانتكم مذهبنا لما
شغلنا البعد الذي بيننا اعترض والعذب سلحتنا في هذه الأيام دغس ولكن خديكم الذي رفع من الوفاء
راية خافقه واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص الاصفي
أبو محمد بن آجاساني الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتخير الى الحاق
ببنا ليتسرله من جهتنا القدوم وبنأثره باعانتنا الغرض المروم فيمنا نحن تنظر في تقيم غرضه
واعانتة على الوفاء الذي قام بقتضيه اذا اتصل بمتبرفر قورتين من الاجفان التي استغتمت على الحركة
والعزمة القترت بالبركة حطت احداها برسي المنكب والاخرى برسي المريه في كنف العناية
الالهيه فقتلنا من الواصلين فيها الانباء المحقة بعد التماسها والاخبار التي بقى نصها عن قياها
وتعرقنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم القرون بتالين والظفر وانكم استغتمتم الله تعالى في
الحاق بالوطن التي يؤمن قدومكم خافقها وبؤلف طوائفها ويسكن راجعها ووصل أجرواها

ويذهب أهوالها وانكم سبقت حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن
الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تلهيكم ألوان انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء
من وكونها واستبشار الأمة لمحمدية منكم بقرعة عيونها وتحقق ظنونها ولوتباح البلاذلي دعوتكم
التي ألستها ملابس العدل والاحسان وفلذتها فلان السرا الحسان ومامننا الامن يا حجاجي خيجه من
وجده وجهر يشكر الله تعالى وجمده وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتقيم قصده
واستئناس نور سعيه وكم مطل الانتظار بديون آمالها والمطاوله من اعتلالها وأمانحن فلا تسألوا
عن استعردنوتجيبه بعد طول منييه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر
ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنالنا انجاز ما بذلنا لخدمكم الذكور من الوعد واعتقنا صيقات
هذا السعد لصل صبه بأسبابكم وبسرح لحافه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن يسر الله تعالى بجموله
أسبابها ويغفر بينكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين به بالتيسيع
الكريم الوداد ونصل له على بعد الزار وتروح الاقطار سبب الاعتداد ما يضي عن القلم والمداد
وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يليقه الى مقامكم الرفيع العماد وكنتنا الى من بالسواحل من ولاتنا
نحتلم ما يكون عليه علمهم في بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الصكرية ذات الحقوق العظيمة
والا يادي الحديثة والقديمة وهم يسمون في ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جيل الاعتقاد ويعلم
الله تعالى اتنا لولم تقع العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة والاعداء الذين غصبتهم في الوقت هذه
الجزيرة ما قد نمانعنا على الحاق بكم والاتصال بسبيكم حتى نوفي لأبوتكم الكريمة حقها ونوضح
من المسرة طرفها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى نبتل في أن يوضح لكم من
التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن
قريب بتعريف أنباتكم السارة وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال
ضراعتنا وابتلائنا هذا ما عندنا بذورنا لعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفقنا لكرم الاخبار
بسعاده ملككم الساقى المقدار ويسر له من الاوطار ويصل سعديكم ويحرس مجدكم والسلام
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته اه

هـ كوكب السلطان أبي الحسن البهر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من الخن

في ذلك كان الامير أبو العباس الفضل بن السلطان أبي بكر الحفصى بعد أن لحق به جملة القديم من بونة
قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبي الليث وأغروه بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة
السلطان أبي الحسن بها فاجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر من سنة تسع وأربعين وسبع مائة
فحاصرها مدة ثم انقض عنها ثم عاود حصارها ثم انقض عنها ودخل القفر مع أولاد أبي الليث الى ان بايعه
أهل بلاد الجريد بأمره أبي القاسم بن عمو القطوع ودخل في طاعته وزور فضة ونقطة والحامة
وقابس وبرية وانتهى الخبر الى السلطان أبي الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستيصال
أمره بها وأنه نهض الى تونس فاهمه شأنه ونحش على الامر وكانت بطائنه توسوس اليه بالرحلة الى
المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الفلاء والموت للذريع فاجابهم الى
ذلك ونهض أساطيله بالاقوات وأزاح على المسافرين وما قضى نسل عبيد الفطر من سنة خمسين
وسبع مائة فركب البحر في فصل الشتاء وهيجان البحر وكاب البر بعد ان عقد لابنه أبي الفضل على تونس
ثقة بما يشه وبين عرين جزة من المصاهرة وتقاد يملكه من معرة الفوق عاود تورتم به وكانت مدة
محاصرة السلطان أبي الحسن بتونس ستة ونصفا واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبي بكر وهو ببلاد
الجريد فاغذ السيرة الى تونس ونزل بها على أبي الفضل المرنى ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته

ثم اتصلا بده يده أهل البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استزلوا أبا الفضل على الأمان
نخرج إلى دار أصداره من بني حرة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله إلى أبيه فلقى به بنجر الجزائر
وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الأكابر البحر معه فأنهم لما لججوا احتاجوا إلى الماء فدخلوا مرسى
بجاية لحسن أبا من أقالعهم عن تونس فنعهم صاحب بجاية الحفصى من الورد وأوعز إلى سائر
سواحله بفتحهم فزحفوا إلى الساحل وقتلوا من صددهم عن الماء إلى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
ثم عصفت بهم الرياح في تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت الأجبان وغرق الكثير
من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زوارة
عازى الجسد مبثرا للوت وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكباب والأشراف والخاصة
وهو يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لحسن من فوق العصور التي تعلقوا بها فكانوا يلبثهم على ذلك
وصحبهم جفن من بقية الأساطيل كل قد سلم من ذلك العاصف فبادر أهل الجفن إليه حين رأوه
فاحتلموه وقد تصاحب به البربر من الجبال وتواثبوا إليه حين وضع النهار وأبصروه فقد أركه الله بهذا الجفن
فاحتلموه وقد ذروا به في مدينة الجزائر **وفي فتح الطيب** أن أساطيل السلطان أبي الحسن كانت نحو
السمانة ففرقت كما هو نجاها على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو أربع مائة عالم
منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوق وأبو عبد الله محمد بن المصباح المكناسى الذى ألقى
في مجلس دوسه بمكة على حديث أبي بصير ما فضل التغير أربع مائة فائدة والاستاذان ولوى أبو العباس
وغير واحد وكان غرق الأسطول على ساحل تونس **وذكر** الشيخ أبو عبد الله الأبي في شرح مسلم
كلامه على أحاديث العيين ما مضاه أن رجلا كان بتلك الديار معروفا بأصاية العين فقال منه بعض
الموتورين للسلطان أبي الحسن أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو السمانة فنظر إليها الرجل
العائن فكان غرقها بقدره الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان نفسه وجرى عليه من ٨٠ ولما احتل
بالجزائر وقد عسك أهلها بطاعة استشرق رج الحياة ولأم الصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل إليه
من قلى الأساطيل واستلحق واستركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب
من أحواز الجزائر ووقد عليه أولياؤه من عرب سوديقض إلى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنو زيان
وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز إليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف
السلطان أبي الحسن واستنجم معسكره وانتهت فساطيطه وقتل ابنه الناصر وظهر يومئذ من بسالته
ومصدق فاعه وشدة جلالة حتى أنه أركب ظمائه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جري يحاققوف
بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ثم خلص إلى الصحراء مع ولده وزمار بن عريف بن يحيى
السويدي ولحق بحمل قومه قبله جبل وانشرىس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومبنت
عزه ودار ملكه فارتحل معه ولده وزمار بالنجاعة من قومه فخرجوا إلى جبل راشد ثم قطعوا المغاور
إلى مصلماسة في التفر فلما أطالوا عليها وعان أهلها السلطان ثم اقتوا عليه ثم أفت الفراض على ضوء
السراج حتى خرج إليه العذارى من ستورهن ميلا إليه ورغبة في ولايته وفر العامل بمصلماسة إلى
منبائه وكان الأمير أوعنان للبلغة الخبير بقصد أبيه مصلماسة فنهض إليه في قومه وجوع بعد أن أراح
عاهم وأفاض عطاء فيهم وكانت بنو مرن نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته لجنايتهم
بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولا كان يبعدهم في الأسفار ويتجشم بهم المهالك والخطار
فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخاضين في طاعة ابنه ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن
علم من حاله أنه لا يطيق دفعهم وكان وزمار قد أحفل عنه في قومه سويدلان أباه عريف بن يحيى كان
قد نزح إلى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكتب إلى ابنه وزمار ينياه

عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرتة وأقسم له أن لم يفارق السلطان ليوفقه بآبته عنتر وكان معه في جلسته الأمير أبي عنان فأقر وزمار رضاءه وعلم أن غناه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق بيسكرة فكان بها إلى أن رجع إلى أبي عنان بعد هذا ولما قرب أبو عنان من مصلحامة أجفل السلطان عنها إلى ناحية مراکش ودخل أبو عنان مصلحامة فتفتط أطرافها وستفر وجهها وعقد عليها البختان بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار إلى مراکش فاعتزم على اتباعه إليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم إلى فاس إلى أن كان ماخذ كره

فجاسه لئلا السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهمزاه عم إلى هنتانة أهل جبل درن ووفاته هنالك
 لما أجفل السلطان أبو الحسن عن مصلحامة سنة إحدى وخمسين وسبع مائة قصد مراکش وركب إليها الأوعار من جبال المصامدة ولما شرفها تسارع إليه أهل جهات ما بالطاعة من كل أوب ونسألو إليه من كل حذب وفرع أهل مراکش إلى أبي عنان وترجع إلى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان الجلباية أبو محمد بن محمد بن أبي مدين بما كان في اغترابهم مال الجلباية فاخصه واستكنبه وجعل إليه علامته واستركب واستنطق وجي الاموال وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جنم وسائر المصامدة وناب له بمراكش ملحقه معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمهه وكان أبو عنان لما رجع إلى فاس عسكره يسأحه وشرع في العطاء وازاحة العلل ثم ارتحل في جوع بني مرين إلى مراکش وبرز السلطان أبو الحسن للقاءه وانتهى كل واحد من الفريقين إلى وادي أم الربيع وترى كل واحد بصاحبه عبور الوادي فعبره أبو الحسن وكان اللقاء بئامد غوست في آخر صفر من سنة إحدى وخمسين وسبع مائة فاختل مصاف السلطان وانهمز عسكره ولحق به أبطال بني مرين ثم رجعوا عنه وجاءه هبة وكبي بمفره يومئذ في مقره فمقط إلى الأرض والقرى فانعم حوله فاعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الزاودة من عرب رياح وردف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جلسته إلى هذا اليوم فدافع عنه حتى ركب وصار من ورائه رداءه وأسر حاجبه علال ابن محمد فادعاه أبو عنان السجين ثم أمان عليه بعد وفاة أبيه وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله إلى جبل هنتانة من جبال درن ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاني فنزل عليه وأجاره واجتمع إليه الملا من قومه هنتانة ومن انضاف إليهم من المصامدة وتآمرهم واتفقوا على المدافعة عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هنتانة ورتب المسالح لحصاره وحر به وطال عليه ثوابه حتى طلب السلطان من ابنه الإبقاء عليه وإن بيعت إليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان وأقسم له الرضا منه فرضي عنه وكتب له ولاية ممره وأوعز إليه بأن يبعث له مالا وكسب فسر ح الحاجب ابن أبي عمر بانواجهام المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فشره وأولياؤه وخاصته واقتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء للطله فورم محفل الفصادة وملت رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشلة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر إلى ابنه وهو بمسكرة من ساحة مراکش ورفعوه على أعواد نعشه إليه فلقاه فافيا حمارا وقيل أعواده وبكى واسترجع ورضي عن أوليائه وخاصته وأترهم بالمحل الذي رضوه من دولته ثم دفن أباه بمراكش قبلي جامع المنصور من القصبه بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الأشرف السعديين ثم لما مضى أبو عنان إلى فاس احتفل شواييه معه حتى دفنه بشلة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والأترا إلى الآن رحمه الله تعالى

في بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته

كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أمر بطول القامة عظيم الهيكل معتدل البنية حسن الوجه وكان عظاما ثلاثا إلى التقوى مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لافي صغره ولا في كبره محبا للصالحين عدلا في رعيته يحب الغنى ويعني به وقال بعض المشرق في حقه ما صورته ملك أضاء المغرب بأفوار هلاله وجرت إلى المشرق أنوار فواله وطابت نعماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذابلا غفور راعه وشهامه وشجاعه اهـ وبني رحمه الله عدة مدارس في منهاج المدرسة العظمى بمراكش قبل جاع ابن يوسف في قال العلامة البغدادي في التزكية ان الذي بناها هو السلطان أبو الحسن المذكور في قلت في ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل تخيدها وتيقفها فقدر هذا السلطان وعلم عظم همته ومحبة العلم وأهلها في منهاج المدرسة العظمى بطالمة - الا قبل المسجد الاكبر منها بناها رحمه الله على هيئة بيعة وصنع فريقة وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخرم ما يجير المصير ويدهش الفكر ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفي منها كل ذلك محاطة على تلك الأوقاف أن تثير وأما المسجد الاكبر ومدرسته الجوفية فهم امن بناء يعقوب النصور الموحدى حسبما تقدم ذلك في أخباره وعندي ان السور المحمول عليه الماء الدخيل إلى سلا المعروف عندهم بسور الاقواس من بناء السلطان أبي الحسن رحمه الله تعالى في ذلك مستند غريب وهو اني كنت ذات يوم أفاوض بعض القناصة بسلا من كان يباشر أمر المياه بما يصلح ما احتاج إلى الاصلاح منها فقلت كلستهم لنفسي من غير قصد توجيه الخطاب إليه يأتري من الذي بنى سور الماء الداخل إلى البلد فقال علي البيعة الذي بنى المدرسة هو الذي بنى سور الماء فقلت له وكيف كنت متشوقا ثم ذهلت في تحقيق ذلك وما علمت بهذا فقال ان بيعة المدرسة بنيت يوم بنيت المدرسة بدليل الربيع المرسوم حولها العمل الكبير الموجود تطيره في سائر حيطان المدرسة وسوارها وهذه البيعة لم تتغير عن حالها إلى ان باشرت اصلاحها في هذه الايام فحفر عن قناتها وتبعته مادة الماء الواصل إليها فاذا عمل تلك القوادس وصنعت بنائها حتى الكلس المخرج عليها الجامع بينها ما نزل لعمرك قنات مبنية بالسور المذكور داخله فيه بحيث بنى عليها يوم تأسيسه من غير فرق بين هذه وتلك في جميع عملها قال وليس شيء من القنات الحادثة بعدهما يشبههما فقلت ان الذي بناهما واحد فأجبني كلامه وباحثته في ذلك ففهم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتسكك فظهر لي صدق دليله وغلب على ظني ما يزعمه وعند الله علم حقيقة الامر في واعلم ان هذا السور من المباني العاديه والمباني العظيمة التي تدل على فخامة الدولة وكما قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاج ونحوها وهذا السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة تمتد من القبلة إلى الجوف على أضيق بناء وأحكامه موزون سطحه باليزان الهندسي ليتأني جريان الماء فوقه على استواء ولذلك يفيض إلى الارض متى ارتفعت ويعلو عليها اذا انخفضت ويجري على منتهى من الماء مقدار النهر الصغير في ساقية قد اتخذت له ولما شارب البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض عنه وكلما مر في سيره بطريق مسلوكة فتحت له فيه أقواس فسمي لذلك سور الاقواس (وبالجملة) فهو شاهد لبيان به ضخامة الدولة وعظم المهمة والسلطان أبي الحسن رحمه الله بفاس ومكاسة وغيرهما من بلاد المغرب آثار كثيرة فمن آثاره بفاس بيعة الرخام الأبيض المحلوس من المرمر زنتها مائة قطار وثلاثة وأربعون قطار أسبقت من المرمر إلى مرسى الغرائش ثم طلعت في وادي قصر كامة ثم جلت منه على جبل الخشب تجرها القبايل إلى منزل أولاد محبوب الدين على ضفة وادي سبوا فوسقت فيه إلى ان وصلت إلى ملتقى مع وادي فاس ثم جلت على جبل الخشب أيضا تجرها الناس إلى ان وصلت إلى مدرسة الصهرج التي بمدوة الاندلس ثم نقلت

من بعد ذلك بأعوام إلى مدرسة الرخام التي أمر دوحه الله ببنائها جوف جامع القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ومصباح هذا هو أبو الضياء مصباح بن عبد الله البالي المصوني الفقيه المشهور وأغناص إليه لأن السلطان أبا الحسن لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للمدرسة فاقسبت إليه وقد تقدم لنا خبر المدرسة التي بناها في جامع الاندلس أيام أبيه وأخفى عليها أكثر من مائة ألف دينار وهو من آثاره بمكة الزيتون في الزاويتان القدي والجديدة وكان بنى القدي في زمان أبيه والجديدة حين وفي الخلافة له في هذه المدينة عتة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قد تم للنظر على بنائها فاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بنؤها جاء اليها من فاس ليقيم عليها ويرى عملها وصنعها فتعدي كرمي من كراسي الوضوء حول مهرجها وجى بالرسوم المتضمنة لتنفيذات اللازمة فيها فترفع في المهرج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد

لأبأس بالقالى إذا قيل حسن • ليس لما قربت به العين عن

وكان له معرفة بالشعر فنشعره قوله

أرضى الله في سر وجهه سر • وأجى العرض عن دنس ارتياب

وأعطى الوفير من مالى اختيارا • وأضرب بالسيف على الرقاب

وأخبره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فليطلب كتاب الخطيب ابن مرزوق الذي ألفه في دولته وسيرته وسماه للسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن ولما ذكر الوزير ابن الخطيب في كتابه رقم الحلل هذا السلطان وصفه بقوله

الملك المدود من خبر سلف • ومجمع القول إذا القول اختلف

الدين والعفاف والجلالة • والعز والقدرة والجزالة

والعلم والحلم وفضل الدين • وصغوة الصغرة من مربي

محمد الملك ومسدى المتن • وواحد الدهر ونحو الزمن

باني المباني الخبة الشريفة • بمقتضى همته المنيفة

وتلوك المدارس الطريفة • شاهدة بآثاره الخليفة

وقاطع الدهر بغير المسو • في مجلس معظم أوجهو

أما التدريس وعلم يدرس • أولب لادن عدو تحرس

أولاباد في عبادت نفس • أولثواب ورضا يلتمس

أونسخ قرآن وعرض حوب • أو عسدة ممسدة لحرب

٨١

هو من أعيان وزرائه عامر بن فخر الله السدراي وعبد الله بن ابراهيم الغودودي وهو من أعيان كتابه هو أبو محمد عبد المعين الحضرمي وأبو محمد محمد بن أبي عبد الله بن أبي مدين النعماني وأبو الحسن علي بن علي القبالي النخعي رحم الله الجميع عنه وهو منذ كرم ما كان من الأحداث في هذه المدة هو في سنة سبع مائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق نلسان الجديدة السمعة بالمسورة حسبما تقدم أخبر عنها استوفى وهو في سنة إحدى عشرة وسبع مائة كان القبط بالمغرب فاضنقى الناس وخرج السلطان أبو سعيد ماثبا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه العلماء والفقهاء والقراء يدعون الله تعالى وقدم بين يديه خيواه صدقات وفرق أموالا وفي يوم السبت بعده خرج في جندته إلى قبر الشيخ أبي يعقوب الأشقر بجبل الكتندون فدعا هناك ورحم الله تعالى عباده ونعت أرضه وبلاده وهو في سنة تسع عشرة وسبع مائة توفي الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف

بالصغير بضم الصاد وفتح السين وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب في الاطاحة وكان ربعة آدم
القون خفيف العارضين يلين أحسن زى ويد من بجامع الاجدع من فاس يقعد على كرسى عال
ليسمع القريب والبعيد على انخضاض كان في صوته وكان حسن الافراء وفور واصبور وابنتا وكان
أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك
فضول القول ولاء السلطان أبو الربيع القضاء بفاس وشذعضده فخرى في العدل على صراط مستقيم
وفي سنة احدى وعشرين وسبعمائة هـ توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي
المراكشي المعروف بابن البناء الامام المشهور في علم التعاليم والميمنة والنجوم والازياج وغير ذلك وكان
رجه الله عز وجل معروفاً بتابع السنة موسوماً بطهارة الاعتقاد منعوتاً بالصالح وكان انتفاعه بعصبة
الشيخ أبي زيد الخضر مري رضى الله عنه وفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة هـ في ذى القعدة منها
هبت ريح شديدة بفاس ومكاسة وأحوازها واستمر هبوبها يومين وليستين فعاقت عن الاسفار
وهدمت الدور وقلعت الانحجار وفي سنة ثلاث وعشرين بعد هـ في المحرم منها هبت العواصف العاصية
للشرق من عيون منهاجة بأحواز فاس بدم عبيط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها
وفيها كان المطر العظيم والثلج الكثير بالغرب وعدم الفهم والخطب حتى بيع الفهم بفاس بدرهمين للربط
وفي جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبير بفاس فحذاه السلطان أبو سعيد من باب مدرسة
العطارين الى راس عقبة الجزارين وعقد عليه هناك باباً ضخماً وأفرده لطلّ طارين دون غيرهم وفي سنة
أربع وعشرين وسبعمائة هـ كانت الجماعة بالغرب وارتفعت الاسعار في جميع البلاد فبلغ المذمن القمح
بفاس خمسة عشر درهماً والصفحة منه تسعين ديناراً وغلادام وهدمت الخضر بأسرها وكسى السلطان
أوسعيد وأطعم في هذه السبعة شياً كثيراً ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها وفيها في يوم
الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفها مصاب عظيم وظلمة شديدة ورياح
عاصفة أعقب ذلك برداً كثيراً عظيم الجرم وزن الواحدة منه ربع رطل وأقل وأكثر وزناً في خلاله مطر
وابل جاءت منه السيول طامة حلت الناس والدواب وأهلكت جميع ما يجيئ من الزرع من الكروم
والزيتون وسائر الشجر وفي سنة خمس وعشرين بعد هـ ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى
منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد يأتى عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق وأهلك
الافاضة الخلق حتى خيف على البلد التلف وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة هـ انتهى تاريخ ابن
أبي زرع المعنى بالانيس المغرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس وعما هو
الغاية في باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال حضر أسيادنا مجلس السلطان أبي الحسن وقد رقع اليه
امرأتان من أهل الجزيرة الخضر امور ردة حبسا أنفسهما عن الاكل جلة منذ سنتين وشاع أمرهما
ووقع اختيارهما فقم شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما أيضاً الشيخ أبو عبد الله
محمد بن محمد بن أحمد القرطبي في كتابه السمي بالمحاضرات قال وردت على تلسان في العشرة الخامسة من
المائة الثامنة امرأة من ردة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما اشتهر هذا من أمرها
أنكره الفقيه أبو موسى ابن الامام وتلى كتاباً كل الطعام فأخذ الناس يشربون ثقات نسائهم ودهاتن
اليها فاكشفوا عنها بكل وجه يمكن فلم يقض على غير ما ذكره وسئلت هل تشربين الطعام فقالت هل
تشربون التبن بين يدي الدواب وسئلت هل ياتيهائي فأخبرت انها صامت ذات يوم فأدركها الجوع
والعطش فقامت فأتاها آت في النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاق وجدت نفسها قد
استغثت فهي على تلك الحال توثق في المنام بالطعام والشراب الى الآن ولقد جعلها السلطان في موضع
بقصره وحفظها بالعدل ومن يكشف عما عسى تجيء أمهاتها اذا أتت اليها أربعين يوماً فلم يوقف لها

على أمر قال بيد أي أردت أن يزداد في عدد العدول ويضم اليهم الأطباء ومن يخوض في العقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم وبكل من نساء الفرق من يبالغ في كشف من يدخل اليها ولا يترك أحدا يخلوها (وبالجملة) يبالغ في ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لاحتمال أن يقلب عليها طبع تستغنى في فصل دون فصل ثم يكتب هذا في العقود يشاع أمره في العالم وذلك لأنه يمد حكم الطبيعة الذي هو أمر الأحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب أن الاقترانات بالعادة لا بالزوم وعند الأسباب لا بما إلى غير ذلك الا اني لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع برأسه لاثار الدنيا على الدين فأنالله وأنا اليه راجعون فقال المقرئ وقد ذكر ان امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحذتنى غير واحد من الثقات عن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك وان عائشة بنت أبي بكر يعني زوجة السلطان أبي الحسن التي استشهدت في طريق اختبرتها أربعين يوما أيضا لوكم من أية أضيعت وجهه نسبت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة وكذلك الوباء العام القريب فروطه وشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره وكلم فيه من أدلة على أصول الملة اه كلام الشيخ أبي عبد الله المقرئ رحمه الله ويعني بالوباء القريب فروطه وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بنونس فانه كان وباء عظيم لم يمهده مثله قد عم أقطار الارض وتعبف العمران جلة حتى كاد يأتى على انطفئة أجمع والامور كلها بيد الله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

في الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس من أبي الحسن رحمه الله

كان هذا السلطان محبوبا في قومه وعشيرته أنيراعنده والده مقيم بذلك عن سائر اخوته لفضله وعلمه وصيافته وعفافه واستظهاره القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة أمه أم ولد ورومية اسمها شمس الغنى وقبرها بشالة معروف الى الآن رأيت مكتوبا عليه بالنقش انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمس وسبع مائة ودققت اثر صلاة الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفارس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبع مائة ويبيع في حياة والده يوم ثار عليه بلمسان حسينا قدعنا الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء من ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبع مائة ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هنتانة وانقضى شأن الحصار لو تحل السلطان أبو عنان الى فارس ونقل ملأوا يسه الى شالة فدفعه هو وأغذا السيرة الى فارس وقد استتب أمره وخلا له الجوف فاحل بدوا ملكه وأجمع أمره على غزو بني عبد الواد لا رتج ما يديهم من الملك الذي تطلوا اليه ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة نادى بالعباء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد بلمسان وانفصل خبره بسلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزباني فجمع له قومه ومن شايعهم من زناتة والعرب ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء بسيطا انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المرينيين وقت القائلة وعند ضرب الابنية وسقاء الى كاب واقتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فملأوا عليهم وأجملوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافى الامر وخاض بحمر القتال وقد أظلم الجوف بالغار حتى اذا خلاص اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار واتبع بنو مري أن تارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم فتلأوسيا وصفدهم بأسرى ولم يزالوا في اتباعهم الى الليل وتقبضوا على سلطانهم أبي سعيد فاقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله وتقدم على التبعية الى بلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوتب في ملكها قدمه وأحضر أباه سعيد فوجده وأراه أماله حسرات عليه ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فاقوا بجرأته وقتله فأمضى حكم الله

فيه فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت إلى قاصبة الشرق بعد أن احتفل معه
 حرمه وحرم أخيه ومختلفهم واحتل وادى شلف من بلاد مغراوة فمسكروا هناك واجتمع عليه أوشاب من
 زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والتبات واتصل خبره بالسلطان أبي عنان فصرح إليه وزيره
 فارس بن ميمون في عساكر بني مرين والجنود فاغذ السير إليهم ثم لوت لجنود السلطان أبو عنان من تلسان على
 أثره ولما تراءى الجنان تصادقا الحلة وناض النهر بعضهم إلى بعض ثم صدق بنو مرين الحلة فاجتازوا النهر
 وانكشف بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا
 نساءهم وأموالهم ودوابهم وكتب الوزير بالقنق إلى السلطان أبي عنان وفر أبو ثابت إلى قاصبة الشرق في
 نفر من عشرين تونين أبيه فاعتزضهم قبائل زواوة فانتبهوا أسلاهم وأرجلهم عن خيولهم ومروا على
 وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وكتب الوزير إلى أمراء النفور في شأن أبي
 ثابت وأصحابه فأذكروا البيون عليهم وقصدوا لهم بالمراسد حتى عثر عليهم بعض الحشم فقبضوا على أبي
 ثابت وابن أخيه أبي زيان بن أبي سعيد المقتول ووزرهم يحيى بن داود فرعوهم إلى أمير بجاية أبي عبد
 الله محمد بن أبي بكر الحضي وكان خالصة السلطان أبي عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده
 حتى وفد عليهم عليه بليدة فأكرم السلطان أبو عنان وفادتهم بركب لقائه ولما تراءى نزل الحضي عن فرسه
 اعطاهما للسلطان فقتل السلطان مكافأة له ولقائه مرة وكرامة وأودع أبا ثابت الحصن وتوفت إليه وفود
 الذواودة بكنه من المدينة فأكرم وفادتهم وأسنى عطاياهم من الخلع والحلن والذهب والفضة وانقلبوا
 خير منقلب وواقعه بكنهه ذلك ليلة ابن مرنى عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم وفرغ
 السلطان أبو عنان من شأن المغرب الأوسط وبث عماله في نواحيه ونفق أطرافه وسعى إلى غلبت إفريقية
 على ما تذكركه إن شاء الله

في غلبت السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها

لما وفد أبو عبد الله الحضي على السلطان أبي عنان بليدة في شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة
 وبات في أكرامه ناجاه بذات صدره وشكا إليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في
 الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان أبو عنان متشوقا لثقلها فآشار
 عليه بالتزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده فسارع إلى قبول ذلك ودس إليه السلطان مع حاجبه
 محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤس الملائع فعل وعوضه عنها مكاسة الزيتون ونقم بطانة الحضي
 عليه وترع بعضهم عنه إلى إفريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه إلى عامله على بجاية
 بالتزول عنها وتعيين عمال السلطان منافع فعل وعقد أبو عنان عليها العمر بن علي الوطاسي من بني الوزير
 الذين قدمنا خبر فوزتهم بمصن نازوطا أيام يوسف بن يعقوب ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من
 المغرب الأوسط واستولى على بجاية فغزاه إفريقية أنكفأ رجعا إلى تلسان لشهود عبد الفطرم وأودخلها في
 يوم مشهود وجل أبا ثابت الزياتي ووزيره يحيى بن داود على جليلين ودخل معهما تلسان بخطوان هما في
 ذلك الحفل بين السعاطين فكانا ناعرا من حضر ثم جنبا من الغد إلى مصارعهما فقتلا فغصبالو ماح والى الله
 عاقبة الامور

في ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها

لما قدم عمر بن علي الوطاسي بجاية واستقر بها اتقى أمره على نفوس أهلها لآلئهم ملكة الحفصيين
 وانصباغهم بالليل إليهم فربصوا بالوطاسي الدوائر وكان أبو عبد الله الحضي قد استعصب معه في وفادته
 على السلطان أبي عنان حاجبه فارماولى ابن سيد الناس فلما نزل للسلطان عن بجاية تقم فارح عليه ذلك

وأسر هاني نفسه الى أن بعته الحفصي المذكور مع الوطاسي لينقل حرمه ومناعه وما عاون دلاؤه الى
المغرب فأنتهى الى بجاية وينفاهو ويحاول ما أرسل في شأنه شكاليه الصنهاجيون سواء ملكة بني مرين
فجمع كلامهم فيه ونفث لهم عاينده من الضغن ودعاهم الى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين
فاجابوه الى ذلك وتواعدوا للعقد بعلي بن عمر الوطاسي يجلسه من القصبة وتولي كبرها منصور بن ابراهيم
ابن الحاج من مشيختهم وباكره في دلاؤه على عادة الامراء ولما أكسب عليه ليلتم أطرافه طعنه بخنجره ثم
ولج عليه الباقون فاستلموه وذلك في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد
وهتف المهااتف بدعوة أبي زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة وطبروا اليه بالخبر
واستدعوه فشقاق عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبي عنان فاتهم بأباعد الله الحفصي عدا خطه حاجبه فارح
في ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أمراء بجاية كانوا يبايعه ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا
أمرهم في الرجوع الى طاعة السلطان أبي عنان واتفق رأيهم على أن يرفعوا هذا الخرق ويستوا هذه
الثلة برأس الحاجب فارح وصناجة التأثيرين معه وداخلهم في ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس
ولما عزمو على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى المسجد ليفاوضوه فيما تزلهم فأحسن بالثرو ولجا الى دار
الشيخ أبي العباس أجد بن ادريس الجبائي امام بجاية ومفتيها فاقضمو عليه الدار وباشره مولاه محمد
ابن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار فاحتز وأرأسه وبصوابه الى السلطان أبي عنان
وفر منصور بن ابراهيم بن الحاج وقومه صناجة عن البلد ومرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه بأباعد
الله محمد بن أبي عمرو في الكتاب فدخلها فاقض سنة أربع وخمسين وسبعمائة وذهبت صناجة في كل
وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بنونس وتقبض الحاجب ابن أبي عمرو على جماعة من غوغا بجاية المتهمين
بالخوض في الفتنة يناهزون الماتنين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب فاطمان الناس وسكنوا
وتوافدت به وفود الذواودة من كل جهة فاقول صلاتهم ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مرني فأكرم
وفادته ثم ارتحل الى تلمسان غرة جادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة وجوه بجاية فحال
ابن خلدون في كنفه ومثني جلهم فجلس السلطان للوفد وعرض حاجب اليه من الجياد والهدايا
وكان يوما مشهودا وانصرفوا الى موطنهم فاقض شعبان من السنة المذكورة قالوا انقلب مع الحاجب
بعد اسناء الجائزة وانطلق والحلان من السلطان والوعدا الجليل بتجديما الى قوى يلدى من الاقطاعات
ولما احتسب الحاجب ابن أبي عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث
وتجهيز الكتاب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من ناشقين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك
للفتنة وأوفد أوزيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وفادته وشكره عليه
واثكفا الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية وأقامها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة
فذهب جريد السيرة عند أهل البلد وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد
وزرائه فقبض اليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلطت على الحاجب قبله
وسيرته وجهاز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من قضيها ما نذ كره بعد أن شاء الله

﴿خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن يلاذ السوس ثم مقتله عقب ذلك﴾

قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل
هذا وأنه لما أقام عن نارا أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق أبيه فكان معه الى أن
هلك وخلص الأمر الى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ففكر أبو عنان في أمرها وخشى
عبسة ترشيحهما فأفخصهما الى الأندلس ليكونا مع القزاة والقراية في أيلة السلطان أبي الحاج يوسف
ابن الأحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استعمل أمره واعتبر

سلطانه أخذ الرسل الى أبي الحجاج في أن يشفعهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف
 ما اذا باع عن حضرة وخشي أبو الحجاج فائتته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر
 ذمته ولا يسيء مجوار المسلمين المجاهدين لديه فغضب السلطان أو عنان ذلك وقام وقعدوا أمر حاجيه ابن
 أبي عمرو أن يكتب اليه ويبلغ في التوبيع والوفق ففعل الحاجب المذكور فقال ابن خلدون في وفد
 أو قضي الحاجب على ذلك الكتاب بجاية قضيت عجا من فصوله واغراضه ولما قرأه أبو الحجاج ابن الأحرر
 دس الى أبي الفضل وصكان أكبر الأخوين بالحق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة ففرغ اليه
 أبو الفضل وجهز الطاغية أسطولاً أركبه فيه وأترقه بساحل السوم من أرض المغرب ونذر السلطان
 أو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فأعترضه وأوقعه وكتب ابن الأحرر
 أنه ذلك كتبنا الى السلطان أبي عنان يستدعي أمر أبي الفضل من إنشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب
 ونسبه المقام الذي شهد الليل والهلب بأصاله سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم إرادته وتعود الظفر بين
 يناويه فاطر دوا الحمد لله برآي عادته فوايه متحقق لأفادته وعدوه مرتقب لأبادته وحل الصنائع
 الالهية تصفو على اعطاف مجادته مقام محل أنينا الذي سهم سعدة صائب وأمل من كاده خاسر
 خائب وسير الفلك الدار في مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصبها الانطاف الجهاب فسيان
 شاهد منه في عصمة وغائب السلطان الكذاب السلطان الكذاب الله تعالى مسدد السهم ماضي
 العزم تجمل سعوته عن تصور الوهم ولا زال مرهوب الحمد بمثل الرسم موفور الخلف من نعمة الله
 تعالى عند قدس القسم فأتوا بلغ الخصاص عند ذلك نصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج عبادته الله
 تعالى له من اعزاز نصره وظهار أمره فلان سلام كريم طيب برعم يخص مقامكم الاعلى ومناياكم
 الفضلى التي حازت في الفخر الامد البعيد وفازت من التأين والنصر بالخط السعيد ورجة الله تعالى
 وبركاته أما بعد الله الذي فسح للكم الرفيع في العزمى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر
 على أعدائه يوم اغدا وحر من سماعلائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن بجده شهابا
 رسدا وجعل نعيم آمله وحسن مآله فيلسا طردا فرب من يمد يده ضربه نفسه وهاد اليه الجيش
 أهدي وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ورسوله الذي ملا الكون نوراً وهدى
 وأحيا اسم الحق وقد صارت طرائق قندا أعلى الاناميدا وأسر فهم محمدا الذي بجابه نلس
 أبواب السعادة جردا وتفرغ بالنعيم الذي لا ينقطع أبدا والراضع آله وأصحابه الذين رضوا السعادة
 سنته عمدا وأوضوا السبل اتباعه مقصدا وتقبواوا شيمه الطاهرة ركما وصيدا سيوفاعلى من
 اعتدى ونجوم الما اهدى حتى علت فروع ملته صيدا وأصبحنا وهامديا نخلدا والدعاء المقامكم
 الاسمي بالنصر الذي يتوالى مشى وموحدا كاجمع للكم ما تفرق من الاقارب على توالى الاحباب
 فجعل سفيكم سفا حاكمكم منصورا ورايكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى
 لكم صنعا يشرح للاسلام نخلدا ونصرا يقيم للدين الخنيق أودا وعزما يعلل أقنعة الكفر كندا وجعلكم
 عن هياله من أمره رشدا وبسر لكم المابقة الحسنى كما وعده في كتابه العزيز والله اصدق موعدا
 من جره غرطاة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الاستطلاع سعودكم في آفاق العنايه واعتقاد
 جميل صنع الله في البدايه والنهايه والعلم بان ملككم تحذى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جباد
 السعدى ميدان لا يحد بفايه وخرق حجاب المعتاد بمظهر الالامحبال الكرامة والولاية ونحن على
 ما علمت من السرور بما يزيل لكم المنصور عطفنا ويسدل عليه من العصمة صفحا قفاصه الارتياح
 لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونقديين أنباءه سرته وبين الشكر لله خلفا ونعمنا التشيع له عما يقربنا
 الى الله زلفى ونؤمل من امدهاده وزنتيب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويحكي تروى غل

النفوس وتنسني والى هذا وصل الله سعدكم والى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن اخيكم
 ابي الفضل ما صدر من الانتقاد لمدح الاموال والاغترار بموارد الال وخال رأي في اقتحام الاهوال
 وتورط في هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام في الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له
 بالاستقرار والاستقلال ومن ذا زاحم الاطواد ويزخر الجبال وأخلف الظن متافيا وفاته وأضر
 عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بعين فلما وري ان استصبر به زنده ولا خفق لمن تولاه
 بالنصر يند وان الطاغية أعانوا وتجدد ورأى أنهم على المسلمين سدد وعضد لفتنة تجرده فحضر
 له الظلم وأمل أن يستخذه بسبب ذلك الملك فأورده الملك والظلم الحلك علما ان طرف سعادته
 كلب ومصاب آماله غير ذات انساب وقدم عزه لم يستقر من السداد في غرر زركب فان نجاح أعمال
 النفوس مرتبط ببنائها وغايات الامور تظهر في بداياتها وعوائد الله تعالى في نزع قدرته لا تجهل
 ومن غالب أمر الله نواب منه المعول فينا نحن نرتقب خسار تلك الصفة المعقودة وخود تلك الشبهة
 الموقودة وصلنا كتابكم بشرح الصدر وبشرح الاخبار وهدى طرف المسرات على أكف
 الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضع وضوح النهار والتحقق بتأولنا
 الذي يعلم عالم الاسرار فأعاد في الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعمل منه
 ما ل من رام بقدر زنده الشتات من بعد الانشام ويشير بحاجه المنازع من بعد كود القتام هيئات
 تلك فلاة الله تعالى التي ما كان ليتركها بغير نظام ولم يدو أنكم نصبت له من الخزم جباله لا يفلتها فيص
 وسدتم له من السعدسهما ما له عنه من محيص بما كان من لرمال جوارح الاسطول السعيد في
 مطاره حائليته وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقيبات
 والاستعمال فبانه من زجر استنطق لسان الوجود بمجده واستصبر البحر فخذله وصارع القدر
 فخذله لما حذله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ومنسب الى نسبة غير
 سعيدة وشأن غمر من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور
 الشغار وتحصل منهم من نطاه الحمام في قبضة الاسار فجهنما من يسير هذا المرام واخذ الله لهذا
 الضرام وقتنا تكسيف لا يحصل في الاوهام وتسد يد لا تستطيع اصابتها السهام كلما قدح الخلاف
 زندا أطفأ سدة كسلته أو أظهر الشتات الماء أبرأين طائر كرم علته ما ذاك الا لنية صدقت معاملتها
 في جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وصحت وجهاد نذر عوه اذا فرغت شواغلكم وبحث
 واهتمام بالاسلام بكفيه المطلوب التي أجت فمن نهنيكم بمخ الله ومنه ونسأله أن يلبسكم من امانته
 أو في جننه فامنانا تطرد ما لكم وتصح في مرضات الله أعمالكم فقامكم هو العمدة التي يدافع
 العدو بسلاحها وتنبئ ظلماته بصفاها وكيف لانتهك بصنع على جهتها يعود ويشادنا قاطع منه
 السعد فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكتفت
 والله وجلي يجعل لكم الفتوح عاده ولا يعددكم عنايه وسعاده وهو سبحانه يعلو مقامكم وينصر
 أعلامكم ويهني الاسلام أيامكم والسلام الكريم بحضكم ورحمة الله وبركته اه ولما نزل أبو الفضل
 بساحل السوس لحق بعبد الله السكسوي صاحب الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه وكان ذلك اثر
 مقدم الحاجب ابن أبي عمرو من فتح بحماية سنة أربع وخمسين وسبع مائة فجهر السلطان أبو عنان اليه
 عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسوي وأبى الفضل لوزيره فارس بن ميمون بن ورد ارفسار حتى
 نزل على جبل السكسوي وأما طباؤا أخذت حقيقته وأخط مدينة لمسكره ونجبه بركاتبه بسفح ذلك الجبل
 سماها القاهرة ولما اشتد الحصار على السكسوي بعث الى الوزير يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة
 وأن ينبد العهد الى أبي الفضل فخارقه وانتقل الى جبال المصامدة ونخل الوزير فارس أرض السوس

فدوخ أقطارها ومهدأ كفافها وسارت الالوية والجوش في جهاتها ورتب المسالح في ثغورها
وأصلارها وسار أبو الفضل ينتقل في جبال المصاعدة الى ان انتهى الى صناكة والتي بنفسه على ابن
الجدي منهم عابلي بلاد درعة فأجاره وقام بامرء ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزرداني من
مشيخة بني عبد الواد كان السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلسان فاستقر في دوائهم
واندرج في صنائعهم فأخذ بمحقق ابن الجدي وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه ودخله في
التقبض على أبي الفضل وأن يذله من المال في ذلك ما أحب فأجاب ولا طبع عبد الله بن مسلم الأمير
أبا الفضل ووعد من نفسه للدخول في الامر وطلب لقاءه فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه ابن
مسلم تقبض عليه ودفع لابن الجدي ما اشترط له من المال وأتخذه معتقاً لابي أخيه السلطان أبي عنان
سنة خمس وخمسين وسبع مائة فادعاه السجن وكتب الفتح الى القاصية ثم قتله ليلاً بسيرة من اعتقاه
خفاً فجاءه وانقضى أمر الخوارج وعهدت الدولة الى ان كان ما نذكره ان شاء الله

﴿وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه التي بالله السلطان أبي عنان رحمه الله﴾

كان السلطان أبو الخجاج يوسف ابن الجرد أوفد وزيره لسان الدين ابن الخطيب على السلطان أبي عنان
أثر مهلك السلطان أبي الحسن معز ياله بمصايبه فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجلى في أغراض تلك
السفارة وعاد الى غرناطة ثم هلك السلطان أبو الخجاج سنة خمس وخمسين وسبع مائة فعلى عبد القادر
وهو ساجد طغنه بعض الزعاف فاصحابه لوقته ويادع الناس ابنه محمد بن يوسف الغني بالله وقام بأمر
دولته مولاه رضوان الراسخ القدير في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالامر
واتفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لايه من قبل واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب يد يغار رضوان
في أمره وتشاركا في الاستبداد معا فحرت الدولة على أحسن حال ثم ان السلطان الغني بالله بعث وزيره
ابن الخطيب سفيراً عنه الى السلطان أبي عنان مستقداً له على عدوه الطاغية على عادة سلفه في ذلك
﴿قال ابن الخطيب﴾ لما أشرقت على مدينة فاس في غرض هذه الرسالة خاطبني الخطيب الرئيس
أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني بمثل الشايطي على مرحلة منها ما نصه

يا قداما وفي بكل نجاح • ابشر بما تلقاه من أفراس
هذي ذرى ملك الملوك قلنبا • تسلم التي وتفر بكل مباح
معنى الامام أبي عنان عمن • تطفر بصبر بالتدافع
من فاس جود أبي عنان في النداء • بسواه فاس البحر بالقضاح
ملك يفيض على العفاة نواله • قبل السؤال وقبل بسطة راح
فليجود كعب ابن سعدى في النداء • ذكر كرماء عن نداء ماح
ما ان سمعت ولا رأيت بعثله • من أريحي للنساء امرتاح
بسلا الامان على الانام فأصعوا • قد ألقوا منه بطل جناح
وهي على العاقين سيب نواله • حتى حكى نوح الغمام الساح
فنسوا له وجلاله وفعاله • فافت وأعيت السن للذاح
وبه الدنا أختت تروق وأصبحت • كل المني تنقاد بسدجاح
من كان ذات رح فزوبه وجهه • متلافة الاخوان والاراح
فأنه عن أبا عبد الاله تقربا • تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتش الا ما في راحة • من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى جدا يوم به جيعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى

فطلما كان معظم سيدي لاسي في خيال ولا سفين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقد ومك على هذا المحل المولوي في ارتقاب ولوا عيذك بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب فما أنت تجتني من هذا المقام العلي بتسيعك وجوه المسرة صبا ما وتلقى أحاديث مكرمه ومواهبه مسندة صماها يحول الله تعالى ولسيدي الفضل في قبول مكره الواصل اليه بسرجه ولبامه فهو من بعض مالمدي المعظم من احسان مولاه وانما هو ولعمري لقد كان واقف على سيدي في مستقره مع غيره فالله الذي يسر في ايماله على أفضل احواله قال ابن الخطيب فرجسته بمانه

راحت تذكري كؤوس الراح • والقرب يخفف البضوح جناح
وسرت تدل على القبول كاتما • دل التسميم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتها • عن دملج وفلادة وشاح
أمتت تفيض على البياضين جوت • بسعوده الاقلام في الالواح
بخليفة الله المؤيد ظرس • شمس للمعالي الازهر الوضاح
ما شئت من شيم ومن هم غدت • كالزهر أو كالزهر في الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه • أني يقاس العمر بالخصواح
أسنى بنى عبا بهم بلوائه الشمنصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغاني الملك لما طها • تروى يسدو هدى وبجر صراح
وحياة من أهلك تحفة قادم • في العرف من الراحة الارواح
ما زلت أجعل ذكره وثناؤه • روحى وريحانى الريح وراح
ولقد غماز جبهه بجوارحى • كتمنازج الاجسام بالارواح
ولوانسى أبصرت رما في يدي • أمرى لطرت اليه دون جناح
فلا تنساعنى الزمان وأيقنت • من قسره نفسى بغور قداح
ايه أبا عبد الله • لنداءه في عدلاك صراح
اماذا استجبتى من بعدما • ركنت لما جنت لخطوب وبراياح
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ • فررت عجزى والطرح سلاح

سيدي أبقاك الله بعد تحفظه وولاه بين الوفاء تحفظه وصلى رفقك التي ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت وألفتى وقد سطت في الاحوال حتى كادت تناف الرجال والحاجة الى الغداء قد شمرت عن كشح البطين وثانية الجملون قد توقع فوات وقتها وان كانت سلاتها صلالة الطين والفكر قد غاض معينه وضخوع على الله جزاء المولى الذي بعينه فغرتي بكثيرة بيان أسدها هصور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعترافي مثلي بالعزفي المضائق حول ومنه وقول لا أدري لما لم فكيف بغيره جنة لكها بشرتي بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان حلت وأطلعتني من السرا على وجه تحسده الشمس اذا تجملت بما أعلنتني به من جيل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله في عبده وصدق الخيلة في كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذي شكره هو الغرض وتلك الخلقة المولوية تتمم بصفات من يده بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازات للاعمال نسأل الله تعالى ان ينيق منها على الاسلام أو في الظلال ويبلغنا من فضله أهوى الآمال ووصل ما بعثه سيدي محبتنا من الهدية والتخفة الودية وقبلتها امتالا واستجيت ناعته لوجالا وسيدي في الوقت انسب ما اتخذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من اناب البسم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا في التندر فلورأى

سدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الحب مع وجود الحقوق المترتبة بسط خاطري وجمعه وحمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه وقد استصحب مر كوا يشق على هجرة ويناسب مقامى شكله ونجده وسيدى في الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعزل واعتماد غضاؤه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب في ليلة الاحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبع مائة والسماء قد جادت بطر سهرت منه الاجضان وظن أنه طوفان والحقاق في غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله اه ولما قدم الوزير للذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين من وزراء الاندلس وقهاشوا ومثل بين يديه واستأذنه في انشاء نعي من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشدوه وقام

خليفة الله ساعد القدر * علاك ما لاح في الدجاء
ودأقت عنك كف قدرته * ما ليس بسطيع دفعه البشر
وجهك في الثابت بدرجا * لنا وفي المحل فكك المطر
والناس طر بارض اندلس * لولاك ما أوطنوا ولا همروا
ومن بعد وصلت جلهم * ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجله الامراته وطن * في غير عليك ماله وطمر
وقد أهنتهم نفوسهم * فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عثمان لهذه الايات وأذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس ما ترجع اليهم الا بجمع طلباتهم ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزمو ا على الانصراف أقبل كاهلهم بالاحسان ووردهم بتجميع ما طابوه وقال ابن خلدون قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكل معه في ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ونص الكتاب الذي قدمه ابن الخطيب المقام الذي يقضى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جيل العوائد اعطى بأسه وجوده ونستضيء عند انقلام المطوب بنور سعوده وزرث من الاعتماد عليه أسنى ذخيره الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أينا الذي يرى الامة شانه وصلة الراعي سمجة اقتردها سلطانه ومواعيد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يد الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا بقا الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدودا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وجنابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يهجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تذخرها لاولاده وأولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا آتوا به وتشكل بضر الاسلام وجبر القلوب عند طول ارق الايام كتابه وكتابه معظم معظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضيء في ظلمة الخطب بنور أرقه الامير عبد الله محمد ابن امير المسلمين أبي الحاج ابن امير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعهم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي لا اراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذي بيده املاك الامر كله مقدر الاجال والاهوار فلا تأخر شيء عن سقائه ولا يرجع عن محله جاعل الدنيا منخ فتيلة لا يمتبط العاقل بعائنه ولا يظلمه وسيل رحلة فإا كتب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيدروسه الذي نعمت بسببه الاقوى ونعمت بحبسه وغذيد الاقتدار الى فضله

وتجاهد في سبيله من كذب به أو عاغذ غن سبيله ونصل إليه ابتغاء مرضات من أجله والراضين آله
وأزواجه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصمه والدعاء لقامكم الاعلى بعز نصره
ومضاء فضله فانا كنبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حياها وعصمة ترجع عنها
سهام النوائب كلها قوتها الدهر وروماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسميها وعزير أرحم أجرام
الكواكب منتقها من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتوارث لنادنا فدنا ونعنا وألطفه
تتفرقا وتزاورا وشغفا ومقامكم الابوي هو المستند الاقوى وللورد الذي ترده آمال الاسلام فتروى
ونعوى اليه أفدتهم فبقدمانهم ومثابكم العدة التي تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا
وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانما لنا من مساهمة مجدكم التي يقتضيها كرم الطبع وطباع
الكرم وتدعو اليها ذم الرعي ورحي الذم نترفعكم بعد الدعاء للكم بدفاع الله تعالى عن أوتقائه
وامتناع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا والوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التي ألبسها ملهنا
والشهادة التي في أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التي حتمها وأوجبها وبما تصير لنا من أمره
وضم لنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبر قلن ألقى السمع وموعظة نزار الجع
وترسل الدمع وحادثة أجل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان أخرج من اللسان هولها وأسلم العبارة
قوتها حولها ان مرضى الله تعالى عنه لما برز لأمامه سنة هذا العيد مستمر اشعار وكلمة التوحيد
منظهر اسمع الخاضع للولى الذى يضرع بين يديه وقاب الصيد آمنا بين قومه وأهله منبر بلا في حل
نعم الله تعالى وفضله قير العيبنا كمال عزه واجتماع شمله قد احترم بما قصى استطاعته واستظهر
بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد انفذت القضاء والقدر ومجيد بعد
الركعة الثانية من صلواته انه أمر الله ليلقائه على حين الشباب غض جليله والسلاح زانر عجايبه
والذين بهذا القطر قد أبلغ بالامن جنبه وأمر من يقول للمنى كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد
اطمأنت به كرا الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الا شئ في قبضه الله تعالى
لسعاده غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن معتبرا ولا محسوب تحلل الصغوف المعقودة وتجاوز
الابواب المسدودة وخاض الجميع الشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لا تذل العين عليه
شاور ولا يره ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزه وانما هو خبيث عمور وكتب عقور وحية
سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينغذبها فقدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق بمشرك الحين فآلفته
قبض عليه من الخلفان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل
ولا عثر على شئ عنه ينقل لطفان الله أفاد براءة الذم وتعاونه العين أيدى التزيق وأنشع شاوره
بالتمزيق واحتمل مولانا والوالد روجه الله الى القصر وبه ذم لم يلبث بعد الفتنة العمرة الأيسر
من اليسير وتخطف الملك ينظر من الطرف الحسير وينض بالجناح الكبير وقد عاوج السلامة الى
جمع التكسير الا ان الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بان أقام مقامه لوقته وحينه ورفع عبادناه
ملكه ولم تشع دينه وكان جميع من حضر التسليم من شريف الناس يود برفقهم وأعلامهم
واضيغهم فجمعهم ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا
نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حفر جوى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا
نفض للفتنة فغرق ولا أغفل للدين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعدم من قبيدنا غير شخصه وبادرنا
الى مخاطبة البلاغ فهداها ونسكنها وترقر الطاعة في النفوس وغمكها وأمرنا الناس بما يكف الايدى
ورفع التعذى والعمل من حفظ شروط المسئلة المعقودة بما يجيدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه
بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصعبا بالاعتذار وخطبنا صاحب قسالة ترى ما عنده في حلة

السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعنى على حزن المسلمين والدنا ما
 ظهر عليهم ولا يقامن الاستبشار واستبقوا تطيرهم أخصه الابتدار جعلنا الله تعالى بمن قابل الحوادث
 بالاعتبار وكان على حذور من تصاريق الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعانتنا على إقامة دينه في هذا
 الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطافي والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه
 ولا قطع عنا واثد كرمه وإن فقدنا والدنا فأنتم لناسم بعده الوالد والذخر الذي تكرم منه العوائد
 والحبيب يتوارث كما ورد في الاخبار التي حجت منها الشواهد ومن أعز مثلكم لابنه فقد تسرت من بعد
 الممات أمانته وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فلا عتقاد الجبل موصول وانفروع لها في
 التشيع اليكم أصول وفي تقرير خبركم محصول وأنتم ردة المسلمين بهذه البلاد المسئلة الذي يعينهم بارفاده
 وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعندما استقر هذا الامر الذي تبعث
 الخفة فيه المصحة وراقمت من فضل الله تعالى ولطفه فيه المصحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد
 استدعاء خواصهم وأعيانهم وتزاجت على رفقها المنشور خطوط أيمانهم ونأملت قواعد المأظها
 ومعانيها في قلوبهم وآذانهم وضموا الوفا بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمائمهم
 بإدراك تعريف مقامكم الذي نعلم مساهمته في إمامنا وستر وأحلى وأمر عملنا بختفي الخلو من الذي
 ثبت واستقر والحب الذي مامل وما ولا زور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور
 وانحلاله عن صبح الصنع البادي السفور وان كنا قدنا طابنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور
 الا انه امره ما بعده وحادث يأخذ حقه ونجت الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها
 رأى العيان وتولى تسديد الامور بما هم له الكرمه ومقاصده الحسان ليكون أبلغ في البر واتسرح
 للصدر وأوعب لبيان فوجها اليكم وزير امرنا وكتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب
 والقينا اليه من تقرير عقولنا على ذلك المقام الاخرى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبني
 ما ترجوا أن يكون له فيه المقام الاخرى والتمرة العذبة المحنى فلا همما مع هذا الغرض الا كبد الذي
 هو أساس بناثنا وقامع أعدائنا وآثرنا توجهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمردوب
 من أبوتكم المؤتملة أن يتلقاه قبولها بليق بالملك العالي والخلافة السامية المعالي والله عز وجل
 يديم أيامكم أصله الفضل المتوالي ويحفظ مجدهم من غير الايام واليالي وهو سبحانه يصل سعدكم
 ويحرم مجدهم ويرأى نصركم وعضدكم والسلام الكريم بحضكم ورجة الله وبركانه اه واللسان
 الغنى بالله هذا مع السلطان أبي عثمان رحمه الله من احلات عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب
 نعم الطيب منها جلة وافرة مع التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو عثمان الوزير
 ابن الخطيب في هذه الوفاة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة طويلة طنانة يقول

في أولها * أبدي لداي الفوز وجه منيب * وأفاق من عدل ومن تائب

ويقول في آنتائها

يا ناصر الدين الحنيف وأهله * انضاه مسغبة وقل خطوط
 حقيق ظنون بنيه فيك فانهم * يتللون بعبدك المرقوب
 ضاقت مذاهب نصرهم قطعوا * يجنب عزم علاك رحيب
 ودجا ظلام الكفر في آفاقهم * أولس صبحك منهم يقرب
 فانظر بعين العزم تغرغدا * حذر العداير فو بطرف مريب
 نادتك أندلس ومجدك ضامن * ألا يجيب لديك فومطوب

وهي طويلة
 وفي سنة ست وخمسين ومبعمائة هـ انتقض على السلطان أبي عثمان وزيره وصاحب شورا عيسى بن

الحسين بن علي بن أبي الطلاق من شيوخ بني مرين ووجوهها وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طاروق فمكثت رياسته به وانتفض على السلطان لاسباب يطول شرحها ثم التفت حاله وصافت مذاهبه قبض عليه وأخضر بين يدي السلطان أبي عنان هو وابنه يوم من سنة ست وخمسين المذكورة فتمصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وضيق عليه ما ولما كان آخر السنة أمر به ما بلغنا إلى مصر لهما وقتل عيسى فعهما بالراح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط في دمه إلى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه وعقد السلطان على جبل طاروق وسائر نفور الاندلس لسلطان بن داود ثم عقد بعده لولده أبي بكر السعيد وهو الذي تولى الملك بعده والله أعلم

✽ **رحلة السلطان أبي عنان إلى سلا وطار حه على وليها الأكبر أبي العباس ابن عاتر رضي الله عنه** ✽

كان لبني مرين هموم ما للسلطان أبي عنان خصوصاً جنوح إلى الخير ومحبة في أهله وتقرض لمن يشار إليه بالصلاح واحتطار لطله وولده وكان الشيخ الأشهر أبو العباس أحمد بن عاتر لا تدلى رضى الله عنه قد استوطن في هذا التاريخ مدينة سلا وكان من الأفراد الجامعين بين العلم والعمل التمسكين بالكتاب والسنة الناهيين سنن السلف الصالح في الزهد والورع والاتقاع عن الخلق جيلة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعام قدره فتحركت همه السلطان أبي عنان لزيارته والالتباس بما يفتح الله به من وعظه وأشارته فارتحل سنة سبع وخمسين وسبع مائة إلى سلا فلقمها وحرس على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف بابه مراراً فلم يأذنه وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انتفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون إليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد مضى من هذا الولي ثم أرسل إليه ولده راغباً مستطفاً فأجابهم بما قطع وجاءه من لقائه غير أنه كتب إليه كتاباً وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاته من الاجتماع بالشيخ وقد ذكر الفقيه الصلابة البركة أبو العباس أحمد بن عاتر بن عبد الرحمن السلاوي المدعي بالخافي في كتابه تحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاتر نص هذا الكتاب ولم يحضر في الآن فأنظره فيه والله تعالى التوفيق

✽ **غزوة السلطان أبي عنان إفريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها** ✽

لما كانت أيام التشرى من سنة سبع وخمسين وسبع مائة اعتمر السلطان أبو عنان على النهوض إلى إفريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديدي وبعث في الحشد إلى مراکش وأوغز إلى بني مرين بأخذ الأبهة للسفر وجلس للقاء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض إلى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين بعدها ثم ارتحل من فاس بمرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعبية إلى أن احتل بجاية وتلوم لازاحة العلل ثم نازل الوزر في قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت آياتها وماجت الأرض بجنوده دعر أهل البلد وألقوا بأيديهم إلى الأذعان وانفضوا من حول سلطانهم أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي وجاءوا مطعين إلى السلطان أبي عنان وتخير الحفصي في خاصته إلى القسبة ثم طلبوا الأمان من السلطان أبي عنان فبذله لهم وخرجوا وأترهم معسكره أياماً ثم بعث بأبي العباس في الأسطول إلى سبتة فاعتقله بها وعقد على قسنطينة لتصور ابن الحاج خاوي البلباني من شيوخ بني مرين وأهل الشورى منهم وأتره بالقسبة في شعبان من السنة المذكورة ووصلت إليه سبع مائة من الأتراك من توزر ونفطة وقابس وغيرها وقدم عليه أولاد مهلول أمراء بني كعب من سليم وأقبال بن أبي الليل منهم يستحسنون ملك تونس فسرّح معهم العساكر وعقد عليها يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين وبعث أسطوله في البحر مدد لهم وعقد عليه الرئيس محمد بن يوسف المعمر وبقا بالبحر من أمراء بني الأحرار وكان سلطان تونس يومئذ يابن إبراهيم بن أبي بكر

الحفصى ولما اتصل به خبر بني مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرصاها فقاتلهم ابن تافراجين يوما وبعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية فحصن بها ودخل أولياء السلطان الى تونس في رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبع مائة وأقاموا بها الدعوة المربنية واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأخذوا وأمر وكتب الى السلطان أبي عثمان بالغفغ فعلم سروره ونظر بعد ذلك في أحوال ذلك القطر وقبض أيدي العرب من رياح عن الأفاوة التي دعونها فغلبوا فارتادوا وطالبهم بالرحن على الطاعة فأجروا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن علي ولحقوا بالزابوار تحمل السلطان في أثرهم فاجعلوا أمامه الى القفر فحرب حصونهم التي بالزاب ورجع عنهم وحل له ابن مرني عامل بسكرة الزاب وجبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادام والخنطة والجلال والعالوفة ثلاثة أيام وكافاه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم ورجع الى قسنطينة واعتمد على الرحلة الى تونس وضافت العساكر ذرعا بشان النفقات والاباء في الرحلة وأرسلت كوابل الخطر في دخول افرقية فقتلوا جالاتهم في الانقضاض عن السلطان ودخلوا الوزير فارس بن ميمون في ذلك فوافقتهم ثم أخذت شيوخ العسكر وتباؤهم من تحت أيديهم من القبائل في الحاق بالمغرب حتى بقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبي عثمان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب اندريس بن عثمان ابن أبي العلامر فأسر هاف نفسه ولم يبد هاهم وراى قتله من معه من الجند فارتاب وكررا جاعا الى المغرب بعد ان كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين فأنكفأ وأخذ السير الى فاس فاحتل بهم اغرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة وتقبض يوم دعوته على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهم بمعدا خطه بني مرين في شأنه وقبضه رابع أيام التشريق فقبض بالراح وتقبض على مشيئة بني مرين فاستلمهم وأودع طائفة منهم السجن ولما رجع السلطان أبو عثمان من افرقية بلغ خبره الى الجهات فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها نارت شعة الحفصيين على من كان بها من جيش بني مرين فقبضوا الى السفن وركبو البحر الى المغرب وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولادهم لعل وكان يوم الجمعة بناحية الجريد لا قضاء لجبايته فقبضوا الى المغرب واجتمعوا كلهم بباب السلطان أبي عثمان فأرجس كركه الى العام القابل وكان ما نذر كره ان شاء الله

في وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افرقية

لما رجع السلطان أبو عثمان من افرقية ولم يستقم قضاها بقي في نفسه مناتى ونخنى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افرقية فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبع مائة وكان السلطان أبو عثمان لما خاف عليه يعقوب بن علي وقرأى القفر أقام مكانه أخاه المتنازع له في رياسته فراح ميمون بن علي وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحسبه بكانته من رياسة البدو فترحم اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومه وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من أولاد سبع بن يحيى فاختلوا جميعا للوزير ونزلوا بجلهم على معسكره ثم ارتحل السلطان أبو عثمان من فاس حتى احتل بلمسان فأقامهم بالمشرفة أحوال الوزير بلذ كور واحتل الوزير بطن قسنطينة وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مرني بان تكون يده معه وان يقاوضه في أحوال الذواودة لرسوخه في معرفتها فارتحل اليه من بسكرة ونزلوا لجبل أوريس واقضوا جبايته ومغارمه وشرطوا المخالفين من الذواودة عن البعث في الوطن فم غرضهم من ذلك وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أطوار افرقية من آخر مجالانتر باحوا فكفأ رجاسا الى المغرب فوافى السلطان بأعنان بلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلاوا في الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم في العطاء بالزاب

وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى أهليهم فرحين مقتبطين ووفد على أثرهم أحد بن يوسف بن حنفي أوفده
أبوهم سديا الى السلطان من الخيل والرقى والدق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته ثم استصحبه الى
فاس ليريه أحوال كرامته ويستبلغ في الاحتفاء به واحتل بفاس ملكه منتصف ذي القعدة من سنة تسع
 وخمسين وسبع مائة

في وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لمواصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه فاس احتل بها بن يدى العبد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من
يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأجهله طائف الوجع عن المجلس فمات يوم العيد على العادة فدخل
قصره ولزم فراشه في وذر كرابن خلدون في ما حاصله انه كانت بين الوزير وحسن بن عمر الفودودي وبين
ولي العهد أبي زيان محمد ابن السلطان أبي عنان نفرة مستحكمة لسوء عطوبته وشر ملكته فاتفق الوزير
المذكور مع من كان على رأيه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من أبناء السلطان
فأجمعوا القتل به والبيعة لآخيه أبي بكر السعيد فلاحا سائما ثم أغروا الوزير بمسعود بن عبد الرحمن بن
ماساي بتطلب أبي زيان ولي العهد في نواحي القصر واتقبض عليه فدخل اليه وتلطف في إخراجهم من
بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع ونزل الى بعض عمر القصر فالتفت فيها بهمته واستقل الحسن
ابن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه
وارتقب الناس دقته يوم الاربعاء والخمس بعده فلم يدفن فارتابوا فوشى الكلام فدخل الوزير رزموه اليه
بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن يوم السبت وحسب الحسن بن عمر الولد المنسوب للامر وأغلق
عليه بابو تغزى بالامر والتهى دونه انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية في وقال في الجنوة
توفي السلطان أبو عنان قتيلا اختفه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من
ذي الحجة من سنة تسع وخمسين وسبع مائة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة

في بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته

كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة طويل القامة يشرف على الناس بطوله
نخيف البدن عالي الأنف حسنه أعين أديم جهوري الصوت في كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم
ما يقول عظيم اللحية قلاصدره أسودها واذا همت بها الرمح تفرقت نصفي حتى يستبين موضع الذقن
وكان فارسا شجاعا يقوم في الحرب مقام جنده وكان قتيها ينظر العلماء الجلة عارفا بالنطق وأصول الدين
وله حظ صالح من على العربية والحساب وكان حافظا للقرآن عارفا بنامه ومنسوخه حافظا للحديث
عارفا برجاله فصيح القلم كاتباً بليغا حسن التوقيع شاعرا أنشد له صاحب الجنوة أشعارا حسنة من
ذلك في الحكمة قوله

واذا تنصرت للرئاسة خامل • جرت الامور على الطريق الاعوج

في وقال ابن الاخر في كتب يوما جالسا مع جماعة من المدينة البيضاء فدخل عليه رجل
يصنع فلما نظر اليه قال بديهة

تراهم في ظواهرهم كراما • ويخفون المكيدة وانخداما

والسلطان أبي عنان رحمه الله أنار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ومدرسته العنانية فاس
مشهورة الى الآن ومن مدارس المدرسة البهية بمكة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم قدفا
يعرف بنسندق اسكور • وعما قاله أبو بكر بن جزي في بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله
هذا محل الفضل والابثار • والرقى بالسكك كان الزوايا

دار على الاحسان شيدت والتقى • فخرها الحسن وعقبى الدار
 هي ملجأ للسواردين ومورد • لابن السيل وكل دكيسلرى
 آثار مولانا الخليفة فارس • أكرمها في المجد من آثار
 لازال منصور اللواء منظرها • ماخى العزائم ساقى المقدار
 بنيت على يد عبدهم وخديمها • بهم العلى محمد بن حذار
 في عام أربعة وخمسين انقضت • من بعد سبعين في الاعصار

وقال صاحب الجذوة • حدثني شيخنا أوراشد البدرى أن السلطان أباعنان هو الذى أحدث بفارس
 العلم الأزرق في الصومعة يوم الجمعة • وقال في موضع آخر منها • حتى أن السلطان أباعنان المريني صد
 الصومعة يعني بالقر وبين يعتبر المدينة وترتيبها وقف على المنجانية وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على
 الناظر فيهم بترتيب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام • وذلك في سنة تسع وأربعين
 وسبعمائة قال وأمر بذلك بل ينصب بأعلى الصومعة صاري من خشب وينشر فيه علم في الاوقات
 التي يصلى فيها وفنار فيه سراج من حر في أوقات صلاة الليل ليستدل بذلك من بعد من لم يسمع النداء
 وفي ذلك اعتناء بأمور الاوقات وما يتعلق بها من وجوب الصلوات ويترب عليها من وجوه الحقوق
 في العادات والعبادات وما قيل في ذلك

فوره علم الايمان مرتفع • لهتدين به الحق ارشاد

يأتون من كل صوب نحوه قاهم • ادبه للرشد اصدار واراد

وقد نفع ابن الخطيب رحمه الله في رقم الحلل سيرة السلطان أبي عنان فقال

وخلص الامر لكف فارس • باقى از وايا الكثر والمدارس

الاسد المقترن المصنوع • من نال من كل المساعى أمه

واحد آحاد الملوك العظما • ومطلع النصر اذا أقدم

ونجبل الفيت اذا انفتح • وعالم الملك وملك العلم

أوجب حق الشعر والكتابة • فاقمت أعلامها جنابه

واستقبل الامثال الكبار • والنباه العلية الاخيار

يمبرهم على حضور الدولة • فهم يدور وشموس حوله

وكان جبارا على خدامه • ينالهم القصر في أحكامه

مذهبه الاقيل عنده • حتى لا رباب التقي والاثرة

فطرة السيف تنلنى الدرة • انظمت على المزاج المتره

ومات فيما قيل من ميمته • بقبلة لنفسه مقيته

لم ين عنده الباس والبسالة • واصبحت مهجته مسالة

والقيت أرملة التسيير • من بعده في راحة الوزير

ومن أعين كتابه • أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى • ومن أعيان قضائه • أبو عبد الله محمد
 ابن محمد بن أحمد المقرئ وهو جد أبي العباس المقرئ صاحب فتح الطيب وغيره من التأليف الحسان
 وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغشتالى وغيره رحم الله الجميع

والخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المرينى •

هذا السلطان أول من استمد عليه من ملوك بني مرين أمه أم ولد اسمها الياسمين كنيته أبو يحيى وهى
 كنية كل من اسمه أبو بكر لقبه السعيد بالله صفة درى القلون مستدير الوجه حسن الأنف الحسن

الشتين برأت التبايا جعد الشعر وبيع وأبوه مريض في التارخ المتقدم وكان محجوباً الوزير حسن
 ابن عمر الغودودي لا يملك معهما ولا ضماً ولما بيع لحق أخوه عبدالرحمن بن أبي عنان بجبل السكاك
 وكان أسن منه وانما آثر ولمكان ابن عمه مسعود بن عبدالرحمن بن ماساي من وزارته فبعثوا اليه
 من لاطفه واستزله على الامان وجاء به الى أخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبة من قاصو بعث على أبناء
 السلطان الا صغار الامراء بالتغور فجاء المعتصم من مجملامة وامتنع المعتصم براكش وكان بها في كفالة
 عامر بن محمد الهنتاق وكان عامر هذان من يوتلت هنتانة وأهل الرياسة والشرف فيهم وكان السلطان
 أبو عنان قد أوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لينظره فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم
 وخرج به من مراكنش الى حصنه من جبل هنتانة فجهر اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير
 سليمان بن داود مشاركة في الاستبداد وسرعه في الحرم سنة ستين وسبع مائة فسار الى مراكنش
 فاستولى عليها ثم خطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أئثر في اقتحام الحصن الى ان بلغه
 خبر اقتراح بني مري بن قناس وظهور منصور بن سليمان به على ما ذكره فانقض السك من حوله
 وتسابقوا الى منصور فلقوا به ولحق به سليمان بن داود أيضاً وتنافس الحصار عن عامر ومكفوله والله
 غالب على أمره

﴿ظهور أبي حور موسى بن يوسف الزباني واستيلاؤه على تلسان ونهوض مسعود﴾
 ﴿ابن عبدالرحمن اليه وطرده عنها﴾

كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان أبي عنان منذ امتد لانه على تلسان وكانت
 رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ولما رجع أبو عنان الى قاص اعترم صغير على الرحلة بقومه الى
 وطنهم من حمراء المغرب لانهم كانوا متبذين عنها بالمراف افرقة فدعوا أبا حور موسى بن يوسف بن عبد
 الرحمن بن يحيى بن يضر اسن بن زيان الى الرحلة معهم لينصبوه لادامرو وجلبوا به على تلسان فأجابهم الى
 ذلك وأغفوا السير الى المغرب ليعث في نواحيه فجمع لهم أعداؤهم من سويدو كانوا خالصه لبني مري
 فالتقوا قبيلة تلسان فانهم متحذو سويدو هلك كبيرهم عثمان بن زيار واتصل بهم في أثناء ذلك خبر
 وفاة السلطان أبي عنان بقاص فآخذوا السير الى تلسان وقتلوا عليها حامية بني مري ثم اقتحموها عليهم
 الليال خلون من ربيع الأول سنة ستين وسبع مائة واستباحوا من كان بها منهم واملائات أيديهم من
 أسلاهم واستولى أبو حور على ملك تلسان واستأثر بها من متاع بني مري ومن جلته هدية كان
 السلطان أبو عنان أعدها هنالك ليعث بها الى طائفة برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته بركب
 ولحام مذهبن نقيلين فاتخذ أبو حور ذلك الفرس لركوبه وصرف باقي الهدية في وجوه مقاصده ولما
 انتهى الى الوزير حسن بن عمر خبر تلسان واستيلاء أبي حور عليها جمع شيوخ بني مري وأخبرهم
 بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه وأشاروا بصغير الصاكر ووعده من أنفسهم السير كافة
 ففتح ديوان العطاء وقرق الاموال وأسنى العلل وأزاح العلل وعسكر بساحة البلدة الجديدة ثم عقد عليهم
 لمسعود بن عبدالرحمن بن ماساي وجعل معه المال وأعطاه الألتوسار في المساكر والاولية ولما اتصل
 خبر مسيره بابي حور أخرج له عن تلسان ودخلها مسعود في ربيع الثاني من السنة المذكورة فاستولى
 عليها وخرج أبو حور الى الحمراء الى ان كان ما ذكره

﴿ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبدالرحمن له وما تشاع ذلك﴾

منصور هذاهو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وكان الناس
 يرجون بان ملك المغرب سائر اليه بعد وفاة أبي عنان وشاع ذلك على السنة الناس حتى تحققت به السمر

والندمان وشئ منصور على نفسه من ذلك فجاء الى الوز برحمن بن عمرو وشكا اليه ذلك فنهأ أن يخرج
بسكره هذا الوساوس وانتهره انتهار اخلاص وجه السياسة فازجر واستكان **وقال ابن خلدون** ولقد
شهدت هذا الموطن فرجته انكساره وخضوعه في موقفه ثم لما تمض مسعود بن عبد الرحمن الى
تلسان واستولى عليها كان منصور هذا في جلته ولما قرأ أبو جوا الى العصراء اجتمعت عليه جوع العرب
من بني زغبة وبني معقل ثم خالفوا بني مرين الى المغرب واحتلوا بلاد كاد بجملهم وظلوا عنهم فجاء اليهم
مسعود بن عبد الرحمن عسكرا من جنوده انتقى فيه مشيخة بني مرين وأمرهم وعقد عليهم لابن عمه
عامر بن عبد الله بن ماساى وسر حه فرحف الى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال فانكشف
بنو مرين واستنجد معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر
الى بني مرين الذين بتلسان وكان في قلوبهم مرض من استبداد حسن بن عمر عليهم وحجره لسلطانهم
فكانوا يترصون بالدولة الدوائر فلما بلغهم هذا الخبر حاصروا حيصه جرالحوش وخلصوا انجيبا بساحة
البلد فانفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيد بن يوسف بن يعقوب فباعوه وانتهى الخبر الى مسعود
ابن عبد الرحمن وكان في جلته منصور بن سليمان كاقلنا فأكراهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الا بك من
بني الاحمر وقائد النصارى القهر دور وتسابل اليه الناس من كل جانب وتسامع الملا من بني مرين بالخبر
فتأروا اليه وذهب بعض بن علي لوجهه فركب البحر الى الاندلس واستتب أمر منصور بن سليمان
واجتمع بنو مرين على كفته فارتحل بهم من تلسان يريد المغرب واعترضتهم جوع العرب في طريقهم
فاوقفهم بنو مرين وامتلأت أيديهم من أسلابهم وظلعهم ثم أغذوا السيرة الى المغرب فاحتلوا بوادي
سبو في منتصف جادى الاخرة من سنة ستين وسبع مائة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فزبر واضطرب
معسكره بساحة البلد وأخرج السلطان السعيد في الآلة والتعبية الى أن أرتنه بفسطاطه ولما انقشهم
البلبل انقض عنه الملا الى منصور فلو قد الوز برالتهوع وأذكى السيران وجع الموالى والجند حول
الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به الى قصره وتحصن بالبلد الجديد وأصبح منصور بن سليمان
فارتحل في التبيعة حتى نزل بكدية المرائس في الثاني والعشرين من جادى الاخرة من السنة المذكورة
وغدا على فاس الجديد القتال وجمع الايدي على اتخاذ الآلات للحمصار واثالث عليه وفود الامصار
بالمغرب البيعة ولحقته كتابت بنى مرين التي كانت بحجرة على حصن عامر بن محمد المحدثانى ولحق به ايضا
قائدها سليمان بن دودو وكذا أمره يته وأقام على فاس الجديد فادام القتال وبراوحها ثم بدا للخلل في عسكره
وترجع عنه الى الوز برحمن بن عمر طائفة من بني مرين ولحق آخرون ببلادهم ووقفوا ينتظرون ما ل
أمره واستمر هذا الحال الى غرة شعبان فينما الناس في ذلك اذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال شمارة
فانصرفت اليه وجوه أهل المغرب ويطل أمر السلطانين أبي بكر السعيد ومنصور بن سليمان معا
وذا با كايذوب الملح فاما منصور بن سليمان فانه قرأى بادم فقبض عليه ووجى به الى السلطان أبي سالم
فقتله وأما السعيد فان وزره الحسن بن عمر لما سمع ظهور السلطان أبي سالم واستحبال أمره به ندعوة
سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى أبي سالم ووعده بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه فكان الامر كذلك
وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبع مائة ثم قتل بعد ذلك غرقا في البحر فان
السلطان أباسام بعثه في جلة الينا المرصحين من بني أبي الحسن الى الاندلس ووكلمهم من بحرهم ثم
بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كانه يريد بهم المشرق ثم غرقهم في البحر والامر لله وحده

في الخبر من دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني

كان هذا السلطان جوادا جهم العطاء معروف بالوفاء كثير الحياء كنيته أبو سالم لقبه المستعين بالله
أتمه وأم ولد رومية اسمها قرصقته آدم اللون معتدل القامة رحب الوجه واسع الجبين بادن

الجسم أعين أدمج معتدل الحية أسودها ولكن بعد مهلك والده السلطان أبي الحسن رحمه الله قد استقر بالاندلس بعثه اليها أخوه أبو عنان كما مر ولما مات أبو عنان المذكور وولي ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا في الملك فاستأذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الأجر بالاندلس في التماس في سلاله فأبى عليه فقاطعه ذلك وترجع عنه إلى طاعة قنصالة وتطرح عليه في أن يجعله إلى بالعدوة يطلب ملك أبيه فأسغفه وأمره بمغفل في مركب وألقى به ملاحه في ساحل بلاد غمارة بعد أن ترد في أي السواحل يليقه وافق ذلك اختلاف الحكامة فأسس وعاصرة منصور بن سليمان للدينه البيضاء فسامع الناس بخروجه ببلاد غمارة أخرج ما كانوا اليه قسايوا اليه من كل وجه وانقض الناس من حول منصور ومشي أهل مسكره بأجمعهم على التعمية فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستعدوه على دار ملكه فأخذ السير اليها وطلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الامر لتسعة أشهر من خلاقه وأسلمه إلى عمه فخرج اليه ويأمره ودخل السلطان أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين وسبع مائة واستولى على ملك المغرب وتوافد وفود النواحي بالبيعات وعقد الحسن بن عمر على مراكنش وجهزته اليها بالعساكر تخفانته ووربية بكانته من الدولة واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي والحسن بن يوسف الورناجني واصطفي من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل إلى أبي زيد عبد الرحمن بن خادون صاحب التاريخ توقيعه وكتابه سره قال وكنت زعمت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكديه العرائس لما رأيت من اختلال أحواله ومصير الامر إلى السلطان أبي سالم فأقبل على وأتراني يحمل التنويه واستخلصني لكتابته ٨١

قد قدم الغني بالله ابن الأجر وزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبي سالم والسبب في ذلك

قد قدمنا أن السلطان أبا الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس وخمسين وسبع مائة وولي الامر من بعده ابنه الغني بالله محمد بن يوسف وكان له أخ اسمه اسمعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من جراه غرناطة احتفاظا به إلى أن كان رمضان من سنة ستين وسبع مائة فخرج الغني بالله إلى بعض منتهزاته خارج القسبة ولما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور وأغان وعشرين منه تسور جماعة من شيعة اسمعيل المحبوس عليه القسبة أيلأوا خروجه من محبسه وأعلنوا بدعونه ثم اقتحموا على حاجبه رضوان داره وقتلوه على فراشه وبين نساائه وضبطوا القسبة وأعلنوا بالدعوة ولم يرع الغني بالله الأقربع الطبول بالقسبة في جوف الليل فاستكشف الخبر ونسمع فعلم عاتم عليه من خلعه وتولية أخيه فركب فرسه وخاض النيل إلى وادي آش فاستولى عليها وضبطها وابعدها أهلها على الموت ثم عمد شيعة اسمعيل الناصر إلى الوزير ابن الخطيب فاودعوه السجن بعد أن أغروا به نأثرهم واكتسبوا داره واصطلوا نعمته وأتلفوا موجوده وكان شيا يبجل عن الحصر واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سالم وكانت له مصافاة مع ابن الأجر من لندن كان عنده بالاندلس فكتب إلى اسمعيل الناصر وشيعته بأمرهم بتخليه طريق الغني بالله للقدوم عليه ويشفع في تسريح ابن الخطيب وتخليه حيله فأجابوا إلى ذلك وقدم الغني بالله ابن الأجر ووزيره ابن الخطيب على السلطان أبي سالم في السادس من محرم فاتح سنة إحدى وستين وسبع مائة فأجل السلطان أبو سالم قدومه وركب لقاؤه ودخل به إلى مجلس ملكه وقد احتفل في ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعلية وقبوز به ابن الخطيب على قدميه فأنشد السلطان أبا سالم قصيدته الرائية الرائقة تستهركه لسلطانه ويستحسنه لظاهرتي على أمره واستعطف واسترحم على أبي الناس شفقة له ووجهة ونص القصيدة

سلاهل لديهم من مخبر قد صكر * وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الواسمي دارا على اللوا * عفت آجها الآلته وهم والذكر

بلا دى التى عا طيت مشعولة الهوى * باكتافها والعيش فينسان مخضر
 وجوى الذى ربي جناحي وكره * فها أنا ذاملى جناح ولا وكر
 نبت فى لآعن جفوة وملااة * ولا نسخ الوصل الهنى بها هجر
 ولصكها الدنيا قليل متاعها * ولذا لها دأبا تزور وتزور
 خنلى بقرب العهد منها ودوتها * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
 ولله عينا من وأنا وللأسى * ضرام له فى كل جانحة جسر
 وقد بددت در الدموع يد النوى * وللشوق أشتبان يضيق لها الصدر
 بكينا على النهر الشراب عشية * فعاد أجاها بعدنا ذلك النهر
 أقول لاطعاني وقد غاها السرى * وأنسها الحادى وأوشها الزجر
 رويدك بعد العسر يسران بشرى * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
 ولله فينا علم غيب ورعا * أفى النفع من حال أريد بها الضر
 وإن تمن الأيام لم تمن النهى * وإن يخذل الأقوام لم يخذل الصبر
 وإن عركت منى الخطوب بجريا * نقابا تسأوى عنده الحلو والمز
 فقد عجمت عودا صليبا على الردا * وعزما كاتخصى المهندة البستر
 إذا أنت بالبيضاء قررت منزلى * فلا ألهم حل ما حيت ولا الظهر
 زجرنا بأبراهيم برء هومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
 بمنقح من آل يعقوب كلما * دجا الخطيب لم يكذب لعزته فجر
 تناقت الركبان طيب حديثه * فلما رآته صدق الخبير الخبير
 نفى لوجواه البحر لدمذقه * ولم يتعقب مسده أيد الجور
 وبأس غدائرنا من خوفه الردى * وترسل فى أذياه الفتكة البكر
 أطاعته حتى العصم فى قن الربا * وهشت الى تأميله الانجم الزهر
 قصداك باخبر الملوك على النوى * لتصفنا عما حنى عبدك الدهر
 كشفنا بك الأيام عن غوائها * وقد راينا منها التعصف والكبر
 وعدنا بذلك المجد فأنصرم الردا * ولذا نأبذاك العزم فأنهزم الذعر
 ولما أتينا البحر يربح موجه * ذكرنا نذاك العمر فاحتر البحر
 خلاقك العظيم ومن لم يدن بها * فأيماننا لغو وعرفانه نصبر
 ووصفك يهدى المدح قصد صوابه * إذا ضل فى أوصافى من دونك الشعر
 دعك قلوب المؤمنين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر
 وصنت الى الله الأكف ضراعة * فقال لمن الله قد قضى الامر
 وألبسها النعمى يبعثك التى * لها الطائر الميمون والمحمد الحز
 فأصبح نغرا النغر بسم ضاحكا * وقد كان مما ناله ليس يقتر
 وأتمت بالسم البسلاد وأهلها * فلا طيبة تعرى ولا روعة تعرفوا
 وقد كان مولانا أولك مصرحا * بأنك فى أولاده الولد البر
 وكنت حقيقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
 فأوحشت من دار الخلافة هالة * آقامت زمانا لا يلوح بها البدر
 فرد عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر

وقاد السبك المثلث رقفاً بخلقه * وقد عد مواركن الامامة واضطرراً
 وزادك بالتخصيص عزاً ووقفة * وأجراً ولولا السبك ما عرف التبر
 وأنت الذي يدعى اذا دهم الردا * وأنت الذي يرجى اذا أخف القطر
 وأنت اذا جاز الزمان محكم * لك التقص والابرام والنهي والامر
 وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * مهبض ومن علباك يلتمس الجبر
 غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
 فغز يا أمير المؤمنين ببعدة * موثقة قد حل عروتها الفلدر
 ومثلك من يرى الدخيل ومن دعا * بيا السرين جاءه العز والنصر
 ونخذ يا امام الحق بالحق ثاره * ففي ضمن ما أتى به العز والاجر
 وأنت لها يا ناصر الحق قلتم * بحق فإزيد يرجى ولا عمرو
 فان قبل مال مالك الدثر وافر * وان قبل جيش عندك العسكر الجبر
 فكف بك العادي بوجيا بك الهدى * وبينك الاسلام ما هدم الكفر
 أعده الى أوطانك راضياً * وطوقه نعمالك التي ما لها حصر
 وعاجل قلوب الناس فيه يجبرها * فقد صدّهم عنه التغليب والقهر
 وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها نعمالك ما بعد هاخر
 صرامك سهل لا يؤدك كلفة * سوى عرض ما ناله في العلي خطر
 وما العسر الا زينة مستعارة * تزدولكن النساء هو العسر
 ومن باع ما يغنى بياق مخلد * فقد أنجح السعي وقدر جع التجبر
 ومن دون ما تنبئه يا ملك الهدى * جسد المذاكي والمجيلة الفتر
 ورواد شقر وأخحات شبانها * فأجسامها تبر وأرجلها دتر
 وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * معصمة غارت بها الاقيم الزهر
 وأسدر جال من مزين أمرة * هماتها بيض وآسها مسر
 عليها من للأنى كل مفاضة * تدافع في أعطافها الليج الخضر
 هم القوم ان هبوا الكشف ملّة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعمر
 اذا سألوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان اعدوا وفوا وان عاهدوا برّوا
 وان مدحوا ائتروا المرتب ما كانوا * تشاوى تقتش في معاطفهم جبر
 وان سمعوا العوراء قروا بأنفس * حرام على هاماتها في الوغي الفسر
 وتبسم ما بين الوشج نعورهم * وما بين قضب الدوح بيتهم الزهر
 أمولاي غاضت فكرك في وتبلت * طباعي فلا طبع يعين ولا فكر
 ولولا لحن منك دار ككتني به * وأحييتني لم يبق عين ولا أثر
 فأوجدت حني فانتسا أي فانت * وأنشرت ميتاً ضم أشلاءه قبر
 بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل فجّل اللطف وانشرح الصدر
 وطوقتي النعمي الضائعة التي * يقبل عليها مني الحمد والشكر
 وأنت بتقسيم الصنائع كافل * الى أن يعود الجاه والعز والوفر
 جزاك الذي أسنى مقامك رجة * يفسك بها عان وينعش مضطر
 اذا نحن أثنينا عليك بدحة * فبهات يحصي الرمل أو يحصر القطر

ويخص بمجده من سلامي عاطر * كللسك صلاك به العوالي صائك

الحمد لله تعالى الذي جعل بينك شهرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك قالا ووجهك جالا وقربك
جاها ومالا وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ألا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمراءها وقطب
سادتها وكبرائها وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تنبى ومكرمة لا يفضل المتصف بها ولا يشقى
أذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنًا للحناف على كثرة المذاهب
والطوائف وصرف الالسنه الى مدحك وانخلود الى حبك وما ذلك الا لسهولة ذلك عند ربك
ولقد كنت أيام تجبني وياك المجالس السلطانية على مرقك متالكا وطوع الامل حالكا لما يلوح
لى على وجهك من سيماء الجود والحياء والشيم الدالة على العلاء وزكاه الاصول وكرم الآباء وكان
والذي رجه الله قد عين لقاءه خال السلطان فريكم لما توجه في الرسالة الى الاندلس ثابتا في تانيسه
عن مخدومه ومنوها حيث حل بقدمه واتصلت بعد ذلك بينه حال المهادة والمعرفة والوسائل
المتخلفة فظلم لاجل هذه الوسائل شوق الى التشرى بزيارة ذلك الجنب الذي حله شرف ونخ
ومعرفته كنز ونخر فلما ظهر الا ان لحمل الاخ القائدة لان المحاربك والتعلق بسبك رأيت انه
قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى يسر في البعض عند تقرير الامر وهذنه الارض وهذا
الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت اصله وجهاد وماجد وابن أمجاد ومنك لا يوصى بحسن
جواره ولا ينسب على ابتاره وقيلك من العرب في الحديث والقديم وهو الذى أوجب لها منزلة
التقديم لم تقف فقط بذهب يجمع ولا ذخير يرفع ولا نصير يبنى ولا غرم يبنى انما غرما عتو يقلب
وثناء يجلب وجز ترعر وحديث يذكر وجود على الفاقه وسماحة بحسب الطاقه فلقده ذهب
الذهب وفقى النشب وتمزقت الاثواب وهلك الخيل العربا وكل الذى فوق التراب تراب
وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تبلى وتضعل والله ذو الشاعرا ذيقول

وانما المرء حديث بعده * فكأن حديثا حسنالن وعي

هذه مقدمة ان يسر الله بعد لقاء الامير فيصل الى اللسان عما فى الضمير

ومدحى على الاملاك وقبولنا * رأيتك منها فامتدحت على وسمى

وما كنت بالمهدى لغبرك مدحتى * ولوان قد حصل فى مفرق التجم

وقال فى الشيخ ابن بطان المنهاجى منهاج آرمور

لله دورك يا ابن بطان فدا * لشهيد جودك فى البسيطة جاحد

ان كان فى الدنيا كرم واحد * يزن الجميع فانت ذاك الواحد

أجريت فضلك جعفر ايمى به * ما كان من مجد فذكر كرك خالد

فالقوم منك تجمعون فى مفرد * ولله كما شاء العلاء والوالد

وهى اللسان لا تزال صروفها * يشقى بموضها الكرم الماجد

وبعستين الله يصلح منك ما * قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رجه الله عندما توسط بسيط تامسنا

كانا تامسنا نخوض خلاهما * وعمدودها فى سيرنا ليس بقصر

مرا كفى البحر المحيط تخبطت * ولا جهة تدرى ولا البر تبصر

وقال رجه الله يخاطب أبا العباس أجد بن يوسف حفيد المولى الصالح سيدى أبى محمد صالح النائم فى طل

صيته ورضى الله عنه يا حفيد المولى يا وارث النخس الملى نال فى مقام وحال

لك يا أجد بن يوسف جينا * كل قطر يعي كفى الرجال

وقال في نقاضة الجراب لما خرجت من آسفي سرت الى منزل ينسب الى أبي حداد وفيه رجل من بني
 المسوب اليه اسمه يعقوب فألطف وأجل وأنس في الليل وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرقه
 فكتبت له * نزلنا على يعقوب فجل أبي حداد * فترقا الفضل الذي ماله حد
 وقابلنا بالبشر واحتفل القرا * فلم يبق لحم لم تله ولا زبد
 يحق علينا أن نقوم بحقه * وبلغنا منا البر والشكر والحمد
 وقال رحمه الله وقد اتناه البرغوث

زحفت الى ركائب البرغوث * ثم الطلام برصكها المحنوث
 بالحبة السوداء قابل مقدى * لله أي قرى أعنت خيبت
 كسعت من ذباب سرح تجادى * ليل غيل الصبر جلد ثيث
 ان صارت نفسي أذاه تعبدت * أو صحت منه أنفت من تخني
 جيشان من ليل ورغوث فهل * جيش الصباح لصرختي ينجيت

وقال رحمه الله وقد أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى
 ماذا أحدثت عن بحر سمته * من الصلوف لاثم ولا حرج
 دعاء مبتدع الأشياء مستويا * مان به دوك ككلا ولا ندج
 حتى اذا ما انصار الفرد للاح لنا * صحت ابشري يا مطايا جاك الفرع
 قريب من فامردار ومنزلة * والشاهد العدل هذا الطيب والأريج
 ولما وقف على مصانع مراكن وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار اليه حالها بعد الموحدين قال

بلد قد غزاه صرف اللبالي * وأباح المصون منه مبيع
 فأذى خرم من بناء قبيل * والذى خرم منه بعض جريح
 وكان الذي يزور طيب * قد تأنى له ما التشرع
 أغممت منه أربع ورسوم * كان قد ماها اللسان الفصيح
 كم معان غابت تلك اللغاني * وجل أخاه ذلك الضريح
 وملوك تبعدوا الدهر لما * أصبح الدهر وهو عبد مريح
 دوخوا نازح البسيطة حتى * نال ماشاء ذابل وصفيح
 حين شبت لهم من الباس نار * ثم هبت لهم من النصر ريح
 أثر يندب المؤثر لما * طال بعد النجوم منه الزوج
 ساكن الدهر وروحها كيف يبق * جسده بعد ما تولى الروح

وعما ذله في الشيخ أبي العباس السبكي رضي الله عنه على لسان سلطانه التي باللهو هو يومئذ بفاص

يلوئى آله أمت جواد * وقصدنا الى جاك المنيع
 راعنا الدهر بالخطوب فجتنا * نرتجي من علاك حسن الصنيع
 قد دنا لك الا كف نرجى * عودة العز تحت شمل جميع
 فبجفتنا وسيلة تريك الزا * كي وزلني الى العليم السميع
 كم غريب أسرى اليك غواني * برضى عاجل وخير سريع

وقال مخاطب عميد الادلرا كشيعة التميز بالأي والسياسة والحمة وافاضة العدل وكف اليد والتجاني
 عن مال الجباية عامر بن محمد بن علي المهناتي

تقول لي الانطعان والشوق في الحشا * له الحكم يحضى بين ناه وآمر

أذا جيل التوحيد أصبحت فارعا • نعيم قرر العيون في دار عامر
وزرتية المعلوم ان خزارها • هو الخج يسى نحو كل ضامر
ستلقى عنوى عامر بن محمد • تنور الاماني من شبايا البشائر
ولله ماتباؤه من سعد وجهه • ولله ماتلقاه من بين طائر
وتستعمل الامثال في الدهر منكبا • بخير من رآوا باعيط زائر

لم يكن هي أبناك الله تعالى مع فراغ البال واسحق الامل ومساعدة الايام والليل اذا شغل جميع
والزمان كله ربيع والدهر جميع مطيع الازيارتك في جبلك الذي يصعب من الطوفان ويواصل
أمنه بين النوم والأجفان وان أرى الاقنى الذي طلعت منه الهداية وكانت اليه العودة ومنه البدايه
فلاحهم الواقع وهجر عن غوى الدولة الاندلسية الراقع وأصبحت ديار الاندلس وهي البلاقع وحسن
من استعدائك اباي المواقع وقوى العزم وان لم يكن ضيفا وعرضت على نفسى السغريه بيك فالغيت
خفيها والتفت الاذن حتى لا ترى في قبلة السداد تحريفا واستقبلتك بمسرح مشروح وزند العزم
مقصودح والله سبحانه يحقق السؤل ويسهل عنوى الامائل المنول ويهي من قبل هتئاته القبول
بفضله انتهى ولما ذهب الي عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذي توفي به السلطان
أبو الحسن رحمه الله وقد ألمذ كرك ذلك في نفاضة الجراب اذ قال وشاهدت بجبل هتئاته محل وفاة السلطان
المقدس أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله حيث أصابه طارق الاجل الذي فصل الخطه وأصمت الدعوة
ورفع المنازعة وجائته مرفعا عن الابتدال بالسكنى مغروشا بالحسب مقصودا بالانتهال والدعاء
فلم أبرح يوم زيارته ان قلت

يا حسننا من أربع وديار • أخضت لباغى الامن دار قور
وجبال عز لا تذلل أنوفها • الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة • آثارها تنبي عن الاخبار
ما كنت أحسب أن أنهار الندى • تجري بها في جملة الانهار
ما كنت أحسب أن أوثر العجا • تلتاح في قسن وفي انجار
مجت جوانها البر ودوان تكن • شبت بها الاعداء جندوة نل
هدت بناها في سبيل وفاقها • فكأنها صرى بشير عقار
لما توعدا على الجهد العدا • وضبت جيت النار لا بالعار
عمرت بجملة عامر وأعمرها • عمدة العزير بمرهف نثار
فرساوه ان أحوزا نصب الندى • والباس في طلق وفي مضمار
ورناعن النذب الكبير أيهما • محض الوفاء وورضة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة • بالاصل في ورق وفي أعمار
أزرت وجوه الصيد من هتئاته • في جتوها بمطالع الاقار
لله أي قبلة ترصك لها • الشطر اندعوى الفخر يوم فخر
نصرت أمير المسلمين وملكه • قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عند ما عظم الردا • والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهم وأصبح الا • بطلال بين نقاعه وفرار
كفرت صنائعه فيهم دارها • مستظهر منها بعز جوار
وأقام بين ظهورها لا يتقى • وقع الردى وقد ارتقى بشرار

فكانها الانصار لما ان سمعت * فيما تقدم غيرة المختار
لما غدا لحظا وهم أجهاته * ثابت شفارهم عن الاشعار
حتى دعاه الله بين ييوتهم * فاجاب بمثلا لامر البارى
لو كان يمنع من قضاء الله ما * خلصت اليه نوافذ الاقدار
قد كان يأمل ان يكافئ بعض ما * أولوه لولا قاطع الاعمار
ما كان يقصده لو امتد المدى * الا القيام بحقتها من دار
فيعيد ذلك الماء ذائب فضة * ويعيد ذلك التراب ذوب نضار
حتى تفوز على النوى ووطنها * من ملكه بجسائل الاوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههم * أثر العناية ساطع الانوار
ويسوق الامل القصي كرامها * من غير ماتنيا ولا استعصار
ما كان رضا الشمس أو بند الدجا * عن دهرهم فهم ولا دنار
أو ان يتوج أو يقد هامها * وتخورها باهلة ودلوى
حق على المولى ابنه ايشار * بذلوه من نصر ومن ايشار
فلنلها ذخر الجزاء ومثله * من لا يضيع صنائع الاحرار
وهو الذي يقضى الدين وورثه * برضيه في علن وفي اسرار
حتى نخرج محلة رفعا واجها * علم الوفاء لآعين النظار
فيصير منها البيت ينشأ نيا * للطائفين اليه أي بدار
تغني قلوب القوم عن هدي به * ودموعهم تكفي لرى جدار
حيث من دار تكفل سعيها * محمود بالزنى وعقبي الدار
وضعت عليك من الاله عناية * ما كز ليل فيك أثر نهار

ويعني بالمولى ابنه السلطان أبي الحسن ثم سار ابن الخطيب الى انغات خزار مشاهدها وشاهد
معاهدها فحكى عن نفسه رحمه الله قال وقفت على قبر المعتقد بن عبد الله في مدينة انغات في حركة اعملتها الى
الجهات للرا كشية باعثة لقاها الصالحين ومشاهدة الانار سنة احدى وستين وسبع مائة وهو عقيرة
انغات في نثر من الارض وقد خفت به سدة والى جنبه قبر اعتقاد خطيه - ولده ريبك وعليه ما أثر
التقريب ومعاينة الجول من بعد الملك فلم تملك العين دمعها عند رؤيته ما فأنشدت في الحال
قد زرت قبرك عن طوع وانغات * رأيت ذلك من أولى اللهمات
لم لا أروك يا أئدي الملوك بدا * وبأبراج الليالي المدهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حيا في الجادات فيه آيات
أناف قبرك في هضبي عيزه * قننصيه حفات النجيات
كرم حيا وميتا واشهرت علا * فأنت سلطان أحياء وأموات
ما رى مثلك في ماض ومعقدي * ألا رى لادهر في حال ولا آت
ولما انكفأ ابن الخطيب رحمه الله واجعا من سفرته هذه وانتهى الى سلا أقام بها متيقذا عن سلطانة
رافضا للملك وأسباب طول مقامه بالمغرب على ما ذكره ان شاء الله

بقية أخبار ابن الخطيب بسلا رحمه الله

قد قدمنا ان ابن الخطيب كان قد عزم على التخلي عن الدين والانتقال الى الله تعالى وأنه اختار أن يكون
مقامه بسلا لكونه مأموئذاً عون له على مراده من غيرها حسب ما يؤرخه ذلك من مواضع من كلامه

من ذلك انه لما وصف أمصار الاندلس والغرب في مقاماته المشهورة وصف مدينة سلا بقوله العقيلة
 المفضلة والبليغة المختصرة والقاعدة المؤصلة والسورة المفصلة ذات الوسامة والنظارة
 والجامعة بين البداوة والحضارة معدن القطن والكثان والمدرسة والمراستان والزاوية كأنها
 البستان والوادي المتعدد الايجان والقطر الامين عند الرجفان والعصير العظيم للشان
 والاسواق السارة حتى يرقى الجبلان اكتفها المبرج والخصب الذي لا يبرح والبحر الذي يأسو
 ويبحر وشقها الوادي الذي يعم بحاسنها وشرح وقابلها الرباط الذي ظهر به من التصور والاعتباط
 حيث القصبة والسبايا ثم يرقى الاصطفاط الى شاة مري الذم وتنبه المهم ومسمع الانوف ذوات
 الشمع وعنوان الرم حيث الحسنات المكتبة والاقواف المرتبة والقباب كالازهار مجودة بذكر
 الله آناء الليل وأطراف النهار وطلل حسان المنسل في الاشهر وهي على الجملة من غيرها أوفى
 ومقارمها الاحترام الملوك الكرام أرقق ومقبرتها النضدة هب في الانتظام معدودة في المواضع
 العظام ويتأني بها العباد انخلوه وتوجد عندها لهموم السوء كما قال ابن الخطيب

وصلت حيث السير فيمن في الفلاة فلا خاطري لما تأت وأتجلا انجلا

ولانصت كربي بقلبي سلاوة • فلما سري فيه نسيم سلا سلا

وكفي بالشايل رزقا طريا ومكنا بالفضل حريا يبرز عدد قطر الذم ويبيع بعض القيم وييم الجاشر
 النائية والقيم اه • هو ما قاله في حق سلام من كونه متأني بها العباد انخلوه هو كذلك معروف عند صلحاء
 المغرب وعباده من المدن قديم ولذا لما قدم أبو العباس ابن عاصم رضى الله عنه من الاندلس وتثقل في بلاد
 المغرب مثل فاس ومكاسة لم يطمع به القرار الا بسلا وقد صرح رضى الله عنه بذلك حيث قال

سلا كل قلب غير قلبي سلا • أيسلو بفاس والاحبة في سلا

بها خيموا فالقلب خيم عندهم • فاجروا دموي مر سلا وسلا

ولما ذكر أبو العباس الصرمي رحمه الله في كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى رضى الله عنه
 استحباب زيارة الاولياء قال ما نصه ولا يحفى مشاهد الاخبار اذا اجتمعوا في مكان من الامكنة
 المشرفة كما كانوا يجتمعون قبل هذاب رباط شاكر وساحل دكالة وبسلا وبجبل العلم وعند الشيخ أبي يعزى
 في أيام الربيع وغير ذلك اه • هو أقول في ذكر كرسلا فقد كتب الى وأنا بجا كرسها الله الاخ في الله
 الفقيه الاديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز ابني باطلي أصلا المرأ كني دارا بطاعة يقول فيها ما نصه
 الحمد لله وحده السيد الاخ الذي توب اخائه ما اتخ الفقيه الاسلامه اللابس من أسلحة العالوم
 الدرع واللامه أبا العباس السيد أحد الناصري سلام عليك لاما ذكي العرف راغ الصريف وبعد
 فقد اشتقنا الى ذبيذما كرتكم وحلوف كاهنكم والآن نعب من السيادة أن نشرقونا بنقل قدمكم
 وتكرمونا بطاعتكم السعيدة بكرة عدنان شاء الله وعلى المحبة والسلام في فاقح رجب الفرد سنة أربع
 وتسعين ومائتين وألف والحق باسفلها ما نصه

سلا البحر ما جبريت بشطه • كبر عروم فيك أنشئ صالحا

فهذا هو الغياض بالعلم والتقى • وذلك هو الغياض بالماء صالحا

ولم ندر هل البيتانه أو عثل ما وعلى كل حال فاقاله حفظه الله افما حله عليه حسن نيته وصفاء طويته
 وأما المكتوب اليه بما أفلا والله لا علم ولا نقي الا يتقيدنا الله برحمته ثم أي أجبت به بشر تركه للاختصار
 ووصلت ما بينات أقول فيها ما نصه

بعثت أبا عبد الله مدائحا • هو الدرحسنا والشذور لوائحا

فتبت ففكرنا طالما بات ناغما • وروضت ذهنا طالما نطل باغما

وشفيت من ذكرى وقد كان خاملا • وهيجت من قلبى الشجى القرائحا
وطوتنى النعمى بتقربك الذى • به نل مجدى النجوم مصافحا
والا فاقدرى وان جد جده • وما قيمتى لولم تكن فى مادحا
فانت أديب مصر حقاً من غدا • لعمري لاواب المعارف فاتحا
نقد من أخيك العى واستريح به • وسامح قطنى أن تكون مسامحا
فوصفك يبنى كل أشدق بارع • ولو نل فى بحر البلاغ غساحا
فلقبت من ذى العرش كل كرامة • ووقيت من هذا الزمان الطواغحا
ولا زال هذا الدهر طوعاً ولذا • عللاً وطرف السعد تحوّل طامحا

وعامدح بسلا وأهلها قول الامام العلامة الهمام أبى على الحسن بن مسعود اليوسى رضى الله عنه

هرسى سلا ماوى النعم • والمجد عن طول الام •
بلد بحبك منتظر منه ونخبه آم • مسرى الموم ومسرح الابداء مسلا الغم
مترفلا فى حلة من حسنه جنب العلم • كالطرة الحسنة فى كنف الهمام المحترم
ونراه من جثاته ثلاثا بين الاجم • كالدريين زمر فى قرط مارية انظم
وكوجه خود حقه شعر السوالف فى دلم • وكثرة فى أدهم والصبح فى جحج الاحم
والنمر من زنجية تروا اليه وقد بسم • والبدر ما بين الدجى والشيب فى سودا الم
يعلى فوبى جيفه علم تدلى من أم • فكأنه تاج اللجين على جبينى ذى عظم
أو كال كبير مرة لا أودى بنهضة الحرم • فى رأسه صلح وفيما تحت جبهته غم
أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرثم • بكيفك منه هواؤه لا خبت فيه ولا وشم
عجبا صمغ والهوى أبد اعلى ذو صمغ • وزلاه العذب الذى شفى الفؤاد من الضر
حاكى المقاروفاته باصفاء لون والشيم • أشاء محمد فى الالى كافوا براعون الذم
من نبلهم دون العويس ونبلهم خلف الحرم • ونفيسهم ققع الغلا ونفوسهم بيض الرخم
من كل أبيض وجهه تجلى بسدف الظلم • فى الخطب بدلا مع ولدى التدى بحر خضم
وأحبة كافوا لنا كلما بالراح التأم • لم يعد بين يشناووا الضراق بشا الم
العين بين جسومنا لا بين أنفسنا يجم • والعهد جيل ما انفصاعه الوداد ولا انفصم
والصدق نجم قد علا فى كل أوجهه علم • والبرمرعاه قرى من فيه الحسنى قرم
والنفس أرض قد كرى منها العين ذووالكرم • والدين روض قد رى فيه من العقبى رعم
والعلم وود ما حلا الامن تزع الحلم • والصبر برقا أيضا الامن غسلى الاضم
والدهر دولا بشفافيه سوى أهل الشم • من ذاق مورده العصرى يوما فلدىنا صرم

ولنرجع الى بقية أخبار ابن الخطيب ولما استقر بسلا واطمان جنبهها قال

أيأهل هذا القطر ساعده القطر • بليت فد لوفى لمن رفع الامر
تشاغل بالدينا وغت فطرط • وفى شفى أو نومتى سرق العمر

ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاتر رضى الله عنه حتى ظفر به فغظم سروره بذلك وتبع به اذ قال فى نفاضة الجراب ولقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولى الزاهد الكبير المنقطع القرن فرار عن زهرة الدين وعز وفاعنوا غرافى الودع وشهرة الكشف واجابة الدعوة وظهور الكرامات أبا العباس ابن عاتر بسم الله تعالى لقاء على قصده لصعوبة تأنيه وكثافة هيئته فأعاد بين القبور فى الخلائط الهبة مطرق الخط كبير الصمت محفوط الانقباض والعزلة قد خرسه أهل الدنيا وطوارحهم فهو شديد الانتميز لزم

فأصده جحر من القوبة من طارقه فزع الله تعالى به اه كلامه في النفاضة وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلاوية التي وجهها الى سلا أيام خليفها أهله وولده

بولى الله فابدا وابندر * واحدا لا حاد في باب الورع

ومراده بولى الله ابن عاتر المذكور ثم ان ابن الخطيب بعد رجوعه من مراکش جعل ينتاب رباط شالة مدفن الملوك من بني مرين ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله للقاء وقرأة القرآن بها وتعاهد بها وقد كتب بذلك الى السلطان أبي الملو طرب منه أن يشفع له عند أهل الاندلس في ردم متاعه الذي أتلفوه عليه أيام النكبة ونص الكتاب مولاي المرجو لانعام الصنيعة ومصلحة النعمة واهراز الفخر أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال في البر والرضا وعلو الهمة وروى الويلة مقبل موطن قدمكم المتقطع الى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرباء في القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقديار امجد المولى أبيكم ساعة اياهم من الوجبة المباركة وزيارة الرباط المقصودة والتراب العظيمة وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرمي حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ثم عليكم والتماس شفاعته في أمره هل عليكم لا يجر افتاد مال ولا انعام خطر اغاها همال لسان ونحط بنان ومصرف عزم واهراز نخر والطابة ذكر وأجر وذلك أن العبد عترفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر ما يفزع الله تعالى فيه ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يلتقي عنه من الجواب وقال في صدر دولتكم والصلتكم وخالصة المولى والدكم سيدي الخطيب يعني ابن مرزوق سني الله تعالى أمه من سعادة مقامكم وطول عمركم أنت يا فلان والحمد لله من لا ينكر عليه الوفاء بهذين القرضين وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين وقد تقدم تعريف مولاي بما كل من قيام العبد بآثله الى التربة الزكية عنكم حسبما آذاه من حضر ذلك المشهد من خدامكم والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو أني لما فرغت من مخاطبته بعمري من الملا الكبير والجم الغفير أكتبت على الشهيد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذني نحو قبره وجعل فتواذي يتلقى ما يوجه اليه لسان حاله فكان في به يقول لي قل لولاك يا ولدي وقرة عيني المخصوص رضائي وبري وسترحمني وردت ملكي وصان أهلي وأكرم صنائي ووصل على أسلم عليكم وأسأل الله تعالى أن يرضي عنك ويقبل عليك الذبيادار غرور والاخرة خير من اتقى وما الناس الا هالك وان هالك ولا تعبد الا ما فذعت من عمل يقتضي العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر قنذ كرو عرف فأأنكر وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري ونهمي وسبق الناس المدنائى وأنشدني ومجدي وبكالى ودعائى وهنائى بعصر أمرى اليك وعفر وجهه في ربي وأتمنى لما انقطعت مني آمال الناس فلو كنت يا ولدي حيا لما وسعني أن أحمل معه الا ما يليق بي وأن أستقل فيه الكثير وأحقرن العظم لكن لما عجزت عن جزائهم وكلته اليك وألحنته يا حبيب ظبي عليك وقد أخبرني أن سلب المال كثير الصيال ضعيف الجسم قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن وأمل ان ينقطع بجوارى ويستريح بخسلي وخدمتي ويرد عليه حقه بخدمتي ووجهي ووجوه من ضلجني من حلفي ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي وقد كنت تشوق الى استخدا مع في الحياة حسبما يعلمه حيننا الخالص المحبة وخطيبنا العظيم التربة القديم القرية أبو عبد الله بن مرزوق فأسأله ان يكرمه واستقبه يخبرك فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديعي بعد للمات الى أن نلتقي جميعا رضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء وله يا ولدي ولا تحيب يخدع بيايك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر بيايك قراوه وتعين بامرئ مرتبه وودناؤه فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتى منك وحاجتي اليك واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكروا ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي

المولود والكبراء فاعمل ما ينبغي لك في غرة ويختلذك كره وقد أظلم مجاورا ضربي تاليا كتاب الله تعالى على
منتظر اما نصه منكم ويقرؤه على من السعي في خلاص ماله والا حياضهم بهذه الوسيلة في جبره واجراء
ما يليق بك من الحرمة والكرامة والثناء فانه الله يا ابراهيم اعمل ما يسمع عنى وعذك فيه ولسان الحال
أبلغ من لسان المقال ٨١ والعبد مامولاي مقسم تحت حرمة وحرمة مسلفه منتظر منكم قضاء حاجته
وتعلموا وتحققوا أنني لو ارتكبت الجرائم ورذات الاموال وسفكت الدماء وأخذت خماث الملوكة
الاغرة عن وراء النهر من التار وخلف البحر من الروم ووراء البصرة من الحبشة وأمكمهم الله تعالى عنى
من غير عهد بعد ان بلغهم تدمي هذا الدخيل ومقاي بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحدا منهم من
حيث الحياة والخسنة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التي لا يغفلها الكبار والكبار الاجود الذي
لا يتعبه الجذل والعنوا الذي لا تغفله المؤاخضة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى وعلا
بموالاتكم فهو فاضل وابن ملوك أفاضل وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم لاسيما
مولاي والدكم الذي أقوسل به اليكم واليهم فقد كان يبنى مولاي أبا الحاج ويشعله بظوره وصارحه بنفسه
وأمد به ماله ثم صبر الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذات لوقيل لا قد قدرت مامولاي عن الصديقات
في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من
فضله ولا شك عند عاقل أنكم ان انخطت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن الاندلسي استولت
عليه يد عدوه وقد علم تطارح بين الملوكة الكرام الذين خضعت لهم التيجان وتعلق ثوب الملك الصالح
والد الملوكة الكرام مولاي والدكم وشهرة حرمة مشاة معروفة حاش لله أن يضيها أهل الاندلس وما
قوسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغربية وأملى منكم أن يتنه من بين
يديكم خديم يكتاب كريم يتفهم الشفاعة فيرد ما أخذنى ويغير عتواي متراصيا على قبر والدكم ويقرر
ما أزر منكم بسبب هذا التراعى من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا
وتطلبون منه عادة الكرامة يحمل هذه العقدة ومن المعلوم أنى لو طلبت هذه الوسائل من صلب
ما وسعهم بالنظر العقلى الاحتفاظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن فالحياة والخسنة بآيات العذرة عن
هذا في كل ملة وتغلبة واذن هذا الغرض ولا شك في انعامه بالله تعالى تقع صدقكم على القبر الكريم ي
وتمينونى لخدمة هذا المولى وزيارته وتوقده ومدح التي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره وبين
يديه وهو غريب مناسب لبركم به الى أن أجييت الله بعناية مقامكم وأعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر
والثناء من أهل المشرق والمغرب وأعوض من ذقتى بالاندلس فقه هذا الرباط المبارك برئها ذرى وقد
ساومت في شئ من ذلك منتظر لثمنه مما يباع بالاندلس بشفاعتكم ولوطنكم أنهم يتوقفون لكم في مثل
هذا أو يتوقع فيه وحشة أو جعلوا الله ما طلبته لكمهم أسرى وأفضل وانقطاعي أيضا والدكم مما لا يسع
مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه وهذا أنا أرتقب جوابكم على عندكم من القبول ويسعنى مجدكم في الطلب
خروج الرسول لا قضاء هذا الغرض والله سبحانه يطاع من مولاي على ما يليق به والسلام وكتب في
الحادى عشر من رجب سنة احدى وستين وسبع مائة وفي مدرج الكتاب بعد ثر هذه القصيدة

مولاي ها أنا في جوار أيك • فابذل من البر المقتر فيكا
اسمه ما يرضيه من تحت الترى • والله بصحك لذنى يرضىكا
واجعل رضاه اذ انعمت كنية • تهدى اليك الصرا وتهدىكا
واجبر يجبرى قلبه تذل المنا • وتطالع الفتح المين وشيكا
فهو الذى سن البر وبأمره • وأيسه فاشرع شرعه لينىكا
وابصر سولك مسندا ومحذرا • وبما تؤمل نيله بأننىكا

قد هز عزمك كل قطر نازح • وأخاف عسوك به ومليك
 فاذا سمع صوت الى مرام شامع • فقصوه غدا المناجيع
 خضت رجال الله منك مطالي • لما جعلت في الثواب شريكا
 قلن كفت وجوهها في مقصدي • ورعبت باركتهما منك
 واذا قضيت حوائجي وأريقتي • أملا فربك ما أودت بربك
 واشدد على قولي بدا فهو الذي • برهانه لا يقبل التشكيك
 مولاي ما استأثرت عنك بهجتي • أفى ومهيجتي التي تفديك
 لكن رأيت جناب شاله مغفيا • يضفي على العز في ناديك
 وفروض حقك لا تغوت فوقها • باقي اذا استعز به يميزك
 ووعدتني وتكرر الوعد الذي • أبت المكلام أن يكون أفيك
 أضفى عليك الله ستر عناية • من كل محذور الطريق يفيك
 يفتاك للدينيا تحاط وأهلها • فله جمل جلاله يفيك

٨١

وقال أيضا في الغرض المذكور

عن باب والدك الرضى لأبرح • بأس الزمان لاجل ذا أوجرح
 ضربت خيالي في جناه فصيتي • تجني الجنيه وهمي نسرح
 حتى راي وجهه في وجهي • بعناية تشفي الصدور وتشرح
 أسروغ عن مشواه سيرى ثابيا • ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
 أنافي جناه وأنت أصر بالذي • رضيه منك فوز عظم أريج
 في مثلها سيف الحية يتفضي • في مثلها زند الحفظة يقدر
 وعسى الذي بدأ الجمل بعينه • وعسى الذي سذل المذهب يفتح

٨١

فأجابه السلطان أوصال رحمه الله عاصورته من عبد الله المستعين بالله إbrahim أمير المسلمين المجاهد
 في سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا أمير
 المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين
 يوسف بن يسوق بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز
 الاخلى الأوجه الأزه الصدر الاحل المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الاجل
 الاعز الاسنى الوزير الارفع الاتحاد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبي محمد ابن الخطيب وصل الله عزته
 ووالى رفعة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا ولولانا
 محمد رسول المطفى الكريم والرضا عن آل وصحبه أعلام الاسلام وأئمة الرشد والهدى وصلوات الدعاء
 لهذا الامر العلى العزيز المنصور المستعني بالنصر الاعز والفتح الاسنى فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى
 لكم بلوغ الامل ونجى القول والعمل من منزلنا الاسعد بشفعة وادى ما لوى عنه الله وصنع الله جميل
 ومنه جزيل والحمد لله ولكم عندنا المكتبة الواضحة الدلائل والمنةية المتكفلة برعى الوسائل ذلك مما
 تميزتم به من التمسك بالجناب العلى الولوى الملوى جدد الله تعالى عليه ملابس غفراته وسقا غيوث
 رجته وحناته وبما أهدىتم النيانم التقرب لدينا بجمدة تراه الطاهر والاشتمال بطارف حرمة
 السامية المظاهرة والى هذا وصل الله حظوتكم ووالى رفضكم فله ورد علينا خطابكم الحسن عندنا
 قصده المقابل بالاسعاف المستعذب ورد فوقفنا على ما نصه واستوفينا ما شرحه وقصه فآثرنا حسن
 تلافكم فى التوصل بأكبر الوسائل البنا ووعينا أكل الرعاية حق ذلك الجناب العزيز علينا وفى الحين

عينا لكل مطلبكم وتقام مأدبكم والتوجه بخطابنا في حقكم والاعتماد بوقفكم خديعنا أبا البقاء بن
 تاشكورت وأباز كريا بن فرجاجة أنجدهما الله وتولاهما وأمس تاريخه أفضلا مودعين إلى الغرض
 المعلوم بعد التأكيدهما فيه وشرح العمل الذي يوفيه فكونوا على علم من ذلكم واسطوا له جلة
 آمالكم وانالزجوا ثواب الله في جبرأحوالكم وبراعتلالكم والله سبحانه يصلي بمرتكم ويتولى
 تكريمكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب في الرابع والعشرين من رجب سنة احدى
 وستين وحرره ابن الخطيب عانصه مولاي خليفة الله بحق وكبير مالوك الارض عن حجة ومعدن
 الشفقة والحكمة ببرهان وحكمه أبقاكم الله تعالى على الدرجة في التعمين واقرى الخط عند جزاء
 المحسنين وأراكم غمرة برأيكم في البنين وصنع لكم في عقودكم الصنع الذي لا يفقد عند معتاد وأذاق
 العذاب ألامهم من أراد في مثابكم بالحداد عبدكم الذي ملككم رقه وأوتى غرته وسوتر أهله وولده
 وأسبغ رقه وجبرتم قلبه يقبل وطوى الاخضر الكرم من رجليكم الطاهرة المستوجبة بفصل الله
 تعالى ما وقف النصر الفارعة هضبة العز المعلقة الخطوط في مجال السعد وسير الخط ابن الخطيب من شالة
 التي تأكلتكم الارض احتراما وتجدد برأيكم عهدا واستشرع عليكم دفنها واشرق بحسناتكم
 نورها وقدر على العبد الجواب المولوي البر الرحيم المتم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر
 الرفيع والمهمة السامية والعزة القساء من ربي الدخيل والنصرة للقيام والاهتزاز لبر الاب
 الكريم ثواب الرجاء وانبت الامل وقوى العضد وازار اللطف فالجدة الذي أجري الخير على يدكم
 الكرم وأعانكم على رعي ذمام الصالحين المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعباتهم ورتاب أجدانهم
 ثم بغير مولاي ومولاكم ومولى المطلق أجمعين الذي تسبب في وجودكم واختصكم بحبه وعمركم بطافه
 وحفاته وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا وهياتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة
 بمد طول المدى وانفاس البقاء وفي علومكم المقدسة ما فاضت الحكايات عن العرب من النصر عن
 طائر داس أفرأخه ناقة في جوار رئيس منهم وما انتهى إليه الامتعاض لذلك عما أهيت فيه الانفس
 وهلك الاموال وقصارى من امتعض لذلك أن يكون بعض خدامكم من عرب تامسنا الظن بكم
 وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فممن بدأ أولا إلى جاكم بالاهل والولد عن حسنة
 تبرعتم بها وصدفه جلتكم الحربة على بناتها ثم فممن حط رحل الاحتجارة بصرح أكرم المخلق عليكم
 دافع العين خافق القلب واهي الفزعة يتغلى بردائه ويستغير بعلبائه كاتني زاميت عليهم في
 الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التفسير بقصر دله ومضجع رقاد مامن يوم الا
 وأجهر بعد التلاوة بالعقوب بالمرين نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ولا يسلبنى عنايتكم
 ويستعملنى ما يقبى في خدمتكم ويتقبل دعائى فيكم ولحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر
 المقدس ووضعت بازائه وقالت يا مولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بنى مريم صاحب الشهرة
 والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترايين يدي قبرك المتوسل الى الله ثم الى اولادك بك
 ابن الخطيب وصله من مولاه والله ما يليق بخادمه من ربي وجوهك والتعرب الى الله تعالى برأيكم
 والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك وأنتم من أنتم من اذ صنع صنعة كلها واذا من منة تمها
 واذا أسدى بدأ برزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة وأنا بعد تحت ذيل حرمك وظل
 دخلك حتى يتم أملى ويخلص قصدى وتحف نعمتك في ويطمن الى ما منك فلي ثم قلت للمطلبة أيتها
 السادة بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذاً يوم ومناسبة النحلة وأخوة التأليف هذا الرباط المقدس
 والسكي بين أظهركم فامتنوا على دعائى يا خلاص من قلوبكم وانفذت في الدعاء والتوسل الذي أرجو أن
 يتقبله الله تعالى ولا يفضيه وناطب العبد مولاه شاكر النعمة مشيداً بصنيعه مسروراً بقبوله

وشقه من التعلق والتطاول شاته حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة رفها وودعاء
 برده والله المستعان اه ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم إلى أهل الأندلس أعظموا وسيلته وقبوا
 شفاعته وردوا على ابن الخطيب ما تأتي زده مما كان ضاع له وأتلف عليه واستمر مقبها بسلاصتين وزباده ثم
 استدعاه سلطانه الغني بالله إلى الأندلس بعد رجوعه اليها واحتوائته على ملكها فأجاب حياء لا رغبة
 ومكرها لابلال إلى ان كان ما ذكره من شأنه بعد ذلك ان شاء الله فوادره بلا وما يريته كثيرة وفيها
 ذكرناه كفاية

في انتفاض الحسن بن عمر الفودودي بوجه بتادلاته مقلته عقب ذلك

قد قنعنا أن السلطان أبي سالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد الحسن بن عمر على امرأته وجعله
 اليها اتخفا منه وريته بكنهه من الدولة فاستقرموا وتأملت له بهار ياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان
 وسعوا فيه عنده حتى تنكره وأظلم الجوى بينهما وأحسن الحسن بن عمر ملك فغشى على نفسه وخرج
 من مرأته في صفر سنة إحدى وستين وسبع مائة فلق بتادلاته مقلته السلطان ومرة كالتحالف
 قتلناه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه وأصروا صبا عليه فسرّح اليه السلطان أبو سالم وزبده الحسن
 ابن يوسف الورثاني فاحتل بتادلاته وانضم الحسن بن عمر إلى الجبل بها فاعتصم به ومعهم كبير بني جابر
 الحسن بن علي الورديني فاحاطت بهم العساكر وأخذوا بمنقعتهم ودخل الوزير بعض أهل الجبل من
 برابرة صناكة في الثورة بهم وسرب اليهم المال فثاروا بهم وانقض جمعهم وتقبضوا على الحسن بن عمر
 وقادوه برقته إلى الحسن بن يوسف فاعتقله وانكفأ إجماعه إلى الحضرة فدخل في يوم مشهود استركب
 السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد وجلس الحسن بن عمر على جبل فليف به
 بين تلك الجوع ولما قرب من مجلس السلطان أوما إلى تقبيل الأرض من فوق جده ثم ركب السلطان
 إلى قصره وانقض الجمع وقشعر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا عبرة لمن اعتبر ولم يدخل السلطان قصره
 جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه وأحضر ابن عمر فوثقه وقز عليه ذنوبه فقلوب المعاذير
 ونزع إلى الانتكار وقال ابن خلدون في حضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصفة فكان مقاما
 تسيل فيه الميون رجعة وبيرة ثم أمر به السلطان فصب على وجهه وتفت لحيته وضرب بالحصى ونزل
 إلى محبسه ثم قتل بعد قليل فقام بالراح خارج البلاد ونصب شاوہ باب المحر وفجره الله تعالى

في نوموس السلطان أبي سالم إلى تلسان واستيلاؤه عليها

لما استوصى السلطان أبي سالم ملك المغرب وحى أتر الخوارج منه سمعته إلى تلك تلسان كما كان
 لا يسه وأخيه من قبل وأكده زمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد إلى عاملهم على درعة
 اليها فأجمع السلطان أبو سالم النهوض اليها وعسكر بظاهر فاس الحجة يوم منتصف سنة إحدى وستين
 وسبع مائة ولما وافق عليه المشهود وتكاملت بسدنه الجنود ارتحل إلى تلسان واتصل خبره بموضه
 بسلطانهم أبي جواد بن يوسف الزياتي وزيره عبد الله بن مسلم الزرد إلى قتادوا في العرب من بني عامر بن
 زغبة وبني معقل فأجابوهم كافة الأثر ذمة قبيلة من الأحلاف ثم خرج أبو جواد وشيعته عن تلسان إلى
 العصراء والتفت عليه العرب بجماله ولما دخل السلطان أبو سالم تلسان واستولى عليها خالفه أبو جواد في
 عمره إلى المغرب فترأوا آكر سيف ووطاط وبلاد موية وحطمو أوزار وعماوات فسفوا ركنها وخرى وأمرائها
 وبلغ السلطان أبي سالم ما كان من إفسادهم فأمره أمر المغرب وكان في جلته من بني زيان محمد بن عثمان
 ابن السلطان أبي تاشفين وبكني أبا زيان فقتله على تلسان وأعطاه الألف وجمع جيشا من مغراوة
 وبني توجين وفتح لهم أعينهم وانكفأ إجماعا إلى فاس فاجعل أبو جواد والعرب أمامه ثم خالفوه إلى

تلسان فطردوا عنها أبازيان واستولوا عليها لو ثبت قدم أبي جوامع أو عاد أبو زيان إلى المغرب لاحقا بالسلطان أبي سالم قبله وعقد المهادنة مع أبي جوامع واستقر الأمر على ذلك وقد كان ابن الخطيب عند ما بلغه استيلاء السلطان أبي سالم على تلسان هناك بقصيدة طويلة يقول في مطلعها

أطاع لساني في مدحك أحسانى • وقد لجت نفسي بفتح تلسان
ويقول في أثنائها وقد ألم بشئ من علم الأحكام التجريبية ليل السلطان إليه

ولله من ملك سعيد ونصبة • قضى المشتري فيها بعزلة كيوان
وجعل حكم العدل بيني وبينها • وقواطع الشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صمعة بدها • ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
ولم يسترض مبتزها قطع قاطع • ولا تلزعت فوهرها كف عدوان
قوى اختيار الله حسن اختيارها • فلم يخج الغرغان فيها الفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة • ولا حقت فيها طوالع بلدان

وقد أفاض السودان من أهل مالى على السلطان أبي سالم وأغريهم في هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف

قد تقدم لنا ما جرى من المواصلة بين السلطان أبي الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أوأخته من بعده منسا سليمان وتورد الفودوا سناء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيا هدية بنفسه بقصد أن يعيها إلى السلطان أبي الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ثم هلك السلطان منسا سليمان بعده واختلف أهل مالى واقترب أمرهم وتقاتلوا على الملك إلى أن جمع الله كلمتهم على السلطان منسا زاطقة واستوسق له الأمر ثم تظرف اعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التي كان منسا سليمان قد هياها للملك المغرب فامر بما فاذها إليه وضم إليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى حضرة فاس في صفر من سنة اثنتين وستين وسبع مائة وقال ابن خلدون في وكان يوم وفادتهم وما مشهودا جلس لهم السلطان ببرج الذهب بمجلسه المعظم عرض الجنود ونودي في الناس بالبروز إلى الصحراء فبرزوا وينسلون من كل حدب حتى غص بهم الغضاء وركب بعضهم بعضا في الأزدحام على الزرافة أعجابا بخلقها وحضر الوفدين يدي السلطان وأدوار سالهم بتأكيدهم والود والخالصة والمذعن إبطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالى وتواترهم على الأمر وتعتيم سلطانهم وما صار إليه والترجان يترجم عنهم وهم بصحة قونه بالترفع في أو تارقيهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان بأن جعلوا يمشون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك الجهم وأنشد الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال ثمرك السلطان إلى قصره وانفض ذلك الجمع وقد طار بطائر الأشجار واستقر الوفد تحت جراية السلطان أبي سالم إلى أن هلك قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالأمر من بعده وانصرفوا إلى مراكنس ثم منها إلى ذوى حسان عرب السوس الأقصى من بني مقل المتصلين ببلادهم ومن هناك لحقوا بسلطانهم والأمر كله لله وكان معاقيل في الشرع في ذلك اليوم قول ابن خلدون من قصيدة يقول في مطلعها

قد حثيد الأشواق من زند • وهفت بقلبي زفرة الوجد

إلى أن قال في وصف الزرافة

ورقبة الأعطاف حالية • موشية بوشائع البرد
وحشية الاتسب ما أنست • في موخن البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا • شرف الصروح بغير ما جهد

طالتدروس الشامتات به * ولرعا قصرت عن الوهد
 قطعت اليك تناثرا وصلت * استأدها بالنص والوخد
 تحدى على استصعابها ذلال * وتبيت طوع القن والقصد
 بسعودك اللأى ضمن لنا * طول الحياة بعيشة رغد
 جاءتك في وفد الاحبس لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
 وافوك أنفضه تقلم سسم * أبهى السرى بالغور والتجد
 كالطيف يستقرى مضاجعه * أو كالحسام يسلم من غمد
 يثنون بالحسنى التى سبقت * من غير انكسر ولا تحمد
 ويرون لحظلك من وفادتهم * نغمر اعلى الاراك والمنمد
 يامستعينا جل في شرف * عن رتبة النصور والمهدى
 جازاك الربك من خليفته * خير الجزاء فتم ما تسدى
 وبقيت للدنيا وسا كها * فى عزه أبدا وفى سسمد
 وقول الكاتب البارع أى عبد الله بن زمرك الاندلسى من قصيدة يقول فى مطلعها
 لو لانا لى بارق السد كرك * ماصاب واكف دممى المدرار
 لكنه مهمات عرض خافقا * قد حث يد الاشواق زنداوارى

الى ان قال فى الغرض المذكور

وغريبة قطعت اليك على الونى * بيسد اتيند بها هموم السارى
 تنسبه طيته التى قد اتها * والركب فهاميت الاخبار
 يقتادها من كل مشغل الدجا * فكأنما عيناها جذوة نار
 تشدوا بحمد المستعين حداتها * يتعللون به على الاكوار
 ان مسهم افصح الهيمر ابلهم * منه نسيم تسانك المعطار
 خاضوا بها لجم الفلا فخلصت * منها خلوص البدو بعد سرار
 سلمت بسعدك من غوائل مثلها * وكفى بسعدك حاملا لئمار
 وأنتك ياملك الزمان غريسة * قيد التواطر زهرة الابصار
 موشية الاعطاف راققة الحلى * رقت بدائعها يد الاقدار
 راق العيون أدبها فكانته * روض تفتح عن شقيقهم نار
 مابين مبيض وأصفر قارع * سال العجين به خلل انضار
 يحكى حدائق زرجس فى شاهق * تنسلب فيه أرقام الانهار
 تحذوا قوائم كالجنوع وفوقها * جبل أشم بنوره متوارى
 وحمت بحبيد مثل جذع مائل * سهل التعطف لىن خوار
 تستشرف الجدرات منه زائبا * فكأنما هو قائم بمنار
 تاهت بكل كنها وأتلع جيدها * ومشى بها الإعجاب مشى وقار
 خرجوا لها الجتم الغصير وكلهم * متعب من لطف صنع البارى
 كل يقول لصبه قوموا انظروا * كيف الجبال تقاد بالاسيوار
 ألقت ببابل رحلا ولطالما * ألقي القريب به عصا التسيار
 علمت ملوك الارض أنك غفرا * قد صابت لركاك فى مضمار

يتوؤن به وإن بعد المدي * من جاهدك الأعلى أعز جوار
 قارم لواء القصر غير مدافع * واصحب ذبول العسكر الجزار
 واهناً بأعياد القروح تحولا * ماشيت من نصر ومن أنصار
 واليك هام من روض فكري نحة * شف التناء به على الأزار
 في فصل منطقتها ورائق رمعها * مستمتع الإصماع والإبصار
 وتعمل من أصبغى لها فكأنني * عاطيته منها كوس عقار

مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله والسبب في ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمه الله قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وألقى زمام الدولة
 بيده فقم خاصة السلطان وحاشته ذلك عليه وضطوا الدولة من أجله ومرضت قلوب أهل الحل
 والعقد من تقدمه فربصوا بالدولة للذرائع أن كانت أو آخر سنة اثنتين وستين وسبع مائة فتحول
 السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد إلى القصبة من فاس القديم واختطها وأولنا فاجلسوا
 فلما استولى عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الفودودي أحد كبراء الدولة ووزرائهم على دار الملك أذ كان
 السلطان أبو سالم قد خلفه أميناً عليه أحذنته نفسه بالتوئب وصل ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض
 القلوب على السلطان لما كان ابن مرزوق قد أدخل فأدجنه النصرى غرسية بن أنطول واتعدوا لذلك
 ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فهدموا إلى تاشفين الموسوس ابن
 أبي الحسن فغلبوا عليه وألبوه شارة الملك وقربوا له مركباً وأجلسوه مجلس السلطان وأكرهوا شيخ
 الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له وجأهروا بالخطمان بوقرعو الطبول ودخلوا إلى بيت المال
 ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب وماج الجند فاس الجديد بعضهم في بعض واختطفوا ما وصلوا
 إليه من العطاء ثم انتهوا ما كان بالخازن للخارجة من السلاح والعتة وأضرموا النيران في بيوتهم استرا
 على ما ضاع منها وأصبح السلطان أبو سالم بكنة من قصبة فاس القديم وكان قد تحول إليها قراراً من قاطع
 فلكي تخوفه أياه بعض منجبه فكان البلاء فيه موكلاً بالمنطق فلما علم بالكائنة ركب واجتمع إليه من
 حضر من أوليائه وغدا على فاس الجديد وطاق في ما يروم اقتحامها فامتنت عليه ثم اضطرب معسكره
 بكبدية العرائس لحصارها ونادى في الناس بالاجتماع إليه ولما كان وقت المساء دخل فاس طائفة
 للقبيلة فتسائل الناس عنه إلى فاس الجديد فوجبه فوجبه عنده إلى أن انقض عنه خاصته وأهل
 مجلسه فطلب النجاء بنفسه وركب في لمة من الفرسان وفيهم وزيراه سليمان بن داود ومسلم بن
 عبد الرحمن بن ماسي ومقدم الموالى والجند بيليه سليمان بن نصار وأذن لابن مرزوق في الدخول إلى
 داره ومضى هو على وجهه فحين معه ولما غشيهم الليل انفضوا عنه حتى بقي وحده ورجع الوزير إلى
 دار الملك فقبض عليه سائر ثيس الثورة عمر بن عبد الله الفودودي ومشاركه فيها غرسية بن أنطول
 النصراني واعتقلاهما متفرقين وبث عمر بن عبد الله الطلب في أثر السلطان أبي سالم فغشوا عليه نائماً
 من القنفذ بعض الجاشري وادى وورقة وقد غشوا به اختفاء بشخصه وتواريا عن العيون بكنة فقبضوا
 عليه وجأهروا على بطل وطير وأبنا الخبر إلى عمر بن عبد الله فأرعى لتلقيه شعيب بن ميمون بن وردار وفتح الله
 ابن عامر بن فطح الله السدراقي وأمرهما بقتله وانفذوا أسمة فلقيا به بكنة في القصب إزاء كدية العرائس
 فأمر بعض جند النصرى أن يتولى ذبحه ففعل وجأهروا رأسه في محلاة ووضعوه بين يدي الوزير الناظر
 ومشيته وكان ذلك يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبع مائة وقد
 بالقتل خارج باب الجبلية بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران قال ابن الخطيب في الأحاطة
 كان السلطان أبو سالم رحمه الله قبة البيت وآخر القوم دمانه وحياه وبعد أن الشرو وروكو نال العافية

قالوا شئت على قبره الذي ووريت به جثته قصيدة آذيت فيها بعض حقّه

٨١

بني الديناني مع السراب * لدوا الموت وابنوا الخراب
ومن أعيان وزرائه أو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق البغيسي الخطيب المشهور الذي مر ذكره
آثما ومن قضاة عسكره أبو القاسم محمد بن يحيى الأندلسي البرجي ومن أعيان كتابه الرئيس أبو زيد
عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ وأبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري من أهل
مالقة صاحب كتاب السياسة وغيره * ومما نظمته هذا الفاضل عن اذن السلطان أبي سالم رحمه الله
ليكتب في طرّة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله

هذا التحمل المتى بالامن مضمور * من حله فهو بالامان محبور
ماوى النسيم به ما شئت من زرف * تهوى مجلسه الولدان والخور
ويطالع الروض منه مصنفات هجيا * يضاحك النور من لآلئ النور
ويسطع الزهر من أرجائه أربا * ينافخ النسيم منه منشور
مغنى السرور سقاء الله ما حلت * غر القمام وحلته الازاهير
أنظر الى الروض تنظر كل مجبة * عما ارتضاه رأى العين تبصير
مر النسيم به يسقى القصر اقصر * دراهم النور تبديده تنصير
وهامت الشمس في حسن الظلال به * فغرقت فوقه منها دنانير
والدوح ناعمة تهتز من طرب * همسا صوت غناء الطير يجهور
كأنما الطير في أفنانها صاحت * بشكر مالكها والفضل مشكور
والنهر شق بساط الارض تحسبه * سيفا ولكنة في السلم مشهور
يقاب للجنة الخضراء أزرقه * كالآلج جدانسب وهو مذخور
هذه مصانع مولانا التي جمعت * تحمل السرور وأمر السعد أمور
وهذه القبة الفراء ما نظرت * لشكلها العين الاعمر تنظير
ولا يصورها في الفهم ذوقك * الا ومنه لكل الجسد تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت * من المحاسن الاصد تنصير
فيها المقاصير تعميها مهابة * لله ما جمعت تلك المقاصير
كأنها الأفق تبدو النيرات به * ويستقيم بها في السعد تنصير
وينشأ المسكن في أرجائه وله * من غدير الشعر انشأ ونصير
وينهمي القطر منه وهو منسكب * ماء من الورد كونه تعطير
وتتفق الريح منه وهي ناعمة * مما أهب به مسك وكافور
ويشرق الصبح منه وهو من غرر * غر ترلا لا منه من الاسلير
وتطلع الشمس فيه من سنامك * تسم الدهر منه وهو سرور
ومضى في مدح السلطان والله تعالى يتغمد الجميع برجته عنه وكرمه

والخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوي بن أبي الحسن الرضي

هذا السلطان كان محبوبا بالوزير عمر بن عبد الله الفودودي لا عاك معه ضرا ولا نفا آثم أم ولدا سمها
ميمونة صفته طويل القامة عظيم الهيكل بعبد ما بين المتكبين أعين أدعج وكلن فلوسا بطلا
قوى الساعد الأتة كان ناقص العقل ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبي سالم موسى في هلاكه الى أن
قتل كما مر استبد بالمر الدولة ونصب هذا الموسوي بموته على الناس فبويح لبلدة الثلاثاء التاسع

عشر من ذى القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة حسبا سبق وكان نقصان عقل ناشئ من أجل
الامر الذي أصابه وقت طريف أيام والده السلطان أبي الحسن الى ان اقتدى وبقي ناصس العقل مختل
المزاج الى أن كان من أمره ما كان

﴿القتل بغريبة بن أنطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب في ذلك﴾

ما قبض عمر بن عبد الله على الوزير بن مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي وسليمان بن داود وصحبهما
منترقين فاختد اليه ابن ماساي لمكان صهره منه ودفع لغريبة سليمان بن داود وكان سليمان بن
ونصار قد قتر مع السلطان أبي سالم كما مر ولم يرجع عنه فحين رجع زل على غريبة قبله وأكرمه وكان
يعاقره الخمر فقاوضه ذات ليلة في الثورة بعمير بن عبد الله واعتقاله وأخاطة سليمان بن داود والمصورين
بداره مقامه لما هو عليه من السن وروسوخ التقدم في الامر ونفي الخبر بذلك الى عمر بن عبد الله فارتأى
وكان خلوا من العصية ففرع الى قائد المركب السلطاني من ناشبة الاندلس وريماها وهو يومئذ ابراهيم
البطر وحي فصادقه على أمره وبايعه على الاستماتة دونه ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففرع نائباً الى يحيى
ابن عبد الرحمن شيخ بني مرين وصاحب شوراهم فسكى اليه فاشكاه ووعده القتل باين أنطول وأصحابه
وانهرم عقد ابن أنطول وسليمان بن ونصار أيضاً على عمر بن عبد الله وغدوا الى القصر وداخل ابن أنطول
طائفة من النصارى استظهراهم وتوافقت بنو مرين بمجلس السلطان على عاداتهم وحضر ابن أنطول
والبطر وجو يحيى بن عبد الرحمن وغير هؤلاء من الوجوه فسأل عمر بن عبد الله من ابن أنطول تحويل
سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى ومنع به عن الاهانة حتى سأل مثله من ابن ماساي صاحبه
فامر عمر بالتعريض عليه فكنى في وجوه الرجال واختلط سكينه للدافعة قواثبت بنو مرين عليه وقتلوه
لحينه واستلموا من وجده وبالدار من جنده النصارى عنده دخولهم مع قائدهم وقتل بعضهم الى
مسكرهم ويرف بالملاح جوارقاس الجديد وأرجف القوغاء بالمدنية أن ابن أنطول قد غدر بالوزير
فقتلوا جنده النصارى حيث وجدوه من سكك المدينة ووزاحقوا الى الملاح لاستلزام من بقي به منهم
وركت بنو مرين في الحامية جندهم من معرفة القوغاء وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآبئتهم وأمتعتهم
وقتل النصارى أيضاً كثيراً من بحان المسلمين كأوليا عاقرون الخمر بالملاح ثم سكنت الحمية وما كادت
واستبد عمر بن عبد الله بدار الملك واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل ثم بعث من قتله بحسبه وحول سليمان
ابن داود الى بعض الدور من دار الملك فاعتقه بها واستولى على أمره ثم خاطب عامر بن محمد المختار في
اتصال اليد بواقسام ملك المغرب بينه وبينه وبعث اليه بالفضل ابن السلطان أبي سالم اعتمده عنده
ليوم ماتم فسد ما بينه وبين مشيخة بني مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكروا بسباب
الفتوح واستدعوا عبد الحليم بن أبي علي بن السلطان أبي سعيد من تلمسان على ما ذكره

﴿يظهر عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصر تلمسان الجديد ثم فراره عنها﴾

قد قنعنا في أخبار السلطان أبي الحسن أن أخاه أبا علي صاحب مجملاسة كان قد انتقض عليه فامكنه
الله منه فقتله وكل أولاده فليعين بينهم وبين أولاده في شيء من الاشياء ولما أفضى الامر الى أبي عثمان
بعث جماعة من اخوته وقرابته الى الاندلس تحت حياطة ابن الاحرار وكان فيهم أولاد أبي علي هؤلاء ثم
بعد حين سرحوا وقدموا تلمسان على سلطانها أبي حواين وسفكوا ناضده الى هذا التاريخ فلما
فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيوخ بني مرين بعثوا الى تلمسان جماعة منهم لاستقدام عبد الحليم
المذكور فسرّحه أبو حواين وأعانه بنى من الالة وجمع عليه من رغب في طاعته وزحف الى فاس
قتلته جماعة بني مرين بسبوا وتزولوا على فاس الجديد يوم السبت سابع محرم سنة ثلاث وستين

وسبعمائه واضطربوا معسكرهم بكذبة العرائس وحاصروا دار الملك سبعة أيام وتناحبت وفودهم وحشودهم ثم ان عمر بن عبد الله برز يوم السبت القابل في مقدمة السلطان ناشفين عن معه من جند المسلمين والنصارى راحة ناشبة واكل بالسلطان من جاءه في الساقفة على التعيسة المحكمة وناولهم الحرب فزحفوا اليه فاستطرد لهم ليمكن الناشئة من غفرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ثم صمم نحوهم فانفجر القلب وانقضت الجوع ثم زحف السلطان ناشفين في الساقفة فابذعروا في الجهات واقترق بنوهم الى مواطنهم ولحق يحيى بن عبد الرحمن براكش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخطط وطلق عبد الحليم واخوته بتار بعد ان شهد لهم رجال الدولة بصدق الجلاء وحسن البلاء في ذلك المقام ثم ان الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته في تقديم المعونة للامرو وعلما ان الامر لا يستقيم له بذلك فبادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن وكان عند الطاغية بدار الحرب فقدم وخلق الوزير للذكور سلطانه للموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائه فكانت دولته ثلاثة اشهر ويومين ومات وسنة ستون سنة والله تعالى أعلم

في الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المزينى في هذا السلطان كان محجوباً بالوزير عمر بن عبد الله أيضاً كنيته أبو زيان لقبه المتوكل على الله أمه أم ولد اسمها فاضة صغته آدم اللون شديد الادمة معتدل القامة منفرج الأنف دقيق العينين وهو قال ابن الخطيب في الاطاحة في حاله فاضل سكون منقاد مشغول بمخاصمة نفسه قليل الكلام حسن الشكل دروب ركض الخيل مقوض للوزراء عظيم التآفي لاغراضهم وكان قبل ولانته عند الطاغية بالاندلس قزاليه خوفاً على نفسه ولما التفتت الامور على عمر بن عبد الله طلبه الى الطاغية فسمعه به بعد اشتراط واشتراط وفصل من اشيلية في الحرم فاقم سنة ثلاث وستين وسبعمائه ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقدمه فطير اليه بالخبر فحيث دخل عمر ناشفين الموسوس وبعث الى السلطان أبي زيان بالبيعة والالة والغساطيط ثم جهز عسكر القائه فتلقوه بطنجة وأغذ السير الى الحضرة فقتل منتصف معسكره بكذبة العرائس واضطرب معسكرهم واولقاه يومئذ الوزير عمر بن عبد الله الياباني وبابعه وأخرج فسطاطه فاضطرب به معسكره وتلقوا السلطان أبو زيان هناك ثلاثاً ثم دخل في اليوم الرابع الى قصره واقعد أركبته وتودع مملكته وهو قال ابن الخطيب في الاطاحة في كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاكظم كوكب المشتري من السيارة السبعة اه ولما تم له الامر خاطبه ابن الخطيب من سلامه مثاله بقوله

يا ابن الخلائف يا مسمى محمد • يا من علاه لبس بمصر حاصر
أبشر فانت بمحمد الملك الذي • لولاك أصبح وهو رسم دائر
من ذا يساند منك وارثه الذي • بسعوده قلب المنبشة دائر
ألفت اليك يد الخلافة أمرها • اذ كنت أنت لها الولي الناصر
هذا ووينك للصرخ وينها • حرب مضرسة وبحر زائر
من كان هذا الصنع أول أمره • حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاي عندي في علاك محبة • والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبي يحسنه ثنى بانك جابر • كسرى وحظي منك حظا وفرا
بثري جدودك قد حطت حقيتي • فوسيلتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسى واجتهادى مثلما • يلقى للملك سيف أمره عامر
فهو الولي لك الذي اقسم الردى • وقضى النزعة وهو سيف باهر

وولي جثلك في الشدايد عندما • خذلت علاه قبائل وعشائر
 فاستهمنه النصح واعلم انه • في كل معضلة طيب ماهر
 ان كنت قد جعلت بعض مدائحى • فى الرياض والرياض بواكر
 ثم اتبعها بشر اضر سنانها اختصارا والله تعالى الموفق

هو فاداة ابن الخطيب من سلا على السلطان ابي زيان بن ابي عبد الرحمن رحمه الله

وقال في الاطاحة • وقفت على السلطان ابي زيان بن ابي عبد الرحمن بن ابي الحسن من محل الانقطاع
 بسلا واشدته قولى

لمن علم في هضبة الملك خضاق • افاقته من غشية المهرج آفاق
 تقبل رياح النصر عنه غمامة • تمسكها ايد وتضع اعناق
 وبيعة شورى احكم السعد عقدها • واهمل اجاع عليها واصفاق
 قضى عمر فيه الجحى محمد • فصيل عهد وفاء وميثاق
 احلما ترى عينى أمهى فترة • أعند كافي مشكل الامر مصداق
 وقاض بفضل الله في الارض تبتنى • ومجمعات لا تريب وأسواق
 وسرح تنهيه الكلاءة بالكلأ • ولعل لسقى الغيث قام له ساق
 وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطأ • ولقنته العماة في الارض الطباقي
 ولقنته امسال وفي الارض رجعة • والمدن والدنيا وجوم والطراق
 فكل طريق فيه البنى راية • وكل طريق فيه للعبط طرراق
 أجل انه من آل يسقوب وارث • يحث له البيت العتيق ويشتاق
 له من جناح الروح نخل مسجف • ومن رفرق العز الالهى رستاق
 أطل على الدنيا وقضا مضوءها • دجى وعلى الاحداق لا دعرا حداق
 فأنشرف الارباء من نور ربها • وساحم بالله لطف ولشفاق
 فمن الحسن بالشكر لله أعلنت • وكان لها من قبل عس والطباقي
 وايس لامر أبرم الله ناقض • وليس لمسى النصح في الله اخفاق
 محمد قد أحيت دين محمد • ولخلق ادماء تفيض وارماق
 ولولم تنب غلى على شفق الغما • دم لسيف البنى في الارض مهراق
 فاعين بنصون من القلح سابع • له باختبار الله حط وايساق
 اقل والدأماء تطهر طاعة • اليك وصغ الماء أزرق وقرراق
 الى هدف السعد انبرى منه والدجا • تفل الجنى سهم من السعد رشاق
 نخطت لتقوم القوام جداول • وحثت من التوفيق واليمن أوقاق
 تبارك من أهداك للتأق درجة • ومستبعد أن يمل الخلق خلاق
 هو الله يلو الناس بالخبر فتنة • وبالشكر والايام سم وترباق
 سم منك أعناق الورى خليفة • له في مجال السعد عدو واضاق
 وقالوا إنسان ما استقل بكفه • تفيض على العاقين أمهى أرزاق
 وأظن بك الملاحون وأغرقوا • فلم يجسد الطنابول يغن اغراق
 ألت من القوم الذين أكتهم • غمام ندى ان أخلف الشيت غيداق
 ألت من القوم الذين وجوههم • بدور لها في ظلمة الروح اشراق

رياض اذا العاقى استظل ظلها • ففهي اجنى مسئ الاكف و اوراق
 اوبك ولى العهد لوسالم الردى • وجئتك قد فاق الملوك وان فاقوا
 فمن ذاك جئت بجنتك اواب • لائى والمجد المؤنل نفاق
 وحسب العلى فى آل يعقوب انهم • هم الاصل فى العلياء والناس الحاق
 اسود سروج اوبدور أسرة • فان حار ووارعوا وان سالموا وراقوا
 بطول لتصيل الكمال سهادهم • فهم لله الى وللصكرام عشاق

﴿ومنها﴾

لقد نسيت احسان جنتك فرقة • ترزى على اعنائهم منه اطواق
 اجازت خروج ابن ابنه عن رائه • ولم تدر ما ضمت من الذكر اوراق
 ومن دون ما راموه الله قدرة • ومن دون ما اتوه للفتح انشلاق
 خذ العفو وابذل فيهم العرف وتوسع • جرة من ابدى لك الفدر اخلاق
 فربما تنبؤهم منه هذه التلي • وتم فحولم القوم والقوم حذاق
 وما للناس الامنذب وابن مذب • ولله ارطاد عليه سسم و اوراق
 ولا ترج فى كل الامور سوى الذى • خزائنه ماضى ها فاق انفاق
 اذ هو اعلى لم يضرمع مانع • وان حششت طسم وعادو علق
 عرفت الردى واستأثرت بك للعدا • تقوم لمخط الصليب واعماق
 فسر لى سرى واحيا بك الورى • ولرروع ارعاد عليك و اوراق
 بخازن صيغ الله وازدد بشكره • مواهب جود غيث الدهر دفاق
 واوفى لمن اوفى وكفى الذى كفى • فانت كريم طهرت حنك امراق
 وتنبك يا مولى الملوك خلافة • شجها تبارج اليك واشواق
 فقد بلغت اقصى النى بك نفسها • وكم فاز بالوصل المهنامشتاق
 فلاراع منها السرب للدهر رافع • ولاتال منها جادة السعد اخلاق
 امولا يراعى الدهر سربى وغالى • فطرفى مذكور وقلبي خفاق
 وليس لك سرى غيرك اليوم جابر • ولا لى الا بجدك اعلاق
 ولى فيك وقد واعدت ادق رسته • فرائت جمن بانع الحمد اوراق
 وقد عمل صبرى فى ارتقائى خليفة • تحصل به للضرعنى اوراق
 وانت حسام الله والله ناصر • وانت امين الله والله رزاق
 وانت الامان المستجار من الردى • اذ اراع خطب اوتوقع املاق
 واهون ما يرجى لى بك شفاعة • اذ لم يكن عزم حشيش وارهاق
 ودونك هلم ذائع الحمد مخلص • له فيك تقييد بروق واطلاق
 اذ قال اما كل مع لقوله • فضعن واما كل انف فتشاق
 ودم خافق الاعلام بالنصر كلا • ذهب لى لم يكن فيه اخفاق

قال وعدت منه ببر كثير واحترام شهير يشير بلك الى ما اكرم به وكتب له من الظهير الذى يتضمن كمال
 الاحترام والتوقير ونصه هذا ظهير كريم من امير المسلمين فلان ايده الله ونصره وسى له الفتح المبين
 ويسره لنسج الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاخطى الارض الامجد الاسمى الاوحد الانوهر الارقى العالم
 العلم الرئيس الاعرف المتفق الاربع النصف المفيد المصدر الاحل الافضل الاكمل ابي عبد الله ابن الشيخ

الفيقير الوزير الاجل الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجه الانوہ الاحفل الافضل الحبيب الاصمى
الاكمل المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب فابله أيده الله وجه القبول والاقبال وأضنى عليه ملابس
الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال ومانع من مقاصده المحسنة في خدمة
أمرنا المال وأمر في جلة ما سوغه من الآلاء والوارفة التلال الفسيحة الجبال بان يجتدله حكم ما يده
من الاوامر المتقدم تلريخها المتضمنة عشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له
ولولده الذى لتطوره من محبى مدنته سلاحيها الله ومن حيث حوت العادة ان تثنى له ورفع الاعتراض
بها بما يجب له من الادب والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستغديه خدامه بخارجها
وأحوالها من غيب وقطن وكان وفا كمة وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شيء من ذلك بغيره ولا يوظف
ولا يتوجه فيه اليه بشكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما اعلن
بجديده المخطوطة واتصالها واتمام النعمة واكالمها من توارىخ الاوامر المذكورة الى الآن ومن الآن
الى ما ياتى على الدوام واتصال الايام ولن يحمل جانبى فمين يشركه أو يخدمه محمل الرضى والمخاشاة في
الصغر منهم ما عرضت والوظائف اذا اقترنت حتى يتصل له تلك العناية بالطواف وتتضاعف أسباب
المنن والعوارف بفضل الله وتعمده الازواج التي يحرمها بالتأخر من كل وجبة وتعامى من كل
مقرم وأوضريه بالانصر بر التمام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظاهر الكريم فليعمل بمقتضاه
وليفض ما أمضاء ان شاء الله وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبع مائة
وكتب في التاريخ اه وقوله وكتب في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان يكتب بعم غليظ
وبعض ما لو القرب يكتب عند العلامة صح في التاريخ

وهو فادة عامر بن محمد المختار على السلطان أبى زيد بن أبى عبد الرحمن رحمهما الله

كان للوزير عمر بن عبد الله اليابى مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبى ثابت عامر بن محمد المختار
كبير جبل ددن والبلاد المراكشية وكان الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بهبره وظهره على الملك
مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى يكون عنده عدة وعتاد اليوم ما فلبا ويرى السلطان أبوزيان استقدم
عمر بن عبد الله بهبره المذكور لوزارته وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان المذكور فقدم
في صحبته مسعود ووزلا من الدولة بتجيز منزل وعقد السلطان أبوزيان مسعود المذكور على وزارته بأشارة
الوزير عمر بن عبد الله فاضطلع بما ودفعه عمر اليها استماله اليه وثقة بكانه واستطاع ابعصيته وعقد مع
عامر بن محمد الخائف على مقاسمة المغرب شق الابلة وجعل اماره مراكش لابي الفضل ابن السلطان
أبى سالم اسحاق فعرض عامر بن محمد في ذلك وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبى بكر الخصى التي توفي
عنها السلطان أبوعنان فاجابوه وجاؤا اولياءه على العقد عليها وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش
يتمز الدنيا راءه عز اوترة وتابعوا ذلك في جادى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبع مائة فاستقل بامر
التاحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما اليها من الاعمال واستبد بها ونصب ابا الفضل
ابن السلطان أبى سالم صورة واستوزر له وعكس سلطانه وعلا ذكره وصارت كانه دولة مستقلة تصرف
اليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مقرهم ولجؤا اليه فاجارهم على السلطان واجتمع اليه منهم
مسلا واتسع الطريق على الراح واضطربت الاحوال بالثرب وخرج على السلطان أبى زيد الامير
عبد الحليم بن أبى علي بن أبى سعيد وتقلب على مخطاسه وأعمالها ثم غلب عليه أخوه عبد المؤمن بن أبى علي
فخرج عبد الحليم الى الشرق لقضاء فريضة الحج واستقر عبد المؤمن بسطلماسة وأقامهم دولة كما كان
لولده من قبل الى ان فقها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى وأضافها الى مراكش فامس ثم انتقض
الوزير مسعود أيضا وادبع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوس بن أبى علي ونصبه للامر وصار يشترش به

على الدولة وتشرق من عبد الله بدائه في أخبار طوبى له وأمر عيه وسلطان البحر من مرسى غساسة إلى الأندلس فاقم سنة سبع وستين وسبع مائة وأقبل على الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطان أبو زيان من شعبهما والقتال على أمره

في مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله

لماطل استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبي زيان وحججه إياه إذ كان وضع عليه الرقابة والعيون حتى من حرمة وأهل قصره عزم على القتل بالوزير المذكور وتناجى بذلك مع بعض ندائه وأعدته طائفة من العبيد كانوا يختصون به ففنى ذلك إلى الوزير بواسطة بعض الحزم كانت عينا له عليه فداجله وكان قد بلغ من الاستبداد عليه أن كان الحجاب مرفوعا عنه عن خلوات السلطان وحرمه فدخل عليه وهو في وسط حشمة فطردهم عنه ثم غطه حتى ظنوا أمره فالتقى في بئر بروض الغزلان واستدعى الخامة فأراهم مكانها وأنه سقط عن دابته وهو وسكران وذلك في محرم فاقم سنة ثمان وستين وسبع مائة كذا عند ابن خلدون وهو قال في الجذوة توفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبع مائة وله ثمان وعشرون سنة ودفن بجامع قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوما واحدا والله أعلم

في الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله

هذا السلطان هو الذي أنشأ دولة بني مرين بعد تلاحشها وأعاد إليه ما شبها بعد حرمانها وتقاضها وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد وأعادها من الغزاة حاله المعتاد وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برحمته وحلي ديباجته باسمه أتمه مولدة اسمها مریم صفته آدم اللون شديد الالمة طويل القامة يشرف على الناس بطوله نجيف الجسم أعين أدهج أخضر في وجهه أثر جمدري وكان عظامه مسك بالدين محبوبا للخير وأهله لم يشرب خراولا ولا وقع في فاحشة قط وبالجملة فقد كان من صالحى الملوك رحمه الله في ما كان من الوزير عمر بن عبد الله الباقى إلى السلطان أبي زيان رحمه الله ما كان من الخلق واللقاء في البئر استدعى عبد العزيز بن أبي الحسن هذا وكان في بعض اللو من القصبه بناس محتاطا عليه من قبل الوزير المذكور فأخضره بالقصر وأجلسه على سرير الملك وبأيداه وفتحت الأبواب لبني مرين وصائر الخاصة والعامة فلزجوا على تعجيل يده معطين الصفة بطاعته فتم أمره وثبت ملكه وذلك يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبع مائة ثم إن الوزير عمر جرى معه على عادته من الاستبداد ومنع التصرف في شيء من أمور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وتأنف حسنه ودارت بينه وبين الوزير أمور إلى أن عمل السلطان على القتل به فأعد له جماعة من الخسبان بزوايداره ثم أخضروه ووجنه وثأريه أولئك الخسبان قتلواوه هربا بالسيوف وصاح الوزير المذكور صيحة أسمعها بطائفة خارج الدار فوثبوا على الأبواب فكسروها واقتحموا الدار فاذا صاخبهم مدرج بدماه قد فرغ منه فلولوا الدار هاربين ثم تتبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع في خبر طويل واستبد على واضطلم به وأدارا لا مورقيه على ما ينبغي والله تعالى أعلم

في انتقاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك

قد قدمنا أن أبا الفضل بن أبي سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مراكش اسمها قال كافله عامر ابن محمد المختار فلما قتل السلطان عبد العزيز بالوزير المذكور كورسولت لابي الفضل نفسه مثلها في عامر بن محمد لاستبداده عليه وأغراه بذلك بطائفة فاحس عامر بالشرقة لمرض بداره من مراكش

ثم استأذنه في الصعود الى معتمده من الجبل ليعرضه هناك حرمه وأقاربه فأرسل بجملته واحتل بحصنه وكان أعز من الألق الفرديش أبو الفضل من الاستمكان منه ثم أغرت بطائته اذ فاتهم عامر بالقنك بعبد المؤمن بن أبي علي وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سبيل ماسة فسكر أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجنود من النصارى فأمره بقتل عبد المؤمن بكان معتقله من قسبة مرا كش فحاء برأسه اليه وطار الخبير بذلك الى عامر فأرناع وجد الله اذ خطه من غائلته وبعث يبيعه الى السلطان عبد العزيز وأغراه بأبي الفضل ورغبة في ملك مرا كش ووعده بالظاهرة فأجمع السلطان أمره على النهوض اليها ونادى في الناس بالعتاء وقضى أسباب حركته وأرسل من فارس سنة تسع وستين وسبعمائة وقد استبدأ أبو الفضل بمراكش وأعمالها وأقام بهارسم الملك واستوزر واستطرق وجعل شورا لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخطي ولما نهض السلطان عبد العزيز من فارس اتصل خبره بأبي الفضل وهو منازل أسامر بن محمد فاتفق معسكره وخلق بتادلا ليعتصم بجبل بني جابر منها فقتله السلطان عبد العزيز اليها وناله وأخذ بمنتهى وقته فقتل عسكره ثم داخل بعض بني جابر في جراح الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا وانهمزت جيوشه وتقبض على أشياءه وسبق مبارك بن ابراهيم الى السلطان عبد العزيز فاعتقله ان في قتله مع عامر بن محمد كاذكر وخلق أبو الفضل بقبائل صناعة وراء بني جابر فدخل بنو جابر صناعة في شأنه وبذلوا لهم عن السلطان ما لا ذرا في اسلامه فأسلموه وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاءه أسيرا وأحضره أمام السلطان فوبخه ثم اعتقله بفسطاط مجاور له ثم غط من الليل فكان مهلكة في رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة لمضى ثمان سنين من امواته على مراكش وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد بتبطل طاعته فأبى عليه وجاهر بالانلاف الى ان كان من شأنه ما ذكره

في انتفاض عامر بن محمد المنتفاي وحصار السلطان عبد العزيز اياه وظفره به

كان عامر بن محمد المنتفاي بجيرة السلطان أبي الحسن من ابنه أبي عثمان على ما وصفنا من بلوغ الغاية في الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوالها وكان قد حصل في مدته رياسته على ثروة عظيمة وجاءه كبير وكان له معتمد بجبل درن أعز من بيض الأفوق قد حصن فيه ماله وسلاحه وذخيرته وكان كلما حاجه هيج صعد اليه وأمن على نفسه فلما صفا الامر للسلطان عبد العزيز جعل عامرا هذما من أهم أمره فقص له واستمدت لقتاله وعقد على وزارته لاي بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس ونهض اليه من فارس سنة سبعين وسبعمائة فحاصره في جبله سنة كاملة ولما طال الحصار على عامر وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد فبعث الى السلطان وسهل له الطريق لاقحام الجبل فلحقه العساكر والجنود وشارفت المعصم ولما استيقن عامر ان قد أحبط به بعث الى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مختاراه ومشيه اعليه بالتي هي أحسن وأسلم فالتقى الولد بنفسه الى السلطان فقبله وبذل له الامان وألحقه بجسماته وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فردد الثلج وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فالتصم عامر حتى هلك فيه بعض حرمه وتفق مراكوبه وعان الملكة العاجلة فرجع أدواجه تخفيا حتى أوى الى غار مع أدلاء كان قد استخلصهم وبذل لهم مالا على أن يسلكوا به ظهر الجبل الى صحراء السوس فأقاموا ينتظرون أماله النج وقد شد السلطان عبد العزيز في التفتير عنه والبحث ففتر عليه بعض البربر بالمال كور فسبق الى السلطان فأحضره بين يديه ووجهه فاعتمد واعترف بالذنب ورغب في الاقالة فعمل الى مضرب بني له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك وانطلقت الايدي على معقل عامر ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزروع والاقوات ما لا عين

رأت ولا أذن سمعت واستولى السلطان على الجبل ومعاقلة في رمضان من سنة احدى وسبعين
وسبعمئة لحول من يوم حصاره وعقد على هنتاة لان اخي عامر وهو فارس بن عبد العزيز بن محمد بن علي
الهناتقي وارتحل الى فارس فاحتلهم آخر رمضان المذكور ودخلها في يوم مشهور برز فيه الناس وحل
عامر وسلطانه تاشفين من بني عبد الحق كان نصبه الامر بمحوها به على عادته فحملا معا على جلاين وقد فرغ
عليهما مال باس ورت وعيبتهم مما ايدى الا هانة فكان ذلك عبرة لمن رآه ولما قضى السلطان عبد العزيز
نسك عيبد الفطرا حضر عامر اقترعه بذنوبه واتى بكباب بخطه يخاطب فيه اباجوان بن يوسف الزباني
ويستعجده على السلطان فشهد عليه به وامر السلطان بامتناعه فلم يزل يحمله حتى اتت له وضرب بالهصى
حتى ورمت أعضاؤه وهلك بين يدي الوزعة وجنب تاشفين سلطانه الى مصر عرقت قتل قصبا بالراح
وجنب مبارك بن ابراهيم الخططي من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ولكل أجل كتاب وصفا الجور
للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ لغزو تلسان على ما ذكره ان شاء الله

في ارتجاع الجزيرة الخضراء لمن يد الاصبين

قد قد منما كن من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان أبي الحسن رحمه الله فاستمرت
في ما كنهم الى هذا التاريخ فنشأت بينهم قتنة وتقاتلوا على الملك وأمر وانفروهم الموالية للمسلمين من
الحامية والجندة بقيت عورة وتشوق المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء التي قرب عهدهم بانتقامها
في ملكة المسلمين وكان السلطان عبد العزيز في شغل عن ذلك فبنته أبي الفضل بن أبي سالم وعامر بن محمد
وانتقاضهما فبعث الى ابن الاخر صاحب الاندلس أن يزحف اليها ليعصا كرهه وعليه عطاؤهم
وامدادهم بالمال والاساطيل على أن تكون مثوبة جهاده خالصة فأجاب ابن الاخر الى ذلك وبعث
اليه السلطان عبد العزيز باجمال المال وأوعز الى أساطيله بسبته فانهمرت وأقلعت حتى احتلت
بحرسي الجزيرة الخضراء لحصارها وزحف ابن الاخر بمساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء
وأزاح العلل وأعد الآلات للحصار فقلزلها أياما لا تلى ثم أيقن النصراري بالهزيمة بعد هدمهم عن الصريح
وبأسهم من مدد ملوكهم فألقوا باليد وسألوا التزول على الصلح فأجابهم ابن الاخر بالهزيمة وتزولوا عن البلد
وأقيمت فيه شعار الاسلام ومحيت منه كلمة الكفر وكتب الله أجرا هائل لأخلص في معاملته وكان ذلك
سنة سبعين وسبعمئة وولي ابن الاخر عليها من قبله ولم تزل الى نظره الى ان وقع الاختيار على هدمها
خشية احتيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعوام الثمانين وسبعمئة وأصبحت خاوية كأن لم
تكن بالامس

في هوض السلطان عبد العزيز الى تلسان واستيلاؤه عليها وفرازل سلطانها أبي جوان بن يوسف عنها

كان أبو جوان بن يوسف الزباني قد قسد ما بينه وبين عريسيو يدوقض على بعض رؤسائهم محمد بن
عريف فاستمر نحو اعليه السلطان عبد العزيز وكانت القوارص لا تزال تسري اليه من أبي جوان
المذكور فصادفوا منه صاغية الى ما التمسوا منه واعتزم على الهوض الى تلسان وبعث الحاشرين الى
الجهات المراكشية فتوافى الناس اليه على طبقاتهم واجتمعوا عنده أيام من سنة احدى وسبعين
وسبعمئة فاخاض العطاء وأزاح العلل ولما قضى نسك عيبد الاغخي عرض الجند ونهض الى تلسان
فاحتل بتارزا واتصل خبره بابي جوان فجمع الجوع وهم بالقلاءم اختافت كلمة احماله وتفرق عنه العرب
من بني معقل فاجل هو وأشياعه من بني عامر بن زغبة قد دخلوا القفر وتقدم السلطان عبد العزيز
فاحتل بتلسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين وسبعمئة فدخلها في يوم مشهور واستولى عليها
وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي بن الكاس على عساكر مريم والعربوسرحه في اتباع أبي جوان فادركه

ابيض بلاد زناتة الشرق فاجهضوه عن ماله وممسكره فانتهب بأسره واكتسحت أموال العرب الذين معه وتجايد ماله الى مصاب وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مغارة ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصابه واستزل قواره في أخبار طوبى له واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال وعقد عليه القولا والعمال واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه واستقر مقعيا بلسان الى ان كان ما ذكره

في تزوج الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغني بالله الى السلطان عبد العزيز بلسان في

قد قد منما كان من رجوع الغني بالله ابن الاجر الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين وسبع مائة ولما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بحث عن تخلفه بقاس من الاهل والولدو القائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر بن الخطيب من سلا ويمنهم الى نظره فسر السلطان ابن الاجر عهده وردّه الى منزله ودفع اليه تدبير المملكة وخطب بينه وبينه بدمائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرف الى الوجه وعلق به الامال وعنى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقدم السلطان عن قبول ما وعى الخبير بذلك الى ابن الخطيب فتمهر عن ساعده للرحلة عن الاندلس والحق بالمغرب وكان له حين اليه ورغبة في الالة المربنية من قبل ذلك فقدم الوسائل الى السلطان عبد العزيز وأوعز اليه بعازم عليه من الحق بصضره بقوده السلطان بالجبل وبسط آمله فحسبته استأذن السلطان الغني بالله في تفقد الثغور والغريسة من أرض الاندلس فاذنه وسار اليها في جماعة من فرسانه ومعه ابنه على فلما حاذى جبل طارق مال اليه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاحسب بسنة ثم سار منها فقدم على السلطان عبد العزيز بلسان سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة فاهتز له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الامن والقبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة وأخرج لوفته كاتبه أبي يحيى بن أبي مدين سفيرا الى الاندلس في طلب أهله ولده فخانهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ثم زل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكبرهم من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واعتراض الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانية ووقيرا توأما مطمئنا بخير دار عند أعز حار

في وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله في

كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض الضول في صفره ولاجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الأبناء الى الاندلس فأتاه بالمغرب ولما شب أفاق من مرضه واصلح بينه ثم عاوده وجهه في منواه بلسان وتزايد ضوؤه ولما اكمل الفخ واستفحل الملك اشتد به الوجع فصار به وكفه عن الناس خشية ازجاف ثم عسكر خارج لسان للحاق بالمغرب ولما كتبت ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبع مائة قضى بغيره رحمه الله بظاهر بلسان بين أهله ولده وسبق الى فاس فدفن بجامع قصره وسنه يومئذ أربع وعشرون سنة وكانت دولته ست سنين وأربع أشهر ومن قطعه ما ذكره ابن الاجر في نثر الجمان مذيل بيتي والده السلطان أبي الحسن اللذين هما قوله أرضي الله في سر وجهه * وأجى المرض من دنس ارتباب وأعلى الوفر من ماني اختيارا * وأضرب بالسيف على الرقاب

فقال هو وأحسن

وأرغب خالقي في الفروعني * وأطلب حلمه يوم الحساب

وأرجسوعونه في عز نصر • على الأعداء محروس الجانب
وعبدك واقف بالباب فأرحم • عبيدنا قضا ألم العقاب

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيد محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن

هذا السلطان من ولي الأمر وهو صبي وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمى بإعلام الأعلام من بوع من ملوك الإسلام قبل الاحتلال كنيته أبو زيدان أمه عائشة بنت القائد فآرح العلي صفته آدم اللون شديد الأدمة ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلسان خرج الوزير أبو بكر بن غازي بن الكناس على الناس وقد احتمل أبو زيدان ابن السلطان عبد العزيز فزاهم عن سلطانهم ثم طرح ابنه بن أبيهم فازدجوا عليه يا كين متعجبين ببطونه المصفة وبقبولهم بديعة ليعبة ثم أخرجوه للعسكر وأزروه بضابط عليه وأمه وتم أمره وكفله الوزير المذكور فكان إليه الأبرام والنقص والعبي كالعدم اذ لم يكن في سن التصرف ثم ان الوزير ارتحل بالناس وجدا السير فدخل حضرة فاس وأجلس العبي لبيعة العامة فبايعوا ثم توافقت عليه وفود الأماص على العادة واستبد الوزير أبو بكر واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر الغرب أبراماً ونقصاً ولما فصل بنو مرين عن تلسان عاد إليها سلطانها أبو جوا ابن يوسف الزياتي والتفت عليه بنو عبد الواد من كل جانب وعي دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الأوسط وأماصروا اتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كمن من خروج الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس بن أبي علي بن أبي سعيد بناحية بطوية فان السلطان ابن الأجر كان قد سرحه من الأندلس محبة وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي لطلب ملك المغرب تشجيعاً على الوزير أبي بكر بن غازي ثم أتبعه بالأمير أبي العباس أجدان السلطان أبي سالم الذي كان محتاطاً عليه بطبيعة فزحف الأمير أبو العباس المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس فحاصروا الوزير أبو بكر بن غازي وسلطانه أبو زيدان بن عبد العزيز وضربوا على فاس الحديدة يسيراً بالبناء للمدار وأزروه بأنواع القتال بعد ان بعث ابن الأجر رسالة إلى الأمير عبد الرحمن بانصال السيدان بن عمه الأمير أبي العباس ومظاهرته على ملك سلفه ففاس واجتماعهم المنزلة وعقد بينهم ما لا اتفاق والمواصلة وأن يعتصم عبد الرحمن بملك سلفه من مجملامة وأعمالها فراضياً وزحفاً إلى فاس كما فاقوا وأمدتهم ابن الأجر بجمع من جنده فاستمر الحلال على حصار فاس إلى أن أذعن الوزير أبو بكر بطلع سلطانه أبي زيدان ومبايعة الأمير أبي العباس فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبع مائة وغرب إلى الأندلس فكانت دولته سنة وعثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً وانقضا على أمره

الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس أجدان بن أبي سالم بن أبي الحسن

هذا السلطان يقال له ذوالدولتين لأنه ولي الملك مرتين كما حيا في أمه حرة بنت أبي محمد السبائي كنيته أبو العباس لقبه المستنصر بالله صفته أبيض اللون ربعة تعلوه صفرة رقيقة أديم أسود الشعر أكل الحماجين ضيق البلع أسيل الخدين راق التنايا جيل الوجه طلع الصورة طريف المقترع لطيف الشماثل حسن الشكل أذارك بوع أولاً بطبيعة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبع مائة ثم بوع البيعة العامة بالمدنية البيضاء بعد استيلائه عليها يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبع مائة وكان الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس عندما أشر فوا على فخر فاس شرط عليهم ولاية مرا كس عواضاً من مجملامة ففقدوا له على كره مخافة ان تفرق كلمتهم ولا يتم أمرهم فضاوا وطواله على الميت فارتحل إلى مرا كس والمستولى عليها ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البصر إلى الأندلس فاستقر بها في أيلة ابن الأجر واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها

واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وقوض اليه أموره فقلب على هواه وجعل أمر الشورى الى سليمان
ابن داود فله تغلبها وازرياسة الشيخة واستحكمت المؤدّة بينه وبين ابن الاخر وجعلوا اليه المرجع
في قضاءهم واوراهم قصاره بذلك تحكم في الدولة المروية وأصبح المغرب كأنهم من بعض أعمال الاندلس
وذلك بما كان لابن الاخر من اعانة السلطان أبي العباس على ملك المغرب حتى تم له وبما كان تحت يده
من ابناء الملوك المرتضىين للامم فكان أبو العباس وحاشيته يصانعون له لاجل ذلك والله تعالى أعلم

في محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله

المالجان الخطيب الى بنى مرين وأصاب عندهم دارا وقرار عز ذلك على ابن الاخر وسعى بطائفة عنده
في ابن الخطيب لعداوتهم له ثم بلغه انه يغري السلطان عبد العزيز بمك أرض الاندلس وقطع دعوة
ابن الاخر منها فظم عليه ذلك ودر الحيلة في قتل ابن الخطيب وتبع أعداؤه كلمات زعموا انها صدرت
منه في يوم من الايام فاحصوها عليه ورفعوها الى قاضي غرناطة أبي الحسن النباهي فاسترعاها وسجل
عليه بالزندقة وبعث ابن الاخر برسم الشهادة مع هدية لم يسمع بملكها الى السلطان عبد العزيز وطلب منه
اقامة الحد على ابن الخطيب واسلامه اليه فسم السلطان عبد العزيز عن ذلك وأنفذ عنه أن تخفى
ولجوار ان يؤذى وقال للوفد هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما انافلا يخلص
اليه بذلك أحدا ما كان في جوارى ثم وفر الجارية والاقطاع له ولبنيه ولما جاء من فرسان الاندلس
في جلته ثم علم ان السلطان عبد العزيز رحمه الله وولي ابنه أبو زيان وقام بامره الوزير أبو بكر بن غازي
عاود ابن الاخر الكلام في شأن ابن الخطيب وبعث هدية أخرى الى الوزير بالذكور وطلب منه
اسلامه اليه فأتى الوزير وأساء الرد وعاد نرسا ابن الاخر اليه محققين وقدر هو واسطوته فعند ذلك
عمد ابن الاخر الى الأمير عبد الرحمن بن أبي يونس وكان عنده بالاندلس فاطمعه في ملك المغرب وأركبه
المصر فقدم به بساحل بطونة من بلاد المغرب تشغيبا على الوزير أبي بكر بن غازي كما مر ثم تاب له وأرى
آخر فاغرى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبي بكر بن غازي المذكور وكان يومئذ بسببته فاقام على
نصره فادخله في البيعة لابي العباس بن أبي سالم وكان يومئذ بسببته محتاطا عليه في جلته من القرابة
والقرم أن يعمده بالمال والرجال حتى يتم أمره لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق ويبعث له بالقرابة
الذين بطخبة ليكونوا تحت يده ويسلم اليه ابن الخطيب متى قدر عليه فكان الامر كذلك فان السلطان
أبا العباس لما استولى على الامم رزق لابن الاخر عن جبل طارق فحصى دعوة بنى مرين من وراء البحر
ثم لك بعد ذلك سببة فاستولى عليها وبعث اليه بالقرابة المذكورين فوسع لهم جنابه بغرناطة ثم قبض
السلطان أبو العباس ووزره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطير وابالاعلام لابن الاخر فحينئذ بعث
وزيره أبا عبد الله بن زمرك وكان من زلامدة ابن الخطيب وبه تخرج فقدم على السلطان أبي العباس
وأخضر وابن الخطيب بالمتور في مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء وعرضوا عليه بعض
كلمات وقفت له في بعض كتبه فظم عليه التكثير فيها فخرج ونكل وامتنع بالمدابح جهده ذلك الملام ثم
الى محبته وتغاضوا في قتله بقتل تلك المقالات المسجلة عليه فأتى بعض الفقهاء بقتله قدس سليمان
ابن داود اليه بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا المصن ليدلوا ومعه من عاقبة من أهل الاندلس جاؤا
في اقيف ذلك الوقت فقتلوه خنقا في محبته وأخرجوا شلوه من القدر فدفن في مقبرة باب الحروق ثم أصبح
منه منظر عا على شافة قبره وقد جمعوا له أعواد افاضروها عليه ناراً حترق شعره واسود بشره
وأعيد الى حفرة وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاءها سليمان بن داود
واعتمدوها من هتاتة وعظم التكثير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام
مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتخيش هو اتفه بالشعر يبكي نفسه فما قال في ذلك

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجثا بوغظ ونحن صموت
 وأنفاسنا سكنت دفقة * كبحر الصلاة تلاء القنوت
 وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا قوت فها نحن قوت
 وكنا خموس هذه العلى * غرنا ففاحت عليها السموت
 فكم جذبت ذا الحسام الطي * وذو البخت كم جذلته البخت
 ولكم سبق القبر في خرقه * فتي ملئت من كساء القنوت
 فقل للعدا هب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذي لا يفوت
 فمن كان يفرح منك له * فقل يفرح اليوم من لا يموت
 وكانت نكبته رجة الله أوائل سنة ست وسبعين وسبعمائة * وعند الله تجتمع الخصوم

بقية أخبار أميرها كش عبد الرحمن بن أبي يغلوس من رجة الله

قد تقدم لنا ما كان من معاهدة السلطان أبي العباس والأمير عبد الرحمن بن أبي يغلوس على ولاية
 سجلماسة أولًا ثم التعويض عنها بما را كش ثانياً فلما فتح السلطان أبو العباس فاساً وافي للأمير عبد الرحمن
 بعهده فسار إلى مرا كش واستولى عليها وعلى أعمالها واقسمت مملكة المغرب الأقصى يومئذ بنصفين
 وكان الحديث بين الدولتين نغراً زمرور فكانت في إمالة صاحب فاس وما وراءها إلى مرا كش في إمالة
 صاحب مرا كش ثم كانت بينهما بعد ذلك مواسلات ومناقضات ومسلات وبحاربات يطول جليها
 واتصل ذلك إلى منتصف سنة أربع وخمسين وسبعمائة قطعت السلطان أبو العباس بعدد الرحمن بعد
 محاصرة بقصبة مرا كش تسعة أشهر ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانقضت الناس
 من حول الأمير عبد الرحمن وترلوا من الأسوار ناجين إلى السلطان وبقي هو في قصبة منفرداً بأن
 ليلته براود ولديه على الاسماتة ومسلم وأبو عاصم وركب السلطان أبو العباس من القد في التعمية إلى
 القصبة فاقصدها بقدومه واقبضه الأمير عبد الرحمن وولاه مسابقي إلى الميدان ومباشرين القتال بين
 أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسي وقال
 ابن خلدون وطالما كان زيان يترى ثدى نعمتهم ويحزبه خيلاء في جاههم فذهب مثلاً في كفران
 النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم من قال ذرة وكان ذلك خاتم جادى الآخرة سنة أربع وخمسين المذكورة
 لمضى عشرين سنين من إمارة عبد الرحمن على مرا كش ثم دخل السلطان أبو العباس منقلباً إلى فاس
 وقد استولى على سائر أعمال المغرب ونظر بعده ودفع النازعين عن مملكته والله غالب على أمره

وهذا كرا الشاوية وبيان ذنبهم وأولتهم وشرح لقبهم ونسبهم

وهذا كرا بن خلدون في أن الشاوية من ولد حسان بن أبي سعيد الصيصي نسبة إلى صليح بالتصغير بطن من
 سويدوسيد أحدي قبائل بني مالك بن زغبة الهلاليين وكان دخول حسان وأخيه موسى ابني أبي سعيد
 إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق رجة الله فدموا في عهدة عبد الله بن كندوز العبد
 الوادى ثم الكمي وكان عبد الله هذا قد ترع عن يفراس بن زيان إلى السلطان يعقوب المذكور فقدم
 عليه قبل فتح مرا كش فاهتز السلطان يعقوب لقدمه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأزل قومه
 بجبهات مرا كش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل انتجاع ابدهور وأحله وسائر ظهره في
 أحيائهم فقدم عبد الله بن كندوز على رعايته أحسان وأخاه موسى الصبيحيين وكانا عاوين برعاية الأبل
 والقيام عليها فاقاموا بقبولون في تلك البلاد ويتعدون في شجعتها إلى أرض السوس وكانت ماشية
 السلطان يعقوب متفرقة في سائر المغرب فجمعها العبد الله بن كندوز وجمعها عبد الله الحسان الصبيحي

الذكور فكان حسان يباشر أمور السلطان في شأن تلك المشاية ويطالعهم بها ثم فصلت له مداخلة معه جلبت اليه الحظ حتى ارتفع قدره ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات منها وانفردوا بخطط الشاوية فلم تزل ولايتها امتوارنة فيهم منقحة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يصرفون فيه من غير ذلك من الولايات وكان حسان من الولد على ويحقوق بطلحة وغيرهم ومن حسان هذا انفرعت شعوبهم في ولده **في** قال ابن خلدون **في** وهم لهذا العهد يصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والتصرف في راحل السلطان والظاهر الذي يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة **في** قلت **في** واقط الشاوية نسبة الى الشاء التي هي جاعة الغنم مثلا قال في الصباح والنسبة الى الشاء شاوي قال الرازي لا ينفع الشاوي فيها شاته * ولا حماره ولا علاته

وان سميت به رجلا قلت شاء وان شئت شاوي **في** واعلم ان الشاوية اليوم يلقون على سكان تامسان من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر غير ان لسان الجميع عربي وكان اصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ثم انضاف اليهم قبائل آخر واختلطوا بهم فاطلق على الجميع شاوية تغليباً وهكذا وقع في سائر عرب المغرب الاقصى للوطنيين بتولاه فانهم وقع فيهم اغتلاط كبير حتى نسوا انسابهم وأصولهم الاولى الا في النادر وذلك بسبب تعاقب الاعصار وتنازع الاجيال وتوالي المجاعات والانجاعات وذهبت الملوك بهم في كثير من الاحيان وتفرق بعضهم من بعض ونقل بعضهم الى بلاد بعض ومع ذلك فاسماؤهم الاولى لازالت قائمة فيهم لم تتغير الى الان فنهايتي القطن الى التغير عن انسابهم والحقا قروهم بماصولهم متى احتاج الى ذلك والله تعالى أعلم

في موضع السلطان أبي العباس الى تلمسان وقصحه وتغير بها **في**

لما من السلطان أبو العباس الى مراکش وحاصرها بعد الرجن بن أبي يفلوس خالعه الى المغرب أبو جواد بن يوسف الزباني في جمع من أولاد حسين بن علي بن عبد الرحمن المذكور قد خالوا الى أحواز مكاسة وعاتوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا الحاصر وهاجسوا وروا قصر الملك هناك ومعهده المعروف بقصر تازو وتويعهم على ذلك بلغتهم الخبر اليقين بفتح مراکش وقتل الأمير عبد الرحمن فاجتالوا من كل ناحية ومزأوجوا في طريقه الى تلمسان بقصر وزمار بن عريف السويدي في فواحي بطوية المسمى بمراد فهدموا وصل السلطان أبو العباس الى فاس فأراح بها أياماً ثم أجمع النهوض الى تلمسان فاذ نهى الى تاوريرت وبلغ الخبر الى أبي جواد فاضطرب رأيها واعتزم على الحصار وجع أهل البلد عليه فاستعملوا له ثم بداهه فرج في بعض تلك الليالي ولده وأهله وخاصته وأصبح تحميماً بالاضيق فاهرع أهل البلد اليه بعيالهم وأولادهم متعلقين به تغاديا من معركة هجوم العسكر عليهم فلم يرعه ذلك عن قصده وارتحل ذاهباً الى البطحاء ثم قصد بلاد مغراوة فقتل في بني أبو سعيد قريمان شلف وأتزل أولاده الأصاغر وأهله بمصن بناهم وموت وجاء السلطان أبو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها أياماً ثم هدم أسوارها وقصر الملك بها بغير أهله وزمار جزاها ففعله أبو جواد في تخريب قصر تازو وحسن مرادة ثم خرج من تلمسان في اتباع أبي جواد وأتزل على مرحلة منها وهاهنا بلغه الخبر بإجازة موسى بن أبي عنان من الأندلس الى المغرب ولأنه خالقه الى دار الملك فأنكفأ راجعاً عوده على يده ورجع أبو جواد الى تلمسان فاستقر ملكه بها الى ان كلف ما نذ كره ان شاء الله

في خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وقربيه الى الأندلس والسبب في ذلك **في**

قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الأحمر في ملكه المغرب ود التمه على السلطان أبي العباس بما أنه كان السبب في ولايته وبما تحت يده من القرابة المرتضين الذين أرودهم للتغيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من

أحدهم ما لا يوافق هواه وكان مع كثرة تصكمه فيهم نجح عليهم في بعض الاوقات عبايا تون من تقصير
في شفاعته أو مخالفة في أمر لا يجيدون عنها محصا فيضطفن ذلك عليهم وكان يستدعي السلطان أبي العباس
بشي من هذه المنافع فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وعثمان وسبع مائة اتصل بابن الاجر
أن دار الملك خاص قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتظر الفرصة وبادر بتسريح موسى ابن السلطان
أبي عنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد الرحمن بن ماسي ورئيس الفتنة وقطب رحاها وكان عنده
بالاندلس بعد مفارقة عبد الرحمن بن أبي يفلوس قتل موسى بن أبي عنان سنة فاستولى عليها وسلمها لابن
الاجر قد دخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمهم واتصل الخبر بالسلطان أبي
العباس وهو بتلمسان فجاءه مبادر لوزل بتلما فاقامهم أربعا ثم تقدم الى الموضع المعروف بالكرن فانتقض
عليه رؤس له جيشه وتسفلوا عنه الى موسى طوائف وأفراد لما رأى ما زل به رجوع الى تلمسان بعد ان انتهب
معسكره وأضرمت النار في خيامه وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ربيع الاول سنة ست وعثمان
وسبع مائة ثم بعث موسى بن أبي عنان من أتاه بالسلطان أبي العباس في الامان فقدم عليه وقيده وبعث به
الى ابن الاجر فيق في عنده محتاطا عليه الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله وكانت دولته هذه عشر
سنتين وشهرين وأربعة وعشرين يوما ومن وراثته في هذه الدولة محمد بن عثمان بن الكاس المجذولي ومن
كتابه عبد المهيمن بن أبي سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي تقمدا لله الجميع برحمته

﴿والخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن﴾

أمه مولدة اسمها تاملات صفته أحمر مائل الى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم الهيئة
غلام صدره قائم الانف واذنكلم على لسانه فخرج من بين شفتيه ويقترب فيقع كلامه بوجه
يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وعثمان وسبع مائة فقام بهر دولته وزره
مسعود بن ماسي مستبدا عليه ولما استقر أمره بالحضرة وجه اليه ابن الاجر أمه وعياله وكافوا عنده
وهنا موزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشيح يقول في مطلع

قد نظم الشميل أتم انتظام • ولاحت الاقارب بعد الغيب
وضاحك الروض ثغور القمام • عن مبسم الزهر البرود الشنب

الى ان قال في آخره

مولاي بهنيك وحق المننا • قد نظم الشميل كنظم السعود
قد فزت بالفضر ونيل المنى • وأتجز السعد جميع الوعود
وقزت العين وزال العنا • وكلما امتر صنيع يعود
ولمزل ملكك حلف الدوام • يحوز في التخليد وفي نصيب
يتو عليك الدهر بعد السلام • نصر من الله وفتح قريب

﴿خروج الحسن بن الناصر بفمارة ونهوض الوزيران ماسي اليه﴾

كلن الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد قد لحق من مقره بالاندلس بحضرة تونس في سبيل طلب
الملك وكلن الوزيران مسعود بن ماسي قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس واقترقت حاشيته في الجهات
فطلبوا بطن الارض دون ظهرها ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعثر على الحسن بن
الناصر مها قنابل في رأى في الرجوع به الى المغرب لطلب الامر فخرج به من تونس وقطع المسافر الى ان
انتهى الى جبال غمارة وتزل على أهل الصفيحة منهم فأكروا متوآه ومنتقلوه وأعلنوا بالقيام بدعوته
واستوزر العباس بن المقداد وبلغ الخبر الى مسعود الوزيران فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن عبد الرحمن

ابن ماساى فاصبره بجبل الصفيحة أياما فاستمتع عليه فنهض اليه مسعود بنفسه على ما نذكره

وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله

لما كان من استبداد ابن ماساى على السلطان موسى ما قد مناه استكشف من ذلك ودخل بطانته في الفتك به فمضى ذلك اليه وحصلت له نفرة من السلطان طلب لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لدافعه الحسن بن الناصر القائم بفمارة واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساى فلما انتهى الى قصر كاتمة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى وكانت وفاته في جادى الاخرة طرقه المرض فهلك ليوم وإيسله من مرضه وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير برباطه معه فله ابن خلدون وقال ابن القاضى في الجذوة توفي السلطان موسى بن أبي عنان معهما يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبع مائة وله احدى وثلاثون سنة فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر وولى بعده محمد بن أحمد بن أبي سالم اه ومن كتابه أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي عمرو القيمي وأبو القاسم محمد بن سودة المرى ومن قضائه أبو عبد الله محمد بن محمد الملقبى واقعه على أعلم

الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيدان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن

أمه حمرة وهي رقيقة بنت السلطان أبي عنان صغته أبيض اللون قائم الانف أسيل الخدين بويح بعد خاله موسى بن أبي عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبع مائة وسنة يوم بويح خمس سنين وخامس يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة وغرب الى الاندلس مع أبيه فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوما تحت استبداد الوزير مسعود عفا الله عنه

الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيدان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن

أمه أم ولد اسمها صبيحة صغته اسود اللون عظيم الخلق رجب الوجه طويل القامة والساقين عظمى الانف عظيم الساعدين وكان قبل ولايته عند ابن الاخر بالاندلس في جملة القرية ولما استوحش الوزير مسعود من السلطان موسى بن أبي عنان بعث ابنه يحيى الى ابن الاخر يسأل منه إعادة السلطان أبي العباس الى ملكه فانزله ابن الاخر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفخير يوم اجازته الى العدو فلما توفي السلطان موسى يد الوزير مسعود في أمره ودس لان الاخر في دمه وأن يبعث اليه بالواثق هذا وراه أليق بالاستبداد والحجر فأسخه ابن الاخر في ذلك ورد السلطان أجد الى مكانه بالجزيرة وحي بالواثق فحضر بجبل المقع عنده فاجازته الى سبته واتفق أن جماعة من الحاشية انتفضوا على الوزير مسعود وطعنوا بسبته فقدم عليهم الواثق بهلور جعوا به الى المغرب وتقبلوا في واحة الى ان وصلوا الى جبل خيلة قرب فاس فبرز الوزير مسعود في العساكر وتزل قبلاتهم وقال لهم هنالك أياما ثم وقع الاتفاق على ان يابح مسعود الواثق بشرط الاستبداد فتم العقد على ذلك وقال في الجذوة بويح السلطان الواثق بالله أبي زيدان محمد بن أبي الفضل يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبع مائة وقام بأمره الوزير مسعود بن ماساى ثم حدثت الفتنة بين الوزير المذكور وابن الاخر بسبب ان الوزير يطلب منه إعادة سبته الى الامالة المربنية وكان موسى بن أبي عنان قد نزل له عنها كاهن وكان يطلبه على سبيل الملائكة فاستشاط ابن الاخر غضبا وأساء الركب فجزان ماساى العساكر لحصار سبته مع العباس بن عمر بن عثمان الوصفاني ويحيى بن علال بن أمصعود والريث محمد بن أحمد الاكبر من بني الاخر فاستولى عليها ثم سرح ابن الاخر السلطان أبا العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللقشغيب على ابن ماساى الجاحد لاحله بزعمه فغمر السلطان أبو العباس المصر الى المغرب

فاحتل بسنقر واستولى عليها ثم تقدم الى فارس فحاصرها وضيع على ابن ماساي وساطناته الوائق بالله وأهرع الناس الى الدخول في طامعه حتى من مرا كش فاستمر الحصار على فارس الجديدة ثلاثة أشهر ثم أنزعن الوزير مسعود لاطاعة على شرط أن يبقى وزيراً ويعترب سلطانه الى الأندلس فاجيب وخلق الوائق بالله ثم خرج الى السلطان أبي العباس فبايعه وتقدم أمامه فدخل دار ملكه يوم الخميس خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة فدخله قبض على الوائق بالله فقيده وبعث به الى خبطة فقتل بها بعد ذلك سنة يوم قتل عثمان وثلاثون سنة وها قبر ومن وزرائه يعيش بن علي بن فارس الباف ومسعود ابن روح ابن ماساي ومن كتابه منصور بن أحمد بن محمد التميمي وأبو يحيى محمد بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين ومن قضائه أبو يحيى محمد بن محمد السكالك رحمهم الله تعالى بئنه

في الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن

لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فارس الجديدة في التاريخ المتقدم ربيع البيعة العامة في اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة لمضي ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من خلعه ولما ملك أمر نفسه قبض على الوزير ابن ماساي وعلى أخوته وحاشيته وامتنعهم امتحاناً بلغا فهلكوا من العذاب ثم سط على مسعود من العذاب ولا انتقام الا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله في دور بني مرين النازعين عنه اليه فانه كان متى هرب منهم أحد محمد بن أبيوت فتمها فامر السلطان أبو العباس بعاقبه في الملاحقة فكان يوثق به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطاً الى أن يرج به العذاب ويحاول الحد ثم أمر به فقطعت أربعة فهلك عند قطع الثانية وذهب مثلاً لا لا تخون

في ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بمطامسة ثم انه مملأه بعد ذلك

قد قد من أن الأمير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد كان تغلب على مطامسة ثم غلبه عليها أخوه عبد المؤمن وسافر عبد الحليم الى المشرق فهلك في سفره تلك وكان قد ترك ابنه محمد اهدار ضياعاً فشب متقلبا بين الدول من ملك الى آخر على أن أسكنه مقامه انما كان عنده أي جواسع تلمسان ولما حاصر السلطان أبو العباس فارس الجديدة كان محمد هذا عند العرب الاحلاف فلما استند الحصار على مسعود بن ماساي دس الى الاحلاف أن ينصبوا محمد بن عبد الحليم للامر ويحلبوا به على المغرب ليأخذ بحجرة السلطان أبي العباس عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحليم مطامسة فلكها حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على فارس الجديدة وقع مسعود بن ماساي وأخوته فخرج محمد بن عبد الحليم عن مطامسة ولحق باحياء العرب فسارت طائفة منهم معه الى أن بلغوه مأمنه ونزل على أبي جواد تلمسان الى أن هلك ناسار الى تونس ونزل على صاحبها أبي العباس الحفصي ثم ارتحل بعد وفاته الى المشرق بلح الغريضة والله تعالى

في نكبة الكاتب بن أبي عمرو وركت بن حصون ومقتلهما

أعلم

كان محمد بن محمد بن أبي عمرو والتميمي وقد تقدم ذكر والده في دولة السلطان أبي عثمان كاتباً عند السلطان أبي العباس في دولته الأولى فلما خلع وولى موسى بن أبي عثمان تغرب اليه بسالف المخالصة لايه من أبي عثمان فقد كان أعز بطاقته كافر فاستخلصه السلطان موسى للشورى ووقع منزله على منازل أهل الدولة وجعل اليه كتابة على المراسم السلطانية كما كان لايه وكان يفاوضه في مهماته ويرجع اليه في أمور حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى في جماعة من بطانة السلطان أبي العباس فافى عليهم التكل والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالس المدامة عند السلطان أبي العباس حقه ها عليهم فلما نافر بالخط من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم وكان القاضي

أبو إسحق إبراهيم اليزناسني من بطانة السلطان أبي العباس ولكن يحضر مع ندائه فقد عليه ابن عمرو وأغرى به السلطان موسى فحضر به وأطاقه وجانبه اشتعل غريبة في القمع ثم سفر ابن أبي عمرو عن سلطانه موسى الى الأندلس فكان يترجمجلس السلطان أبي العباس من محمل اعتقاله فلا يلهو ويورع بإيقاظه فلا يبيحه ولا يوجب له حقا فأحفظ ذلك السلطان أبا العباس قلوا الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماساي قبض على ابن أبي عمرو هذا وأدعه السجن ثم امتنعه بعد ذلك الى أن هلك تحت السياط وجعل الى داره وينما أهله يحضرونه الى قبره اذا بالسلطان قد أمر بان يسحب في نواحي المدينة ابلاغاً في التكال فحمل من نعشه وقدر بطريقه جبل وصحب في سكك المدينة ثم ألقى على بعض المزابيل ثم قبض السلطان على سركت بن حسون شيخ العرب وكان مجلباً في الفتنة وكان العرب المخالفون من معقل لما أجاز السلطان أبو العباس الى سبته وسركت هذا ابتداء لارادوه على طاعة السلطان فامتنع أولاً ثم أكرهوه وجاؤا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى اذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجسد يد قبض عليه وامتنعه الى أن هلك والى الله عاقبة الامور

في أخبار تلسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها

كان السلطان أبو جواف يوسف الزياتي قد عاد الى تلسان وثبت قدمه بها كما قلنا الى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبع مائة فوقعت بينهما حروب وشرق أبوه بذاته ثم عادت له الكثرة عليه في أخبار طوبى فاستمداً أبو تاشفين السلطان أبا العباس فامد به ابنه الأمير أبي فارس ووزيره محمد بن يوسف بن علل عقد لهما على جيش كثيف من بني هرين وغيرهم فانتصر أبو تاشفين على أبيه فقتله وبعث رأسه الى السلطان أبي العباس ثم تقدم فدخل تلسان آخر سنة إحدى وتسعين وسبع مائة واستقر بها مقبلاً لدعوة السلطان أبي العباس فكان يخطب على منابر تلسان ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجهه العساكر معه واستمر على ذلك الى أن مات سنة خمس وتسعين وسبع مائة فطلب على تلسان أخوه الأمير يوسف بن أبي جواف ولما اتصل الخبير بالسلطان أبي العباس خرج من الحضرة الى نازا ومن هنالك بعث ابنه الأمير أبا فارس في العساكر الى تلسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والده وقرى يوسف بن أبي جواف بعض المحصورين فاعتصم به الى أن كان ما نذر كره

في وصول هدية صاحب مصر السلطان الطاهر برقوق الى السلطان أبي العباس بتازا والسبب في ذلك

كان العلامة الرئيس ولي الدين ابن خلدون قد استوطن في آخر عمره مصر القاهرة ونزل من ساطعها بالمترلة الرفيعة قال رحمه الله وكان يوسف بن علي بن غانم أميراً ولا دحسين من معقل ثم من أولاد بجوار منهم قد جرح سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة وأتصل بصاحب مصر الملك الطاهر برقوق أول الملوك الجرا كسة من الترك قال فقد تمت الى السلطان لذلك كورفيه وأخبرته بمجده من قومه فأكرم تلقية وجهه بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها يتحف من بضائع بلاده على عادة الملوك فلما قدم يوسف بن علي السلطان أبي العباس أعظم موهبه أو جلس في مجلس حفل لعرضه ولو المباهات ثم أشرع في المكافأة عليها بتخفيض الجياد والبضائع والثياب حتى اذا استكمل من ذلك ما رضى وعزم على بعثها مع يوسف بن علي حاملاً الأول وأتته يعثهم من موضع مقامه بنزل اخترته المنية دون ذلك

في وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبي العباس بمحفل مقامه من نازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزيره صالح ابن جواف الياقاني وكان قد قدمهما الفتح تلسان والبلاد الشرقية فاصابهما هناك ليلة الخميس السابع

من محترم فاقه سنة ست وتسعين وسبع مائة وجل الى فارس فدفن بالقبة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ومن وزرائه في هذه الدولة صالح بن جوال اليافاني ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجي ومن حبابه أبو العباس أحمد بن علي القباطي ومن كتابه الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسن البستي والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردى ويحيى بن الحسن بن أبي دلامة التوسلي ومن قضائه القاضي أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم اليزناسني **وقال في الجنوة** وكان السلطان أبو العباس شاعرا مقلدا يدع التشبيه في نظمه قوله

أما الهوى يا صاحبي فآلقته * وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيت قوت النفوس وحليها * فتصدتة دينا الى ومذهبا
ولست دون الناس منه حلة * كلن الوفاء لها طرازا مذهبها
لكن رأيت له الفراق منعما * لا امر حبابا فراقا لا امر حبا

وهو من أخبار السلطان أبي العباس ما حكاه في فتح الطيب **أن** الاديب الكاتب أبا الحسن علي بن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحبا للسلطان أبي العباس هذا فحضر معه ذات يوم في بستان سمع فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الاصيل شواهد الاصفار وأزعم التهاول تقدم الليل على الفراق فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جدولة ومذانبه يا فارس اني وأيم الله قد شغف * بكل ربيع به مغناه يسين
وقد أنست بقرب عنك يا أملي * ونظرة فيكم بالانس تعين
فاجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب

لا أوحش لغيري أنت زائر * يا مجة الملك والدنيا مع الدين
يا أحمد الحمد أفتاك الاله لنا * غفر الملوك وسلطان السلاطين

وهو من أخباره أيضا أن كاتبه أبا زكريا يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل عليه عشاء فقال له أنم الله صباح مولانا فانكر السلطان ذلك وظن أنه غفل فقتل أبو زكريا لماسدومته وتدارك ذلك فانشد مرثعلا
صبحت عند المساء فقال لي * ماذا الكلام وظن ذلك من انا
فأجبتة اشراق وجهك غزفي * حتى توهت المساء صبعا

والخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله **هو**

هو من الاتفاق القريب **أن** السلطان فارس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد وحطان تونس وأفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد وكانت ولايتهما في سنة واحدة الا ان مدة الخفصى طالت جدا أم هذا السلطان أم ولد اسمها الجوهر صفتة شاب السن ربعة من القوم أدمج العينين جميل الوجه (لما توفي) السلطان أبو العباس بن أبي سالم رحمه الله تناز اكان ابنه أبو فارس هذا تلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم تنازوا بعوده بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبع مائة ولما تم أمره أطلق أبا زيان بن أبي جوال اليافاني وكان معتقلا عنده فأس لالعائه الى أبيه من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا وبعثه الى تلمسان أمير عليها من قبله فسار اليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبي فارس ثم خرج عليه أخوه يوسف بن أبي جوال واتصل باخياء بني عامر بن زغبة وعزم على الاجلاب عليهم ففرب أبو زيان فيهم الأموال فقتلوه وبعثوا اليه برأسه فمكنت أحوال تلمسان وذهبت الفتنة يذهب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبي فارس قاله ابن خلدون وهو آخر ما ورثه من دولة المغرب **هو** اعلم **أن** ما نسوقه بعد هذا من الاخبار عن هذه الدولة المرينية لم نسمع لنا الوقت بالوقوف عليه في تأليف بعضها أو موضوع يقص أخبارها ناسقا

وبنصها وانما يتبعنا ما ائتمناه من ذلك في مواضع ذكرت فيها بحسب التبعية لا بالقصد الاول وعلى الله تعالى في الهداية الى الصواب المقول

في بقية اخبار السلطان عبدالعزيز ووفاته

قالوا كان السلطان عبدالعزيز بن أبي العباس رجه الله كثير الشفقة وقيق القلب متقبض عن الفخر متوفيا في سفك الدماء وكان فارسا عارفا ركض الخيل ويحسن قروض الشعر ويحب سماعه فبن نظمه وقد تزل المطر يشكر الله تعالى عليه قوله

الله يطف بالباد فواجب * أن يشكروا في كل حال نعمته

فهو الذي فيهم يتزل غيظه * من بعدما فطوا وينشر رجه

توفي رجه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبع مائة ودفن مع أبيه بالقبة فكانت دولته ثلاث سنين وشهرا ومن وزرائه صالح بن جوالياقي ويحيى بن علان بن أمصم والمكسوري ومن كتابه يحيى بن الحسن بن أبي دلامة ومن قضائه عبد الرحيم بن أبي اسحق اليزناسي رجه الله تعالى عنه

في الخبر عن دولة السلطان المستعصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي العباس بن أبي سالم رجه الله تعالى

هذا السلطان شقيق الذي قبله أمة الجواهر المتقدمة صفته أدمع العينين حسن الانف لا في العذار يبيع بعد أخيه عبدالعزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبع مائة وكان التصرف والتقص والارام في هذه المدة كلها للوزراء وتوفي السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموافق ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمان مائة فكانت دولته سنة وخمسة أشهر سوى أيام ومن وزرائه صالح بن جوالياقي ويحيى بن علان ومن قضائه عبد الرحيم اليزناسي ومن حبابه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي وفارح بن مهدي العليج والله تعالى أعلم في أخبار الغني بالله ابن الأجر بالاندلس فإنه كان أسقط رياسة الجهاد من بني مرين بها ومحارمها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبي مغلول للتشبيب على أبي بكر بن غازي بن الكاس حبا تقدم وصرأ أمر النزاع والمجاهدين اليه وبأمر أحوالهم بنفسه واستمر الحال على ذلك الى ان هلك سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة فولى مكانه ابنه أبو الحجاج يوسف وبإمعه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتقبض على أخوته سعد ومحمد ونصر فكان آخر الهدم ولم يوقف لهم بعد على خبر ثم غيى عنده في خالد القاتل بدولته وأنه أعدا لم يقتله وان يحيى بن المائغ اليهودي طبيب دارهم قد أخذ في ذلك فقتل بجناد دولته سنة السيف بين يديه لسنة وأخوه هامن ملكه ثم حبس الطبيب المذكور فذبح في محبسه ثم هلك سنة أربع وتسعين وسبع مائة لسنتين أو نحوها من ولايته وقد وقعت لبعض الأصفيين واسمه منويز باولو القشتلي على كتاب موضوع في أخبار المغرب الأقصى فقتلت منه بعض أخبار لم أجدها الا عنده وهو وان كان ينقل الف والسمين والرخيص والتمين الا ان الناقد البصير عجز عن تصديقه من دره ويفرق بين حشفه ونقره فبن ذلك انه حكى عن السلطان أبي الحجاج المذكور وما صورته قال كنت مرسلان السلطان المريني يعني السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغني بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدل على الواقفة والمجبة وكان المريني في الباطن يحب الاستيلاء على مملكته غرناطة ولما لم يتمكن ذلك بالسيف عدل الى اعمال الحيلة فآخذى الى السلطان أبي الحجاج كسي ربيعة احداها مسومة قلبها فآخذى معه ذلك فلم يدرك المريني غرضه فانه لم يلبث الا يسيرا حتى توفي ايضا اه ولما توفي أبو الحجاج وبيع ابنه محمد بن يوسف وقام بأمره القائد أبو عبد الله محمد الخصاصي من صنائع أبيه في قال ابن خلدون في الحال على ذلك لهذا العهد ولتذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث في سنة تسعين وسبع مائة كان الوفاء الذي عم المسكونة شرفا وغربا على ما تبين عليه

فيما مضى في يوم سنة خمس وستين وسبع مائة هـ توفي الولي الزاهد أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر
 الأندلسي زليل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن سعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب
 فيما أولياء الله من النساب كان ابن عاشر أحد الأولياء الأبدال معهودا في كبار العلماء مشهورا
 بأجابه الدعاء معروف بالكرامات مقفيا في صدور الزهاد منقطع ماعن الدنيا وأهلها ولو كانوا من
 صالحى العباد ملازم القبور في الخلاء المتصل بجزر مدينة سلام مفردا عن الخلق لا يشكر في أمر
 الرزق وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة عن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من
 الخلق شديدا لمية عظيم الوفا كثير الخشية طويل التفكير والاعتبار قصده أمير المؤمنين أبو عثمان
 وارتحل إليه سنة سبع وخمسين وسبع مائة فوقف ببابه طويلا فلم يأت إليه وانصرف وقد تسلل قلبه من
 حبه وحلا له ثم عاد الوقوف ببابه مرارا فواصل إليه فبعث إليه بعض أولاده بكتاب كتبه إليه
 يستغفره ليلته نور ورويته فأجابها بقطع رجاء منه وأباه من لقاءه فاشتد حزنه وقال هذا لى من
 أولياء الله تعالى بحسبه الملقبنا اهـ ومناف الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس
 ابن عاشر الحاساني من علماء سلا كتابه المسمى بخصه الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر فانظره
 في يوم سنة ثمان وسبعين وسبع مائة هـ وهي السنة التي قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب
 قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ في كتابه أنس الفقير ما حصل له أنه رجع من
 هجرة بمغرب الأقصى في السنة المذكورة إلى بلده قسنطينة فاجتزأ في طريقه بتلمسان قال وفي
 هذه السنة كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب بالمغرب فألفت بتلمسان نحو شهر انتظر ينسر سلاوك
 الطريق فالتجأت إلى قبر الشيخ أبي حديد ودعوت الله عنه فوقع ما أتمته وارتحلت بعده أيام يسيرة
 فرائيت في الطريق من النصارى ما كان يتعجب منه من شاهده وكان أمر الطريق في الخوف والجوع
 بحيث إن كل من تقدم عليه يتعجب من وصوله أسالين ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى إن
 منهم من يسمنا ضرب الأتف خلفنا تنصر اعلنا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله في يوم
 سنة ثمان وسبعين وسبع مائة هـ توفي الشيخ العقبه المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزاري
 السلاوي المعروف بابن المجراد صاحب لامية الجمل وشرح الدرر وغيرهما من التأليف الحسان قال
 صاحب بلفة الامنية وقصد اللبيب فيمن كان بسبقة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب في
 حق الشيخ المذكور كان محمدا فاعثار أوبة له معرفته بالرجال والمغازي والسير وكان رجلا صالحا حاسن
 السيرة صادق الفهمة اتفق به الناس بوظهرت بركته على كل من عرفه أولا ثم جلس له وأقر عليه من صغير
 أو كبير قال وذلك عندنا معروف بسبقة مشهورين أهلها وانتقل إلى بلده سلا وتوفي بها في السنة
 المذكورة في وقت وقبره مشهور بها إلى الآن وعليه قبعة صغيرة وهو من غرارات سلا خارج باب
 المعلقة نهان عن الخراج على نحو غلاة وأهل سلا يسمونه سيدي الامام السلاوي يرجع القورضى عنه
 في يوم سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة هـ توفي الشيخ الامام العارف الحق الرافعي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم
 التتري المعروف بابن عماد شارح الحكم العطائية وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور أيضا قال
 صاحبه وأخوه في الله الشيخ أبو زكرياء المراجع في حقه ما نصه كان حسن السمعت طويل الصمت كثير
 الوفا والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق على الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة
 نشأ ببلده رتبة على أكل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو ابن سبعين ثم اشتغل بعد بطلب
 العلوم التصوفية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ثم أخذ في طريق
 المروية والمباحثة عن الامرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم في علوم الاحوال والمقامات والعلل
 والآفات وألف فيها تأليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم

نحو مجدين ودرس كتبها وحفظها كلها وأوجله إلى أن قال ولقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد
 الورع أحمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال رحمه الله قد صدقتم لوجود ان السلامة معهم
 وتوفيقه رحمه الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب من السنة المذكورة وحضر جنازته
 السلطان أبو العباس بن أبي سالم في دونه وحدث العامة بكسر نفسه تبركاً به رحمه الله ورضي عنه ومن
 فوائده التي نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره في رسائله قال كنت قد ما خرجت في يوم مولد النبي صلى
 الله عليه وسلم صاعداً إلى ساحل البحر فوجدت هناك سيدي الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه
 وجاعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا مني ألا أكمل قلت إني صائم فنظر إلى سيدي الحاج نظرة
 منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستقيم في مثله يوم كالميدان قلت قوله فوجدت تحقوا كأنه
 أيقظني من النوم أه وهو أعلم ثم اتفق في آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال
 المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس وما ألوفاتهم وأزيائهم قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه
 بعد أن ذكر أن الأحوال العامة لا تافق ولا الجيل والأعصار هي أس المورخ الذي تنبئ عليه أكثر
 مقاصده ما نصه وأما لهذا العهد هو آخر المائة الثامنة فقد انقلب أحوال المغرب الذي نحن شاهده
 وتبدلت بالجملة واعتاض من أجيال البر بأهل على القدم عن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من
 أجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الأوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان
 على كثرتهم وبأسهم هذا إلى ما تزل بالبحر من ترقا وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون
 الجارف الذي نحيف الأمم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على
 أحسن هرمها وبلغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من حدها وأوهن من سلطانها
 وتدأبت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فغربت
 الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم ونجت الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل وتبدل
 الساكن وكان في المشرق قد تزل به مثل ما تزل بالمغرب لم يكن على نسبته ومقدار همراته وكانما نادى لسان
 الكون في العالم بالتحول والانتقاص فبادر بالإجابة واقفه وارث الأرض ومن عليها واذا تبدلت الأحوال
 جلة فكانما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث
 إلى آخر كلامه رحمه الله فافهم هذه الجملة وتفطن لأحوال الدول التي سردنا أخبارها فيما مضى وأحوال
 التي سردنا أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك والسبب فيه والله تعالى الوفيق للامور وأبينه

في الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم

هذا السلطان هو ثالث الأخوة الأشقاء من بني أبي العباس الذين ولوا الأمر من بعدهم ولاء أمه الجوهر
 أم أخويه قبله بربع بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموافق ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمائة
 وسنة يومئذ من سنة عشرة سنة وكان النقص والإبرام وصائر التصرفات في دولته موزعاً على الجباب
 والسلطان متفرغاً لاستيعاف ذاته ومن أكبر حيل أبي العباس القبائلي الذي نذكر خبره الآن

في حيل أبي العباس القبائلي ونكته ومقتله والسبب في ذلك

بيت بني القبائلي بيت مشهور في الوزارة والحيل والكفاية من لدن الدولة الموحدية بما كسب إلى هذا
 التاريخ وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي كاتباً مشهوراً وحاجباً مذكوراً وكان
 قديماً الأقران وقصير على الأعيان وبلغ من الجاه وتوفيق الكلمة مبلغاً عظيماً وكان يحيا بالخطط
 السلطانية الأقارب والأرحام لا يعدل بها عن سواهم فاضطغت عليه القلوب وكثرت فيه السعيات إلى
 أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقعه شغلاً كان من خبراته أنه كان للحاجب المذكور ولد اسمه

عبدالرحمن وكان من فضلاء وقته وكان لعبد الرحمن هذا ولدا اسمه علي وكان من نجبائه الانشاء فكان
لجده أبي العباس لذلك ميل اليه ومحبة واقتن به فاتفق ان مرض هذا الحافظ ذات يوم فنزل جسده
أبو العباس من الحضرة بناس الجديدي لعيادته بدار ولده عبدالرحمن من عدوة القرويين من فاس القديم
وكانت الدار بزقة الجميلة من الطالعة فبات الشيخ عندهما فده تلك الليلة وكان مندولى خطة الحجابة
لم يغيب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ في ذلك بالحزم بحيث يسد أبواب الحضرة ويقتضه ويأمر
سائر الامور السلطانية بنفسه فلما أراد الله ان يهذره عطى على عقله وبصره فتساهل في تلك الليلة
وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه في غلق الابواب وقصها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام
بالامور السلطانية أبي محمد عبد الله الطريفي الا في ذكره فقلقا الاواب على العادة ولما كان الصباح من
الغد تقدم الولد أبو القاسم لاحد المفاتيح من دار الخلافة فخرجت اليه ونوى فتح الابواب وحده دون
أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الابواب مفتحة بدون
حضوره أخذ من ذلك ما قدم وما حدث وأسرت هاتي نفسه حتى اذا كان المساء وحضر الوقت المهود
لغلق الابواب طلع الحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائلي يعرف بأبي سعيد فبادر أبو محمد فسد الابواب
في وجهه قبل أن يصل اليه وأمسك المفاتيح عنده واستندم اقلب منه أو سعيد أن يفتح الباب فقصمه
وامتنع وكأنه أمر دبر ليل ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور الى السلطان أبي سعيد فاعلم بما اتفق له مع
أولاد الحاجب فأوعز اليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه الا وقت فتحه المعتاد وزاد في الوصية بان
لا يفتح ولا يلق الا بمحض السعد بان السلطان أبي عامر رحمه الله ولما رجع أبو سعيد الى والده بعدوة
القرويين من فاس أعلم بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتناعا وغيظا وقامت قيامته وكانت فيه دالة على
السلطان فتخفف عن الحضور ولم يذكر ما قاله الحكاه اذا عادت من يملكك فلا تله ان يملكك ثم
استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث اليه يبراه بخطه ليزيل ما بصدره من الوجدة فكتب
الحاجب جوابا وأقسم أن لا يطأ بساط نفسه فارجح بن مهدي العلي وكان فارح هذا بعين التجربة من
السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب حي أنعه وأظلمت الدنيا في عينيه وأمر
بالإيقاع بالحاجب في الحين فذبح هو وولده عبدالرحمن يوم الخميس الموفى ثلاثين من شوال سنة اثننتين
وثمانمائة وكان عبدالرحمن هذا فاضلا شاعرا فن شعره في الغزل قوله

أسمع في الموى قول الواحي • وقد أبصرت خشف بني رياح
غزال خلف الصب المعنى • من الوجد المبرح غر صراح
وقد قتلت ولا نتم عليها • مراض جفونه كل الصراح
يقول ولطفه بالعقل يري • على م تطيل وصفي وامتداحي
فقات قنن مصرفك رافت • قضت للقلب بالعشق الصراح
جبينك والمقلد والتشاي • صباح في صباح في صباح

وبقي الحافظ أو الحسن علي بن عبدالرحمن المذكور مرتباً في جملة الكتاب وكان فاضلا شاعرا أيضا
ولما مرض السلطان أبو سعيد في شعبان سنة سبع وثمانمائة وضع من مرضه وهنأه الشعراء بقصائد
كثيرة فكان من جلهم أبو الحسن المذكور وقال

هنيئاً لنا ولكل الانام • براحة تغمر الملوك المحام
امام أقام رسوم العلى • وحل من المجد أعلى السنام
به قوت العدين لما بدا • صحبها ومأن به من مقام
وهل هو الا كبد الدجا • يورى قليلا وراء التمام

ويظهر طورا فيجلبوه * عن الناس يا صاح ساجي الظلام
أو البت يكف في غيبه * فتعذر منه السباع اهتجام
أمولاي عثمان بجر الندى * ومردى العداة ونجى الكرام
انصرف الله مقداركم * فنغضى الفداء لكم من امام
أمولاي عبدك قدضره * أقول رضاكم وبعد المرام
وأضحى كنييا لابعادكم * مشسوة لتقبيل ذلك المقام
فكن راجيا امام الورى * عطفوا بجمه لو كلك المستقام
لصل الذى ناله ينغضى * وتعمل منكم هبات جسام
فأيديك الله بالنصر ما * ترغم فوق الغصون حمام

﴿حجابه فارح بن مهدي وأوليته وسيرته﴾

يقال ابن خلدون في فارح بن مهدي من معاوية السلطان يعني أبا العباس وأصله من موالى بنى زيان ملوك تلمسان اه ^١ ويقال في الجفوة ه ^٢ هو من موالى السلطان أبي سعيد بن أبي العباس ولا منافاة بين الكلامين والله أعلم ولما قتل أبو العباس القبايلي والحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا ^٣ قال في الجفوة ه ^٤ ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شجاعا مجتهدا باللامور وعارفا بمجيدى التدبير قد أعطى الرئاسة حقها وانحطط مستحقها وكان بمسكنا عنه فلا يعامل مع نفسه ولا يصحب أرداته ولا يوحش سلطانه موسوما عند الخلافة بالامانة ملحوظا للهابين المروءة والصيانة وكان السلطان أبو سعيد يعنى به لاجل كبر سنه وتربيته الحرة آمنة بنت السلطان أبي العباس كانت تبسده وجهها في حال صغرها وكبرها فكانت له بذلك هزينة لم تكن لغيره بهذا ذكره الناورى ولعل فيه ترميضا للحاجب قبله ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربى القاسى في كتابه مرآة المحاسن على مدينة تيجاس وصفها بقوله انها فى شرقى تطاوين على مسيرة يوم منها فى موضع كثير الجارة والعضر فى شمع جبل من غريبها وتحتها من ثما إليها عرف كثير العضر عظيمه على مكسر موج البحر ولها نرفاع يحلب الهامنه جدول ولها بسيط تركبه الجدة اول من كل جهة تنسقى الزرع والكان والثمار فأهلها فى أمن من القحط الى ان قال ولم تزل عاصرة الى حدود عثمانانة فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي والى عليها من قبل بنى مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الآن اه ^٥ قلت ه ^٦ وفى هذه المدة غربت تطاوين القديمة أيضا فزعم منو بيل فى تاريخه أن قراصين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم كانت تغبر على سواحل اصبانيا وتقمم مراكبها ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثلاثمائة هجرية بعث الطاغية الريكى الثالث كوادرة لغزو تطاوين ومراكبها فانتبت الى وادى مرتيل وأفسدت قراصين المسلمين التى به ثم نزلت عما كرا الاصبينول للبرقا فتمت مدينة تطاوين بعد ان جلا أهلها عنها وغربتها واثبت فيها بقيت خربة فتحو تسعين سنة ثم جدد بنواها على يد الرئيس أبى الحسن على القنطرى الفرناطى كما ساقى وكانت وفاة فارح بن مهدي فى الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة ست وثلاثمائة والله تعالى أعلم

﴿حجابه أبى محمد الطريقى وسيرته﴾

لما توفى الحاجب فارح بن مهدي ولّى الحجابة من بعده أبو محمد عبد الله الطريقى وكان من فضلاء الخجاب وهو الذى بنى مسجد السوق الكبير فباس الجديد وجس عليه كتب كثيرة فكان ذلك من حسناته الباقية نفعه الله بقصده

﴿محدثون الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الخفصى والسبب في ذلك﴾

لما توفي السلطان أبو العباس الخفصى صاحب تونس ولى الأمر من بعده ابنه أبو فارس المذكور فوزع الوظائف من الأمانة والوزارة وولاية الأعمال على أخوته فاعتصمهم وكان من جلهم أخوه أبو بكر بن أبي العباس فمستطينة فزارهم ابن عمه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي ذكرية الخفصى صاحب بونة وألح عليه في المصارف فهداه السلطان أبو فارس الخفصى وأوقع به على سيموم ووقعة شنعاء انتهت به هزيمتها إلى فارس مستنصر خاص بها وهو يومئذ أبو فارس المريني فأقام أبو عبد الله فارس إلى سنة عشر وعشائة في دولة السلطان أبي سعيد فاتفق أن يفسد ما بين السلطان أبي فارس الخفصى وبين أعراب إفريقية من سليم فقدمت طائفة منهم حضرة فارس مستعدين السلطان أبا سعيد على صاحبهم أبي فارس فالتفوا عنده الأمير أبا عبد الله المنزه بسيموم كامر فقتله السلطان أبو سعيد على جيش من بني مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى إلى بجاية تلقته أعراب إفريقية طائفة وهون عليه المرباط شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المريني وقصد هلمن انضم إليه من الحشود فأخذ بجاية من أبي يحيى وقرى في البصر وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف إلى السلطان أبي فارس فخالقه إلى بجاية فآقتكها من يد ابنه المنصور ووجهه مع جماعة من كبار أهلها معتقلين إلى الحضرة وعقد عليها لاجدان أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبي عبد الله المذكور وقرع المرباط عنه إلى السلطان أبي فارس لعهده كان بينهما فاتفق جمع أبي عبد الله وقتل واحترأ رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه بباب المحروق أحد أبواب فارس فاختلعه السلطان أبي سعيد وذلك سنة اثنتي عشرة وعشائة ثم تترك السلطان أبو فارس إلى جهة المغرب فأصدأ أخذ الثار من السلطان أبي سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فارس فلما شارفها جفجف السلطان أبو سعيد إلى السلم فوجه إليه بها لاجلية فقبل ذلك أبو فارس وكفأ عليه وانكفأ راجعا إلى حضرته ولحقته في طريقه يبعة أهل فارس وانتظم له ملك المغرب وبأيامه صاحب الأندلس أيضا قاله صاحب الخلاصة النقية وهو الاديب أبو عبد الله محمد الباجي أحد كتاب الدولة التركية بتونس

﴿استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله﴾

كان جنس البرتقال وهو الردي في هذه السنين قد كثر بعد القلة واعتبر بعد الذلة وظهر بعد الجول وانتعش بعد الذبول فانتشر في الأقطار وسما إلى تلك الأمصار فانتهى إلى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل وألح على سواحل المغرب الأقصى فاستولى في سنة ثمان عشرة وثمانائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرتها لما حصار بطرولا سلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجة وسلطان البرتقال يومئذ خوان الأول (وذكر من قبل في تاريخه) أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله ابن أحمد أخو أبي سعيد المذكور وسبأ في كلامه بتمامه (وذكر صاحب نشر المثنى) في كيفية استيلاء البرتقال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال رأيته بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصراني جاؤا بصناديق مغلقة يوهمون أن بها سلعاً وأزروها بالمري كعادة المعاهدين وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وعشائة وكانت تلك الصناديق مملوءة قزحاً لاعددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة تغر جوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهل إلى سلطان فارس مستنصر خبئله وعليهم السوح والشمر والوبر والنعال السودر جالاً ونساء وولداً فازلهم علاج المسلمين ثم ردهم إلى الفحص قرب بلادهم ليجزهم عن نصرتهم حتى تغرقوا في البلاد والامر لله وحده قال وسمعت من بعضهم أن الذي جز الأنصاري على ارتكاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يقوض اليهم التصرف في المرسى والاستبداد بقلتها ويبدلوا له خراجاً معلوماً في كل سنة فكان حكم

المرسى حيث نزلهم دون المسلمين ولو كان المسلمون هم الذين يولون حكم المرسى ما تركوهم ينزلون ذلك العدد من الصناديق مقلعة لا يعلمون ما فيه أو الله أعلم بحقيقة الامر ولما استولى البرتقال على سبتة اعتنى بها وحصنها واستقرت في ملكهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة ثم ملكها منهم طاغية الاصبنيول في سيل مهادنة وشروط انعمت بينهم مائة اشبونة في حدود الثمانين وألف وأخبار السلطان أبي سعيد كثيرة وقد أخرج دولته وسيرته الكاتب أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورقي رحمه الله وتوفي السلطان المذكور سنة ثلاث وعشرين وعلمائة وولي الامر من بعده ابنه عبد الحق الاخير كذا ذكره في جذوة الاقباس وقد ذكر منوب في أمر أبي سعيد ووفاته ما يخالف هذا قال لما كانت دولة السلطان أبي سعيد المرسى كان المسلمون أهل جبل طارق قد سموا ملكة ابن الاجر صاحب غرناطة وتحققوا بان المريني أقوى منه شوكة وأقدر على تخليصهم عما عسى ان ينالهم به الاصبنيول من حصار وضجوه فبعثوا اليه يطلبون ولايته ويعرضون عليه الدخول في طاعته ان هو أمدهم بما يدفعون به في ضرر ابن الاجر فأجيب أبا سعيد ذلك والحين بعث اليهم أخاه عبد الله بن أحمد المر وف بيسدي عبوا ومعه طائفة من الجيش أمدا لهم وكان قصد أبي سعيد بعث أخيه عبد الله للحصول على إحدى القاعدتين اما فتح جبل طارق ان كان الظهور له أو الاستراحة منه ان كان عليه لانه كان يشوش عليه فناء الاخ المذكور حتى نزل بأزاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده وتحصن قائد الغرناطي وعسكره بقلعة الجبيل وطير الاعلام بذلك الى صاحبه فبعث اليه جيشا قويت به نفسه فقتل من القلعة وانضم اليه مدده وقائوا جيش المريني فهزمه وحبسوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى الى صاحب غرناطة فمسد صاحب غرناطة الى عبد الله وأثره في محل معتبر وأحسن اليه فخطف ظن السلطان أبي سعيد فيما كان يجب لأخيه من التلف وفاظله فعل ابن الاجر معه من الاحسان والبقاء عليه ثم ان أبا سعيد درجيلة بان بعث من قبله رجلا الى أخيه يسقيه السم ويستخرج منه مع ان غوغاه أهل المغرب وقاتله النصرقة عن السلطان كانوا قد تشرفوا القدومه عليهم وقيامهم معه فطلعت حيلة أبي سعيد في السم ولم يحصل على طائل ثم ان ابن الاجر اتفق مع عبد الله على ان يعتده بالعسكر والمسال ويسرجه الى المغرب ليستولى على ملكه ويأخذه بالثار من أخيه فقبل عبد الله ذلك وأمده ابن الاجر وسرجه الى المغرب فلما احتل به تبعه عدو اخر من قبائله الذين كانوا مستنقلين لو طأه أبي سعيد فقبض اليه أبو سعيد فكانت الكربة عليه ورجع مغاولا في يسير من الجند الى فاس فقبض عليه أهلها ومحبوه وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله وقصروا الباب فدخل الحضرة واستولى عليها وتم أمره وصحب ابنه أبا سعيد الى ان مات قال ولما استقل عبد الله بأمر المغرب كله هذه أربعية واستقامت الاحوال الا انه تكثر عيشه بذهاب سنة التي استولى عليها طاغية البرتقال خوان الاول بعد ما حاصرها أشد الحصار وكان ذلك على السلطان من أعظم النصوص وتكثر المسلمون غاية لغوا في هذه المدينة العظيمة منهم ثم ناروا على السلطان عبد الله واعتور به رماحهم حتى قاطع ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من اخوته وبعد قتال شديد ولم ينصف أحدهم من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على ان يولوا عبد الحق بن أبي سعيد اه كلام منوب وهذا السلطان عبد الله الذي زاده منوب يبين أبي سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب جذوة الاقباس ويعد ان يكون هذا الخبر الذي ساقه منوب لا أصل له والله تعالى أعلم بحقيقة الامر ومن جملة حجاب السلطان أبي سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملباني قال في الجذوة في أصله من زهره ونولي حجاب السلطان المذكور قال فندرمولاه ومخدمه وهلك ستره ونزب داره وبعث بحرمه وقتل أولاده وأخواته ورفع الاذناب وحط الرؤساء وكان فساد المغرب على يده وقد ذكره التاورقي فأنى عليه في الجذوة وهو وجد في طرقة ذقه وتنقيصه والله أعلم ومن وزراء السلطان أبي سعيد

صالح بن جوا الياباني ويحيى بن علال بن أمصود المسكوري وقد تقدم ذكرهما ومن كتابه الفقيه
الاديب أبو زكرياء يحيى بن الحسن بن أبي دلالة وكان صاحب العلامة عند السلطان المذكور ومن
شهد له أهل عصره بالبرز في النظم الفائق ثم ابنه محمد بن بعده ومن قضاه الفقيه أبو محمد عبد الرحيم
ابن ابراهيم البرناسي وقد تقدم ذكره والله تعالى أعلم

﴿خبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس بن أبي سالم المريني رحمه الله﴾

هذا السلطان هو أخو ملوك بني عبد الحق من بني مرين وهو أطولهم مدة وأعظمهم محبة وشدة وهو
أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد
عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتي المريني أمه علة ابنين وليته على ما ذكره من قبل
وفي أيامه ضعف أمر بني مرين جدا وتدها إلى الانحلال وكان التصرف للوزراء والجلاب شأن دولة
أيته من قبله على ما ذكره

﴿نصف البرتقال إلى طنجة ورجوعهم عنها بطنجة﴾

(قال منوب) كان لطاغية البرتقال حسنة اخوة شجعان فأرادوا أن يدركوا غفرا باستيلائهم على ثغر من
ثغور المغرب يضيفونه إلى سبتة ويوسعون به ممالكهم من أهم الحافركيو اقراصينهم في ستة آلاف
عسكري وزلوا سبتة ثم خضوا إلى طنجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة وعاصرهم وهاضيقوا على
أهلها ثم عاجلهم سلطان فاس و سلطان مراکش وأرهم قوهم عن فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا على كبير
عسكرهم فرأى ندو وجاعة من أعباءهم وعادوا بهم أسرى إلى فاس فلما صارت عظماء البرتقال في يد
المسلمين وأسروهم خضوا إلى السلم فسلمهم المسلمون على أن يرتدوا لهم سبتة ويسرحوا لهم كبيرهم وأعباءه
الذين معه فرضى البرتقال بذلك وانقعد الصلح عليه ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتقال الذي وقع
الشرط عليه في سبعين فاس واستقرت سبتة في يد العدو وعذ ذلك من سوء بخت المسلمين والامر لله وحده
﴿وقد ذكر صاحب المرافة أن البرتقال استولى على طنجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة وهو غير
صواب وإنما كان الحصار فقط والله تعالى أعلم

﴿أخبار الوزراء والجلاب وتصرفاتهم﴾

كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن جوا الياباني قالوا هو الذي أوقع بالفقيه
القاضي أبي محمد عبد الرحيم بن ابراهيم البرناسي قتله ذبحا سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ومن وزراء
السلطان المذكور الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي قالوا في سنة ست وأربعين وثمانمائة
غزا الوزير المذكور الشاوية وكانوا قد عتدوا على الدولة وأعضل دأؤهم فقتل الوزير المذكور رجسهم
ونهب منازلهم ثم كانت وفاته سنة اثنين وخمسين وثمانمائة قتله عرب انقاد على سبيل القدر فقام
بالرمح وجل قتيلا إلى فاس فدفن بالقلة خارج باب الجينة وولى الوزارة بعده علي بن يوسف الوطاسي
قالوا كانت أيامه مواسم لذياته وصيائته وحفظه أمور الملك ورقيقه بالريعة مع العدل وحسن الإدارة
ثم توفي بتمام ثمانين ومضات سنة ثلاث وستين وثمانمائة وجل إلى فاس فدفن بالقلة أيضا وفي هذه
السنة والتي قبلها استولى البرتقال على قصر الحجاز وهو المعروف بقصر معودة والقصر الصغير وهو
الآن خراب والله أعلم

﴿وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب في ذلك﴾

لما توفى الوزير علي بن يوسف رحمه الله قدم للوزارة بعده أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي قالوا

تغيير العوائد مضر بالدولة

فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومشأ القسمة وذلك لتمل الاستقلال بالحياة أخفى تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزير وأعوام الرعية بالسيف ومن جلة ما تقدم عليه أن عزل القاضي فاس الفقيه بأب عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال الصمودى وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولى وكان الصمودى من الذين عجزوا عن الخدمة فكان فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحوذ على أمور الدولة ونبين له أن الوطاسيين قد انقضوا معه وراء الملك وشاركوه في بساط العز وكادوا يظنون على أمره سطلمهم سطوة استأصلت جمهورهم إلا من جاءه الأجل منهم فقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبي بكر وأبي شامة وعلى عهدهم فارس بن زياد بن قريشهم محمد بن على ابن يوسف وأبى الذئب على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الخلوأخوى الوزير الذى كورف لم يوجد له ذهاب الشيخ في ذلك اليوم للسبب واختفاء الخلو عند قيام الجمعية فكان ذلك من لطف الله بهما واتصل بهما ما جرى على عشرتهم سوى أنهم فذهبوا إلى مصلحتهم ما كان من أمرهما ما نذكره وكانت هذه الحادثة الصالحة مدعى سبعين يوماً من وزارة يحيى بن يحيى الذى كور وصفه السلطان عبد الحق أمره ورأى أن قد شأ نفسه من الوطاسيين ونفى بساط حضرته من قضيتهم وأبرأ جسم ملكه من مرهم والله غالب على أمره

في رياسة اليهوديين هرون وشاول وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والغتة

قالوا كان السلطان عبد الحق منذ أرفع بني وطاس لم يسمح نفسه بإعطاء منصب الوزارة لأحد ثم نفي الله عن العامة وكبرامن الخاصة فذهبوا عليه إقاعه بالوطاسيين وأنهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب أصيلا وكان قد استولى عليها بعد فراره حسباناً ذكرور بمشائهم البعض منهم بذلك فولى عليهم اليهوديين الذى كور بن تاديا لهم وتنفذ منهم زعموا فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال واعتزل اليهود بالدينة ونحكموا في الأشراف والفقهاء فنذوهم وكان اليهودى هرون قدولى على شرطته رجلاً يقال له الحسين لا يالوا جهداً في الصف واستلاب الأموال واستمر الحال على ذلك ولتأس في شدة في وقى سنة سبع وستين وغتاً ثمة انتزع الاصبينول جبل طارق من يد ابن الأحمر

في استيلاء البرتقال على طنجة

ثم في سنة سبع وستين وغتاً ثمة استولى البرتقال على طنجة فزحوا اليها من سنة في أروى من العساكر واستولوا عليها واستمرت بأيديهم أكثر من مائتين وخمسين سنة ثم بنلوها طاعة النيجير سنة أربع وسبعين وألف في سبل الهاد والمهر الذى انقضد بينهما كاسياتي

في مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك

ثم إن اليهودى عمداً إلى امرأة شريفة من أهل حومة البلدة فقبض عليها والبلدة حومة فاس أقواوكت بدار الكوى قرب درب خيابة فأنق عليها بالضرب ولما ألهمها السياط حلت تتوصل برسول الله صلى الله عليه وسلم فحى اليهودى وكذا يغير عظامهم معاً ذكر الرسول وأمرها بالإلاغ في عقلها وسمع الناس ذلك فاعظوه وعتشوا لآلات فاس بعضهم البعض فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبى فارس عبد العز بن موسى الورياكلى وكانت له صلابة في الحق وجلادة عليه بحيث بقي نفسه في الضنا ثم بلاى وقالوا له ألا ترى إلى ما نحن فيه من لئنة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والبشهم حتى بلغ حالهم إلى ما سمعت فجمع كلامهم فيه والحين أغرهم بالقتل اليهود وطلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبى عبد الله الحفيد فأجابه إلى ذلك واستدعوا الشريف

المذكور فباعوه والتفت عليه خاصتهم وعامتهم وتولى كبر ذلك أهل حومة القفالين منهم ثم تقدم
 الوريا كل يوم إلى قاس الجديد فمعدوا إلى حارة اليهود قتلوهم واستلبوهم واصطلوا نعتهم واقسموا
 أموالهم وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائباً في حركته لبعض النواحي فقال في نشر الثاني خرج
 السلطان عبد الحق يحبسهم إلى جهة القبائل المبطية وترك اليهودي يقبض من أهل قاس القارم
 فشد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجها ضرباً وحكى ما تقدم فانتصل بعد الحق الخبر
 وانقض مسرعاً إلى قاس واضطرب عليه أمر الجند فسدت نياتهم وتشكروا وجوههم وصاروا في كل
 منزلة تنقض عنه طائفة منهم فأيقن عبد الحق بالنكبة وعان أسباب المنيمة ولما قرب من قاس استشار
 هرون اليهودي فيما نزل به فقال اليهودي له لا تقدم على قاس لخيلان ذر القنته بها وإنما يكون قدومنا
 على مكاسة الزيتون لأنها بلدنا ومهاقنا وذا شبعنا وحيتنا نظهر لنما يكون قاس استم اليهودي كلامه
 حتى انتظمه بالرح رجل من بني مريين يقال له تبار وعبد الحق ينظر وقال أو ما زلت في تحكم اليهود
 واتباع رأيهم والعمل بأشارتهم ثم تعاورت المراح من كل جانب وخصر دعاليد بن الوهم ثم قالوا للسلطان
 عبد الحق تقدم أمامنا إلى قاس فليس لك اليوم اختيار في نفسك فأسلم نفسه وانتهت محلة وفشت
 أمواله وطلبت به الإهانة وجاؤ به إلى أن بلغوا عين القوادس خارج قاس الجديد فانتصل الخبر بأهل
 قاس وسلطانهم الحفيد فخرج إلى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردة وانترع منه خاتم الملك وأدخله
 البلد في يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أحذنه ثم
 جنب إلى مصر عه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين
 وثمانمائة ودفن بعض مساجد البلد الجديد ثم أخرج بعد سنة ونقل إلى القلة فدفن بها وانقضت
 بمملكته دولة بني عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده ﴿ونقل النقات﴾ أن الشيخ أبي العباس أحمد
 زروق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبي فارس الوريا كل ما صدر منه في حق السلطان
 عبد الحق وكان يقول لا آمن النفس ور على صلاتي بعبه بذلك والفندور في لسان المغاربة ذو الفخوة
 والأيالة وما أشبه ذلك والله يتبعه دناو المسلمين برحمة آمين ولند كرماً كان في هذه المدة من الأحداث
 فنقول ﴿في سنة سبع وثمانمائة﴾ توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكدودي عالم قاس وأديبها
 ونحوها صاحب المقصورة وشرح الغلاصة وغير ذلك من التأليف قبله هو آخر من درس كتاب
 سيبويه في النحو بقاس ﴿وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة﴾ توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح
 التلمساني ثم المكاسي يقال أن سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شاباً حسن الصورة جبل الشارة فترتب
 امرأة جميلة فجعل ينظر إليها من طرف خفي فقالت أنق الله يا ابن الفتوح يصلم خاتمة العين وما تخفي
 الصدور فتأرقوها واقطع وتاب إلى الله تعالى وجعل من تمام نوبته أن يهاجر من الأرض التي قارف
 الذنب فيها فارتحل إلى قاس فأقامهم سادة واتبعت الناس به ثم انتقل بعدها إلى مكاسة فتوفي بها في السنة
 المذكورة قالوا هو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل مدينة قاس والمغرب ﴿وفي سنة ست وأربعين
 وثمانمائة﴾ كان الوياة العظيم بالمغرب هلك فيه جمع من كبار العلماء والاعيان وسمى هذا الوياة عند
 أهل قاس بوياء عزونة ﴿وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة﴾ في ذي القعدة مهاق الشيخ أبو محمد عبد الله
 العبدوسي مفتي قاس وعالمها الكبير ومحدثهم الشهير ولكن من أهل الصلاح والخير والأيثار ﴿وفي سنة
 اثنتين وسبعين وثمانمائة﴾ في أول ذي القعدة مهاق في إمام الجماعة بقاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن
 قاسم الأندلسي الأصل المعروف بالقوري ودفن ببيان الجراء منها ﴿وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة﴾ في
 أول صفر مهاق في الشيخ العارف بالله الحق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته
 بعمراته من أعمال طرابلس والله أعلم

بحقيقة أخبار بني الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها
 كانت دولة بني الاحمر في هذه المدة متمسكة والفتنة بين اعياسها متشابكة والعدو فيها بين ذلك
 يجتهدهم على ايديهم ويروغهم ويسالهم تارة ويحارهم الى ان كانت دولة السلطان أبي الحسن على
 ابن السلطان سعد بن الامير على ابن السلطان يوسف بن السلطان محمد الفتي بالله فثارعه أخوه أبو عبد الله
 محمد بن سعد المدعو بالزغل قدم من بلاد النصارى بوبيع بالقبو بقم بمائة وعظم الخطب واشتدت
 الفتنة وشرب المسلمون بدء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى
 تخريب كلهم والتكمن من فتح عهدهم وقتهم وذلك أعوام الثمانين وثمانمائة ثم انتقل أبو عبد الله
 لاى الحسن فسكنت أحوال الاندلس بعض الشيء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن
 وأمره النصارى في بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبي الحسن ثم نزل لآخيه أبي عبد الله الزغل عن
 الامر لا فة أصابته في بصره ثم ان العدو عدل لاسيره أبي عبد الله بن أبي الحسن فوعده ومناه وأظهره
 من أكاذيبه وخدعه غاية مناه وبغته للتشبيب على همه طلبا للتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم
 وتوصل الى ما بقي عليه من حصون المسلمين ببلادهم وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ وكل عقد كان بين
 العدو وبينه اتحل وانفتح وخبت العامة الذين هم أتباع كل ناعق في ذلك وضعت وكان ذلك من أعظم
 الاسباب المصيبة للعدو على التمكن من أرض الاندلس والتهامها واستئصال كلمة الاسلام منها ثم ان ابن
 الاخ استولى على غرناطة بعد نزوح العم عنها الى الجهاد فقتل ذلك في عضده وعطف الى وادي آش
 فاصنعهم او حاصر العدو امة فقتله أهلها بكل ما أمكنهم حتى اذا لم يجدوا القتال مساعا تزلوا على الامان
 فاستولى العدو عليها وأخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ثم استولى بعد ذلك على وادي آش
 وأعمالها وداخل في طاعه صاحبها أبو عبد الله المبريدان استولى الصدوق فزاده بالاحوال الجزيلة
 ثم ان العدو خذله للفرار الى أبي عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في الخطة التي
 دخل فيها هم من التزول عن البلاد على أموال الجزيلة يذلها له ويكون تحت حكمه مخيرا في أي بلاد
 الاندلس شاء فصار روعيته فاتفق الناس على الامتناع والقتال ففسد ذلك أرفق العدو وحده وجعل
 غرناطة وأهلها من شأنه بعد ان استولى أثناء هذه الفتنة والتضريبات على حصون كبيرة لم تقترض
 لذكرها حتى لم يبق له الا غرناطة وأعمالها وقد اختصرنا معظم هذه الاخبار اذ لم تكن من موضوع
 الكتاب وانما المعنا هذه التبعة تميل للفائدة وزيادة في الامتناع ولما كان اليوم المائى والعشرون من
 جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ
 الأرض وهدم القرى وأمر بنساء موضع بالسور والحفير فحكمه وكان الناس يظنون أنه عازم على
 الانصراف فاذا به قد صرف عزمه الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال
 سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات منصلة
 بالمرافق والطعام يأتي من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد وزل الثلج فاستجاب
 المرافق وانقطع الجبال وقطع الطعام واشتد البلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج
 البلد ومع المسلمين من الحرث والسبب ونشأ الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول سنة سبع
 وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر
 ناس كثير من الجوع الى البشرات ثم استندل امر في شهر صفر من السنة وقطع الطعام وتفاقم الخطب
 فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم كآبي عبد الله اللواتي شارح المختصر وغيره وقالوا انظر
 لانفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبي الحسن أهل دولته وأرباب مشورته
 وتكلموا في هذا الامر وأول العدو بزاده مدة كل يوم وضمن لا مدد لنا وكننا ظن أنه يقطع عنا في فصل

الستة تغلب الظن وبني وأسس وأقام وقرب منا فانظر والافتقار ولا لكم فاتفق الرأي على ارتكاب
 أخف الضررين وشاع ان الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في الاسلام البلد خوفا على
 نفوسهم وعلى الناس ثم عقدوا مطالب وشروطا داروها وازادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آس منها
 أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكثوه من جراء غرناطة والمعاقل والحصون
 ويحلف على عادة النصارى في العهد وتكلم الناس في ذلك وذكر وان رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا
 للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بما لا يزال وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط فرئت على
 أهل غرناطة فاتفقوا اليها واقفوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة لقبها منهم وتزل سلطان
 غرناطة أبو عبد الله عن الجراء ولا حول ولا قوة الا بالله ^{يخوف في} ثا في ربيع الاول من السنة أعني سنة سبع
 وتسعين ومائة استولى النصارى على الجراء ودخلوها بعد ان استوفوا من أهل غرناطة بنحو
 خمسة مائة من الايمان رهنما خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير
 في النفس والاهل والمال وبقاء الناس في اماكنهم ودورهم وبيعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم
 على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن
 لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولي على المسلمين نصرا في أيهم ودي عن يتولى عليهم
 من قبل سلطانهم وأن يقتل جميع من أسرى غرناطة حيث كانوا خصوصا أعياننا نص عليهم ومن
 هرب من أسرى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه ملك ولا غيره والسلطان يدفع عنه ملكه
 ومن أراد الجواز الى العدو لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء
 ثم بعد تلك المدة يعطون عشر ما لهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بدين غيره وأن لا يخرج من أسلم على
 الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يرقأ أياما حتى يظهر حاله ويحضره حاكم من المسلمين
 وأن من النصارى فان أبي الرجوع الى الاسلام عمدا على ما أراد ولا يعتاب على من قتل نصرانيا أيام
 الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا
 يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المطالم والمغارم المحدثه ولا يطاع
 نصرا في السور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجد امن مساجدهم ويسير المسلم في بلاد النصارى
 آمننا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدج ولا يمنع مؤذنا ولا صائما ولا يصل
 ولا غدا من أمر دينه ومن خالف منهم يعاقب ويترك من المغارم سنين معلومة وان وافق على كل
 الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره وبعد انبرام ذلك ودخول
 النصارى للممرات والمدن جعلوا قائدا بالجرء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم بذلك أهل البشرا دخلوا
 في هذا الصلح وشملهم حكمه على هذا الوجه ثم أمر العدو ببناء ما يحتاج اليه في الجراء وتحصينها وتحديد
 بناء قصورها واصلاح سورها واصل الطاغية بخلف الى الجراء انهارا وبيت بجملة الى ان اطمأن من
 خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبر أعيان رومه منها ثم أمر سلطان المسلمين ان ينتقل
 لسكنى البشرا وانما تكون له في سكاها بالندرس فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال عدوانه
 في نفيه لبرالدوة وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كتب لصاحب المرية انه ساعة وصول
 كتابي هذا لا سبيل لاحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدو ومن وقف على
 هذا الكتاب فليصرفه وليقف معه وفاء بعهده فانصرف السلطان أبو عبد الله في الحين بنص هذا
 الكتاب وركب البحر فزل عليه سلة واستوطن فساو وكان قبل ذلك قد طلب الجواز للاحية مرا كش فلم
 يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدو لم يلبث شدة وغلاوة ^{١١} ثم ان النصارى تكثروا العهد وتقصوا الشروط
 عروفة عروا الى أن آل الحال لملهم المسلمين على التنصر سنة أربع ومائة بعد امور وأسباب أعظمها

عليهم انهم قالوا ان القسيين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن يرجع قهر الدينه ففعلوا ذلك
وتكامل الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تمدوا ذلك الى امر آخر وهو أن يقول الرجل المسلم ان جئتكم
نصراني فاسلم فترجعت نصرانيا ولما فاحش هذا الامر قام أهل اليانين على الحكام فقتلوه وهذا
كان السبب الاعظم في التصرف قالوا لان الحكم خرج من عند السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا
الموت الا ان يتصرف فيصوم من الموت وبالجمله فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من
التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قري وأما كن كذلك منها بالفيق واندرش وغيرهما
فجميع لهم العدو والجوع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبي الا ما كان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم
على عدوهم وقتلوا منهم مئة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما
خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله خفية
ويصلى فشد النصارى في البحث عنهم حتى انهم أحرقوا كثير منهم بسبب ذلك ومنعواهم من حمل
السكين الصغيرة فضلا عن غيرهما من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا في قبض الله
تعالى لهم ناصر الى ان كان اخراج النصارى بابا لهم جلة أعوام مئة عشر وألف بعد ان ساكنوهم
بقرنطة وأعمالها نحو مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والامر يتلو حده
ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الاندلس خرجت الوف منهم فاقصمها من بلنسان ووهراين وخرج
جهورهم بنونس فسلط عليهم في الطرقات الاعراب ومن لا يمتنى الله تعالى من الاوابين ونهبوا
أموالهم وهذا يلاذ بلنسان وفاس وبجبال الطليل من هذه الحضره وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم
أكرهم وكذلك بطون وسلاويمة الخزاز ولما استخدم سلطان المغرب الاقصي وهو المنصور السعدي
منهم عسكريا راسا وكنوا اسلاكن منهم من الجهاد في البر ما هو مشهور وحصنوا قلعة سلا وهي رباط
الفتح بنواها المنصور والحمامات والدور فقال أبو عبد الله المقرئ في فتح الطيب وهم الآن يعني في
حدود الثلاثين وألفهم هذا الحال ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام
وغيرهما من بلاد الاسلام وانقضى أمر الاندلس وعادت نصرانية كما كانت أول مرة والله وارث الارض
ومن عليها هو خير الوارثين (هـ) في السنة التي استولى الاصنبول على غرناطة انكشفت لهم أرض
الموكان التي كانت مجبولة قبل هذا التلويح لساير الامم وذلك ان الحكماء الاقدمين من اليونان وغيرهم
أجمعوا على أن شكل الارض كره وأن الماء قد غمر أحد جانبيها كله بحيث صارت الارض فيه كأنها
بيضة مفرقة في طست ماء قد رسب فيه أكثرها ورزأ قلها وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المسكون
ببني آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المقسم الى سبعة أقسام تسمى الاقاليم ولهم يتدوا الى أن الجانب الآخر
منكشف عنه الماء ولااته مسكون كهذا الجانب بل جزواياه ماء صرف يسمى البحر المحيط واستقر هذا
الاعتقاد عندهم ونقله الخلف عن السلف وضروافه التاليف العديدة الى أن كانت سنة سبع وتسعين
وثمان مائة وهي السنة التي استولى عليها الاصنبول على غرناطة وسائر الاندلس فاتفق ان ظهر في تلك
المدة رجل من فرنج جنوة اسمه كلب بضم الكاف واللام كانت حرقته الملاحة والسفر في البحر وكان
بعد الهمة مولعا بالشهرة مغربي بلاد كرو حن الصب فخطر بباله أن جانب الارض الذي أغفل الحكماء
الاولون ذكره وزعموا انه بحر صرف ربما يكون مسكونا كهذا الجانب وكان جنس البرتقال في هذه
المدة قد كثر أن أسفلهم في البحر ولم يكونوا عتبة محال من جزائر الخلد ان فحصل لكنيب الجنوزي
بعض غيره ونفاسة منهم وأراد أن يأتي باعظم مما فعلوا فزم على التلجيع في البحر المحيط والابعاد فيه عسى
أن يظفر بجواده قطارح على ملك البرتقال واسمه ومشدوخنا الثاني في أن يمينه على ما هو بصدد
وبعد بما يكون سببا في نيل مقصده فلم يلتفت الى قوله ولا عرج على وأيه ومن قبل ما كان أهل جنوة

يحمقونه وينسبونوه الى النور يمثل هذه الازاء فلما لم يجد عند ملك البرتقال مراده تطارح على ملكة
الاصبنيول وهي يومئذ ايسابيل الشهيرة الذكر عندهم فاستعته وهيأت له ثلاث سفان وشحنها
بالرجال والسلاح وازاد المال ودفع ذلك اليه فسافر بها كئيب في البحر المحيط على سمت المغرب حتى
أرسي بعض الجزائر الخلدات فأراحها أياما ثم سافر على السمك المذكور ملجأ مائة من شهر ولما طال
السفر على أصحابه الذين معه أودوا قتله وبيئاهم في ذلك ظهرت له أرض الماركان فسار حتى أرسى
باجفائه على ساحلها في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وثمانمائة المذكورة فغمر منها
على أرض واسعة ذات أقطار وواحي وجبال وأنهار تغوث الحصر حتى قيل أنها تساوي نصف هذا
المسكون من الأرض أوتربوذا فبها خلق كثير من بني آدم كهذه الأتهم لم يقهوا قوله ولا تفسه قولهم
فعاد كئيب الى ملكة الاصبنيول بعد ان بنى هنالك حصنا وترك ببعض الجند وساق من تلك الأرض
بعض الغرائب من حيوان وغيره اثباتا للثغاة فلما قدم على الملكة بعد مضي سبعة أشهر واحد عشر يوما
أعظمت قدوه وتوهمت باسمه وسرت عما أتى به من ذلك كله وعنت ذلك من سعادتها الى ما تسنى لها من
النظر بجزيرة الاندلس والاستيلاء عليها وتبين للفرخ حيث شأن الأرض معمورة من كلا الجانبين
لا من جانب واحد كما اعتقده الأقدمون فحينئذ تسارعت أجناسهم الى أرض الماركان واقسموها
واعتروا بصمرانها وصموها الدنيا الجديدة فكانت من أعظم الأسباب في اتعاشهم وتقويتهم وخصامة
دولهم واتساع خطط عمالهم والامور كلها بيد الله وهو من جعله لهما كن معقودا بأرض الماركان
نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الالهية ولما رأوا الأديرا كبا على الفرس مسرعا طنوه قطعة
واحدة وان العارس وفرسه حيوانا وحده خلق على تلك الكيفية الى غير ذلك وأخبر أرض الماركان
وكيفية العثور عليها ثم التردا إليها واعتقروا بعد ذلك طويلا ولم يفسها ما ذكرناه والله تعالى الموفق عنه

﴿ أخبار البرتقال بالمغرب الأقصى على الجملة ﴾

﴿ اعلم يا هذا المغرب الأقصى حرسه الله وكلاءه بين حفظه لم يزل بجميع تقوره وسواحه وأقطاره منذ
الفتح الاسلامي الى المائة التاسعة محفوظا للجوانب من طروق أم الفرج وغيرهم من أعداء الدين
مخوف الاكتاف بالحامية من جنود المسلمين وهو يشوك ملوكه عند أم النصرانية جيلا بعد جيل
واتمة بعد أمة ودولة بعد دولة لم تكن الفرج تحت نفسها بفرغ منى من بلاده أو طروق ثمر من تقوره
أو الاستيلاء على شيء من سواحه ولم يكن أهله أيضا يتوقون ذلك منهم ولا يخشونه بل هم الذين كانوا
يغزون الفرج في عقديارهم وأعز بلادهم ويحامون عن بلاد الاندلس وسواحل افريقية وغيرها
متى هاج أهلها هيج من ذلك حسبما تقدمت الاخبار المفصلة عن ذلك ولم يلقنا أن جنسا من أجناس
الفرج فيما قبل المائة التاسعة غزا شيئا من أطراف المغرب الأقصى أو ثمر من تقوره بقصد الاستيلاء
والملك الا ما كان من مدينته سلالا التي دخلها الاصبنيول غدا أيام الفتنة بين العقوين ثم خرجوا عنها
لمدة يسيرة حسبما مر والاما كان من محاصرة أهل جنوة لسنة ثم الاقلاع عنها كذلك ونحو هذا مما
لا يعتبر فلما دخلت المائة التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بني أبي حفص بافريقية وبني
زيان بالمغرب الاوسط وبني مرين بالمغرب الأقصى وبني الاجر بالاندلس وأنشرفت على الهرم وحدثت
الفتن بين المسلمين ودامت فيهم واشتعلوا بانفسهم دون الالتفات الى جهاد العدو ومطالبة في أرضه
وبلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالقة وهم الاصبنيول والبرتقال
وهم البرطقيز بجزيرة الاندلس واستفحال أمرهم فكثرت أسفار البرتقال في البحر المحيط ودام قتلهم فيه
ومر نواعليه حتى حصلوا على عدة جزائر منهم وكشفوا بعض الرؤس الساحلية من أرض السودان وغيرها

ثم شرعوا التمسك سواحل المغرب الاقصى فجمعوا عليها وجالدوا أهلها دونها حتى تمكنوا منها ونسبوا
فيها فتقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطغت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبما
تقف عليه مينا في مواضع ان شاء الله فاستولوا في سنتين عشرة وثلاثمائة على مدينة سبتة بعد
محاصرهم لها ست سنين على ما في بعض تواريخ الافرنج ثم في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة استولوا على
قصر الجواز ثم استولوا في سنة تسع وستين وثلاثمائة على طنجة ثم في حدود سنة ست وسبعين وثلاثمائة
ملكوا أصيلا وفي هذا التاريخ نفسه أو قبله يسير استولوا على مدينة آتني وبعض سواحل السوس
ثم في حدود سنة سبع وتسعمائة زلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور ونيط وبنوا لها حصن البريجة
وطال مقامهم ثم في سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائس ثم بعد ذلك يسير في حدود
الضرر وتسعمائة على ما تقتضيه تواريخ الافرنج ملكوا حصن أكادير وما اتصل به من سواحل
السوس الاقصى ثم ملكوا في حدود اثنتي عشرة وتسعمائة رباط آسني ثم عطفوا على نغرا زمور
فاستولوا عليه في سنة أربع عشرة وتسعمائة ثم المعمورة وهي المدينة ملكوها أيضا في حدود سنة
عشرين وتسعمائة وفي هذا التاريخ نفسه رجعوا الى مدينة آتني بعد هدمها فبنوها واسكنوها
(وبالجملة) فلم يبق من تغور المغرب الاقصى بيد المسلمين الا القليل مثل سلا ورباط الفتح وفيه المسلمون من
هذا البر تتقال بالامر العظيم وهو امنه بان يطلب الجسيم واستحوذت على بلاد الهبط وضايقتهم
بما احتجوا والى الامصار المتروكة عن الاطراف والقرى النائية عن السواحل وكان ذلك كله
فيما بين انقراض دولة بني طاس وظهور دولة الثرغاة السعديين ولقد ذكر في مرآة المحاسن ان قصر
كثامة كان في صدر المائة العائرة مقصد التجار وسوقا تجلب اليه بضائع العدوتين وسلها قال
اذ كان القصر المذكور ثغرابين بلاد المسلمين وبين بلاد النصراني تخط به رجال تجار المسلمين من آفاق
المغرب وتجار الحريريين من أصيلا وطنجة وقصر الجواز وسبتة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب
اذ ذلك محمد الشيخ بن أبي بكر الوطاسي فان القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقدة شرارة
السلطان المذكور ومشب ناره وموشج عصيته مع مجاورته لبلاد الحرب فكان نظره مصر واطاله
واختصاصه موقوف عليه وقيل بنوه من بعده مذهب فيه اه كلامه فهذا يدل على ما كان عليه
العدو حذله الله من المضائق للمسلمين في تغورهم وبلادهم ولله الامر من قبل ومن بعد ولما نزل باهل
المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على تغور المسلمين تباروا في جهاده وقتاله واعلموا
الجيل والرجل في مقارعة وزله وتوفرت دواهي الخاصة منهم العامة على ذلك وصرفوا وجوه الغرم
لتصديب الثواب فيما هنالك فكمن رئيس قوم قام لنصرة الدين غيرة واحتسابا وكمن على عصر أو
عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صولبا حتى اقد استشهد منهم اقوام وأسر آخرون وبلغ الله تعالى
جميعهم من الثواب ما يرجون فحين استشهد منهم في سبيل الله سيدي عيسى بن الحسن المصباحي دفين
الدعاة بارض البروزي من بلاد طليق وأبو الحسن علي بن عثمان الشاوي من أصحاب الشيخ أبي محمد
الغزواني وأبو الفضل فرج الاندلسي ثم المكاسي وأبو عبد الله محمد القصري المعروف بسقن قنله
النصاري عند ضريح الشيخ أبي سلهم وكان قد قصد للزيارة فتكروا به هنالك وكل هؤلاء معدود في
أولياء الله تعالى ومن أسر منهم ثم خلاصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله بن سامي دفين تلتصفت من أحواز
مراكش والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من أحواز فاس والد صاحب دوحسة
الناسر وهو أبو الحسن علي بن مصباح الحسني عرف بابن عسكر والشيخ السلامة أبو العباس أحمد ابن
القاضي المكاسي أحد قضاة سلا وهو صاحب جذوة الاقدام والمتقى المقصور وغيرهم من التاكلف
الحسان أسر وهو ذاهب الى الحج وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي المعروف بخروف تزيل فاس

وشجع الجماعة بها هؤلاء كلهم أصابه الأسر ثم خلصه الله بعد حين وغير هؤلاء ممن لم يحضر ناذكرهم أبول
الله وأبهم وبسر يمنة حسلبهم ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحظ في الجهاد
والترغيب فيه وقال الخطيب والموافق في ذلك فأكثروا وتنظم الشعراء والادباء فيه ونثروا ضمن ألف في
ذلك الباب فافاد الشيخ المتقن البارع الموفق أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يحيى التازي **رحمه الله** في
الدوحة **رحمه الله** وقت له على تأليف ألفه في الحظ في الجهاد في سبيل الله فكان مما ينبغي أن يتناول بالمدن
ويكتب دون المداد باليمين أودعه تظلماتنا ونحن نظم في ذلك فاجاد الشيخ الصالح المتصوف المجاهد
أبو عبد الله محمد بن يحيى الهالوي **رحمه الله** في الدوحة **رحمه الله** كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه وله في
ذلك أشعار وقصائد زجلية وغيرها وكان معاصر للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الشيخ الوطاسي
المعروف بالبرقي فذكر أن إذا جاءه زائر احضره على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك ولما توفي
السلطان المذكور ودالت الدولة تولده السلطان أحمد وغص بالشرفاء القاعين عليه سبيلاد السوس عقد
الهدنة مع النصارى المجاورين له سبيلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتقال فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله
المذكور فآلى على نفسه أن لا يلقي السلطان المذكور ولا يمتنئ إليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده
من جزية أهل الذمة بفاس لقوم ضرورياته ففككت على ذلك إلى أن حضرته الوفاة وكن في الترفع
وأصحابه أثروا به فقال له بعضهم بأسدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادى به وحض الناس عليه
والمسلمون في شره لذلك وفرح ففتح الشيخ عينيه وتمل وجهه فرحاً وجد الله وأثنى عليه ففاضت نفسه
وهو مسرور بذلك ولهذا الشيخ زجلية ومقطعات حسان في الحظ في الجهاد منها اللامية
المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها

قل للأصير محمد • باطلعة الهلال لوبلة في السواحل • من أفضل الليال

• هو منها القصيدة التي مطلعها •

ظهر الزمل مرادى • والسكرا كرام نفسي على الجهاد • سبيل السلام

• هو منها القصيدة التي أولها •

قسم للجهاد عاك الله منتهجا • نهب الإرشاد إلى الأقوام فوفوهوا

من بعد أن دلس ما زلت محمدا • لو كان يمكنني في الليل احترام

إلى غير ذلك مما يطول ذكره **رحمه الله** قال صاحب الدوحة **رحمه الله** حدثني الفقيه العدل أبو العباس أحمد الدغوري
القصري قال كان الشيخ أبو عبد الله يقول ما غزو ناغزو قط إلا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
ويخبرني بجميع ما يتفق لي ولا يخفى في تلك الغزوة وله رضى الله عنه في شأن الجهاد والرجولية حكاية
ظريفة وهي أنه غزاه مرة غزوة إلى الثغور الهبطية ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلا تفت الشيخ
أبي ذكرى بل يحيى بن بكر قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين وأما هم الشيخ غازي ابن الشيخ
أبي عبد الله محمد بن غازي الإمام المشهور فوصل الشيخ أبو عبد الله وجد جنازته على شفير القبر والناس
يحاولون دفنها فقال لهم مه لا تم تقدم وأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس إليه
بالانكار في تكرير الصلاة على الجنازة بالجماعة منين فقال لهم على البدية صلاتكم التي صلبتم عليها
فاسدة لكونها بغير إمام فقالوا له كيف ذلك بأسدي قال لأن من شرط الإمام المذكور وبه وهي مفقودة
في صاحبكم لأن الذي لم يتقلد سيفاً في سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب كما كان نينا صلى الله عليه
وسلم ولم يتعمد بالمسيرة النبوية فكيف بعد إماما ذكر الإمامكم والله من جلة النساء أه **رحمه الله**
أيضاً في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الله الورياكلى الذي تالاه العلامة ابن مرزوق وقد عزم على الرحلة
إلى بلاد المشرق في طلب العلم ليس أمامك أحد أعلم منك قال فرجع من هنالك فوجد النصارى

قد تقبلوا على طجة وأصيل فلازم الثغور المبطية لاجل الرباط والجهاد في سبيل الله وبث العلم ونشره قال وكان من عادته أن يستغل التدريس في فصل الشتاء والربيع ويخرج في الصيف والخريف غير يبط في ثغور القبائل المبطية إلى آخر كلامه وأمثال هذا كثير ذكرنا منه هذه التبعة اليسيرة لتغنيها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة في الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل في دار النعيم غدتهم ورواحهم وقد آن أن نشرع في الإخبار عن دولة بني وطاس بصدان نذ كر دولة الشريف العمراني الذي يابمه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبدالحق بن أبي سعيد رحمه الله

﴿ تلخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليته ﴾

هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن علي الأدرسي الجوطي العمراني من بيت بني عمران فرقة من أدارسة فاس وهم واسطة عقد البيت الأدرسي وأوصفهم نسباً وأعلامهم حسباً ﴿ قال إن خلدون ﴾ ليس في القرب فيما نعلم من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبته ووضوحه مبلغ أعقاب أدريس رضي الله عنه قال وكبر أولهم لهذا العهد بنو عمران بن فاس من ولادي يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العظام بن القاسم بن أدريس بن أدريس وهم قباء أهل البيت هناك والساكسون بيت جدتهم أدريس ولهم السيادة على أهل القرب كافة اهـ (الجوطي) قال في المرأة نسبة إلى جوطية بجمع مضومة وواو متوسطة مفتوحة وهاء تأنيث وهي قرية عظيمة على نهر سبوا في العدة الجنوبية خربت ولم يبق منها إلا آثار ولها مسيل شتوي يعرف بخمرط جوطية نزلها السيد يحيى فتسبب اليها وقبره هناك معروف اهـ

﴿بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد والسبب فيها ﴾

كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب عظماء هؤلاء الأشراف الأدارسة فوجيئون حقهم ويتقربون إلى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فاتهم من رتبة الخلافة التي كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعي فكان بنو مرين لما جبالوا عليه من المنوح إلى مراسم الدين وانها لها يرون في أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الأشراف فلذا كانوا يخضعون لهم ويتأذنون معهم ما أمكن ولقد حكي أبو عبد الله بن الأزرقي أن الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرئ كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم وكان غيب الشرفاء بقاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجيع من في المجلس إجلاله إلا الشيخ المقرئ فإنه كان لا يقوم له فخرت بين الشريف والفقير المذكور معانته ومراجعة في حكاية مشهورة تركها السيد معلق الغرض ما إذا الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من التجلة والتعظيم لأهل هذا البيت الكريم فلما اضطربت أحوال الدولة المرينية فاس واجتمع رؤساء فاس إلى الفقير أبي فارس الورياكلي في شأن اليهوديين الذين كانوا يحسبكان في المدينة ويقسفان أهلها أجمع رأيهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد وكان يوشدلي بقائه لأشراف فاس فاستدعوه فحضر وبايعوه في العشر الاواخر من رمضان سنة تسع وستين وغالما ثقتهم أمره وكان من قتله السلطان عبدالحق ما تقدم ذكره والله أعلم

﴿ فتنة الشاوية ووصولهم إلى بلاد المغرب ﴾

قد قدمنا ما كان من أمر الشاوية وقتنتهم في أيام السلطان عبدالحق ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطاعوا شرهم فزحفوا إلى بلاد المغرب من أحوال مكحلة وفاس وسواها وأفسدوا ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي الغاسي في مرآة المحاسن على الشيخ عبد الوارث الياصوقي وأنه أخذ عن

جماعة منهم أبو النجاء سالم الروداني الشلوحي والشيخ أبو عبد الله الصغير السهلي والشيخ أبو محمد الغزواني قال وكان الشيخ أبو النجاء أولا يقربا للدرسة العنانية فلما نزل الشلوحي القرب خرج من فاس ما نفايت رقب وذلك في أيام الحفيد اه وبلاد الغرب تطلق في عرف أهله على خصوص بسيط ازغار وما اتصل به إلى ساحل البحر والله أعلم

﴿استيلاء البرتغال على مدينة آنتي وأصيلا﴾

رأيت في بعض تواريخ الفرنج ان استيلاء البرتغال على آنتي كان في حدود أربع وسبعين وثمانمائة وانهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين سنة ثم شرعوا في تحصينها والبناء بها ولم يزالوا مقيمين بها إلى حدود أربع وخمسين ومائتا ألف وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على أصيلا وظفروا فيها بيت مال الوطاسي وأسروا ولده محمد المدعو بالبرتغالي وابنته وزوجته وجماعة من الأعيان وكان الخطب عظيموا بقي ولد الوطاسي عند البرتغال سبع سنين ثم أفتكه والده بعد وكان يوم أسر صبا صغيرا وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استدلاء وانما كانت بها كمبانة خمسة نفر من تجار مدريد قاعدة قشتالة نزلوها بقصد التجارة باذن سلطان الوقت وكانت سلمهم توسق وتوضع من مرساها وبنوا بها البناء الموجود اليوم والله تعالى أعلم

﴿خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض أمره﴾

وقال في الخزانة المما قامت عاتقه فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا هذا النقيب من أهل مدينة فاس اماما استمر بها وابنه وزيره إلى سنة خمس وسبعين وثمانمائة فنزل عن الإمامة وكان الذي خلعه أبا الحاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور إلى تونس لمدة بسيرة من خلعه وبقيت حضرة فاس الحديد في يد أخت أبي الحاج المذكور وهي الزهراء المدعوة بزهور مع قائده الصغير إلى ان تولى الامر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي والله غالب على أمره

﴿الخبر عن دولة بني وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم﴾

﴿اعلم﴾ ان بني وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق ولم يدخل بنو مرين المغرب وانقسموا أعمالا حسبما تقدم ذكر بني وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لتزولهم وأمصاها ورعاياها الجبايتهم وكان بنو الوز يرمنهم يسمون إلى الرياسة ويرمون الخروج على بني عبد الحق وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر ثم أذعنوا إلى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم فحسن أثرهم لديهم او تعقد الوزراء منهم فيها ﴿وذكر﴾ ان خلدون كان بني الوز ير هؤلاء يرون ان نسبهم دخيل في بني مرين وانهم من أعقاب يوسف بن ناشفين التتوي لحقوا بالبدو ونزلوا على بني وطاس ووصفت فيه عروقهم حتى ليسوا بجلدتهم ولم يزل السرو متر بعاين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بانوفهم اه ولما كانت دولة السلطان أبي عنان واستولى على بجاية عقد عليها العمرين على الوطاسي من بني الوز ير هؤلاء فنار عليه أهلها واستلموه في خمر التنييه عليه فلما كانت الدولة الأولى للسلطان أبي العباس بن أبي سالم وخلص ملك مراكش وأعمالها إلى ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يعلوس كان من جملة من تميز إليه وصار في جلسته زيان بن عمر بن علي المذكور فكانت له في دولته الوجاهة الكبيرة والمنزلة الرفيعة

ثم لما قسد ما بين السلطان أبي العباس والامير عبد الرحمن كان زيان بن عمر في جلة النازعين الى السلطان
 أبي العباس فاقبل به وصار في جلته الى ان حاصر السلطان أبو العباس قصبه مرا كش و بها يومئذ
 الامير عبد الرحمن قابلي زيان بن عمر في ذلك الحصار وكان أحد الذين باشر واقتل ولدي الامير عبد الرحمن
 وقال ابن خلدون في ذلك وكان زيان هذا عتري ندى نعمتهم ويحترقه خيلاء في جاههم فذهب به
 في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم منة الذرة ثم جاء بعده ابنه أبو زكريا يحيى بن زيان فولى
 الوزارة للسلطان عبد الحق كاهن ثم بعده ابنه يحيى أيضا وهو الذي قتله السلطان عبد الحق في جماعة
 من عشيرته وفرأ أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ الى الصحراء وبقي متتلا في البلاد الى ان كان من أمره
 ما ذكره

في الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي رحمه الله

قد تقدم انما كان من ايقاع السلطان عبد الحق بنى وطاس واقلان محمد الشيخ ومحمد الحلو من النكبة
 وان الشيخ كان قد خرج للصيف فاقبل به الخبر فذهب على وجهه لايوى على شيء وان الحلو اختفى حتى
 اذا سكنت الهيعة تسفل ولحق بالشيخ فصاروا الى جهة الصحراء وجعلوا يترددان فيما بينهما وبين البلاد
 الحيطية حتى ملكا أصيلا وذلك قبل استيلاء البربر قال عليها ولما ملك الشيخ أصيلا واستفحل أمره بها
 تشوقت اليه الاميان من أهل فاس والرواس من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكتبونه
 ويقدمون اليه الوسائل سرا ويربوا دعوه الى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء فاستمر
 الحال على ذلك الى أن قتل عبد الحق وبويع الحفيد فحينئذ أرفف الشيخ حده واستقرخ في المطالبة
 جهده الى أن اسنوى على الحضرة وصغاله لك المغرب وقال في المرأة لما بايع أهل فاس أبا عبد الله
 الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسي في أصيلا واستتب القبايل واستفحل أمره وحاصر فاسا وقتل بعد وقت
 الى ان دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ
 المذكور في أوائل سؤال من السنة المذكورة وهو مورث الملك لبنيه بها اه وقد تقدم لتان الذي خلغ
 الشريف من الملك هو أبو الحجاج وسف من منصور الوطاسي وان حضرة فاس الجديد قد بقيت بعد
 ذهاب الشريف الى تونس في بنزهور الوطاسية والقائد السجيري الى ان قدم السلطان محمد الشيخ
 والله تعالى أعلم وهو قد مل في أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته كانت مملكة المغرب الاقصى في غاية
 الاضطراب والانتكاس حتى طمع في ملكها كل من كانت توسوسه نفسه بذلك واستنوى ابن الاحمر
 على جميع النعمور التي كانت لبني مرين بارض الاندلس ولم يترك لهم قيد شعير واشترأت أجناس الفرغ
 لا تغلب على المغرب وفي تلك المدة كن باصيلا لمحمد الشيخ الوطاسي وكان نجباء مقبدا ما وأحسن
 من نفسه بالقسوة على لاسيلا على كرتي فاس وتجبته الشريف عنه لاسيما مع ما كن الناس فيه
 من فقران الكلفة فجمع جنده اصلحوا ورحا الى فاس فبرز اليه الشريف والتقوا باحوار مكاسة
 فوقت بينهم ما حرب عظيمة كانت المكرة فيها على الوطاسي فجمع عسكرا آخر ورحب به الى فاس
 وبنصرها نحو ستين ألفا الشريف فيها مع أرباب دولته وفي أثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء
 البربر على أصيلا وعلى بيت ماله الذي كان بها وعلى خطابه وأولاده فخرج عن فاس ورجع مبادرا
 الى أصيلا فحاصرها ولما امتدت عليه عند مع البربر قال هدنة وعاد سرا الى فاس فحاصرها وضيق
 على الشريف بها حتى خرج فارا منه وأسلم اليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدوين
 القبايل التي باحوار فاس وغيرها فدخلوا في طاعته واغتبطوا به اه كلامه

﴿جورياسة بنى راشد من شرفاء العلم بضمارة وبنواهم مدينة شفشاون وما ينبع ذلك﴾

﴿وقال في نشر الثاني﴾ اخبط بعض شرفاء العلم بمدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سنة اذ كانوا يمددوا عليهم عليها يتطاولون على اهل تلك المدينة اشرفى أولاد دولة بنى وطاس وهو قال في المرأة كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون في الجهة المرووفة عندهم بالعدوة وهى عدوة وادى شفشاون في حدود سنة ست وسبعين وعشائة على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبو الحسن بن أبى محمد المعروف بابى جمة العلى واسمه الحسن بن محمد بن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علل ابن القطب أبى محمد عبد السلام بن مشيش ومات شهيداً قبل تمام ما شرع فيه بتدبير النصارى فمهرهم الله مع اهل التفاف اذ ذلك من اهل الخروب وقبيلة هم في سبيل الجهاد وينفاهو بتجديد من القليل في مسجد هناك اذا ضره عليه نار اخبات رضوان الله عليه وقام مقامه فيما كان بسبيله من الجهاد والاستغفار له وتجنيس الجيوش ابن عمه الامير الجليل الفاضل الاصيل أبو الحسن على بن موسى بن راشد بن على بن سعيد بن عبد الوهاب الى آخر النسب المتقدم فشرع في اختطاط مدينة شفشاون في العدوة الاخرى فبنى قصبتها وشيدها ووطنها بانهل وعشيرته ونزل الناس بها فبنوا وصارت في عداد المدن الى ان توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة وورثها بنوه من بعده ولم يزلوا فيها بين مسلم وحرب الى ان اخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب والله تعالى أعلم

﴿قورة عمرو بن سليمان السيفى ببلاد السوس وشي من اخباره﴾

هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشظمي القبطى المعروف بالسيفى ويقال له المريدى بضم الميم وكان ابتداء امره انه كان من تلامذة الشيخ أبى عبد الله محمد بن سليمان الجزولى صاحب دلائل النيران فنقل الثقات انه كان يتردد الى الشيخ المذكور أيام حياته ويأتى به بالواجب فيها كلام كثير منسوب الى الخضر عليه السلام فلا يقول في ذلك شيئا غير انه أتى عليه مرات كثيرة ثم لما مات الشيخ المذكور روجه الله سنة سبعين وعشائة نار عمرو المذكور مظهر الطلب بتلو الشيخ والانتقام من الذين سبوه اذ كان معه بعض قهماء عصره فقتلهم حتى قتلهم ثم صار يدعو الناس الى إقامة الصلاة ويقاثلهم عليها فانصر عليه هم وشاع ذكره وعكس ناموسه ثم تجاوز ذلك الى ان صار يدعو الناس الى نفسه يقتل المنكرين عليه وعلى شيخه وأصحابه وسعى أصحابه للرديد بضم الميم قال ذروق وما أحبها بالغى وسعى المخالفين له الجاحدين ثم جعل يفتوه بالمغيبات ويرغمه انه ما دون وربا اتى النبوة وكان قد أخرج شاول الشيخ الجزولى من قبره وجعله في تابوت وصار يقدمه بين يديه في حو به كتابت بنى اسرائيل فيقتصر على من خالفه وقبل انه لم يبقه وانما أخذ به بعد موته فكفنه وجعله في التابوت وجمع الجوع وقاد الجيوش وسفك الدماء واستمرت فتنته في الناس عشرين سنة ﴿وقال الشيخ زروق روجه الله﴾ بلغنى أن شيخنا الغني أبا عبد الله القورى يورده اليه سؤال فى تان عمرو بن سليمان السيفى فبادرت اليه كي أراه فقال لي قد خرج من يدى قتلت له فقامتضاه فل مقته انه يقول ان أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق الا ما يقول له قلبه قال زروق وشاع من أمره انه يقول انه وارت النبوة وان له أحكاما تخصه بأى قصة انخرع موسى عليه السلام وان انخرع حوى مرسل وانه يلقاه وأخذته بل يدعى ذلك من هو دونه من الامذنة (وحكى بعضهم) أن عمر المذكور لما جعل شاول الشيخ في التابوت كان اذا رجع به من حو به موضعه في روضة عنده يسميها الرباط فاذا جئته الليل أطلق الحرس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقد عليه كل ليلة قنبلة عظيمة في مقدار انبوب مغموسة في نحو منى من الزيت ليغوى الضوء وينشرو يبلغ من كل الجهات الى مسافة بعيدة فتكشف الطرق عن يأتى عليها كل ذلك مخافة ان يؤخذ منه شاول الشيخ

هو مذكور في السيفى والسياف

فتبصر بعليته ويقال ان ثورة عمرو المذكور وقتته كانت اثر من آثار دعوات الشيخ الجزولي رحمه الله فقد ذكر تلامذته كالشيخ التماع وغيره ان الشيخ الجزولي خرج عليهم من آخر الليلة التي قتل في صبيحتها فقالوا له يا سيدي الناس يزعمون أنك الفاطمي المنتظر فقال ما يبحثون الا عن يقطع رقابهم الله يسلب عليهم من يقطع رقابهم وكثر ذلك مرارا فكأنوا يرون أن اردعونه يظهر في عمرو والسيف والله أعلم وقتل عمرو المذكور سنة تسعين وثمانمائة واختلف فيمن قتله فقبيل كان عمرو قد تزوج زوجة الشيخ الجزولي وبنته فلما رأنا ما هو عليه من الزندقة والفساد في الارض قتلناه امتعاضا للذين ترصدناه حتى اذا نام عند ناعليه قتلناه ثم رميت احداها وهي بنت الشيخ ينقسمان كوة هناك في البيت الذي كانوا به فوصلت الى الارض سالمة ونجت وقيت الاخرى وهي الزوجة بالبيت فدخلوا عليها فقتلواها وقيل انما قتلتها زوجته وربيبته وقيل غير ذلك والله أعلم ولما هلك عمرو والسيف دفن الناس الشيخ الجزولي وقيل هو دقته بموضع يعرف بتاصروت ثم نقل بعد الى مراکش على ما نذكر ان شاء الله ولما ذكر الشيخ أبو العباس الصومعي في كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أي يمزى قصة نقل الشيخ الجزولي الى مراکش واتهم جدر طرما لم يتغير بعد وفاته بخمسة وسبعين سنة قال وأعجب من هذا ان عمر القبطي السيف زعموا انه وجد كذلك ولعله أدر كرهه بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله اه يوفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الامام أبا عبد الله بن غازي من مكاسة الى فاس فولى الخطابة أولا بالمسجد الجامع من فاس الجديد ثم ولى الامامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين من فاس وصار شيخ الجماعة بها واستوطن الى ان مات رحمه الله يوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة ثم ترك السلطان محمد الشيخ الى يدو ثم عاد الى حضرته (وفيها أيضا) في يوم الخميس السابع من ذي القعدة توفي الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسي ودفن بالقبة خارج باب الجيسة يوفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى الرينة ايسايا صاحب مادي قاعدة بلاد قسنطينة على جوار غرناطة ومحت دولة بني الأحمر من جزيرة اندلس ولم يبق للمسلمين بها سلطان وتفرق أهلها في بلاد المغرب وغيرها أيادي سبا وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى

بنيته مدينة تطاوين

(قال منوبيل) لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها الى المغرب فترلو في مر تيل قرب تطاوين ولما تروا به لم يقدموا شيئا على الوفاة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي فأجل مقدمهم ورحب بهم فقالوا ان ضيقنا عندك أن تعين لنا موضعا نبني فيه بلدا يكننا ونحفظ فيه عيالنا من أهل الريف فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الغربية سنة ثمان وتسعين سنة وولى عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظري وكان رجلا شجاعا من كبار جنده ابن الاجرو وكان قد أبلى معه في حرب غرناطة البلاء الحسن ثم انتقل الى الغرب فكنفنا ولما عقد له الشيخ الوطاسي على اعتباره جمعهم الى تطاوين وشرع في بناء أسوار البلد القديم فجدده وبنى المسجد الجامع به واستوطنه هو وجماعته ثم أخذ في جهاد البر فقال بسببته وبلاد المحيط الى ان أسمر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في اتعاب ما بقي عليه من بناء تطاوين واتصفت الحرب بينهم وبين برتقال سنة كاتصالها بين أهل آزموور وبرتقال الجديدة اه وقوله ان بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة بخلاف ما يقوله أهل تطاوين من أن تاريخ بناءها من (تفاحة) وان ذلك كان بإعانة التمر يفا أي الحسن علي بن راشد فيظهر والله أعلم ان أبا الحسن المنظري كان قد قدم من اندلس قبل أخذ غرناطة بستين يسيرة موافق الرض المذكور والله أعلم

هو قدم أبي عبد الله ابن الأجرم مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله

لما استولى طاعية الأصمبول على حضرة غرناطة وسائر الأندلس انتقل سلطانهم أبو عبد الله ابن الأجرم إلى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد أن خاطبه من انشاعوزير أبي عبد الله محمد العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها

مولي الملوك ملوك العرب والجم *

بك استجبرنا ونم الجار أنت لن *

حتى غدا ملكك بالزعم مستلبا *

حكم من الله حتم لا مرد له *

وهي طويلة ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلاة على نبيه مانعه أما بعد فيا مولانا الذي أولاتنا من نعم ما أولانا لاحظ الله لكم من العزة أروا قافلا أدوى لدوحة دولكم أغصانا ولا أورا قافلا ولا زالت حضرة العود مبتهجة عن زهران البشائر متخفة بفترات السعود مطبورة بسحاب البركت المتدارك دون بروق ولا رعود هذا مقام العائذ بكممك للتعلق بأسباب ندامكم المترجى لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الأرض تحت أقدامكم التلجج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وماذا الذي يقول من وجهه نجل وفؤاده وجل وقصته القضية عن التنصل والاعتذار تجل بيدائي أقول لكم ما أقوله لربي واجترأني عليه أكثر واجترأني إليه أكبر اللهم لا يريء فاعتذر ولا قووى فانتصر لكنى مستقبل مستتب مستغفر وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء هذا على طريق التنزل والاتصاف بما تقتضيه الحال من تضيي إلى حين الاتصاف وأما على جهة التحقيق فاقول ما قاله الامانة الصديق والله في لاعلم أني أن أقرررت بما يقوله الناس والله يعلم أني منه بريئة لا قول ما لم يكن ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوني فاقول ما قاله أبو يوسف فصب رجسك ولله المستعان على ما تصفون على أني لا أنكر عيوبي فأنما معدن العيوب ولا أجد ذنوبي فأنما جبل الذنوب إلى الله أشكو عجزى ويجرى وسقطاني وغلطاني نعم كل شيء ولا ما يقوله المتقول للشيخ المهول الناطق بضم الشيطان المسؤل ومن أمثالهم سبني وأصدق ولا تفترو ولا تخلق أفتلى كان يفعل أمثالها ويحتمل من الأوزار المضاعفة أجالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عباد الله من خسران الدين وإثارة الجاحدين والمعتدين قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين وأيم الله لو علمت شعرة في فودي غيب إلى تلك الجهة لقطعها بل لقطع ما تحت هامتي من هامتي وقطعتها غير أن الرعاع في كل أو أن أعداء للثوب عليه أتراب وأعوان كان أحق أو أجهل من أبي زروان أو أغفل أو أعلم من أسجيني مروان رب متهم يرى ومسر بل بمر بال وهو منه عرى وفي الأحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقة منفع وعقيم وإن كنتم ميزان عقل فتعبر به أوزان النقل وعلى الأرجح الاعتماد ثم اساعة الأجداد المتصل التمسد وللرجوح الأطراح ثم التزام الصراح بعد التنفض من الرأح وأكثر ما سمعه المكذب وطبع جهور الخلق الأمن بحمده الله تعالى إليه مضطرب ولقد قد قفنا من الأباطيل بأحجار ورمينا بالآبري به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمر و ما ليكم منه حفظ الجار وإذا عظم الألكاء فعلى تكة التجلد الانكسار أكثر الكثر وجهه في تشيرون المتعرون ورمونا عن قوس واحدة وتطمون في سلك الملاحدة أكثر أيضا أكثر غفرا اللهم غفرا أعدتظر يا عبد قيس فليس الأمر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا من رام محقه ومحققا فطاردنا في سبيله عداء كانوا لنا غا طين فافتق علينا فقت لم يكمل ارتق

وما كنا للغيب حاقطين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فتدجيهتهم تلقى الخبر يقينا
وقدر ضيقنا بهم رغنا في وقتنا أو يترثنا يقينا أي يأمس أن ربنا إلى ملامتنا وقدح حتى في أسلامنا
رويدا رويدا قد وجدت قوة وايدا ويحك انما طبل لسانك علينا وامتنع بالسوء اليانا لان
الزمان لنا مصغر والكم كبير ولا امر عليك مقبيل وعامدبر كما قاله كاتب الحجج المتبر وعلى الجلالة
فهنا صرنا إلى تسليم مقالك جدلا وذهينا فافقرنا إلى الخطا في كل ورد وصدر فلهذا القائل
ان كنت أخطأت فما أخطأ انقدر وكتبا بعنف ادواصل إلى هنا وعدم انصافا بعه الهنا قد ازور
متجانها ثم اقترمتها فاجعل تخيل بقولهم اذ عبروا لواءا قد يرقبهم وبقولهم المرء يهزمه الحال
فيعارض الحق بالباطل والحال بالاطل ويتزع بقول القائل رب سمع هائل وليس تحتته طائل
وقد فرغنا أول أمس من جوابه وركنا الضغن ليلصق حراوة الجوى به وسلم الآن عما يوسع به تبكيها
ويقطع به تسكيها فتقول له تشدناك الله تعالى هل انقوى لك قط وعرض خروج امرئ من القصد منك
فيه والغرض مع اجتهادك اتناه في إصدارك وإبرادك في وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك
أوجيع ما تراوله ما دارك لا يقع الامطاب لا وادتك أو كل ما تنقصه وتو به تمززه كانشاء ونحوه
فلا بد ان يقر اضطرارا بان مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفتل صيده من أسراكه ويطلبه
فيجزعن أدراكه فنقول ومشتاتنا من هذا القبيل أي التيه التليل ثم نردده من الاحاديث النبوية
ما تشنا محاسبا ربنا في غرضنا منه وعاشنا كقول صلى الله عليه وسلم كل شيء يقضاه وقد رحنى الجيز
والكبس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينعفوك بشئ لم يقضه الله لك لم قدروا
عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عنك لم يقدر واعليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم
فاخلق به ان يلوذا كفاف لا يحام ويزم على نفسه كاشغا الجلم بلجام حيث تذوق له والحق قد أبان
وجهه وجلاله وفهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفي حجة آدم وموسى
ما قطع لسان النحس ورجض عن أبواب أعراضنا ما عسى ان يعلق بها من دن الوهم وكيفما كانت
الحال وانما رأى والاتصال ووقفت على أوجال وأحوال فنزل عرشنا وطوبت فرشنا ونكس
لوانا ولك منوانا فنص أمثل من سوانا ومافى الترخيار ويد اللطاف تكسر من صولة الاغيار
حتى الآن لم تفقد من الطيف تعالى لطفا ولا عمننا أدوات أدعية تعطف بلامهلة على جلستنا
المقطوعة جل النعم الموصولة عطفا والاتك بقدادار السلام ومثوه الاسلام المخوف بفرسان
السيوف والاقلام متابة الخلقة العباسية ومقر الملاء والفضلاء أولى السير الاوسية والحقول
الاناسية قدوزت بالجوش ووززت وزوولت بالزخوف وززلت وتحبب جوانها الخيف ودخلها
كفار التار عنوة بالسف ولا تمل اذالك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كثفت عن ساقها مبدية
وجرت الدما في الشوارع والطرق كالانهار والارديه زقيدلا ثم القضاة تحت ظلال السيوف
المتضاة بالعمائم في رثاهم والارديه والنبيع سيول تنمونها النبول فتفضها الى ارساغها وتهم
ظماؤها ووردها فتشكل عن تجرعها ومساءها فطح عجبها ومستصمها وراح ولم يفسد ظاهها
ومتثلها وخربت مساجدها وديارها واصطلح بالحسام أنسارها ولو خيارها فلم يبق من جهورها أهلها
عن تطرف حسبها عرفت أو حسبها تعرف فلاتك متشككا متوقفا فحديث تلك الواقعة الشنعاء
أشهر عند الموزمين من قضاة فأن تلك الخفايا والآراء المدلورة في الخفايا حين أراد الله تعالى بإدالة
الكفر لم يجدوا لامة تظفر اذن من حمله نفسه التي هي رأس ماله وعباله وأطفاله اللذان هما من
أعظم أماله وكل أو جل أو قل ريشته وأسباب معاشه الكفيلة بانها تضاهوا نمانه ثم وجد مع ذلك
سيلا إلى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تعصب واعتياص بصدما ظن كل الظن أن لا محيد

ولامناص لما أحقه حيث ذر وأولاه أن يحمد خالفه ورازقه ومولاه على ما أسداه إليه من وفده
 وخبره ومعافاته مما ابتلي به كثير من غيره ويرضى بكل إيراد وأصدار تصرف فيهما الأحكام الإلهية
 والأقدار فالله عز وجل والدينادار منصوصون بالأكدار والقضاء لا يرز ولا يصب ولا يبالغ ولا يطالب
 والذات تزدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع إلا المستطاع
 والخالق القدير جلت قدرته في خفيته علم غيب للآذهان عن مده انقطاع ومالي والتكليف لئلا
 أحتاج إليه من هذا القول بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول فله من العقل الأربع
 ومن الخلق الأسبغ مالا تملأ معه حتى يصفره ولا تنفق عنده وشاة الواسي لا عمن يفقره ولا فاز
 قد حده نظره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجبر ستم إلى المتاعب وقد مال إلى كياس من
 الناس خدعت وانحرفت عن وصالحهم أعقل ما كانوا وقطعت وفلتهم ما قفلت يسار الكواعب
 الذي جبت وجدعت ولئن وهنت وهصرت فقد نهبت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد
 أرسدت ووعظت وبابولنا من تنكرها النابره ورميها النائي غمرة أي غمره أيام قلبت لنا ظهر المحن
 وغيم أقمها الصمي وأدجن فسرنا ما ماينا حبالها به ورأينا من الملم نحنسب كما تقوم الساعة بفته
 فن استعاذ من شيء فليست عذما صرنا إليه من الحور بعد الكور والانشطاط من أنجد إلى الفور
 فينا نسوس الناس والامر أمرنا إذ نحن فيهم سوفة تنصف
 قبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقاب تارات بنا وتصرف

وأبها القدر أهقنا الورهاقا وجزعتنا من صاب الأوصاب كاسادهاقا ولم تفرغ إلى غيرنا بك المنسج الجنباب
 المنفخ حين سدت الأبواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حب خلطنا ما ألبسنا الملك من الأقواب وإلى
 أتمه لجبا لأفضل لجباله فغان وعند السدا أذنتنا السبوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبق وكل
 من عليها فان وإلى هنا غنيتي القائل ثم يقول حسبي هذا وكفان ولا ريب في استعمال العلم الكريم
 على ما تعارفه الملوكتين في الحديث والقديم من الأخذ باليد عند زلة القدم وقرع الإنسان وعض
 البنان من الندم دنبا تدبته مع اختلاف الأديان وعادة اطردت على تعاقب الأزمان والاحيان
 ولقد عرض علينا صاحب قسالة مواضع معتبرة خريفها وأعطى من أماته المؤكدة خطه بأعيانه
 ما يقع النفوس ويكفيها فلم نر ونحن من سلالة الأحرر مجاورة الصدق ولا سق لنا الإيمان الأقامة
 بين ظهراني الكفر ما وجدنا من ذلك عند دوحه ولوشاسه وأهنا من المطالب المشاغب حمة شمرنا
 لأسعه وإدكرنا أي أذكر قول الله تعالى المنكر لثغابة الاتسار ألم تكن أرض الله واسعة وقول
 الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك يابغ الكلام أنا يرى من مؤمن مع كفر تترأنا نراها
 وقول الشاعر الحات على حث المطيه المتناقلة عن السير في طريق مختام البطيه
 وما أنا والتمدد نحو نجد وقد غمتهم هامه بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق إلينا كتب كريمة القاصد إلينا تسندني الانحياز إلى تلك الجنبات وتغنم
 ما لا يرى عليه من الرغبات فلم تختر الادونا التي كانت دلرأيا ثمانا قبلنا ولم ترض الانصواء الامن
 بجبله وصل قبلنا وبريس بنهر ريش قبلنا ادلا على محل اخاه متولون لا عن كلاله واستنالا لوصاه
 أجداد لا نظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله أقدروا ناعن سلف من أسلافنا في الايام لمن تخلف
 بعدهم من أخلاقنا أن لا يستوا اذ اذهمهم أمر بلحضه المرينية بدلا ولا يجردوا عن طريقه في
 التوجه إلى فريقهم بعدلا فاخترقنا إلى الرابض الاربضة الفبايج وركبنا إلى البحر الفرت ظهر البحر
 الاجاج فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين ويسقي النفس الشاكبة من ألم البين ومن نرسل هذا
 التوصل وتوصل بمنثل ذلك التوصل نظار على سدة امير المؤمنين المحارب للصوابين والمؤمنين

للستامنين فهو التخليق الحقيقي بأن يسوع اصفاه مشاربه و يبلغ أوفى ما ربه على توالي الايام والشهور والسنين ويخلص من الثبور الى الجبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع معادته يفيض علينا ونحقة قبول اقباله تسرى اليينا فقامرنا بأريحية تحمينا على أن نبادر لانتاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر

عظما أمير المؤمنين فانتا * في دوحه العلماء لا تنفرك
ما بيننا يوم الفجار فساوت * أبدا كلانا في المعالي معرك
الا اختلاف ميزتك فاني * أنا غاغل منها وأنت مطوق

لا بل الاخرى بنا والاخي والافصح لسعيك والاربعى أن نعدل عن هذا المتهاج ويقوم وفدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشدهما قل في الشيرازي ابن حجاج الناس يقدونك اضطرارا * منهم وأقد بك باختيارى وبضهم في جوار بعض * وأنت حتى أموت جارى فمش نخزي وعش لاني * وعش لداري وأهل داري

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماءه وتعالمت فعملاؤه رجة تجعل في يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون في موافق المخاوف جنتنا وقبولا يطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالب الخ السائل سؤلا ومأمولا متناصدا على موضوع التندم محمولا ثم عزما حسنا ومبراجيلا عن أرض أورثهم من شاء من عباده معقبهم ومدلا وسادلا عليهم من ستورا الاملاء الطويلة سؤلا سنة الله التي قد خلعت من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا فليطربا طرب الوساوس المرفرف عطيرا كل ذلك كان في الكلاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الأولان لله سبحانه في مقامكم العالي الذي أيده وأعانه سرامن النصر يرتجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشار الصادقة بالقنوجات المتلاحقة من قاعدة المتأصلة الى أصل فجنه يجب اليباد والعياد ولشبه بحق الالتجاء والارتقاء ولا حراما آثرناه واخترناه بعد ان استرشدنا الله سبحانه واستغفرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخبر لنا جميع المسلمين ويؤبى بان حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون بنا الذي هو في جميع الامور حسنا قدنا ولنا حيث أرشدنا وهدانا وساقنا وتوفيقه وحدانا الى الاستجارة بلك حفي كريم وفي أعز جارا من أبو دوداد وأجى ألقا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الداني والقاضي والحاضر والباد ان أغان مله وظائف الاسود بن قنان يذكر وان أنعس حشاشه هالك فشا كعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجائس التعاقب بن شور ومذاكره كذا كرسقيان المنتسب من الرباب الى نور الى التحلى بأهمات الفضائل التي أضدادها أهمات الرذائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والشفقة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والسمائل ونسوا عنها ما شئت من عزم وعزم وعزم وعزم ونطق وتحفظ واتقام وارتقاء وصول وطول وسبح نائل فنور حلاله المشرق يفخر للمشرق على المشرق وبجده السلمي خطره في الاخطار وبينه الذي ذكره في التباهة والتجابه قطار يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفع المنتمى والتجار لارض من الطهارة صفوا البان النائي من السراوة وسط أعجار في ضنفي الجند ويحجج الكرم وسراوة أسرة للملكة التي أكتافها حرم وذؤابة الشرف التي مجادتهم ترم من مشرأى معشر يتحلوا وهو هو مادون أعمارهم وجبنوا ان لم يحموا سوى ذمارهم بنومرين وما أدراك ما بنومرين سم العدة وآفة الجزر النازلون بكل معترك والطيبون معاقدا الازر لهم عن الهوان انتفاء وعندهم من السير النبوية اكفاء انتسبوا الى البر

ابن قيس نخر جوف البر عن القيس ماله من القديم المعروف قد فقد في سبيل العروف وحديثهم
الذي يقتله رجال الخوف من طريق القتي والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد
من صغيرهم وكبيرهم ذاب لهم ولذنبهم فقه آباء أنجبوهم وأمهات ولذنبهم ثم الأنوف من الطراز
الأول اليهم في الشدايد الاستاد وعليهم في الأزمات المعول ولهم في الوفا والصفاء والاحفاد
والعناية والحماية والرعاية الخطو والساع والباع الاطول كاتعناهم بقوله جرو
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البناء وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شددوا
وان كانت النعماء فيهم جزواها * وان أنعموا لا كثرها ولا كدوا
وتعلمني أبنائه سعد عليهم * وما قلت الا بالذي علمت سعد

وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فقه الكرا
يزيرون عن التزبل كل نازح قاصم وليس لهم عائب ولا واهم فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن
عاصم لا يظنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن
حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكره ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسمهم فيها حذر
النمل بالنمل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالوصاف الملوكية مستعمل ارفض من منهم من غيث
مات بمحو آثاره وانشق غيلهم منه عن لث ضار متقبض على برائته للوثبة فقل اسكن الغلا
لا تقربكم أعداكم وأمدادكم فلا يبالى السرحان المواسي سواء مشى اليها النقرة أو الجفلا بل يصدمهم
صدمة تحطم منهم كل عرين ثم يتبع بعد أسلاهم العصفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه
وألفوه أخواتنا وابن جلا وطلاع الثنايا مجمع أشده قد احتكت سنه وبان ورشه جاذب
محترم يحزم الحزم مشمر عن مساعد الجدة

لا يشرب الماء الا من قليبهم * ولا يبيت له جاور على وجل

أسدى القلب آدمى الروا لابس جلد الغريزي العناد والتوى

وليس بشاري عليه ممامة * اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كاعيان الجراد المنظم

فالجهاء الجاه سامعين وطاعين والوجل الوجل لاحقين به خاصعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين في
الاصفاد ويبيع القداء بفنائس النفوس والاموال على القاد حيث شديض ذوالجل والقدامة على
يديه حسرة وندامة اذا ولى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد فلتهم نلر ليست بذات
خود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عادو عود زعقات تؤز الكائب أزا وهمز احتقا
الخيل بعد المداشبع للاعنفهمزا وسلا للهندي سلا وهر الشطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل
اتحس منهم من أحد أو تسع لهم ركزا ثم خليفة الله بذلك في كل من رام أذى رعيته أو أذاك فتلك
عادة الله سبحانه في ذوى الشقاق والتفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرقاق وينصبون
حبائل البغي والفساد في جميع التواحي والاتفاق قلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أفي وكيف
وقد أفسدوا وناووا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وهاتين قد وجهنا الى
كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم بعدما زينا معاطفها باستعطاكم بدورتها أبي من
در المعقد التنظيم منتظمين في سلك أولياتكم متصرفين بخدمة علياتكم ولا قدعزة ولا دعمها من
فصد مثابكم العزيزة ونخدمها وان التزاي على سناتكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ما هو في
توأم كنكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل في بعض الكلام من

وما حولها وأعجبهم المكان فزمو على المقام به وانتفروا بهم أن يتركوا جماعة هناك يحفظون المحل ويرجع باقيهم إلى ملكهم ليستأذوه فيما عزمو عليه فتركوا اثني عشر رجلا البر يحفظه أن حصونها ومخونها لا يحتاجون إليه من علة وقوت ونحوهما ورجع الباقون إلى الملك فآخبروه بشأنهم فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائين والعملة لينو لهم ما يتحصنون به فقدموا على أخوانهم وشروعوا في إدارة السور على قطعة من الأرض فنذرهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتساخروا اليهم على الصعب والذلول فترك النصارى إلى البر يحفوا وتحصنوا لها وأفسد المسلمون كل ما كانوا يعملوه في تلك الأيام وأحرقوهم بحصنهم ووضعوا عليهم الرصد إلى أن فتر عزهمهم وأيسوا من نجاح صعيهم فعاد جملهم وأكلهم إلى أشبونة وأحاد والكلام على ملكهم متوكل في شأن البر يحفوا وصفوا له حسن البقعة وصحة هوائها ومزلتها من البحر ومن قبائل أهل القرب من أهل تلمسنا ودكالة وغيرهم وأنعموا أن تكون سلا لاسنلا على غيرهم من بلاد القرب لاسيما ودولة المسلمين به ومشققتلاشت وملكهم قد ضعف فوق ذلك في نفس الملك واستأنف العزم وبعث معهم حصنة من العسكر تحصلها الصكافية وتتناق بهم المداغمة والممانعة مع جماعة واقرة من البنائين والمهندسين وجملهم ما يحتاجون إليه من آلة وغيرها فأتوا إلى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الأول وتحصنوا غلظة أهل البلاد وشروعوا في بناء حصن مربع على كل ربيع منه برج وثيق ودأوا في العمل ليلا ونهارا فمضى المدة بسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به وكان انشأواهم لهذا الحصن على البر يحفة القديعة بان جبالها أحدا رابعها وأضافوا إليها ثلاثة أرباع آخر وأداروا السور على الجميع واتخذوا في داخل هذا الحصن ماحلا عظيما نفخن الماء وهو النطفية في لسان الجبل بنوه من بعا تر يبع الحصن مساحة كل ربيع منه مائة وثلاثون شرا وجوانبه وقبوه من حجر النصف الجيب النصف المحكم الوضع والالتزام بحمول ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربيع وقال هذا المؤلف فهو متلاصق بلكا طة من هذا الماحل بسع عشر بنوطه من الماء ثم شيدوا على أحدا رابع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعاجدا ليس صادق التريبع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل ثم بنوا في أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفه مستدير اصاعدا في الجور وقالوا على مدارج لطيفة وجعلوا في أعلاه صارا ياراجا من جوفه وناقوسا للجراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته وجميع هذه البناءات التي ذكرها هذا المؤلف من الحصن وما معه لازالت قائمة العين والآثر إلى الآن إلا الطرى فانه قد اتخذ في هذه الأيام التي هي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف منار المسجد الجامع وذلك أن عامل الجديدة في هذا العصر وهو الرئيس الفاضل أبو عبد الله محمد بن إدريس الجبرار رأى حفظه الله استأذن الخليفة وهو السلطان الأعظم المولى الشريف أبو علي الحسن بن محمد العلوي نصره الله في جعله منار الكون المنار القديم قصيرا لا يسمع الناس إلا إذا نفاذن أعزه الله في ذلك وهذا العامل اليوم جاذ في اصلاحه والزيادة فيه وقد أسرف على التمام وكذلك استأذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور في إدارة جسد اومن داخل سور المدينة يكون سقرة على منازل أهلها ويوتهم لان السور المذكور كان مرتفع على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكشف على البيوت واستأذنه في اصلاح القبة المنرفة على البحر المعروفة بقبة الخياطين وكانت قد تلاشت وباتخاذ سجن متسع محكم عن عيين الداخل من باب المدينة للذكورة لانه لم يكن بها سجن معتبر فاجابه الخليفة المذكور إلى ذلك كله أدام الله علاه وقد تم جل ذلك وعادت القبة إلى أحسن حالاتها التي كانت عليها أيام البرة قال والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وانرجع إلى موضوعنا الذي كنا فيه فقول ثم شرع النصارى البرة قال بعد الفراغ من الحصن المذكور في إدارة سور المدينة على أوقن وجهه وأحكمه وذلك أنهم عدوا إلى بقعة من الأرض مساحة كل ربيع منها ثلثة وأربعة وخمسة وسبعون خطوة وجعلوا مركزها

الحصن المذكور ثم أداروا بهما سورين عاديين فغن الخمارج منها نحو خمسة عشر شبرا والد اخل على نحو
 الثلاثين متسه وبينهما فضاء من دوما بالتراب والحقارة الصغيرة فصار السورون بذلك سورا واحدة اسعته
 نحو سبرا وهذا في غير الربع الموالي للبحر أما هو فليس فيه ردم وانما هو سور واحد مسميت أضيق مما
 عداها يسيرا وارتفاع هذه الاسوار من داخل البلد نحو ستين شبرا ومن خارج نحو السبعين ثم أداروا
 خارج السور خندقا قاصما وجعلوا عمقه أربعة عشر شبرا بحيث بلغوا به الماء وإذا قلض البصره لأما بين
 جوانبه واتخذوا للدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى وقد سبب البناء في هذه السنين واثنان
 للبر وجعلوا أمامهما قنطريتين بالعمل الهندسي بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة الى ذلك فصارت
 المدينة بهذا كله في غاية المناعة وكان بنو وطاس في هذه المدة أشغل من ذات الصعين مع رتقال سبته
 وطحجه وسائر بلاد الهبط فلذا أتى هؤلاء النصارى أن يغضوا ما فاصلوه في هذه المدة اليسيرة وجعلوا
 داخل المدينة خمس حارات وسعوا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم في ذلك واتخذوا بها أربع
 كنائس واتخذوا الخازن والاهراء للخزان وسائر المرافق ومن جعلتهما هري كان يسع ستمائة فنيكة من
 الحب وأوطنوها باهاهم وعيالهم وكان فيها جماعة من أشرفهم وذوي بيوتاتهم من أهل أشبونة
 وغيره لو كانوا يمدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والذرية وكانوا يأملون الاستيلاء
 منها على ما كنس غيب اقترباءهم ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من
 الحروب والخلافات مما العنان شير الى بعضه في محله ان شاء الله

في استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فوتي قرب آ كادير وما قيل في ذلك

في ذكر بعض المؤرخين من الغرض في أن استيلاء البرتقال على آ كادير كان في مدة ملكهم منوبيل المذكور
 آنفا وان ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد فيقال منوبيل في العلم طاعية البرتقال منوبيل أن
 مرسى آ كادير حيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها القبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان
 ينظر أن ذلك لا يتأتى له لحصانتها وكثرة القبائل المجاورين لها ثم خاطر وبث اليها جيشا فاستولوا عليها
 على حين غفلة من أهلها وحصنها بنو لها دورا وبر حاجيدا وأخذوا في التجارة بها مع أهل السوس
 وكثرت أرباحهم ثم لما ضفت شوكتهم خرجوا عنها وعن آسني وآزموور فقلت في مرادهما كادير حصن
 فوتي القرب منه والافاق كادير أعابني بعد هذا التاريخ بكثير كاسياتي ثم مقتضى ما ذكره أن يكون
 زمان استيلائهم عليه موافقا لقرين زمان استيلائهم على البريجة ومقتضى ما نقله في النزعة عن ابن
 القاضي أن يكون استيلائهم عليه في حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فإنه لما وصف حال السلطان
 محمد الشيخ السعدي الآتي ذكره ان شاء الله قال وكان له بخت عظيم في الجهاد ففتح حصن النصارى
 بسوس بعد ان أقاموا به اثنتي وسبعين سنة ٨٠٠ وكان فتحه اياه في حدود سبع وأربعين وتسعمائة
 والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس في التاريخ الأول وعلى بعضه الثاني والله أعلم

في وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله

في ذكر ابن القاضي في الجذوة في أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة قال ومن جملة
 وزرائه أخوه الناصر بن أبي بكر بالله أعلم وولي الأمر من بعده ابنه محمد البرتقال على ما ذكره

في الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتقال رحمه الله

لما توفى السلطان محمد الشيخ وبيع ابنه محمد البرتقال في التاريخ المتقدم وكان نصارى سبته وطحجه
 وأصبلا قد استصعدوا على بلاد الهبط وضائقوا المسلمين بها حتى ألجؤهم الى قصر كامة فكان هو الثغر

يومئذيين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كآمر وكان السلطان محمد هذا قد عني بجهادهم وتزديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكسية وسواحلها فكان ذلك سبب الظهور والدولة السعدية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما نذكره ان شاء الله

في استيلاء البرتقال على نغراس في حرمه الله

قال منوب كان البرتقال قد تشرفوا للاستيلاء على آسفي وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل النور فزحفوا اليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتقال وعظم عليهم أن تنقش منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ثم طاولوها بالحصار حتى قتل القوت عند أهل آسفي وأسر فواعي الهلاك فحينئذ شارطوا البرتقال وأسلموها اليهم على الأمان فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كرامة المسلمين عليهم فكان كذلك فاتهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتقال حرب شديدة كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأموال البحر وقيل قواد عسكر البرتقال وكبارهم ثم قدمت عليهم شكوا دهره من مأخرة بالسكرو والزاد قويات نفوس البرتقال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أسرفوا على الفخ وتبعهم البرتقال لينتزعوا منهم الفرصة ففكر المسلمون عليهم واستلبوهم وهذا أول حصار كان على آسفي ثم بعد سنين قلنا زحف المسلمون اليها أيضا ومعهم عدد من المدافع وقاتلوا قتالا صعبا وزحفوا إلى السور فهدموا منه قلعة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ثم حرج المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحسبوا أنفسهم بقتال وعمرت آسفي بالنصارى وانتقل اليها التجار ونوابها الدور وكانوا يدعون منها الحب ويحملونه في السفن إلى بلادهم ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن ما نصه قرأت بخط شيخنا أبي عبد الله القصاير صاحب آسفي أخرج الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي عن فداها عليهم فقتل منه العفو قتل أربعين سنة فأخذها النصارى بعدها اه وهذا يقتضي أن استيلاءهم عليها كان في حدود عشر وتسعمائة لان وفاة الشيخ الجزولي رجة الله كانت في سنة سبعين وتسعمائة كآمر وعند الفرغ ما يقتضي أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بستين أو ثلاث والله أعلم

في زحف السلطان أبي عبد الله البرتقال إلى أصيلا

قال منوب لما أفضى الأمر إلى السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي أراد أن يأخذ بشاره من البرتقال الذين أسروه لسبع سنين فزحف إلى أصيلا في حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله عليها ثم اقتحمها المسلمون عليهم أفعاما واقتتلوا في وسط الأزقة والأسواق يومين ثم جاء المدد إلى البرتقال من طنجة وجبل طارق قويات نفوسهم وخرج المسلمون عنهم لكن ما تفرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم تتركوا لهم بها الا انحرابات ثم جد البرتقال في اصلاحها وأقاموا بها رقة من الدهر إلى أن رجعت للمسلمين

في استيلاء البرتقال على نغراس في حرمه الله

قال منوب بعث طاعية البرتقال سنة أربع عشرة وتسعمائة إلى نغراس في حرمه الله في بلاد النصارى وأربعة مائة خيالة فداهاهم من بين الوطاسي ابن عم السلطان ونسبت مراكب البرتقال في الساحل وتكسر حصارها واثبت فيها المسلمون ورجع الباقي مغلولاً ثم بعد أربع سنين بعث اليها الطاغية منوب شكوا دهره فيها عشرون ألفا من العسكر وألفان وسبع مائة خيالة فأتوها إلى أزمرور

وحاصر وهاجروا زحفوا اليها من الجديدة برا ووقع حرب شديدة بينهم وبين أهل آرمور وأهل البادية
ثم انهزم المسلمون وغروا من باب تركه لهم البرتقال قصدا قال لانه يقال في المثل الغار منكم في الحرب
اجعل له قطرة من فضة يجر عليها **﴿وقال في التزهة﴾** كان نزول النصاري بآرمور سنة أربع عشرة
وتسعمائة قال وفي هذه السنة بنى النصاري حرا باديس وفي أواخر الحمر منها أخذ النصاري بعض
الاصنيول مدينة وهران ونكبوا أهلها فافهمهم الأسير أو قتل إلى أن أعادها لسلام على يد
الأتراك في حدود العشرين ومائة وألف **﴿قلت﴾** أهل آرمور يزعمون أن استيلاء البرتقال على
مدنهم كان منكرا ووسيا أي ما يفهم منه ذلك والله أعلم **﴿ومن﴾** أخبار السلطان أبي عبد الله ما وقف
عليه في تاريخ البرتغاليين من أن السلطان المذكور كتب لطاغتهم منويل يطلب منه أن يتقدم
بالوصاية لأصحاب فراسيته البحرية أن لا يتعرضوا لركب له كان قد عزم على بهم إلى الجزائر ثم منها إلى
نونس وكان الطاغية لم يجبه أو أبطل الجواب فكرر إليه الكتاب ثانيا في القضية المذكورة وسر هذا
المؤرخ نص الكتابين معا مترجين بلفظه وذكر أن تاريخ الأول منه ما الثالث والعشرون من جمادى
سنة عشرين وتسعمائة وتاريخ الثاني الثامن والعشرون من ذي القعدة من السنة ٨١

﴿استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة سنة ألف﴾

﴿قال في ثغر الثاني﴾ أن الذي اختط حصن المعمورة هو المهدي الشيعي على يد بعض عماله وزعم بعض
الفرج أن المعمورة من بناء يعقوب التصور الموحد قال ولما كان زمان منويل البرتقال بلغه أن مينا
المعمورة جيدة وبلادها طاعة فبعث اليها طائفة من جنده فوصلوا إلى ساحلها وزلوا في البر المقابل
لها وبنوا هناك برجا لحصارها ثم أراد فهم ملكهم المذكور بمسيرة تشتمل على مائتي مركب مشحونة
بثمانية آلاف من المقاتلة قال وكان خروج هذه العمارة من مدينة اشبونة في اليوم الثالث عشر من
يونيه الجمعي سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسجبة **﴿قلت﴾** هو براقة هان تاريخ الهجرة تقريبا
سنة احدى وعشرين وتسعمائة فوافقت مينا المعمورة في الثالث والعشرين من يونيو سنة المذكور
وحاصر وهاجروا إلى حواطها بالقتال أياما وبلغ الخبير بذلك إلى السلطان أبي عبد الله البرتقال فبعث
أخاه الناصر صريخا في جيش كفيف فوصل سادس اغتشت من السنة المذكورة وقاتل البرتقال قتالا
شديدا وهزمهم هزيمة قبيحة ثم كانت لهم الكثرة على المسلمين فهزمهم واستولوا على المعمورة وثبت
قدمهم بها وحصنها بالسور الموجود بها الآن واستمرزوا بها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم
في دولة السلطان المذكور والله تعالى أعلم وفي السنة التي استولوا على المعمورة رجعوا إلى موضع
مدينة آفني فشرعوا في بنائها ومن يومئذ سميت الدار البيضاء بقوا بها مدة طويلة إلى زمن السلطان
المولى عبد الله بن اسمعيل على ما زعم منويل

﴿أخبار السلطان أبي عبد الله البرتقال مع الشيخ أبي محمد الغزواني رضي الله عنه﴾

أصل الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراکش من غزوان قبيلة من عرب
تامسنا وكان في ابتداء أمره يقرأ العلم عند ردة الوادي من عدوة الاندلس فأسرقت له إرادة فأسفر
إلى مراکش ولازم الشيخ التباع وتخرج به ثم انتقل إلى بلاد الهبط فزله بها على قبيلة يقال لهم بنو فزكار
واجتمع عليه الناس واشتهر أمره وعظم صيته فبلغ ذلك السلطان أبي عبد الله وكان يومئذ بلاد الهبط
قد خرج اليها بقصد الغارة على نصاري أصيلا وكان معه في هذه الحركة الشيخ أبو عبد الله محمد بن غازي
الامام المشهور فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزواني وخشي على الدولة عاقبة أمره وأغراه
به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسي السفياني الأصل وكان هذا الفقيه يعصب الولاء والعمال

ويخرج في بعوثهم قاضيا فكثر معاتبه بالشيخ حتى وقر ذلك في نفس السلطان فبعث اليه خضر
وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاخناوت وجعله في سلسلة وبعث به إلى قاس وتقدم شأنه إلى ابن
شقرون صاحب شرطته بقسبة قاس القديم وكان الشيخ ابن غازي قد مرض في هذه الفترة وأمر
السلطان بحمله إلى منزله من قاس فلما وصل إلى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن
يرجوه به هنالك فينموا هو كذلك إذ مر به الشيخ الغزواني في سلسلته فسأل الموكلين به أن يعرجوه على
الشيخ ابن غازي كي يعودوه ويؤدى حقهم فلما وقف عليه طلب ابن غازي منه الدعاء فدعاه بخير وانصرف
فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه احفظوا وصيتي فاني راحل عنكم إلى الله تعالى بلا شك قالوا له ياسيدي
ما عندك يا س فقال ان الله وعدني أن لا يقبض روحي حتى يريني وليا من أوليائه وقد أرايته الساعة فناداني
ذلك على أنقضاء الاجل فخلوه من حينه إلى منزله فكان آخر العهد به هكذا انتهى هذا الخبر صاحب
الدوحة في ترجمتي الشيخين المذكورين وكانت وفاة ابن غازي أو أخرج جدي الأولى سنة تسع عشرة
وتسعة مائة **وقال صاحب المראה** عن بعض شيوخه بعد ان ذكر رعاية ابن عبد الكبير بالشيخ
الغزواني ما نصه فتمتلك الشيخ الغزواني بارة ضريح الشيخ أبي سلام ففرض له الغروسي قائد القصر
الكبير ونأوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدم الشيخ إلى قاس دار الملك اذناك فقال له الشيخ طاعة
السلطان واجبة وقال الغزواني معه بلغت النية فتوجه الشيخ إلى قاس من ذلك المكان وكلابيات في
منزل ذهب جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارث الياصوفي
اذاك ساكنا قاس ولم يكن يحب الشيخ قبل ذلك فلما دخل الشيخ حضرة قاس لقيه أبو البقاء المذكور
فسلم عليه فشدا الشيخ يده على يده فلما رسلها حتى عاهدوه على الرجوع فلما انفصل عنه اشترى خبزاً وعينا
وجعل ذلك إلى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليعفرى المكاشي
وهو مؤلف المجالس المكاسبية فوجدهم في المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود
فناولهم مامعه ووجد الشيخ موكلاً به وأصحابه يدخلون ويخرجون ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد
فقال له ما هذا الذي يدكر عندك قال أبو البقاء فتكلمت أنا وقلت ان هذا الرجل قد نزل بلد اعظمه المتأكر
وأخذت أعددنا كرها وصار هذا السيد بنهاهم عن ذلك فهدى الله على يده من هدى وشنه من أبي
فقام القاضي وركب إلى دار السلطان ثم رجع إلى منزله فبات ومن الغد ركب إلى دار السلطان أيضاً ومعه
الشيخ الغزواني فلما اطمان بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تراز وهو أبو العباس أحمد بن الشيخ
أخو السلطان المذكور سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وامام صلاته فقال صاحب المראה **ولم يسم**
لنا فقال للشيخ ما هذا الذي يدكر عندك فقال له الشيخ أنت لا تسكلم حتى تنفصل من جنابتك فاستشاط
الكاتب غضباً فقال له أخو السلطان هؤلاء القوم يعنون بالجانبه غير ما تعنيه العامة يشيرون إلى ما في
الحكم فقال له السلطان من أين تعرف هذا فقال له من سيدي محمد بن عبد الرحمن بن يحيى فخرج
السلطان بعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ نحن نريد قريلاً وأن تكون معنا في هذه المدينة فقال له على بركة
الله فانتقل إلى قاس القديم وبني خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هنالك ماشاء الله قبل سبع
سنين إلى ان كانت سنة تعذر فيها الطر وأخذ الناس في استخراج السواقي للحرث فخرج الشيخ من وادي
اللين سابقاً لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلاً فبعث اليه أخو السلطان وهو الناصر الملقب بالكثيد
بالكف المعقودة والدال المستددة على لغة العامة وقال له نحن أحق بملك الساقية فقل له الشيخ خذها
وأخفي في الجبل إلى مرا كش ولما توجه تلقاءها أخذ خفيفه في يده وجعل يشير به من جهة قاس إلى
جهة مرا كش ويقول أيا سلطانة إلى مرا كش **وقال صاحب المראה** في هذا حديث شيخنا أبي عبد الله
النبي قال وأخفيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا لغة عامة الغرب سيري معي

وموضع بني فرنكار أخته تاصروت فان هار سما منسوب اليه الى الآن وانه منزله الذي كان يأوي اليه ومازال آثاره هناك والدار التي بناها ياب القلية هي التصيرة الى تليذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي المروى المعروف بالطالب ولعل سنة اثنا - السواقي هي سنة ست وعشرين وتسعمائة فانه قد تعذر فيها المطر وحدث عن الغلاء الكبير المروى سنة سبع وعشرين وتسعمائة وكأنه أشار الى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس الى السرفاء لسبعين ملوك مراکش يومئذ والله أعلم

﴿فهو من السلطان أبي عبد الله البرتقالى الى مراکش ومحاصرة أبي العباس الاعرج السعدى بها﴾

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعمائة ومازال أمرهم في الزيادة الى ان كانت دولة أبي العباس الاعرج منهم فاستفحل أمره وبعد صيته وقتك يتصارى السوس فكانت به أمراء هتانة أصحاب مراکش ودخلوا في طاعته فانتقل اليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله هو يومئذ بفاس قامت قيامته وأقبل في جوع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر كذا في التزهة والذي عنده ان الوزير الذي جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور ولما رأى أبو العباس السعدى ما لاقى له به تحصن بمراكش وشعن أسوارها بالرمية فتقدم السلطان أبو عبد الله ونصب الانفاض على مراکش ودام الحصار عليها أياما فبحكى انه قيل للشيخ أبي محمد الغزواني وكان قد استوطن مراکش يومئذ أن أهل مراکش سقوا الحصار فركب الشيخ في جماعة من أصحابه ونرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس فوجد رماة السلطان أبي عبد الله يرمون من على الأسوار من أهل البلد فوق الشيخ ينظر فجاءت رصاصة ضربت صدره ونزفت الجبهة التي عليه والتصقت بطنه كأنها وقعت في حفرة صماء فقبض عليها يده وقال هذه خاتمة حريمهم ثم رجع الى منزله فوردت الانباء على السلطان أبي عبد الله في تلك الليلة بأن بني عمه قد قاموا عليه بفاس ونسبوا دعوته فأصبح من الغدوا حلا الى فاس وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ولم يعد لبني وطاس وصول بعدهم الى مراکش ولا الى أعمالها والله تعالى أعلم

﴿فذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم﴾

كان من جملة وزرائه ابن عمه المسعود بن الناصر وهو الذي زحف معه الى مراکش على ما في التزهة وكان من جملة وزرائه اثنتان بأمره أخوه الناصر بن محمد الشيخ المعروف عند عامة فاس بابي علاقة وبالكتيد على ما مر في الجذوة في لقب بذلك لكثرة سفكه الدماء واقدامه عليه فكان يقتل الناس ويجزؤهم كبيراً وكذا بكاسة أيام وزارتهما كذا حدثت غير واحد من أدركه ورآه ونوفى الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمائة

﴿فوفاة السلطان أبي عبد الله رحمه الله﴾

كانت وفاة السلطان أبي عبد الله البرتقالى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة على ما في الجذوة ويؤخذ من التزهة أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعد هلول الله أعلم وولى الامر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده اليه

﴿فالتعبر عن الدولة الاولى لاساطان أبي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي﴾

هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي ويعرف بابي حسون البادسي ﴿وقال في التزهة﴾ ويرجع فاس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد ابن محمد البرتقالى وخلصه وأشهد عليه بالخلع أخو ذي الحجة من السنة المذكورة انتهى

في الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي رحمه الله تعالى في

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرقي ابن أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي ذر كرم الله وجهه يحيى بن زياد الوطاسي ويعلم يوم خلق محمد أبي حسون آخر ذي الخف من سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة في قال ابن القاضي في وقد رأيت البيعة التي كتبت بخط الإمام أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الواشيري من انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كأبي العباس الحبالك والفقهاء أبي العباس أحمد الماوسي وغيرهما في قال أبو عبد الله اليفري في التزهة في وانظر ما وجه كس البيعة لأحمد بن علي بن حسون لم يكن لوجه الواشيري من أهل الورع ولعله لا يرى لم يظهر لنا والله أعلم في وقال ابن عسكرفي الدوحة في لما توفي السلطان أبو عبد الله البرقي ودالت الدولة لولده السلطان أبي العباس أحمد وغص بالشرقاء القاتين عليه يبلاد السوس وزوجهم عقد المهد منتمع النصارى المجاورين له ببلاد المغرب وصاحبهم سلطان البرقي فلحق ذلك الشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى البهلوي وكان له غيبة في الجهاد وعن له وصلة بالسلطان أبي عبد الله فكان إذا جاءه زائر أحضه على القزو فيساعده على ما أراد من ذلك فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آتى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يعيشي المولا قبل سنة ما كان عينه له ولده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وقوت عياله فشكت على ذلك إلى أن حضرته الوفاة وكان في النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم يا سيدي أخبرك أن السلطان أمر بالقرزو وأمر بالنداء به وحض الناس عليه والمسلمون في شره لذلك فرح ففتح الشيخ عينيه ونهل وجهه فرحوا به والله وأنتى عليه ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك في

في وقصة أعشى بين الوطاسيين والسعديين في

قد تقدم لنا في خبر السلطان أبي عبد الله أنه لما حاصر مراكش وأصاب الرصاصه الشيخ القزواني قال هذه خاتمة حرمهم ولم يعد ليني وطاس وصول إلى مراكش ولاني أحوازاها في قال في التزهة في فكان أبو العباس الأعرج يتلاقى مع أبي العباس الوطاسي بتادلا وأحوازاها قال وكانت بينهما معركة بموضع يقال له أعشى وذلك في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافتراق على اصطلاح في وأعشى موضع قرب مراكش بزاوية الشيخ أبي العزم رحال الكوتس

في عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس السعدي رحمه الله تعالى في

لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي صاحب فاس وأبي العباس أحمد السعدي المعروف بالأعرج صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه وقتله الخلق بينهم دخلوا في الصلح بينهم والتراضي على قسمة البلاد وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطيب دفين جبل زرهون وأبو الوارث المحمدي دفين مكاسة الزيتون وكان صاحب حال وجذب فجلس الناس بوصونه بالسكوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم فلم يدخلوا على أبي العباس الأعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيما جاؤا لاجله وجدوا فيه ماشدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا وخلف أبو حفص الخطيب لا دخلوها يعني فاسا ما دمت على وجه الأرض فدخلوها حتى مات بعد مدة فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعترفون شيئا ما دقوا بالاحفص الخطيب يعني لتركوه في تاون على وجه الأرض لانه حلف لا يدخلوها ما دام على وجه الأرض حكاه صاحب منيع الامعاء في ذكر في شرح جزوه الثمار في أن الصلح أبرم بين الطائفتين على أن لا شراف من تادلا إلى السوس ولبنى وطاس من تادلا إلى المغرب الأوسط وان عن حضر الصلح المذكور قاضي الجماعة بفاس

أبا الحسن علي بن هرون المطغري الباطن المهمل مطفرة تلسان والامام الشهير بأبالمالك عبد الواحد بن أحمد الوائس برسي وغيرهما من مشايخ فاس ويذكر أنه لما وطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه وهذات الأصوات وسكن اللجاج أتى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح فلوضعت الدواة بين يدي أحد من الفقهاء الحاضرين الا وجهه وانقبض ودفعها عن نفسه استحياء في ذلك المحفل أن يكتب ما لا يناسب الجهاتين فقام قاضي الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأساودها ووضعها بين يدي أبي مالك المذكور فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة بليغة ونسخ الصلح على منوال عجيب واخترع اسلوبا غريبا تحسب فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جاشه وجوم قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه ألسن الغصاة هيبه واكبارا فقام قاضي الجماعة وقبلة بين عينيه وقال جزاك الله عن المسلمين خيرا وما هي بأقول بركم يا آل أبي بكر وكل ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة اهـ

في غزوة الحرقب أصيلا حرمها الله

ذكر صاحب الدوحة في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاذلي رحمه الله أنه استشهد في وقعة الحرقب التي كانت في حدود أربعين وتسعمائة بين النصارى والقائد عبد الواحد بن طلمبة العروسي على مقربة من أصيلا قال حدثني غير واحد ممن يوثق به عن حضر الوقعة بعضهم بعدق بعضها قالوا لما انهمز الناس استقبل الشيخ أبو الحسن النصارى وسيفه في يده وهو يتلو بردة البوصيري فكان ذلك آخر العهد به ولم يرجع الناس من القتل لحد ما قتلهم لم يوفاه على عين ولا أثر وأما جرحه فغلب من لباسه عند النصارى وفيه أثر طعنة في صدره اهـ كلام الدوحة وفي المرأة أن الشيخ المذكور مات في حياة شيخه الفخراني شهيداً في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة اهـ ولعله الصواب والعروسي المذكور هو من أمر بني عبد الحميد العروسيين أصحاب قصر كتامة وكانت لهم راية وسياسة وجهاد في العدو إلى أن انقرض أمرهم أعوام التسعين وتسعمائة فيقال في الدوحة في خبري غير واحد من فقهاء قصر كتامة أن الشيخ أبا الوال وإن جاء إلى القصر وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسي في عصبية من آثار به أولاد عبد الحميد فبعد أبو الوال وإن صومعة المسجد ثم نادى بأعلى صوته يابني عبد الحميد اشتروا مني القصر والخرجتم منه في هذه السنة فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال إن كان القصر له أو سيده فليترعه منا ما بقى لنا الا كلام الحق فلتفت إليه ومن التذخر جرح الشيخ أبو الوال وإن من البلد وهو يقول القائد عبد الواحد وأهل يخرجون من القصر ولا يعودون إليه أبداً فكان كذلك بقدره الله تعالى

في وقعة أبي عقبة وادي العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد

هذه الوقعة من أعظم الوقعات التي كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها في أندلس إلى الآن وبها القوت في وصفها والخبار عنها وقد ذكرها شعراؤهم في أزجالهم المعونة وهي محظوظة فيما بينهم وذلك أنه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا ينجون على الوطاسيين دأروا ملكهم من فاس نهض إليهم السلطان أبو العباس الوطاسي أو آخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة بجزر الشوك والمدر في جمع كثيف من الجنود وقبائل العرب في حلهما وطمعوا وجاء أبو العباس السعدي في قبائل الحوز بحلها وطمعنا كذلك فكان اللقاء بعشرع أبي عقبة أحد مشايع وادي العبيد من نادلا فشبث الحرب وتقاتل الناس برزاهل الحفاظ منهم والترات وقاتل الناس على حرمهم وأحسابهم وعزهم فاقى بعضهم بعضا الا قليلا ودامت الحرب أياما على ما قيل إلى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فيقال في الجنوة في جرح السلطان أبو العباس الوطاسي إلى فاس وبقيت محظوظة نادلا بيد الشريف السعدي قال وتسمى هذه السنة سنة أبي عقبة

هو وقال في المرأة **هو** وما اشهر من كرامات الشيخ أبي طحمة الزبير بن محمد المصباحي الشاوي الزناني أنه لما التقى مقاتلة فاس وساطنهم أبو العباس أجد الوطاسي ومقاتله مراكن وساطنهم أبو العباس أجد الاعرج ومعه أخوه المتول بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع أبي عقبة من وادي العبيد انهم السلطان أبو العباس الوطاسي وتفرقت جوعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضون عليه فحضر هناك رجل على فرس أتى فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له سر يا أجد ولا تخش ولم يزل معه الى ان رجعوا عنه وأمن الطلب وقد عرف السلطان صفته وتحققوا ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له هذه صفة أبي طحمة المصباحي وتحقق ذلك ولما كان نروج السلطان المذكور الذي وصل فيه تطاوين وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد أبي الحسن علي بن موسى بن راشد الشريف وذلك في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وبتطاوين بنى بها قصدا بالطحمة المذكور وتزل عليه فلما رآه عرفه وأيقن انه الرجل الذي أعانته فأكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ يارب كيف العيش مع هذه الشهرة فاقبضني اليك فأتعتب ذلك من سنته **هو** قال في المرأة **هو** سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبي القاسم بن أبي طحمة المذكور فقال لي أعقل مجيء السلطان وأنا صير جندا أقعد في حجر أبي وعند ركبته **هو** قلت **هو** والامير أبو الحسن بن راشد المذكور وهو الذي اختط مدنية شفشاون كما مر **هو** ذكر في المرأة **هو** ان وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة فيكون السلطان المذكور اغتازت زوج ابنته بعد وفاته ولعله خطبها من أخيها الامير أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن والله أعلم **هو** واعلم ان ما سلكناه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبي عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذي صرحوا به وسبقنا في بعده هذا ما رعايناهم منه ان الامر بالعكس والجواب ان قضية الصلح تكررت حسبا يؤخذ مما مر والله أعلم **هو** وفي هذه السنة أيضا عقد السلطان أبو العباس الوطاسي مع برتقال آسفي صلحا على ثلاث سنين ودخل في هذا العقد آسفي والجديدة وآزمور وكتب البرتقال بذلك الى ملكهم ووقعت المحادثة في البلاد وتفرغ الوطاسي لقتال السعديين

هو بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حوسها الله **هو**

كان السلطان أبو العباس أجد بن محمد الوطاسي قد جدد بناء قنطرة الرصيف بحضرة فاس وذلك منتصف سنة احدى وخمسين وتسعمائة وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أجد الواتنريسي مشير الى التاريخ المذكور

جسر الرصيف أبو العباس جرده * نخر السلاطين من أبناء وطاس
لجاء في غاية الاتقان مرتفعا * لمن يمر به من عسود فاس
وكن تجديده في نصف عام غنا * من هجرة المصطفى المبعوث للناس
هو وقال الفقيه أبو مالك أيضا **هو**

أيها اهل فاس سدد الله سددكم * برأي أبي العباس حاي حي فاس
وأحبابه أتمجاركم وغاركم * على رغم قوم منكركم من الناس
قدام ودام السعد بخدم محمد * وقاز من الشكر الجبل باجناس
هو وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج **هو**

الاستدانة الذي * بتسديده سددنا حصينا
وخلفه عزه ملكه * وأولاه قتيحا ونصر امينا
امام الهدى أجد المرتضى * مييد العداة المسلمينا

الى الشيخ بان عليه الامان ويبيعه اليه فقال له الشيخ ان شئت ان تذهب الى سيدك فافعل فقال المشاور
باسيدي أخاف أن يقتلني فقال الشيخ ان قتلك الله يقتله فذهب المشاور الى الورى وروى عنده ليتين
وفي الثالثة قتله ولم يظهر له أثر فجات أمه الى الشيخ وقالت له ياسيدي ان ولدي قد قتله الوز فرفق لها
سبب ذلك في علم الله وان لا تسر سيطقه الا نبي الوز يرفعك الوز بركك الله وساط عليه اكل
في جسمه فمزق لحمه وتقطع شيا ففسيا الى ان هلك الليال فلا ثل من مرضه فاعتبر الناس والسلطان بذلك
ومن ذلك الوقت زاد الامراء وغيرهم في احترامهم ورواية الشيخ المذكور اه وكان للسلطان أبي
العباس اعتقاد في المتصلين وأرباب الاحوال فمن فوقهم من أهل العلم والدين من ذلك ما حكاه في
الدوحة ايضا في ترجمة أبي الحسن على الصنهاجي المعروف بالدور قال كان أبو الحسن المذكور من
اللامية وكان يدخل دو والمولك من بني وطاس فشقاه النساء والاميان يقبلون يديه وقدميه
فلا ياتفت الى أحد ويعطونه الثياب الرفيعة والبخار النعيسة ويلبسه السلطان يعني أبا العباس من
أشرف لباسه فاذا خرج تصدق بجميع ذلك ويمر على حوائط الزياتين فيغمس اكمام الحلة التي تكرر
عليه ويرفعها بالزيت والبسمن ولا يزال يدور في الاماكن ويصرخ باسم الجلالة اه قالوا وكان
السلطان أبو العباس المذكور واقفا عند اشارة الفقيه أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشري وهو
ابن صاحب المعيار لا يتعدى امره ولا يخالف رأيه كما وقع له معه في مسئلة رجل اسلامي يعرف
بعبد الرحمن المنجور وكان تاجرا جامع المال فشهد عليه في حكاية طويلة أربعون جلا من العدول
بما سترق ذمته فاخذ السلطان أبو العباس الوطاسي وقتله وصبر املا كليت مال المسلمين فرغب
أولاد المنجور من السلطان أن يؤدوا له عشرين ألف دينار ويرد اليهم املاكهم ويقطع عنهم بينة
الاستغراق فقال السلطان لحاجبه اذهب الى الشيخ عبد الواحد الوائشري وشاوره في ذلك وعرفه
باني في الحاجة الى هذا المال لاجل هذه الحركة التي عرضت لي فذهب الحاجب اليه وأخبره بمقالة
السلطان ورغبته في قبول ذلك فقال له الشيخ والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين
لا حل سلطانك اذهب وقل له اني لاوافق على ذلك ولا أرضاه فرجع الحاجب الى السلطان وأخبره
بما قال الشيخ فرجع السلطان فاعزم عليه وتطير هذا ما اتفق له معه ايضا وهو ان الناس يخرجوا يوم
العيد للصلاة فانتظر والسلطان فأبطأ عليهم ولم يأت الى خروج وقت الصلاة وحينئذ قبل السلطان
أبو العباس في أهته فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ أبو مالك فرأى ان الوقت قد فترق المنبر وقال
معشر المسلمين أعظم الله أجركم في صلاة العبد فقد صادف ظهرتم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم
الشيخ أبو مالك وصلى بالناس الظهر فجعل السلطان أبو العباس واعترف بخطيئته ورحم الله الجميع

في الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حنون الوطاسي رحمه الله

لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الى فاس سنة ست وخسين وتسعمائة وقبض
على بني وطاس بما أحسب ان تقدموا أوجسون هذا الى تفر الجزائر حقن الدمه ومستحيسا التركة على
السعدي وكانت التركة قد استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يدي زيان كاسيا في فزل
أوجسون عندهم يقتل لهم في التارب والسنام ويحسن لهم بلاد المغرب الاقصى وديهم هاني أعينهم
ويقول ان المتطلب عليها قد سلمني ملكي وملك آباءي وغلبي على تران أجدادى فلو ذهبت معي لقتاله
لكان ترجوا الله تعالى أن ينفع لنا النصر عليه وبرزقنا الظفر به ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء
أيديكم غنائم وفخار ووعدهم بحال جزيل فأجابوه الى ما طلب وأقبلوا معه في جيش كثيف تحت راية
باشاهم صالح التركاني المعروف بصالح خربس الى ان اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة وممارك

شديدة وقرعها محمد الشيخ السعدي إلى مضائه وكان دخول السلطان أبي حسون إلى فاس ثالث صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة ولما دخلها فرح به أهلها فرحاً شديداً ورجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كبيراً وصغيراً وشريفاً وضيعاً ويبكي على مآذهم وأهل بيته من أمر السعديين واستبشر الناس بقدومه ويتغنوا بطبعه وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبي عبد الله محمد بن راشد الشريف الأدرسي وأطمانته إلى الدار ثم لم يلبث السلطان أبو حسون إلا يسيراً حتى كثرت شكاية الناس إليه بالترك وأنهم أدنوا أيديهم إلى الحرم وعاتوا في البلاد فإلار يدفع ما اتفق معهم عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتختلف بهم منهم نفر يسير

يخرجي السلطان محمد الشيخ السعدي إلى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله
لما قرع السلطان محمد الشيخ السعدي من وقعة الأراك فاس وصل إلى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبي حسون فاختد في استنصار القبائل واختاب الأبطال وتعبية العساكر والأجناد فاجتمع له من ذلك ما استدبه أزره وقوى به عضده ثم نهض بهم إلى فاس فخرج إليه السلطان أبو حسون في رماة فاس وما انضاف إليهم من جيش العرب فكانت الموقعة على أبي حسون فرجع إلى فاس وتجمع بها فتقدم الشيخ السعدي وحاصره إلى أن ظفرت به في وقعة كانت بينهما بالموضع المعروف بمجلة فقتله واستولى على حضرة فاس وصفاله أمرها وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وتسعمائة على الصواب خلاف ما وقع في الدوحة والله أعلم ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله انقرضت الدولة المرينية بالمغرب والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين (وبقي علينا الإلماع) بأواخر دولة بني زيان ملوك تلمسان وكيف كان انقراض أمرهم فلنشر إلى ذلك فنقول كانت دولة بني زيان على ما علمت من الاضطراب سائر أيام بني مرين وكان منهم في صدر المائة التاسعة السلطان الواثق بالله من أمثال ملوكهم وغلبهم على تلمسان في تلك المئة السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن أحمد الحفصي فاختار باطناعته ثم دعوتهم سنة سبع وثلاثين وغلغلة اعترت وبعض الشيء إلى أن كانت دولة السلطان أبي عمرو عثمان بن محمد الحفصي فقرر تلمسان أعوام السبعين وغلغلة مرين وفي الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها إلى أن تشفع إليه علماؤها وصلحواؤها فبعضنا عنهم وكان الباعث له على غزوها وأولاً ما بنفسه من أن الأمير محمد بن محمد بن أبي ثابت استولى عليها ففعل ما فصل وصاهرهم بعض خدمته وقال صاحب بدائع السلك شاهدين تلمسان وبعض أعمالها تخرج الخطيب باسم السلطان أبي عمرو عثمان صاحب تونس قدما في الذكر على اسم صاحب تلمسان أبي عبد الله من أعقاب بني زيان لما بينهما من الشرط في ذلك وبقيت حال بني زيان متمسكة إلى أن ظهر جنس الأصبينول في صدر المائة العاشرة بعدما تم له ملك الأندلس وعظمت شوكة فطمع للتلط على ثغور المغربين الأدنى والأوسط فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وقبض أهلها إلا فاعيل ثم ساءت تلك الجزائر وشرد لالتهاها وضائق المسلمين في نغورهم وضعف بنو زيان عن مقاومته وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي عن له الشهرة والوجاهة الكبيرة في سائر المغرب الأوسط وجباله وكانت دولة العنامنة من الترك في هذه المئة قد زخر عليها وملكها أكثر المسكونة وظهر من قوادسها كرها البصرية قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه عمر وج باشا وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر راويعرا وأوقعا بها دول الأوربا وقاطع شهيرة وطار لهم ذكر في أقطار البلاد وتمكن ناموسهم من قلوب العباد فكانتهم الفقيه أبو العباس المذكور وعرفهم بما السلون فيهم من مضايقة العدو الكافر وقال إن بلادنا بقيت لك وأولائك

أول الذئب فاقبل الترك نحوه مصر عين واستولى عروج باشا على ثغر الجزائر بعدما كاد العدو يحمله
فقتل منه ثم استولى على تلسان وغلب بنى زيان على أمرهم وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة
على ما في التزعة ثم إن أهل تلسان أنكروا سيرة الترك وسخطوا ملكهم ويقال أن الترك عسفوهم
وصادروهم على أموالهم وكان عروج قد أغرى بالفقيه أبي العباس المستدعي له قتل شهيد بعده الثلاثين
وتسعمائة ورأى عروج أن أمر المغرب الأوسط لا يصفوله مع وجود الفقيه المذكور فدم عليه
من قتله ثم نهض عروج إلى بنى زيان فكانت الكثرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره
وتقررت جموعه وعادت تلسان إلى بنى زيان فخذوا بها رياستهم وأحبوا ومق دولتهم إلى أن عاود الترك
غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها إلى العباس أحمد بن عبد الله من أعقاب بغمر اسن بن زيان
وقال في المرأة مانعه ثم قال الشيخ الامام قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائش رضى وجه الله
ومن خطه نقلت قدم حسن بن خير الدين التركي فاستولى على تلسان في أواسط شعبان سنة اثنتين
وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الأمير أحمد بن الأمير عبد الله ووزيره منصور بن أبي غانم ولحقا بدوا
مع من انضاف إليهم من أمراء تلسان وكبرائهم فقدر بهم عمر بن يحيى الوطاسي صاحب ديدوا وأخذ
أموالهم واعتقلهم وسرح منصور في محرم سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة اه واستمرت تلسان في يد
الترك إلى أواسط المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسيين على ما ذكره ان شاء الله تعالى
انه كان في صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام منها ظهور الفرنج بالديار الغربية واستيلائهم على
تغور هاجا لم يهدمته قبل ذلك لاسيما البرتقال والاصينيول حسبما تقدمت الاشارة اليه ومنها
ظهور دولة آل عثمان ملوك الترك بالديار الشرقية وما أضيف اليها الظهور الذي لا كفا له وابتداء
هذه الدولة وإن كان قبل هذا التاريخ بنحو مائتي سنة لكن إنما كان عنفوان شبابها وفيضان عباها
في هذه المدة لاسيما في دولة سلطانهم الاعظم وعاقلهم الانغم سليمان بن سليم خان فانه ملك أكثر العصور
وقام بدعوتهم من الأمم الجهور وهجمت عساكره على ديار الارباقتا توههم في أعز بلادهم واستلبوهم
من طارفهم وتلاذهم وخضعت ملوكها العزته واستكانوا مولته وأعطوه يد القادة وآتوه من
الطاعة والخضوع ما خالف العادة ثم أوطأ عساكره المغربين الأدنى والأوسط فاستولى عليهما وكلا
بقتال الاقصى وبضيقة اليهما على ما تنق عليه في أخبار السعديين ان شاء الله ومنها ظهور الاولياء
وأهل الصلاح من اللامية وأرباب الاحوال والجسب في بلاد الشرق والغرب لصلته انفتح به
للسورين على النسبة وأهل الدعوى باب متسع الخرق متعبر الرثق فاختلف المرقى بالهمل وأدنى
الخصوصية من لاناقة فيها ولاجل وصعب على جل الناس التميز حتى بين الهرج والابرز لاسيما
العامي الغمر الذي لا يفرق بين الحساء والدر ويرحم الله الشيخ اليوسى اذ قال في محاضرته مانعه وقد
طرق اسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفضول القادرية والساذليق رضى الله عنهم وكلام
أرباب الاحوال في كل زمان فتعشت النفوس ذلك وأذن له الجهور وخاضوا في التشبه بهم فاشت
أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد مظاهر الشريرة فضلائع أن يعمل فضلائع ان يخلص
إلى الباطن فضلائع أن يكون صاحب مقام الوجود في حصول ويقول وينابذ النقول والعقول
وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يخلص بحيلة أيه ويستبجع أتباعه بنسب حق ولا حقيقة
بل ليجرد حطام الدنيا فيقول خدام أيوز ريسة أي يضرب عليهم المغرم كثرم السلطان ولا يقبل أن
يجبوا أحد في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره وإذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يده على الله تعالى
يفض عليه ويتوعد بالمال في نفسه وما له وقد يقع شيء من المصائب يحكم القضاء والابتلاء فيضيقه إلى
نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ثم يحترق لهم من الخرافات والامور المعتادة ما يبعده سيرة وديننا

يسمى يومه ثم يضمن لهم الجنة على مساوى أفعالهم والشفاعة يوم المحشر ويقبض على لحيته من ذراعه
 فيقول للجاهل منله أنت من هذه السمعة فيكنفى جهال العوام بذلك وييقون فى خدمته وإداعه والد
 قائلين نحن خدام الدار القلانية وفى زرية فلان فلا تخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين
 وهو لا يقطع العباد عن الله إلى آخر كلامه فقفل عليه فى الفصل الخامس والعشرين منها فانه نفيس
 وبالله تعالى التوفيق وهو فى سنة احدى عشرة وتسعمائة هـ توفى الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماوسى
 الطيوى الموقت المشهور وهو فى سنة اثنتى عشرة بعد هـ توفى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن قاسم
 النخعي المعروف بالزقاقى فقيه قاس وهو صاحب المنظومة الالامية فى علم القضاء وغيرها وهو فى سنة أربع
 عشرة وتسعمائة هـ فى يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفى الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يحيى
 الوائلى بمى مؤلف المعيار وغيره من التأليف الحسان أصله من تلمسان واسمه موطن مدينة قاس
 الى ان توفى بها فى التاريخ المذكور وهو فى سنة ثمان مائة هـ توفى الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق
 الحاروى المعروف بالتباع دفين حومة الفحول من مراكنس من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما
 وصفه شيخه المذكور بالكبرياء وكان يقال النظرة فيه نفى فأرض الله عليهما من مدده وهو فى سنة تسع
 عشرة وتسعمائة هـ توفى الشيخ الامام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى الغنائى المكاسى
 ثم القاسى وقد تقدم خبره مع الشيخ أبي محمد النزارى فى رحمة الله وهو فى سنة ست وعشرين
 وتسعمائة هـ انقبس المطرب قاس والمغربى واضطر الناس الى استئراج النواقي من الاودية
 والانهار اسقى زرعهم وغارهم وهو فى سنة سبع وعشرين بعد هـ كان الغلاء والجوع الكبير الذى
 صار نار يخاف الناس مدده وهو فى سنة ثمان وعشرين بعد هـ كان اوباء بالمغرب سنة الله فى خلقه
 وفى هذه المدة اعنى أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما فى الدوحة توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور
 السعفى دفين جزيرة البساس من بلاد اولاد جالون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبوانى
 البحر من جهة الشرق وكان من أصحاب الشيخ التابع والروضة التى عليه بناها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن
 المجذوب يقال انه لما أكمل آراءه فى المنام والبسه حلة خضراء وهو فى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة هـ فى ثانى
 يوم من ربيع الاول منها توفى الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحامى المعروف بالنلاح ضجيع القاضى
 عياض فى روضته بمحوم بابلان من مراكنس وهو من أصحاب الشيخ التابع ايضا وفى هذه المدة على
 ما فى الدوحة توفى الشيخ أبو شواما لادن حدة الصبيى من عرب صبيى كان من أهل العلم والقضل والدين
 ودفن على صفة نهر سبوانى نحو مرحلة من قاس وقبره مرارة الى الآن وهو فى سنة

خمس وثلاثين وتسعمائة هـ توفى الشيخ أبو محمد النزارى رضى الله

عنه دفين حومة القصور من مراكنس وقد تقدم شئ من

خبره وهو فى أعوام أربعين وتسعمائة هـ توفى الشيخ

الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسى السعفى

المختارى ثم الفهدى دفين مكاسة

الزيتون وهو شيخ جليل القدر

شهيد لا ذكر رضى الله

عنه وتضعناه

آمين

تم الجزء الثانى ويليهِ الجزء الثالث أوله ابتداء دولة الاسرافى السعديين من آل زيدان

وذكر آراءهم وتحقيق نسبهم ورحمهم الله



فهرست الجزء الثالث من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى

صفحة	صفحة
٢	الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان وذكر أوليتهم وتحقيق نسبهم
٣	الخبر عن دولة الامير أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله ويعتبه والسبب فيها
٦	أخبار الامير أبي عبد الله القائم في الجهاد
٧	عقد الامير أبي عبد الله القائم ولاية العهد لابنه أبي العباس الاعرج ووجهه الله تعالى
٧	انتقال الامير أبي عبد الله القائم الى آفتال من بلاد حاقه وفاته بهارجه الله
٧	الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد الاعرج ابن الامير أبي عبد الله القائم رحمه الله
٧	دخول السلطان أبي العباس الاعرج مراکش واستيلاؤه عليها
٧	تقل الشيخ الجزولي رضى الله عنه من مدقته بالآفتال الى مراکش والسبب في ذلك
٨	مجيء السلطان أبي عبد الله الوطاسي الى مراکش وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم اقلعه عنها
٨	خبر آسفي والتمور
٨	حدوث النفرة بين الاخوين السلطان أبي العباس الاعرج ووزيره أبي عبد الله الشيخ
٩	أمر زيدان ابن السلطان أبي العباس
٩	الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن الامير أبي عبد الله القائم بأمر الله
٩	فتح حصن فونتي وآسفي وآزمور
١٠	بناء حصن أكادير
١٠	استيلاء السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ على مراکش وتجهيد البيعة لها
١٠	نحو من السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ لحرب بني وطاس واستيلاؤه على مكاسة وما اتفق له
١٠	حصار السلطان أبي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل الشيخ عبد الواحد وانشر بسى رحمه الله
١١	استيلاء السلطان أبي عبد الله الشيخ على فاس
١٢	وقبضه على الوطاسيين وتغريهم الى مراکش نحو من السلطان أبي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه عليها
١٢	امتحان السلطان أبي عبد الله الشيخ أرباب الزوايا والمتسبين والسبب في ذلك
١٢	وفادة الامام أبي عبد الله الخرووي من جانب دولة الترك في شأن قسم البلاد وتحديد لها
١٣	قدوم أبي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه الشيخ عنها
١٣	عود السلطان أبي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها
١٣	مقتل الفقيهين أبي محمد الزقاق وأبي علي حرزوز والسبب في ذلك
١٣	ترتيب السلطان أبي عبد الله الشيخ أمر دولته
١٤	وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائب
١٤	مراسلة السلطان سليمان العثماني للسلطان أبي عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك
١٥	قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني واغتياهم للسلطان أبي عبد الله الشيخ
١٦	بقية أخبار السلطان أبي عبد الله الشيخ وسيرته
١٧	الخبر عن دولة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله
١٨	مجيء حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه منهزما عنها
١٨	بناء جامع الموحسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة بمولحسن وغير ذلك
١٩	فتح مدينة شفشاون واقراض أمر بني راشد
١٩	حصار البرجة المسماة اليوم بالجديدة
٢١	وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى النعماني رضى الله عنه
٢٢	استيلاء النمصارى على حجر باديس
٢٣	قتلة الفقيه أبي عبد الله الاندلسي ومقتله
٢٣	ظهور بدعة الشرقة من الطائفة اليوسفية
٢٤	احتفال النمصارى بكيدة البار ودجتماع

صحيفة

صحيفة

المنصور عمرا كش وما وفق الله تعالى من شرها

٢٤ وفاة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله

٢٤ بقية أخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

٢٦ الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل

على الله ابن السلطان عبد الله الغالب بالله

٢٧ الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك

المعتصم بالله ابن محمد الشيخ وأولية أمره وما له

٢٨ بجي السلطان أبي مروان عبد الملك بن الشيخ

السعدي بسكر الترك واستيلاؤه على المغرب

٣٠ استيلاء السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم

بالله على حضرة فاس وما يتبع ذلك

٣٠ نهوض السلطان أبي مروان إلى مرا كش

واستيلاؤه عليها وفرار ابن أخيه إلى السوس

٣١ استخلاف السلطان أبي مروان لأخيه أبي

العباس أحمد على فاس وأعمالها

٣١ ظهور أبي عبد الله المتوكل بالسوس وبعثه إلى

مرا كش واستيلاؤه عليها

٣٢ القزوة الكبرى وادى الخازن من بلاد المغرب

٤١ بقية أخبار السلطان أبي مروان وسيرته

٤٢ الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد

المنصور بالله السعدي المعروف بالذهبي

٤٤ عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ

المدعو المأمون

٤٥ ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ

٤٥ حدوث الثورة بين المنصور والسلطان مراد

العثماني وتلافي المنصور لذلك

٤٦ إيقاع المنصور بهرب الخطط والسبب في ذلك

٤٦ استيلاء المنصور على بلاد الصغرى تيكر وار بن

وقوات غيرها

٤٧ تخفيض القول في سودان المغرب والاشاوة

إلى عمالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامي

٤٩ وصول هدية صاحب برقا إلى المنصور بحضرة

فاس وما نشأ عن ذلك من بيعته له والتزام طاعته

٥٢ بعث المنصور رسوله بالدعوة إلى آل سكية

٥٤ مفاوضة المنصور للملا من أصحاب في غزو آل

سكية وما دار بينهم في ذلك

٥٥ استبارة المنصور لملك مصر رضى الله عنهم

٥٦ تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون

٥٦ ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله

٥٦ بناء المسجد الجامع بباب ذكالة من حضرة

مرا كش حرمها الله

٥٧ بعث المنصور ببيعة الرخام إلى جامع القرويين

من فاس حرمها الله

٥٨ غزو السودان وفتح مدينه كلخوا ومقتل

سلطانها الحق سكية رحمه الله

٦١ وفاة أم المنصور والحزنة مسعودة الوز كنية

٦٢ نكبة الفقيه أبي العباس أحمد بابا السودان

وعشيرته من آل آقيت والسبب في ذلك

٦٥ بناء قصر البديع بحضرة مرا كش حرمها الله

٧٢ ثورة الناصر ابن السلطان الغالب بالله ببلاد

الريف ومقتله

٧٥ ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم

٨٢ ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه ومالات

أسفاره

٨٥ انتقاض ولي العهد محمد الشيخ المأمون على

أبيه المنصور وما آل إليه أمره في ذلك

٩٤ وفاة المنصور رحمه الله

٩٥ بقية أخبار المنصور وبعض سيرته

٩٨ الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن

أحمد المنصور رحمه الله تعالى

٩٨ انحراف أهل مرا كش عن طاعة زيدان

ويعتصم لابي فاس وما نشأ عن ذلك من الفتنة

٩٩ نهوض السلطان زيدان للحرب أبي فارس

وانهزامه بامر يبيع ثم فراره إلى تلمسان

٩٩ نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس

واستيلاؤه على مرا كش

١٠٠ بجي السلطان زيدان إلى المغرب واستيلاؤه

على مرا كش وطرده عبد الله بن الشيخ عنها

١٠٠ عود عبد الله بن الشيخ إلى مرا كش

واستيلاؤه على ما وطرده زيدان عنها

صحيفة

صحيفة

- ١٠٠ ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد
الشيخ وانقراض امره وعوز يدا الى
مراكش
- ١٠١ خروج جالية الاندلس من غرناطة وأهمالها
الى بلاد المغرب وغيرها
- ١٠٢ استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار
الشيخ بن المنصور عنها الى العرائش ثم الى
طانجة الاصبينول
- ١٠٣ عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه
عليها ومقتل مصطفى باشا رجه الله
- ١٠٤ تخليص خبر أبي فارس ومقتله رجه الله
- ١٠٤ عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاؤه
عليها ثم اعراضه عنها سائر أيامه
- ١٠٥ استيلاء نصارى الاصبينول على العرائش
- ١٠٦ بقية أخبار الشيخ ومقتله رجه الله تعالى
- ١٠٧ رئاسة ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدي
محمد العياشي على الجهاد ومبدأ امره في ذلك
- ١٠٧ ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله
الجلجاسي المعروف بابي محلي
- ١٠٩ نهوض ابن أبي محلي الى مجلماسة ودرعة
واستيلاؤه عليهما ثم على مراكش بعدهما
- ١١٠ استمرار السلطان زيدان في ذكره ياجي
ابن عبد المم الحاحي ومقتل أبي محلي
- ١١١ بقية أخبار أبي ذكره ياجي بن عبد المنعم
الحاحي وما دار بينه وبين السلطان زيدان
- ١١٨ استيلاء نصارى الاصبينول على المعمورة
ونهوض أبي عبد الله العياشي لجهادهم
وانقراض اندلس خلا على السلطان زيدان
- ١١٩ انطاف الى خدير عبد الله بن الشيخ بفاس
والنور القائن فيها وما تخلف ذلك
- ١٢٢ ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على
أخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع في ذلك
- ١٢٣ ثورة أبي ذكره ياجي بن عبد المنعم بالسوس
ومثالبته لابي حسون السملالي المعروف بابي
دمعة على ملو ودانت
- ١٢٧ بقية أخبار السلطان زيدان وذكر وفاته
رجه الله
- ١٢٩ الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك
ابن زيدان رجه الله
- ١٢٩ ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة
أكابر عصره له على الجهاد والقيام بالحق
- ١٣١ بقية أخبار السلطان عبد الملك بن زيدان
وفاته
- ١٣١ الخبر عن دولة السلطان أبي زيد الوليد بن
زيدان رجه الله
- ١٣٢ ظهور أبي حسون السملالي المعروف بابي
دمعة بالسوس ثم استيلاؤه على درعة
ومجلماسة وأهمالها
- ١٣٣ بقية أخبار السلطان الوليد بن زيدان
وفاته رجه الله
- ١٣٤ الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد
الشيخ بن زيدان رجه الله
- ١٣٤ بقية أخبار أبي عبد الله العياشي بسلا
والنهوض وما يتبع ذلك
- ١٣٤ وفاة أعلام فاس وأشرافها على أبي عبد الله
العياشي بسلا
- ١٣٥ اعتقال أبي عبد الله العياشي بنصاري الجديدة
مقتل أبي عبد الله العياشي رجه الله
- ١٣٧ ظهور أهل زاوية الدلاء وأوليتهم بجبال
فادلا وما يتبع ذلك
- ١٤٠ ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن
زيدان وبين أهل زاوية الدلاء من المراسلات
والمعاباة
- ١٤٥ وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رجه الله
- ١٤٥ الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن
محمد الشيخ بن زيدان رجه الله
- ١٤٦ الخبر عن دولة الشهابيات جراكش وأهمالها
وما آل اليه أمرها من دورها واضمحلالها

﴿الجزء الثالث﴾

من كتاب الاستقصا لاختبار دول المغرب الاقصى

تأليف العالم العلامة المحقق انعامه وحيد

الاوان وفريد الزمان ببحر العلوم الراوى

الشيخ أحمد بن خالد الناصرى

لسلاوى حفظه الله

وأدام علاه

آمين

١٠٠

حقوق الطبع محفوظة للؤائف



بسم الله الرحمن الرحيم

والخبر عن دولة الانراف السعديين من آل زيدان وذكر آوايتهم وتحقيق نسبهم

اعلم أن هؤلاء السعديين كانوا يقولون أن أصل سلفهم من ينبع النخل من أرض الحجاز وأنهم أشرف من ولد محمد النفس الزكية رضي الله عنه واليه كانوا يرجعون نسبهم ويقولون في أول ملوكهم القائم بأمر الله مثلاً هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن اسمعيل بن قاسم ابن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فهم بنو عم السادة العلويين أشرف سبلاسة يجتمعون معهم في محمد بن أبي القاسم المذكور في النسب قالوا والسبب في قدوم سلفهم من الحجاز إلى المغرب أن أهل درعة كانت لا تصلح لغارهم وتعتريها العاهات كثيرًا فقبل لهم لو أنتم بشرى إلى بلادكم كما أتى به أهل سبلاسة لصلحت شاركم كما صلحت غارهم وقد كان أهل سبلاسة جاؤا بالمولى الحسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم من أرض ينبع في قصة طريفة تأتي في محله إن شاء الله قالوا فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن أحمد مضاهاة لأهل سبلاسة فصادف عليهم بركة **﴿واعلم﴾** أن هذا النسب الشريف المسرود أنفاً به كما قال اليعقوبي بتريبن قاسم ومحمد النفس الزكية فإنه لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم وإنما هو قاسم بن محمد بن عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية ولعله سقط عن ذهل من الناسخ وقيل الصواب أنه قاسم بن حسن بن محمد بن عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية **﴿واعلم﴾** أيضاً أن ما زعمه هؤلاء السعديون من انتسابهم لهذا البيت الكريم هو المعروف عند الكافة وثلة أفضلاء عصرهم بالقبول وأثبتوه في تقريرياتهم ومؤلفاتهم الموضوعة في أخبارهم ومن الناس من يطن في ذلك ونقله بعضهم عن الشيخ أبي العباس المقرئ صاحب فتح الطيب وأنه صحح أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لاقل ضعيف لأن الشيخ المقرئ صرح في فتح الطيب

بشرف هؤلاء السادة في غير موضع وهو من آخر ما ألف وعن طعن في نسبهم المولى محمد بن الشريف
 السجل ماسي أول ملوك السادة العلويين صرح بذلك في بعض الرسائل التي كانت تدور بينه وبين
 الشيخ ابن زيدان منهم قال فيها وقد اعتمدنا في ذلك يعني في عدم شرفهم على ما نقله النقات المورخون
 لأخبار الناس من علمه مراكتس وتلسان وفاس ولقد آمن الكل التأمل بالذكرو والفكر قفا
 وجدوكم الامن بنى سعد بن بكر اه **وهو يحكى** شائع عن الققيه الورع المولى أبي محمد عبد الله بن علي بن
 طاهر السجل ماسي وكان من أهل السلاح والدين أنه كان ذات يوم جالساً مع المنصور السعدي في بعض
 قصوره من حضرة مراكتس وهما مجتمعان على خوان طعام فقال للمنصور للشيخ أبي محمد أن اجلسنا
 يا ققيه يعني في النسب فقال أبو محمد على هذا الخوان وروى في هذا المنور قاسراً هال المنصور في نفسه ولم
 يدهاله الى ان احتال عليه بما كان السبب في اتلاف مبعته فكان المنصور بعد ذلك يدعو الشيخ أبا
 محمد فيجلسه على الرخام في زمان كلب البرد وهيجاله من غير حائل وقد اتخذ المنصور فيجاز هو البدة
 صوف داخل سراويله لا يحس معها بالبرد فاذا رآه أبو محمد جالساً معه تجلدوا واستحي أن يقوم عن
 السلطان ويتركو ويستمران على المذاكرة في مسائل العلم فعل ذلك به أماً حتى سكنته علة البرد فلم يزل أبو
 محمد يشتكي من ذلك الى أن قضت عليه وأنكره هذا صاحب نشر المثنى ورده بتأخر وفاة ابن طاهر عن
 وفاة المنصور بأكثر من ثلاثين سنة وجواب أبي محمد هذه من النوع اليساني المعنى بتقني الخطاب بفسير
 ما ترقب على ما هو معروف في كتب الفن وانما سأل المنصور لما صر من أن السعديين يزعمون أن
 جدّهم قدم من ينبع ايضاً كما قدم جدّ العلويين والعلويون ينكرون ذلك كل الانكار ويقولون
 انهم لم يجتمعوا معهم في قبيل ولا دير **وقال اليفري** لكن صحح لنا خير واحد من أشياخنا أن الشيخ ابن
 طاهر رجع عن ذلك الانكار وان المنصور اطعمه بعد ذلك على ظهر فيه خط الامام ابن عرفة وشيخه ابن
 عبد السلام بثبوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن طاهر لذلك فكان يصرح ببعضه نسبهم بعد ذلك ويزجر من
 يظعن فيه اه **وقلت** وهذا هو الصواب انما مستند من يطعن في نسبهم عدم وضوحه ولا يلزم من
 عدم وضوحه عدم ثبوته في نفس الامر ولا فيه دأن يكون هؤلاء المنكرون قد اطلعو على أحوال
 عمود نسبهم وما اشغل عليه من الآباء والاجداد من لدن مبدئه الى منتهاه مع طول المدة وتنازع الاجيال
 فانه تقرع ذلك عبر جذاً واذا وكل الشارع أمر الانساب الى أهلها وحلهم مصدقين فيها اذا لتعرف
 غالباً الامن قبلهم فهؤلاء السادة الزيدانيون لو فرضنا انهم ما كانوا ملوكاً ولا بائناً من الشهرة الى
 حيث طغوا ثم ادعوا هذه النسب الكريم فلا سبيل لاحد ان يدفعهم عنه الاقاطع ولا قاطع كما علمت نعم
 الحكاية المسوقة في سبب دخولهم الى المغرب يظهر عليها أثر الصنعة والله أعلم بحقائق الامور **وهو أماً**
 تسميتهم بالسعديين **فقد قال اليفري** أن هذه النسبة لم تكن لهم في القديم ولا وقعت بها تحليتهم في
 ظواهرهم ولا في سجلاتهم وصدور ردهم لم يكن كما لا يقولون ذلك ولا يجترئ أحد على مواجهتهم به لانه
 اغماضهم بذلك من يتدح في نسبهم ويطعن في شرفهم ويزعم أنهم من بني سعد بن بكر كما قلنا وكثير من
 العامة واخوانهم من الطلبة يفتون أنهم انما سمو بذلك لان الناس سعدوا بهم ونحو ذلك مما لا معنى
 له اه **وقلت** وانما نصفهم نحن بذلك لانهم اشتهروا عند الخاصة والعامة به فصار كاعلم الصريف
 المرتجل مع انه لا محذور بعد تحقيق النسب وثبوت الشرف والله تعالى يلهمنا الصواب عنه وفضله

الخبر عن دولة الامير أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله وبيعتة والسبب فيها

وقال ابن القاضي في درة السلوك لمزل أسلاف السعديين قميم بدعوة الى أن نشأ منهم أبو عبد الله
 محمد القائم بأمر الله فتشأ على عفاف وصلاح ووج البيت الحرام وكل حجاب الدعوة واتى جاعة من العلماء

الاعلام والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين أخبرني بعض الفقه لاء أنه لقي رجلا صالحا
 بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فأشار له بما يكون منه ومن ولديه وكان قد رأى رؤيا
 وهي أن أسدين خرجا من أحليله فتبعهما الناس إلى أن دخلا صومعة وقف هو بيما فصرتا له رؤياه بأنه
 سيكون ولديه شأن ونتم ما يملكه الناس ثم رجع إلى المغرب وهو معلن بالدعوة فيقول في كل محفل أن
 ولديه سيملكان المغرب وسيكون لهما شأن من غير تردد منه ثقة بخبر الرجل الصالح وروياه المذكورة فما
 زال إلى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمائة هـ ^١ ووقال صاحب زهرة الشمارج ماصورته ^٢ أن سبب
 قيام أبي عبد الله القائم أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر وزل بجوانبهم من كل جهة حتى أظلم
 الجو واستحكمت شوكة البرتقال وبقى المسلمون في أمر مريع أعدم أمير مجتمع عليه كلمة الاسلام لان بني
 وطاس قسارتهم يومئذ في بلاد السوس ولما كان لهم الملك في حواضر المغرب ولم يكن لهم منه
 بالسوس الا الاسم مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطغية وأصلا وجر يادس وغيره من شعور بلاد الهبط
 فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من تفاقم الاحوال وكثرة الاهوال وطمع العدو في بلادهم ذهبوا إلى
 الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن مبارك الاطوى نسبة إلى آفة من بلاد السوس فذكروا له ما هم فيه من
 افتراق الكلمة وانتشار الجماعة وكذب العدو على مباركتهم بالقتال ومراوحتهم وطلبوا منه أن يقدوا
 له البيعة وتجتمع كلمتهم عليه فاستمع من ذلك وقال ابن زبلا من الاشراف بتاجدارت من درعة يقول أنه
 سيكون له ولوله شأن فلو بعثتم اليه وبايعوه كان أنسب بكم وأليق بمصودكم فبعثوا اليه وكان من
 أمره ما كان ^٣ ووقال الغفرني ^٤ يكرأت بخط العقبة الهامة أبي زيد عبد الرحمن ابن شيخ الجماعة أبي محمد عبد
 القادر الفاسي ماصورته ذكر لنا الولد عن سيدي أحمد بن علي السوسي البوسيدي أن أسداه دولة
 الشرفاء بالسوس ان بعض السادة وهو سيدي بركت توسط في فداء بعض الاسارى وأراد أن يكون مع
 النصراني اتفاق على ان لا يجسوا أسير افكلمهم في ذلك فقالوا له حتى يكون لكم أمير فان ملككم قد
 ذهب واضمحل قال ثم ان بعض أهل السوس ساروا إلى قبيلة جسيمة يكالون الطعام فاخذتهم جسيمة
 وأكلوا متاعهم وبضاعتهم فذهبوا إلى خيمتهم وكان ذا حزم وتدبير فرد عليهم كل ماضاع لهم حتى لم يبق
 لهم شيء فلما رجعوا إلى بلادهم قالوا ان هذا الشيخ الرئيس هو الذي يلبس أن نبايعه فاجتمعوا وأتوه
 وطلبوا منه أن يرأسهم فاستمع واحتاط لديه واعتذر بتشويش هذه الامم الدين وذلهم على رجل
 شريف كان مؤذنا بدعوة فقال لهم ان كل هؤلاء قاصدوا الشريف الفلاني فانه يذكركم ولديه يعلو كان
 المغرب فقصده وجاءه إلى بلادهم وبايعوه وفرضوا له من المؤنة ما يكفيه وأولاده وبقى هنالك في خمر
 العدو ^٥ (دروى) أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما يديه مع أن الملك لا يقوم الا بالمال احتال بان
 أمر أهل السوس أن يأتوه ببضعة لكل كانوا فاجتمع له من ذلك آلاف من البيض لاختصى لان الناس
 استهزوا أمر البيضة فلما اجتمع عنده البيض أمر أن كل من أتى ببضعة يأتي بدلهاب درهم ففعلوا فاجتمع
 له من ذلك مال وأقر فأصلح به شأنه وقوى به جيشه وكانت تلك أول نائبة فرضت في دولة السعديين والله أعلم
^٦ ووقال ابن الفاضي ^٧ أن الأمير أبا عبد الله القائم لما اجتمع بالشيخ ابن مبارك يديه آفة وذلك سنة خمس
 عشرة وتسعمائة على ما مر فافوضه في شأنه ثم عاد إلى مقره من درعة ثم في سنة ست عشرة بعد هابت اليه
 فقهاء المصادة وشيوخ القبائل ودعوه إلى توليته عليهم ونسليم الامر اليه فلي دعوتهم وجاء إلى قرية
 يقال لها تديس قرب نارودانت فبايعه الناس ثم اوصبوا معه قلوب متفقتة وأهواء على الجهاد
 متجتمعة ^٨ وقد ساق منويل أولية هذه الدولة مسافرا غريبا ولا يخلو عن فائدة قلند كرمه ما يقرب
 إلى العصبة ويكون كالشرح لما مضى أو يأتي من أخبار هذه الدولة قال لما كان السلطان أبو عبد الله
 الوطاسي يعني البرتقال أمير باغاس ظهر في درعة رجل شريف يعني أبا عبد الله محمد القائم بأمر الله قال

وكان هذا الشريف من قراء القرآن ومن أهل العلم والدين والفقر والجور ولم يكن من بيت الرياسة وكان
 له اطلاع على توارخ قطره وعوائد حيله وأخلاقهم وطبائعهم ورأى ما وصل إليه ملك المغرب من
 الانحطاط والضعف وتيقن أنه لا يمدح عليه تناوله فأعمل في ذلك فكره ومكره وصار يحرض الناس على
 القيام بأمر دينهم والامتناع من طاعتها وكان قد بعث ثلاثة من أولاده وهم عبد الكبير وأحمد ومحمد إلى
 الخزانة بقصد الخلع وكانت لهم فصاحة ورجاحة ومعرفة بآثار الكلام فظهر لهم ناموس في تلك البلاد
 وأحبهم الناس لاسيما أحمد ومحمد ولما رجعا من مكة أقاما بغاس وهي يومئذ دار الملك وترتب أحمد في
 مجلس بالقرويين لتدريس العلم فأكتسب بذلك جاهها وتقرّب محمد إلى السلطان حتى صار مؤذنا لأولاده
 وبقي على ذلك مدة وهما في ذلك كله يتحيان إلى الناس ويسعيان في مذهب الشهرة والبر يقال في أثناء
 ذلك ملخ على النعمور واستلابها من أهلها ولم تكن تقوم للمسلمين معه راية فعد ذلك الأخوين أحمد
 ومحمد إلى أن نبأ السلطان وهو أبو عبد الله البرتقال إلى المتأداة في الناس بالجهاد انظرهما للنصح وهما
 يسران حسوا في ارتقاء وقصد هاتفرقة الكلمة على السلطان لا غير فاعتز السلطان بنصحه ما قال لهما
 لا أحد أولى منكم بالقيام بهذه الوظيفة فأجاباه إلى ذلك عن توفد داعية وكال رغبة فأرسلهما يناديان
 ويستغفران الناس في نواحي المغرب إلى الجهاد ويحضنان الناس عليه ويخطبان بذلك في المحافل ويعطيان
 وتبعا لخواضر والبوادي ويقرّيان بالأحباء والمندائير والقرى إلى أن وصلتا إلى درعة حيث أبوهما وأخوهما
 عبيد الكبير فاجتمع بهم ولذا ذكرهما في أمرهما وأنتم ما قد أشرقا على المراد وكذا ألبان الملك من بابها لأن
 أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم فكيف بهم اليوم فحينئذ أخذ الأب وأولاده في نشر
 معائب الدولة للامة وقرّروا ذلك بغم واحتهم ووجاهتهم وما أوتوه من القول وعندهم على ذلك
 شيوخ البلد يتبعهم الناس واجتمعوا عليهم من كل جهة وصار حالهم بغو شيا فقسما إلى أن استبدوا على
 السلطان ولم يرجعوا إليه بعد ووال في نشر ما في كمال السبب في قيام الشرط الزنديقين واستبدادهم
 بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصاري وأهل السوس ودامت وكان بنو وطاس يقدرون أهل السوس
 بالمال والعدد فاتفق أن يخرج الشريفة محمد الشيخ وأخوه أحمد الأعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر
 مكانهم في الجهاد فلما وفد على الوطاسي نقاشا بالحب وأقبل عليه - ما لجل قيامه بالجهاد وأعطاهما
 عدة وخيولا كثيرة فرجعا إلى جهادهم عاد إليهم مرة أخرى فأعطاهما مثل ذلك وكانت لهما مواقيع في
 النصاري ونكاية وظهور وصار يكتبان إلى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جوع
 عديدة فحينئذ خلعا طاعة الوطاسي ودعوا لأنفسهم ما أمروا به من قبل وكان أكثر شهرة أمرهم
 بالسوس الأقصى ودرعة وأعمالهم لو صاروا برقعون اليهم زكواتهم وأعشارهم ثم يبيعونهم ونقض هؤلاء
 الأشراف إلى تارودانت فاحتلوا عليها وحسنوها ثم حضوا إلى أكادير بحرب البرتقال فقاتلوه مدة ولم
 يفتح لهم وكانوا يشيعون أنهم لا قصد لهم إلا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ومن هو مسلم من المسلمين لذل
 مبتات لهم أنذاك التصريح بجمع السلطان في سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ثم تجاوز واجبل درن إلى
 بلاد حاحة والش - ما ظمعة ثم دخلوا بسطة عمدة وكان بأسفي رجل متصرا اسمه يحيى بن تافوت احتج
 بالبرتقال من أن السلطان وكان معروف بالاشجاعة واتصل خبره بطاغية البرتقال من قبل فولاها على النصاري
 وعلى أتباعه من المسلمين بالقبال والازحف الأشراف إلى بلاد عمدة كان بينهم وبين يحيى المذكور ونصاروا
 معركتان شديتان وكان الظهور فيه - ما يحيى لكن أبو العباس أحمد الأعرج تدارك أمره فور اوجع
 عسكر آخر وخطبهم ووعظهم ورحف إلى يحيى المذكور رفضه وفغن نصره إلى أن انجبر وأبأسفي
 وأغلقوه عليهم وأبج لا جد عليهم ما لم يتقدم لغيره فيهم فبذلك تأق له أن يتناول ملك المغرب ولما اتصل
 خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسي لم يجهه ذلك وظهور له أن ما كان أحمد وأخوه يحاولونه من أمر

الجهاد لم يكن ظاهره كماله وحقق له ذلك سقوله من تحصيل تارودانت مع ما كان لا يهيم من نفوذ الكلمة بالسوس وكان في هذا التاريخ مجرا كش وأعمالها عمل اسمه ناصر وشتوف وكان مستبدا على الوطاسي ويبدله شيئا فها يتقمبه ولما مر به هؤلاء الاشراف في أول أمرهم داعين الى الجهاد أحسن اليهم غاية ولما أوقفوا وقعة آسفي أبرمو أمرهم مع ناصر أبي شتوف وأظهروا له المحبة والولاية وطلبوا منه أن يظاهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا بدوا واحدة وجندا واحدا عليه فأسعفهم وقدموا مرا كش فدخلوا هامة ثانية وأحسن اليهم وبعد أيام خرجوا به للصيد فعموه في خبز صغير يسمى القريشات فذلك الحين وصف الاشراف مرا كش وأعمالها كان أهلها قد أحبوهم وشروهم اليهم ولما تم لهم امر درعة والسوس مرا كش تسمى أحد باسم الامير واستخلف أخاه محمد الشيخ ولما اتصل الخبر بالوطاسي وانهم استولوا على مرا كش أفتقه ذلك ومن مكر أحدائه بعث اليه يقول ما أنا الا واحد من عمالك وما كان يعطيه أهل هذه البلاد أيدله لك مضاعفا ومع ذلك لم يطمئن اليه ثم هلك الوطاسي وولى مكانه ابنه أبو العباس أحد وانقسمت إمالة المغرب فصارت فاس للوطاسي ومراكش وأعمالها لابي العباس الأعرج وتارودانت والسوس ودرعة لمحمد الشيخ وأما عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب البرتقال قرب آسفي ولما رأى أبو العباس الوطاسي استخفأ أمر الاشراف وانهم أسكروا عنه ما وعدوا بأداء له لانه عزم على حرمهم فجمع عسكرا عظيما وزحف الى مرا كش فحصره أحد الأعرج بها وقدم عليه أخوه قطاهر على عدوه وفي أثناء حصول الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بأن أهل فاس قد قاموا عليه وبادعوا بعض اخوته فرجع الى فاس وقبض على أخيه الشارعية ثم كتر الى مرا كش بعسكرا عظم من الأول وفي هذه المتردد زاليه الاشراف خارج البلد ثم تقدموا اليه فكان اللقاء على أبي عقبة من نادا ووقع بينهم حرب هائلة لان الوطاسيين كانوا يرون ان هذه الحرب هي الضيعة بينهم وبين عدوهم والاشراف كذلك وحضر هذا الحرب أبو عبد الله ابن الاجر سلطان الاندلس المخلوع وأبلى بلاء حسنا حتى قتل وكان الظهور للاشراف ورجع الوطاسي فلولوا الى فاس وترك محلة بما فيها من مدافع وغيره هابيه عدوه وبعد هذه الواقعة استولى الاشراف على تافيلالت ومكوا أكادير وآسفي وآزمور ولان البرتقال كانوا قد تغلوا عنها ثم عن قريب حدث بين الاخوين النفرة وحاولوا لرجال دولتهم ما الوفاق بينهم فلم يتفقوا كانت الكثرة على أحد وقترانه زيدان الذي كان عضد أبيه في الحروب الى تافيلالت فاستولى عليها واقطعها عن عمه محمد الشيخ ثم زحف الشيخ الى فاس فحاصرها الى ان قبض على الوطاسيين وغربهم الى درعة اه كلام منويل ثم رجع الى حياقة الخبر عن هذه الدولة حسبما عتد اليضري وغيره

في أخبار الامير أبي عبد الله القائم في الجهاد وما هب الله من النصر فيه

ما استتب أمر الامير أبي عبد الله القائم واجتمعت كلة القبائل السوسية عليه نذب الناس الى مقارعة البرتقال وجهاده ونفيعه من ثغور المغرب وبلادته وكانت معه ومثذجوع حافلة من المسلمين قدموا معه الى النصراري وناولوه من الحرب فاناح الله الامير أبي عبد الله الفتح والنصر ونثر أشلاء الكفار بمخالب النظر وأخرج حية النعمي من بحرهما وأعاد كلمة الاسلام الى مقررهما فلما رأى المسلمون ذلك تيمموا بطاعته ونفاهوا لباطارهم الجيرون وتقيته وزادهم ذلك محبة في جانبته وتعظيم اومكانته ولما فصل من جهاده عاد الى محله المذكور ومن تيدسي فوقع بينه وبين بعض رؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحالها عنها وعوده الى درعة فلم يزل مقيم بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرجع الى مكانه من تيدسي وأطمانت به دارها وأزال الله عنه ما كان أرجمه عنها والله غالب على أمره

﴿عقد الأمير أبي عبد الله القائم ولاية العهد لابنه أبي العباس الأعرج رحمه الله تعالى﴾

قد تقدم لنا ما كان من أمر الزوال التي رآها الأمير أبو عبد الله القائم في شأن ولديه وانما ما علكان المغرب
 ﴿وفي معنى ذلك أيضا﴾ ما عكى شأنه أن ولدى أبي عبد الله المذكور وعما أبو العباس الأعرج وأبو عبد الله
 الشيخ كما يقرآن في مكتب وعما صيان قد خذل ذلك فوثب على رأس كل منهما وصرخ فأول ذلك
 موتهم ما بانهم ما سيكون لهما شأن من أجل هذا ونحوه كان والد هما يعلى بن أمير المغرب صائر إليهما
 فلما قضى الله بيعة واجتماع الناس عليه والطمأنينة في البلاد السوسية الدار وطاب لهم المقام
 والقرار نذب الناس إلى بيعة أكبر ولديه وهو الأمير أبو العباس أحمد المعروف بالأعرج فبايعوه
 وكان ذلك مبدا ظهور أمره على ما ذكره ان شاء الله تعالى

﴿انتقال الأمير أبي عبد الله القائم إلى آفتال من بلاد حاة وقايم رحمه الله﴾

ثم ان أباعبد الله القائم وقد عليه أشياخ حاة والسيطرة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة وانه قد كوا
 اليه أمر البريقال بلادهم وشدة شوكة واستطاعته عليهم وطلبوا منه أن ينتقل اليهم هو وولده ولي
 العهد المذكور فأجابهم إلى ذلك ونهض معهم هو وابنه أبو العباس إلى الموضع المعروف بآفتال من بلاد
 حاة ترك ولده الأصغر أباعبد الله الشيخ السوس يرتب الأمور ويهدم المساكن ويباكر المدق بالقتل
 وبرأحه واستقر الأمير أبو عبد الله القائم بملكه من آفة ال مسموع الكلمة متبوع العقب إلى ان توفي به
 سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفن هنالك بزاوية الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي
 رضي الله عنه إلى ان نقل إلى مرا كش ينقل الشيخ المذكور على ما يأتي ان شاء الله

﴿والخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد الأعرج ابن الأمير أبي عبد الله القائم رحمه الله﴾

كانت ولادة السلطان أبي العباس الأعرج فيما حقه ابن القاضي سنة احدى وتسعين وثمانمائة
 وبويع ولاية العهد من أبيه سنة ثمان عشرة وتسعمائة كما مر ولما توفي أبوه في التاريخ المتقدم
 اجتمع الناس على بيعته من سائر الآفاق وآتوه طاعتهم عن رضائهم واصفاق فاستقام أمره وصرف
 عزمه إلى تهديم البلاد واقتداء الاجناد وتعبية الجيوش إلى النفور وشن الغارات على العدو في
 الاتصال والبالكور في أحواز تلمست وآسفي وغيرهما وكان التصاري قد خيموا بشاطئ البحر
 وعاتوا في تلك السواحل فأجلاهم عنها وطهرت تلك البقاع من رجسهم وأراح أهلها من شؤمهم ونصهم
 وفي ذلك يقول الفقيه مخلوف بن صالح مجده

فله هذا الحاشي وقضه ٥ فلولا له صال الكفر أعظم صولة

﴿دخول السلطان أبي العباس الأعرج مرا كش واستيلاؤه عليها﴾

لما كان من ايقاع السلطان أبي العباس نصارى السوس وانتصاره عليهم ما ذكرناه بعد صيته وانتصر
 في البلاد ذكره وأهرع الناس اليه من كل جانب ودخلت في طاعته سائر البلاد السوسية فعند ذلك
 كاتبه أمراء هنتاة ملوك مرا كش يخطبون أمره ويرمون الدخول في طاعته فاجاب داعيهم
 وانتقل إلى مرا كش فدخلها في حدود الثلاثين وتسعمائة واستولى عليها وكان من أمره ما ذكره

﴿ينقل الشيخ الجزولي رضي الله عنه من مدقته بآفتال إلى مرا كش والسبب في ذلك﴾

قد تقدم لنا في أخبار عمرو السيفي أنه كان في ابتداء أمره من أصحاب الشيخ الجزولي وهذا ما أتى في
 الشيخ المذكور جعل جنته في تابوت وصار يستنصر به في حروبهم مدة من عشرين سنة وأنحوها ثم دفن

الشيخ بعد ذلك بأفقال وتقدم لنا ان الامير ابا عبد الله القائم لما توفي دفنه ابنه أبو العباس بإزاء هذا الشيخ ثم لما ملك أبو العباس المذكور مرا كش نقل الشيخ الجزولي اليها ونقل آباءه معه دفنه بقره أيضا واختلف في سبب ذلك فقيل ان السلطان المذكور خاف أن يتور عليه أحد بتلك البلاد فيستخرج الشيخ من محله ويتصر عليه به ففعله إلى مرا كش ليأمن من ذلك وقيل ان الحامل له على نقله انه ذكره ان تحته كنز فتلعل للنفس عنه بان قصد نقله إلى الحضرة تبرك بعلو الله أعلم وكان ذلك كله في حدود الثلاثين وتسعمائة

في مجيئ السلطان أبي عبد الله الوطاسي إلى مرا كش وحصاره للسلطان الاعرج بهائم اقلعه عنها

لما استولى السلطان أبو العباس الاعرج على مرا كش وصغاله أمرها اتصل خبره بصاحب قاس أبي عبد الله الوطاسي المعروف بالبرقي فأقبل في جوع عديده مع وزيره ابن عمه المسعود ابن الناصر ويقال مع أخيه الناصر فلما رأى السلطان أبو العباس ما لا قبل له به تحصن بمراكش وحصن أسوارها بالزمام والمقاتلة وزحف الوطاسي إلى الحضرة فنصب الاتفاض عليها وإلى الرمي عليها أنما واشتد الأمر على الناس فكان من ذهلهم إلى الشيخ الغزواني ونزوحه إلى باب الخيس وقوله عند إصابة الرصاصه له انه احاطة حرمهم ما قد مناه في أخبار الوطاسيين مستوفى ثم كان اللقاء بعد ذلك بين الفريقين فغلبا يكون في نادلا وأعمالها على ما مر والله أعلم

في خبر آقبي والغزواني

رأيت في تواريخ الفرجان البرقي أن البرقي قال خرجوا من آقبي سنة ألف وتسعمائة وثلاثين مسيحية وهذا التاريخ موافقه من سني الهجرة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وهي وسط دولة السلطان أبي العباس وزعم هذا المؤرخ أنهم خرجوا منها من قبل أنفسهم وتقلوا جميع ما كان فيها من عدة وأثاث إلى الجديدة بعد ما خرجوها وأفسدوها وقودوا فيها الذر قال وبعثت اثني عشرة سنة وهي مخيرة إلى أن أصلها السلطان محمد الشيخ يعني السعدي الآقبي ذكره وفي التزهة ما يقرب من هذا فاقاله قال بعد ذلك رابع السلطان أبي العباس بنصارى السواحل مانصه ويقال ان التصاري لما رأوا ما فعل بمن كان منهم بالسوس من القتل والسبي أخلوا ثغرا زور ورويا ط آقبي وأصيه لامن غير قتال ثم نقل هذا الخبر في محل آخر عن ابن القاضي نسبو إلى أبي عبد الله الشيخ وسياق ذكره في محله وأظن ان الاخلاء كان متكررا والله أعلم وعلى كل حال فذكر أصيه لاهنا غير مناسب اذ هي بوئند في جهة الوطاسيين وتقومهم فبالنصاراها يخرجون فراراً منها خوفاً من السعديين وليسوا بمجاورين لهم ولا متوقعين هجومهم عليهم ثم كان بعد هذا بين أبي العباس السعدي وأبي العباس الوطاسي من الحرب والسلام ما تقدم بيانه كوقعة آغاي ووقعة أبي عقبة وغيرهما على الآقادة في أعادته

في حدوث الغزوة بين الاخوين السلطان أبي العباس الاعرج ووزيره أبي عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك

كان السلطان أبو العباس رحمه الله من الشهامة والصرامة واستفحال الامر بالمحل الذي وصفناه قبل وكان أخوه أبو عبد الله الشيخ أصغر سنه وكن تحت طاعته ووقع عند اشارته وكان السلطان أبو العباس يستشير في أمورهم ويغاضيه في مهماتهم ويستعين بجهته في الزحف والمعارك ويستضيء برأيه في الحوادث الخواك وكان الشيخ ناقد الذهن نافذا البصيرة مصيب الرأي حازماً متبهما فكانت كلمته ما وحده أمرها جميعاً إلى ان دخل الرشاة بينهما فافسدا قلوبهم وأفضى الحال إلى المصافاة والمقاتلة وانقسم الجيشين وانصرفت كل طائفة إلى متبوعها وصاحب أمرها وتقاتلا مدة وكانت

جل القبائل السوسية صاغية الى الشيخ لما كان نشأين أظهرهم وسبروه من نجابته وكفايته منذ تركه أبوه عندهم عند انتقاله الى آفقال حسبما مر فاستعمل أمره وغلظ على أخيه أبي العباس فقبض عليه واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة أهل السوس عليه ثم أودع أخاه وأولاده السجن ووسع عليهم في الجريات والنفقات وأصبح ملكاً مستقلاً بعد أن كان وزيراً وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة ووفي نشر الثاني أن قبض الشيخ على أخيه أبي العباس الأعرج كان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة والأول أصح ولم يزل السلطان أبو العباس وأولاده في حكم النفاق الى أن قتل يوم مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشرة سنة أو نحوها حسبما يأتي أن شاء الله وكانت دولته من يوم يبيع الى أن قبض عليه أخوه ثلاثاً وعشرين سنة وكان من عجايبه محمد بن علي الانكراطي الجلالى ومحمد بن أبي زيد المتزاري ومن كتبه سعيد بن علي الحامدي رجعهم الله

﴿أمر زيدان ابن السلطان أبي العباس وما كان منه﴾

﴿قال صاحب درة الجمال﴾ اختلاف الناس هل يبيع زيدان بن الأعرج بعد وفاة أبيه أم لا ﴿وقال شارح زهرة الشعر﴾ يبيع ﴿كان زيدان بن أبي العباس بسجلماسة ويبيع له بها فلم يتم أمره وبقي الى أن توفي سنة ستين وتسعمائة

﴿الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابن الأمير أبي عبد الله القائم بأمر الله﴾

كانت ولادة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ سنة ست وتسعين وثمانمائة ويلقب بالشيخ وبأبى غار وهو الشيخ بالبربرية ويلقب من الألقاب السلطانية بالمهدي لقبه به غير واحد من أئمة عصره ونشأ في عفاف وصيانة وعنى بالعلم في صغره وتلقى بأهله فآخذ عن جماعة من الشيوخ وبلغ فيه الى درجة الرسوخ

﴿فتح حصن فونتي وآسفي وأزمورو ما قبل في ذلك﴾

لما استقل السلطان أبو عبد الله الشيخ بأمر السوس واجتمعت كلمته عليه صرف عزمه الى جهاد العدو الذي بثغوره وحصره وأرهب حذقه لتطهيرها من بقايا شغبه وزبونه فانتصر عليهم واستأصل شأفتهم وقطع من تلك النواحي دارهم وحسم آفة بهم ﴿قال ابن القاضي﴾ كان الشيخ رجه الله ماضي العزقة قوى الشكيمة عظيم الهبة كثير الفوزان ذاهمة عالية وشهامة عالية فعد قواعد الملك وأسس مبادئه وأحيى مراسم الخلافة الدراسة وعلماها الطامسة وكان له بعد وبخت عظيم في الجهاد ويديضا في الاسلام فتح حصن النصارى بالسوس يعني حصن فونتي بعد أن أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة وكان منصوراً بارزاً حتى تركوا له آسفي وأزمورو وأميلا من غير قتال ولا إيجاف عليهم اه وفتحوه في تاريخ البرتغاليين زاد مؤرخهم أن ذلك كان اذن طاعنتهم صاحب أشبونة وقد تقدم نحو هذا في أخبار الأعرج والجواب عنه وكان فتح فونتي سنة سبع وأربعين وتسعمائة وكافي الزهرة وفتح آسفي سنة ثمان وأربعين بعد ما كافي المرأة وعند البرتغاليين أن ذلك كان سنة ألف وخمسمائة واثنين وأربعين مسجية وهو موافق لهذا التاريخ الهجري ووفي اللوحة لما أخلى النصارى أزمورو وتسارح اليها جماعة من الفقهاء منهم الشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس والشيخ أبو محمد عبد الله ابن سامي دفين تاسيفت قرب مراكش فقه دواهم البحر سونغا حتى يأتي مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع اليها العدو فآذابه قدر جمع واقفهم اعلمهم وأسروهم الى أن افتكهم المسلمون ﴿قال منويز﴾ كان فدواهما ألفي ريال ومائتي ريال بالتتنية فيهما ولما اقتدى الشيخ الكوش وعزم على الخروج وكان أسيراً عند امرأة نصرانية ناولته كتباً للمسلمين وطلت له هذه كتب كانت عندي ولا حاجة لي

بها فخذها اليك فأخذها وخرجهم في قفة على رأسه فكان من جعلها كتاب تنبيه الأنام للموضوع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور اهـ

في بناء حصن أكادير

وقال الشيخ أبو العباس ابن القاضي في كتابه المنتقى المقصود كانت لأمير السلطان أبي عبد الله الشيخ ما ترحسنة منها أنه أول من اختط مرسى أكادير بالسوس الأقصى سنة سبع وأربعين وتسعمائة لما أجلى النصارى من الموضوع المعروف بقوتى على مقربة من أكادير المذكور وكان له في اختطاطه رأى مصيب وفراسة تامة اهـ

في استيلاء السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ على مراكش وتجديد البيعة له

كان السلطان أبو عبد الله الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالامر قد أقام ببلاد السوسية منابر على جهاد العدو إلى أن قلع عروق فحصدته منها وكانت مراكش في هذه المدة قد توفقت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته انتفاء للوطاسيين وارتبأ في أمره إلى ما ذابول واستمر الحال إلى سنة إحدى وخمسين وتسعمائة فاتفقت له حيث شذوا بياحه أهلها فقدمها واستولى عليها وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المتخولع من قاذل إلى وداى قول والله غالب على أمره

في موضع السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ لحرب بني وطاس واستيلائه على مكاسة وما اتفق له في ذلك

لما استولى السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مراكش وصفت له أعمالها طحنت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأما حصاره وقطع جرومة الوطاسيين من سائر أقطاره فجمع الجوع وتقدمهم إلى أعمال فاس فبرزل يستغيثهم ببلد أمصرا مصر إلى أن أتى عليها أجمع وكان أول ما ملك منها مكاسة الزيتون فانه اقتطعها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار وقتل كبير

في حصار السلطان أبي عبد الله الشيخ حضرة فاس وه قتل الشيخ عبد الواحد الوائش رضى الله عنه

كان السلطان أبو عبد الله الشيخ قد ألح على فاس بالقتال وحاصرها حصارا طويلا ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك قبيل له لاسيل لك إليها ولا يبايعك أهلها إلا إذا بايعك ابن الوائش رضى الله عنه الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائش رضى الله عنه فبعث إليه السلطان المذكور رسا وعده ومناه فقال له الشيخ عبد الواحد ببيعة هذا السلطان يعني أبا العباس الوطاسي في وقتي ولا يعلنى خلفها إلا موجب شرعى وهو غير موجود وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب إلى أهل فاس يقول لهم انى أن دخلت فاسا صالحا ملائما عدلا وان دخلتها عنوة ملائما قتل لا فأجابه ابن الوائش رضى الله عنه ببيان أغلق له فيها ثم أقوله

كذبت ويبت الله ما تحسن الدل * ولا خصلك المولى فضل ولا أولى كذا في التزفة قلت في هذا البيت من أبيات قد عهذ الوائش رضى الله عنه ليعتزل به لا غير فقد ذكر العلامة ابن خلدون في أخبار بني صالح بن منصور وأخبرني أصحاب قلعة تكور لأول الفتح أن عبد الله المهدي العسدي صاحب إفريقية لما تقلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعو إلى أمره وكتب له في أسفل كتابه

فان نستقيموا أستمم لملاحكم * وان تعدلوا عني أرى فتدكم عدلا

وأعلاو بسيفي قاهر السيفكم * وأدخلها عندي وأملؤها قهلا

فأجابه سعيد بن صالح ببيان من نظم شاعره الطليلي منها

كذب وبيت الله ما تحسن العدل * ولا علم الرحمن من قولك الفصل
وما أنت إلا جاهل ومنافق * تمثل الجهال في السنة المتلى
وهمتا العليا بدين محمد * وقد جعل الرحمن همتك السفلى

فعل الشيخ كتب لاهل فاس باليتين الاولى والواشترى كان مطلعاً على القضية فأجابهم بما سماه
ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ جعد على الواشترى ودس الى جماعة من المتصوفة بان يأخذوه ويأتوا به
الى محبته محبوباً من غير قتل وكان الشيخ عبد الواحد يقرأ جميع البخاري بجامع القرويين بين العشاءين
وينقل عليه كلام ابن حجر في فتح الباري ويستوفيه لانه شرط المحبس فقال له انبه يا أبت في قد سمعت
أن المصوح أرادوا الفتك بك في هذه الليلة فلو تأخرت عن القراءة فقال له الشيخ: أين وقفنا البارحة
قال على كتاب القدر قال فكيف نتر من القدر اذا اذهب بنا الى المجلس فلما اقرق المجلس خرج الشيخ
عبد الواحد من باب الشعاعين أحداً بواب المسجد المذكور فثار به المصوح وأرادوا جله فاخذوا حدى
عضادى الباب فضرب أحدهم يده فقطعها وأجهز عليه الباقيون فقتلوه بباب المسجد المذكور في السابع
والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقال الشيخ التجوي في فهرسته: واشتهر عن القمي
الصالح أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المدعي وباي شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد في المنام بعد مقتله فسأله
عن حاله فأنشأ يقول

لقد عني رضوان ربى وفضله * ولم أر إلا الحيرة في وحشة القبر
وانى أسأل الآله بفضله * ليحفظني يوم الخروج الى الحنجر
وما به ذلك من أمور عسيرة * كنشر الكتاب والمرور على الجسر

استيلاء السلطان أبي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه على الوطاسيين وتغريمهم الى مرا كش

ثم إن السلطان أباعه الله الشيخ حتى حصار فاس وألح عليه بالقتال الى أن ملكها واحترق عليها وقال
في الدوحة: لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس جاءه الشيخ أبو الزوان المحبوب وقال له أشرت مني
فأجاب بحسب ما تدينه قال له السلطان ما أتزل الله به ذم سلطان هذائى ثم ثابته الشريعة فقال
والله لا دخلتها هذه السنة فقي أشهر والامر لا يزداد الا شدة فقال ابن السلطان وهو الامير أبو محمد
عبد القادر ابن الشيخ لايه يا أبت افضل ما قل لك الشيخ أبو الزوان فانه وجله بارك من أولياء الله تعالى
ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه فكله الامير عبد القادر فقال له ادفع المال فدفعه اليه فقال له
عند مقام السنة يقضى الله الحاجة وأمرى بامرهم فصعد ثم إن الشيخ: أبو الزوان فترق المال من يومه
ولم يمسك منه لنفسه حبة ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة فدخل
فاس كما قال اه وهو قال صاحب المتع والشيخ: أبو الزوان هو كان أحد الاسباب في عكس السلطان
المذكور ومن الملك وانراج بنى وطاس عنه فانه لما رأى اضطراب أمر الناس وهيجان انصارى على
السليمان جعل ينادى يا حرا حتى فاني قد أعطيتك الغرب وذلك قبل ظهور السعديين ولم يكن الناس
يدرون ما يقول حتى ظهر الحمران وهو أحد اولاد السلطان أبي عبد الله الشيخ وهو الذي كان يتقدم
للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتحه على يده وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست
وخمسين وتسعمائة ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعثهم مصفدين الى مرا كش عدا
أبا حسون منهم فنه قترالى الجزائر مستجيراً بتركها حسبما امره وقال اليفري في: لما دخل الشيخ حضرة
فاس دخلها وعليه وعلى أصحابه الدراعات المصفرة وسمعة الدواوة لاثمة عليهم فحملوا أنفسهم على التأديب
بآداب الحضرة والتحق بأخلاقهم معنى حتى رمخ فيهم ذلك والله أعلم

في موضع السلطان أبي عبد الله الشيخ إلى تلمسان واستيلاؤه عليها

قد قده نأما كان من امتيلاء حسن بن خير الدين التركي على تلمسان وانقراض دولة بني زيان منها سنة
اثنين وخمسين وتسعمائة فلما فتح أبو عبد الله الشيخ حضرة قاس في التاريخ المتقدم تأقت نفسه إلى
الاستيلاء على المغرب الاوسط وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم أجانب من هذا الاقليم ودخلوا
فيه فيقبح باهله وملكه أن يتركوهم بقلوب على بلادهم لاسيما وقد قر اليهم عدو من أعدائه وعيى
من أعيان أقاته وهو أبو حسون الوطاسي فرأى الشيخ من الرأي واظهار القوة في الحرب أن يبدهم
قبل أن يبده قهض من قاس فاصد التلمسان في جوعه إلى أن نزل عليها وحاصرها تسعة أشهر وقتل
في محاصرتها ولده الحمران وكان نابيا من أنيابه وسيفاً من سيوفه ثم استولى الشيخ على تلمسان ودخلها
يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ونفي الترك عنها وانتشر
حكمه في أعمالها إلى وادي شلف واتسعت خطه بملكته بالمغرب ودانت له البلاد ثم كرت عليه الأتراك
وأخرجوه من تلمسان فعاد إلى مقره من قاس ثم عاود غزو تلمسان حينئذ به قيام رعاياها على الترك
وانحصار الترك بقصبتها فاقام مرابطاً عليها أياماً فامتعت عليه وأهـ عن حصارها ولم يعاود غزوها بعد ذلك
ونخلص أمرها إلى الترك على ما ذكره

في امتحان السلطان أبي عبد الله الشيخ أبواب الزوايا والمنتصبيين والسبب في ذلك

لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أمر السلطان أبو عبد الله الشيخ بامتحان أبواب الزوايا
والمنتصبين للمشيفة خوفاً على ما كان منهم لما كان العامة فيهم من الاعتقاد والمحببة والوقوف عند
اشاراتهم والتعبد بما يتأولونه من عباراتهم ألا ترى أن بيعة ولده أبي عبد الله انما لم تنفذ الا بهم ولا ولى
بيت الملك الا من يلبهم فامتنع جماعة منهم كالشيخ أبي محمد الكوش فأخلى زوايته برا كش وأمر برحيله
إلى قاس وفي الدوحة لما امتحن السلطان أبو عبد الله الشيخ زوايا المغرب قبل لاني على الحسن بن عيسى
المصباحي دفين الداعد التي على وادي مضي من عمل القصر الأتخشي من هذا السلطان فقال
انما الخشية من الله ومع هذا فالله والقبلة لا يقدر أحد على زعمه ما والباقي متروك لمن طلبه وكان
السلطان المذكور يطلب أبواب الزوايا ودائع أمر لبني مرين ويتهمهم بها وبعث خديجه يوم إلى الشيخ
أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشتري دفين مكاسبه يطالبه بشئ من ذلك فوجدته جالساً بحاجة زوايته
دفعه فزاله واداباً طارعه للطلاق سلخ أمامه فارتفع أبو عثمان بصرة حتى سقط الطائر ميتاً متطائر
الرئيس فلما رأى الخديم ذلك قرع وولى هارباً قاله في المتع والله تعالى أعلم

في وفاة الامام أبي عبد الله الغروي من جانب دولة الترك في شأن قدم البلاد وتوحيدها

لما كان من السلطان أبي عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو
تلك البلاد عينت دولة الترك من جانبها الفقيه الصالح أبا عبد الله محمد بن علي الغروي الطرابلسي تزيل
الجزائر ودقيها للوفادة على السلطان المذكور في شأن عقد المهادنة وتوحيد البلاد فقدم عليه الفقيه
المذكور وهو عرا كش سنة إحدى وستين وتسعمائة في هذا الغرض فأكرم السلطان أبو عبد الله
وفادته لانهم لا تظهر غرة تقدمه وفي المرأة أن أبا عبد الله الغروي قدم المغرب الأقصى مرتين في سبيل
السفارة بين ملوك المغرب الاوسط والمغرب الأقصى فأخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى وأخذ هو
عن الشيخ زروق رحمه الله وفي قدمه الغروي هذه إلى مرا كش أنكز على الشيخ أبي عمر والقسطلي
دفين وباض العروس من مرا كش خلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم وقال انه بدعة

فما رواه أن الشيخ الجزولي كان يفسه له فقال لهم اعد له باذن والاذن له لا يعمكم فإن الاذن للنبي يوم أتباعه والاذن للولي لا يعم أتباعه وأنكر عليه مسائل كثيرة وبعت اليسوسة أقدع فيها وقد وقت عليها رحم الله الجميع عنه وتوفي الخروبي هذ سنة ثلاث وستين وتسعمائة ودفن خارج الجزائر وواله أعلم

﴿وقدوم أبي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على فاس وفيه الشيخ عنها﴾

قد قدمنا ما كان من استيلاء السلطان أبي عبد الله الشيخ على فاس سنة ست وخسين وتسعمائة وقبضه على بني وطاس وفرار أبي حسون إلى الجزائر فلم يزل أبو حسون عند تركها إلى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركاني فاستولى على فاس ثالث صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة ونفى أباعبد الله الشيخ عنها حسبما مر الخبر عنه مستوفى

﴿وعود السلطان أبي عبد الله الشيخ إلى فاس واستيلاؤه عليها﴾

لما قرأ السلطان أبو عبد الله الشيخ من وقعة الترك بفاس ووصل إلى مراکش صرف عزمه لقتال أبي حسون فاستنفر قبائل السوس وجمع الجوع وزحف إلى فاس فدارت بينه وبين سلطانهم أبي حسون حرب شديدة كان في آخرها الظفر للشيخ يقتل أباحسون واستولى على فاس وصفا له أمر المغرب وقد تقدمت هذه الاخبار مستوفاة في محلها وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وتسعمائة ﴿وفي الدوحة﴾ أن دخول أبي حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمائة وعود السلطان الشيخ إليها واستيلاؤه عليها كان في ذي القعدة سنة ستين أيضا والله تعالى أعلم

﴿ومقتل الفقيهين أبي محمد الزقاق وأبي علي حوز وزوال سبب في ذلك﴾

لما استولى السلطان أبو عبد الله الشيخ على فاس في هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضي الجماعة بفاس أبي محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق لأنه أتته به بائيل إلى أبي حسون وهو يحكي أنه لما مثل بين يديه قال له اختر بأى شيء تموت فقال له الفقيه اختر أنت لنفسك فان المرء مقتول بما قبل به فقال لهم السلطان اقطعوا رأسه بشافور فكان من حكمة الله وعده في خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضا كما سبأت ﴿وفي كتاب خلاصة الآثار﴾ أن الشيخ الزقاق كان يقول من قتل سوسيا كان كمن قتل مجوسيا فلما قبض عليه الشيخ قال له أنت زق الضلال فقال له لا والله بل أنا زق العلم والهداية ثم قتله وأمر أيضا بقتل خطيب مكاة الزيتون الشيخ أبي علي حوز والمكاسي لكلام بلغه عنه وأنه كان يذكره في خطبه ويحذر الناس من أتباعه والانتقاد اليه ويقول في خطبته جاءكم أهل السوس الاقصى البعاد ثم يذكر الشيخ ويقول وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولينس المهاد في كلام غير هذا وكان مقتل الفقيهين المذكورين في ذي القعدة سنة إحدى وستين وتسعمائة

﴿وترتيب السلطان أبي عبد الله الشيخ أمره واته وما قيل في ذلك﴾

قال اليفرنى كان السلطان أبو عبد الله الشيخ مولعا بتدبير أمر الرعية مستيقظا في أمره جازما غير متوقف في سفك الدماء قال ويحك أنه لما دخل فاس دخلها وعليه على أصحابه سمة البسوة فملأوا أنفسهم على التأديب بأدب أهل الحضارة والتخلق باخلاصهم وذكر أن ملك السعديين اغتاتان علي بدو رجل وامرأة فاما الرجل فقامم الزرهوني فامر بترتيب السلطان أبي عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم

وخروجه واداب اصحابهم وكيفية مشولهم بين أيديهم وأما المرأة فالعريفة بنت نجو افانم اعلمته سيرة الملول
في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس وعاداتهم مع النساء وغير ذلك فأكسى ذلك الشيخ بذلك طلاوا
وارداد في عيون العامة ونقاو حلاوة بسبب جرئانه على العوائد الحضرية لان أهل البادية مستردلون
في عيون أهل الحضارة قالوا ولم يزل السلطان أبو عبد الله الشيخ يدور على مدن المغرب وأمصاره ويبطل
الاقامة بغاس فقال في المنتهى وهو من ماثره أنه بنى جسر وادى سيمو وجسر وادى أم الربيع وتقدم
بناؤه حسن أكادير والله تعالى أعلم

وضع الوظيف المسمى في اسان العامة بالنائبة

قد تقدم لنا في صدر هذا الكتاب اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا وغير ذلك
وعلى القول بانها افتتحت عنوة ففي خراجية كما هو مقرر في كتب الفقه وتقدم لنا أيضا أن أول من وظف
الخراج على أرض المغرب عبد المؤمن بن علي وتبعه بنوه على ذلك وقتلهم بنو مرين وفي الظاهر الذي
كتبه السلطان أبو زيد المريني لابن الخطيب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك ولما جاء السعديون
من بعدهم سلكوا هذا السبيل أيضا وقول اليفرقي أن أبا عبد الله الشيخ أول من أحدث النائبة بالمغرب
يحمل على أنه أول من أحدثها على الوجه الآخر لا سيما أنه لما صفا السلطان أبي عبد الله الشيخ أمر
المغرب واستأصل جرثومة بني وطاس منه التفت إلى ترتيب ملكه وتهدب أعطاه وتأسيس أمور
دولته كما قلنا من ذلك أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة السبعة في لسان العامة بالنائبة ولم ينزه عنها
شريا ولا مشروفا حتى أرباب الزوايا والمنتسبين ومنهم أولاد الشيخ أبي البقاء خالد المسمودي مع ما كان
لا يسمهم من الشهرة بالولاية والصيت في بلاده وكان قدر هذه النائبة مخففة من السبعين وعشرين مدا
من القمح لكل نائبة وصالحا من السمن وكبش والكل أربع فواثب وكانت تفرض في زمان أبا شيخ على
الكويتين وتوظف على حسب السكان وتُدفع باعياها وجرى على ذلك ولده الفاضل بالله وأخوه المعتمد
ولما جاء النصارى من بعدهم قوم تلك الاعيان بسعر الوقت وصارت تدفع دواهم ثم أزداد ذلك إلى أن خرج
الامر عن القياس واتسع الخرق على الراقع والله لا ينظم متقال ذرة

مرحلة السلطان سليمان المسمى في السلطان أبي عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك

قد قدعنا ما كان من غص السلطان أبي عبد الله الشيخ بكان الترك من تلسان والمغرب الاوسط وانه غزاهم
مرتين وقدم الامام أبو عبد الله الخروفي ساعيا في الهدنة فلم يرجع بطائل وكان السلطان الشيخ يقول
فيما زعموا ابنتي ان أغزو مصر وأخرج الترك من أبحارها وكان يطلق لسانه في السلطان سليمان العثماني
ويسميه بسلطان الحقانة يعني لان الترك كانوا أصحاب أساطيل وسفري البحر فأنهى ذلك إلى السلطان
سليمان فبعث اليه رسالة فمذا سبب المراسلة على ما في النزهة وأشبهه منه بالصواب ما حكاها بعضهم
قال لما بلغ خبر انقراض الدولة الوطاسية إلى السلطان سليمان العثماني واستيلاء السعديين على ملك
المغرب ادعى كذب إلى الشيخ بن شهاب المالك وبلغت منه الدعاء على منابر المغرب وبعث اليه بذلك
رسولا في البحر فتهنى إلى الجزائر ومنها تقدم إلى مراکش في البر ولما وصل إلى السلطان أبي عبد الله
الشيخ أمره على كبراء ترك في محنته صالحا إلى المعروف بالكاهية وكان هؤلاء الترك قد أخذوا إلى
الشيخ من بقايا القادمين مع في حصون ضمهم اليه وجعلهم جندا على حدودهم الكسارية باليه
ثم الخلاف ثم النسيب وهو وفقا تركه معناه العسكر الجديد ولما قرأ السلطان أبو عبد الله الشيخ كتاب
السلطان سليمان ووجد فيه أنه يدعوه على منابر المغرب ويكتب اسمه على سكتة كان كان بنو وطاس حيا

وأبرق وأرعدوا حضر الرسول وأزعجه فطلب منه الجواب فقال لا جواب لك عندي حتى أكون بحضر
إن شاء الله وحينئذ كتب لسلطان القوارب فخرج الرسول من عنده مدعواً يابست وراه إلى أن وصل
إلى سلطانه وكان من أمره ما ذكره

وقد روم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني ولغته لهم السلطان أبي عبد الله الشيخ رحمه الله

لما خرج رسول السلطان سليمان العثماني من عند السلطان أبي عبد الله الشيخ ووصل إلى الجزائر وركب
البحر إلى القسطنطينية فأنهى إليه أو اجتمع بالوزير المعروف عندهم بالصدر الأعظم وأخبره بما لقي
من سلطان المغرب فأنهى الوزير بذلك إلى السلطان سليمان فأمره أن يهيئ العمارة والعساكر لغزو
المغرب فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها أو اتفق رأيهم على أن عينوا انني عشر رجلاً من قساك الترك
وبذلوا لهم اثني عشر ألف دينار وكتبوا لهم كتاباً إلى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ووعده بالمال
والنصب إن هو نصح في اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه وهو في التزهة أن صالحاً هذا
كان من ترك الجزائر ما في جملة الطائفة الموجهين لاغتيل الشيخ والله أعلم ثم دخل الوزير على السلطان
سليمان واعتذر إليه عن توجيه العمارة وقال هذا أمر سهل لا يحتاج فيه إلى تقويم عمارة وهذا المغربي
الذي أساء الأدب على السلطان يأتي رأسه إلى بين يديك فاستصوب رأيهم وشكر سعيهم وأمر بتوجيه
الجماعة المعينة في البحر إلى الجزائر ومنهايتوجهون إلى مراکش في البر ففعلوا وما وصلوا إلى الجزائر
هيوأسياباً واشتروا باغلاً وساروا إلى فاس في هيئة التجار فباعوا لهم أسباجهم وتوجهوا إلى مراکش ولما
اجتمعوا إلى صالح الكاهية أترأهم عنده ودير الحيلة في أمرهم إلى أن توجهت له وهو في التزهة أن هؤلاء
الأتراك خرجوا من الجزائر إلى مراکش فظهرين أنهم قروا من سلطانهم وغربوا في خدمة الشيخ
والاستيثار به ثم إن صالحاً الكاهية دخل على السلطان أبي عبد الله الشيخ وقال يا مولاي إن جماعة من
أعيان جند الجزائر سعيوا بجمعنا عندك ومنزلتنا منكم فربغوا في جوارك والتشريف بخدمتك وليس
فوقهم من جند الجزائر أحد وهم إن شاء الله السبب في غلبتك فأمره بما دخلهم عليه ولما مثلوا بين يديه
رأى وجوهها حساناً وأجساماً عظيماً فأكبرهم ثم ترجم له صالح كلامهم فافزع في قالب المحبة والنصح
والاجتهاد في الطاعة والخدمة حتى خيل إلى الشيخ أنه قد حصل على ذلك الجزائر فأمره باكرامهم وإن
يعطيهم الخيل والسلاح ويكوفايدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل فكافوايدخلون عليه كل صباح
لتقيل يده على عادة الترك في ذلك وصار الشيخ يبعثهم إلى أشياخ السوس مناوئة في الأمور المهمة
ليتبصر في البلاد ويعرفوا الناس وكان يوصي الأشياء باكرامهم فقدم عليهم منهم واستمر الحال إلى
أن أمكنتهم فيه الفرصة وهو في بعض حر كانه يجبل درن موضع يقال له آكل كال بظاهر تارودانت
فولجوا عليه خباءه لئلا على حين غفلة من العسس ففرضوا عنقه بشاقو وضربة أبا تارودان رأسه واحتملوه
في مخلاة مثله انتحاله ومخلواضوا به أحشاء الطلمات وسلكو طريق دعة ومجلماسة كأنهم أرسلوا
تلسن ثلاثاً يقطن بهم أحد من أهل تلك البلاد ثم أدر كوا بعض الطريق فقاتلت طائفة منهم حتى
قتلوا ونجا الباقون بالأس وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتي مراکش أبو الحسن علي بن أبي بكر
السكافي والكاتب أبو عمران الوجاني ولما شاع الخبر بان الترك قتلوا السلطان وأحتراب الناس بجميع
من بقي منهم بالمغرب أغلق أخوانهم الذين كانوا ياتوا ودانت أوامهم واقتسموا الأموال واستعدوا الحصار
ولما بوع ابنه الغالب بالله وقدم من فاس نفض في العساكر إلى تارودانت لئلا خذ بتاراييه من الترك
الذين هم أخاصرهم معه ولما يقدر منهم على شيء عمل الحيلة بأن أظهر الرحلة عنهم وأشاع أنه راجع إلى
فاس لئلا ترقامها ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا في اتباعه لئلا العيون موضوعة عليهم بكل جهة إلى

أن شارقو حملة السلطان العالمة بالله تعطف عليهم ولما لم يحكمهم الرجوع إلى تارودانت تحيزوا إلى الجبل وبنوا به قلاعهم وجعلوا عليها التارونات من الأجر وتحصنوا بها وأحاطت بهم العساكر من كل جهة فقاتلوا إلى أن قتلوا آخرهم ولم يبق منهم أسير وقتلوا من حملة العالمة بالله ألفا ومائتين وأما الذين نجوا بالارأس فأتوا إلى الجزائر وركبوا البحر مناه إلى القسطنطينية فأوصلوا الرأس إلى الصدر الأعظم وأدخله على السلطان سليمان فأمر به أن يجعل في شبكة نحاس ويلقى على باب القلعة فسقى هنالك إلى أن شفع في إزالته ودفنوه بانه عبد الملك المعظم وأجد المصور حين قدما القسطنطينية على السلطان سليمان بن سليمان مستعدين له على ابن أخيهما الملوخ كإباني وكان مقتل الشيخ رحمه الله يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وستين وتسعمائة ولما بلغ خبر مقتله إلى خليفته جبرائيل القائد أبي الحسن علي بن أبي بكر أرتكأ يادر يقتل أبي العباس الأعرج المخلوع وأولاده ذكورا وإنا كبارا وصغارا خشية أن يخرجهم أهل مراکش فيأبوه ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دقهم فبقوا مصرعين حتى دقهم الشيخ أبو عمر واتفق على الولي الشهير بقرية من ضريح الشيخ الجزولي وهي القبة التي قرب الضريح المذكور تسمى قبور الأشراف وأما السلطان أبو عبد الله الشيخ فأنتم حملوا جثته إلى مراکش فدققت بها في جامع المنصور بروضة السعديين وقبره شهير بها إلى الآن وعمما نقش على رخامة قبره هذه الآيات

حتى تضرب أقدامه مدثر حبات * وظلال لحده منه انغماسات
واستنشق نعمة التقدريس منه فقد * هبت من الخلد من اناسمات
بحر به كورت شمس الهدى فكست * من أجلها السبعة الارضين ظلمات
يامهجة غالها غول الردي قنصا * وأنبئت سمومها فيها النيات
دكت موتك أطواد العلى صفا * وانفج من بهدك السبع السموات
وشيعت نمشك المزجى إلى عدن * من الملائك الحنان وأصوات
بارجة الله عليه لاف رضا * تدور منها عليه الدهر كاحات
ففى فوافق فى التاريخ منه حلى * دار امام الهدى المولى جنات

﴿بقية أخبار السلطان أبي عبد الله الشيخ وسيرته﴾

كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ يلقب من الألقاب السلطانية بالمهدى ونشأ فى عناف وصيانة وعنى بالعلم فى صغره وعلق بأهله فأخذ عن جماعة من الشيوخ وبلغ فيه درجة الروسخ حتى كان يخالف القضاة فى الأحكام ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه وقع ذلك منه مرارا وله حواش على التفسير وذلك ما يدل على غزارة علمه ﴿وتال فى المتن﴾ كان السلطان أبو عبد الله الشيخ رحمه الله أديبا متفتنا حافظا حدثى شيخنا أبو راشد أنه كان يجمع المجالسة والمذاكرة فى الشبهة عظيم الهبة ما رأيت بعد شيخى أبي الحسن علي بن هرون أحفظ منه لأقطعات الشعر وكثير ما ينشد

الناس كانوا ساءا أيام واحدة * والذهر كالدهر والدينان قلبا

وكان حافظ القرآن فهما جذا حافظا للصحح الجزلى ويستحضر ما للناس عليه ويقول فى نرح ابن حجر ما صنفت فى الإسلام مثله عارفا بالتفسير وغيره وكان يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب وكان يحض على المشاورة ويقول لا يما فى حق الملوك وينشد قول المتنبي

ومن جهات نفسه قدره * رأى غيره منه ما لارى

(وكان يقول) ينبغي للأك أن يكون طويل الأمل فان طول الأمل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه

صالح لان الرعية تصح بطول أمه (وكان يقول) من طول أمه أخذ تلسان وسبته وغيرهما انتهى وقوله أنه كان يحفظ ديوان المتنبي سببه ما ذكره في الدوحة قال أخبرني الوزير المعظم أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي محمد عبد القادر بن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف قال لما غدرت قبيلة المتاجرة بجدي السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ أبا محمد عبد الله بن عمر بذلك فكتب إليه يقول أين أنت من قول أبي الطيب المتنبي

غاض الوفاء فانتقله في عدة • وأعوز الصدق في الأخبار والقسم

قال فكشف السلطان المذكور على ديوان المتنبي حتى حفظه كله ولم يفرغ عنه بيت واحد اه وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور وهو أبو محمد عبد الله بن عمر المصغري الفقيه الغرضي الحاسب فقيه درعة وعالمها وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ولما عاد إلى درعة سأل فقهاءها كيف وجدت أهل السوس فقال وجدت فقهاءهم على ضعف الفتاوى وقراءهم على عظم الدعاوى وعامتهم على كثير المساوى ومن أشياخ السلطان المذكور الامام الشهير شيخ الجامعة بالصنع السوسي أبو الحسن علي بن عثمان التاملي ذكره في المنتقى وأثنى عليه ومن أشياخه علامة فاضل ومحققها أبو عبد الله محمد بن أحمد اليستي أخذ عنه علومها التفسير قال النجور وكنت أنا فارقته بين يدي أمير المؤمنين أبي عبد الله الشيخ المذكور وكان شديد المحبة له قال ولما توفي الفقيه المذكور ذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التي توفي بها الخضر السلطان وفاته وجدناه يقرأ ورد بمصمم المربني فخرج السلطان اليشا هو بيكي بصوت عال يفرغ من سمعه حتى رأينا منه العجب وما سكنا إلا بعد مدة لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم وحضر جنازته وكانت وفاته رحمه الله سنة تسع وخمسين وتسعمائة وللسلطان المذكور عدة أشياخ غير هؤلاء ومن وزرائه الرئيس أبو الحسن علي بن أبي بكر أصناك الحامشي وأبو عمران موسى بن أبي جدي العمري وغيرهم ومن قضاياه فاضل أبو الحسن علي بن أحمد النخاسي وعمر أكش أبو الحسن علي بن أبي بكر السكاني ورحم الله الجميع وكان للسلطان أبي عبد الله الشيخ عدة أولاد نجيلة ومن اتبعهم أبو عبد الله محمد المعروف بالحران القليل على تلسان ومنهم أبو محمد عبد الله الغالب بالله وأبو مروان عبد الملك الغازي وأبو العباس أحمد المصور وهؤلاء الثلاثة ولوا الامير بديهيهم ومنهم الوزير أبو محمد عبد القادر وتوفي في حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمائة وهو في نهر الثاني في أنه قتل مخنوقا بأمر أخيه عبد الله الغالب بالله سنة خمس ومبشرين وتسعمائة فانه أعلم ومنهم عثمان وعبد المؤمن وعمر وغيرهم قال النجور في فهرسته حضرت يوما مجلس أمير المؤمنين أبي عبد الله الشيخ وقد حضر عنده أولاده الصناديد الامراء المولى محمد الحران والمولى عبد القادر والمولى عبد الله فدخل شيخنا الامام أبو عبد الله اليستي فلما نظر اليهم حول أبيهم أنشد بيت تلميح المفتح

فقلت عسى أن تبصر بني كائنا • بني حوالى الاسود والحوارد

فانجب ذلك السلطان وأولاده رحمه الله عليهم

في الخبر عن دولة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله في

كانت ولادة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله كآيته مر قوما على الرخامة التي على قبره في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وكان رحمه الله أعجم العيين مستدرا الوجه عريضة أسبل الخدين مشرف الوجنتين ربة لاقصر ونشاق عفاي وصيانة وحفظ القرآن وأخذ بطرف صالح من العلم وكان ولي عهد أبيه وكان يلقب من الالقاب السلطانية بالغالب بالله لقبه به غير واحد من ائمه ولما وقته الانبياء بمقتل أبيه وهو بفارس بأبيه أهلها ولم يتخلف عن بيعته منهم أحد في ذكر صاحب زهرة الشماريخ في

أن الفقيه الميقاتي المعتدل بنظر القرويين أباعبد الله الزوار وكان بصيرا بعلوم الأحكام والحدوثان ينهأه
ذات ليلة قرب الطالع والتارب وقد ألهار الليل واسود ديجوره رأى طالع السلطان الشيخ قد سقط وكانت
بينه وبين أبيه أبي محمد عبد الله وصلة فأسرع في الذهاب إليه ليخبره بما رأى فلما بلغ باب فاس الجديد
وجده مغلقا فاستأذن الموكلان به في فتحه فأبوا فقال لهم اني جئت الى الخليفة يعني خليفة السلطان في
أمر مهم عنده وان لم تملوه بمكاني الساعة لحقكم منه غدا ما تكرر هون فانذر والخليفة المذكور به فحمل
إليه وسأله عن قضيته فأخبره بما رأى ونهى إليه أباه فلم يكذب في ذلك وتنبأ واستعظم غنى الأيام فلائيل
حتى واقته الانبياء فقتل أبيه في تلك الساعة التي قال له المعدل المذكور فصادفه الحال على أهبة واستعداد
ولما بلغ أهل مرا كش مبايعة أهل فاس له واقفوا عليها فاستوسق له الأمر وعهد له ملك أبيه وكان ذلك
كله في المحرم سنة خمس وستين وتسعمائة

في مجيئ حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه منهزماعنه

في قال ابن القاضي في المولى السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الخلافة اشتغل بتأسيس ما بيده وتحسينه
بأله ودوا العدة ولم تطمح نفسه الى الزيادة على ما ملك أبوه من قبله في سنة خمس وستين وتسعمائة في
جاء في الاولى منها غزاه حسن بن خير الدين باشا التركي صاحب تلسان في جيش كثيف من الانراك
فخرج اليه السلطان الغالب بالله فالتقي بمقرية من وادي اللين من عمالة فاس فكانت الدبرة على حسن
فرجع منهزم ما يطلب صياحي الجبال الى أن بلغ الى باديس وكانت يومئذ تترك ورجع الغالب بالله الى
فاس لكنه لم يدعها لولائه كان بهاءة ثم ولما رجع من حركته هذه أمر بقتل أخيه عثمان لا مفرقه عليه
فقتل في السنة المذكورة والله تعالى أعلم

في بناء جامع المومنين بخصرة مرا كش والبركة المتصلة به والمارستان وغير ذلك

في قال اليفري في وفي عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الاشراف بمجموعة المومنين
من مرا كش والسقاية المتصلة به التي عليها مدرار المدينة المذكورة والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف
عليه أوقافا عظيمة في وفات في وهذا المارستان هو الذي بمجموعة الطالعة قرب السجن وقد اتخذ اليوم مصبنا
للنساء قال وهذا السلطان هو الذي جدد أيضا بناء المدرسة التي بجوار جامع ابن يوسف التوفى وليس هو
الذي أنشأها كما يتعده كثير من الناس بل الذي أنشأها وألها السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله
حسبما ذكره ابن بطوطة في رحلته وشاع على الالسة أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة
الكيمياء وأن الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى السملالي علمه اياها حين تلذذ له كياسا في قال اليفري وهو
كذب فان المنقول عن الشيخ المذكور انكارها وما كان ليخرج على مسلم بأيا عظيما من أبواب الفتنة وسيدا
بليغامن أسباب المحنة لان هذه الحرفة من أعظم أبواب الفتن وقد أجمع أبواب البصائر على التحذير من
تعاطيها الوجوه ثلاثة أولها انها من المستحيلات كما ذكره ابن سينا مستدلا عليه بقوله تعالى لا تبدل
خلق الله وكانه ليس في قدرة الخلق أن يحول القرد انسانا والذئب غزالا كذلك ليس في قدرته أن يصير
الراسخ فضة والنحاس ذهبيا يعني لان ذلك من باب قلب الحقائق وهو محال ولقد تنظر رجلان فيها
فقال مجوزها أنت صكر ما تشاهده في الصبح وتصير الجسد الاجر أصفر والابيض أسود فقال ما نهها
لا أنك ذلك لان الصبغ ليس تغيير أصل وإنما تكرار ثوب الصوف الابيض ترده صناعة الصبغ
قطنا أو حبرا أجرد أو أخضر وأما الصبغ فلا شك ان النحاس يصير ابيض ولا يخرج عنه ذلك عن أصله ولا
يسلب عنه اسم النحاس بل يقال فيه نحاس ابيض كالاي سلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف ثانيا سلبنا
أنها اجازة الوجود لكها معلومة في الخارج كما ذهب اليه أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله اذ قال ثلاث

متفق على وجودها في الغالب وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغارب الكيمياء والنفقاه والنفول وأخبارها كلها على وجه السماع والاسناد وحكاياتها كل موضوعات عن الجمادات والجمادات ثالثها سلمنا أنها موجودة في الخارج لكنه يحرم تناولها والبيع والشراء به وقد سلم في عنها الشيخ أبو اسحق التونسي رحمه الله تعالى أنه لا حلال له إذا كانت خالصة فقال لودبر النحاس أو غيره من الاجساد حتى صار ذهباً خالصاً لا شئ فيه حتى لم يبق باثمه لم يتبعه هذا كان نحاساً أو جسد من الاجساد قدرته حتى صار ذهباً كما ترى. كان غاشماً دلساً قال ومتى ذكره لم يشتر أحد منه ذلك بفلس ويقول فكانا دبرته حتى صار ذهباً فكذلك يدبره غيرك حتى يرجع الى أصله فن لم يبين فيها فهو داخل في قوله عليه الصلاة والسلام من غشنا قليس منافعنا تكون صناعتنا حراماً وقيل لبعض الفضلاء لم تتعل هذه الصناعة فانها تسلي خاطر فقال قبل الحمار لم يجتز فقال أكره مضغ الباطل وأنشد

قلت لاحبابي هي الشمس ضوءها * قرب ولكن في تناولها بعد

أه ما نقله اليعفرى لمخلصا من هذا وهو الحق الذي لا عوج فيه ولا أمت ثم قال وبالجمل في شاع عن السلطان الغالب بالله من ذلك لأصله وأما ذلك أهل الورع يجتنبون الصلاة في جامع الاشراف بعد ما بنى مدة ويقال أن موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله تعالى أعلم

في فتح مدينة شفشاون وانقراض أمر بني راشد منها

تقدم أن مدينة شفشاون حرسها الله بنوها بنو راشد من شرفاء العلم وكانوا أهل جهاد وهم ابطة على العدو يبلاد غمارة والمهبط ولما توفي مختطها الامير أبو الحسن علي بن موسى بن راشد بقيت يده اولاده يتولون رياستها (قال في المرأة) ولم ير الوافيهين سلم وحرب الى أن حاصرهم بها الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر ابن السلطان محمد الشيخ السعدي بجيش من السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله وصاحب شفشاون برمئذ الامير الفاضل أبو عبد الله محمد ابن الامير أبي الحسن بن موسى بن راشد فلما اشتد عليه الحصار خرج فيمن اليه من أهله وولده وقرابته وصعدوا الجبل المطل على شفشاون في مسلح وعرض حجة تم فيه السلامة وذلك ليلة الجمعة الثاني من صفر سنة تسع وستين وتسعمائة وساروا الى رغة فركبوا منها البصريوم الجمعة تاسع الشهر المذكور واستقر الامير أبو عبد الله بالمدينة المنورة الى أن مات بهار حه الله

في حصار البرجة المسماة اليوم بالجديدة

قد قدما ما كان من بناء البرتغال لمدينة الجديدة وتحصينهم لها بما فيه كفاية وكانت غارات المسلمين المجاورين لهم لا تنقطع عنهم وكذلك هم سائر مقامهم بها ولما كانت سنة تسع وستين وتسعمائة جهز اليها السلطان الغالب بالله جيشاً كثيراً واستغفر لها قبائل الحوز وعقد عليهم لابنه محمد المعروف بالمسلوخ قتل وادى الخازن وكان يومئذ ابن عشر من صفته على ما قيل واستوزره القائد المجاهد الشاعر الفاضل أبا زيد عبد الرحمن بن تودة العمرواني وجعل اليه أمر الحرب وابن السلطان صورة فرح فاليها وحاصرها أربعة وستين يوماً ملك بعض أسوارها ولم يقض الله بفتحها في يومئذ التزهة في ذكر أن القائد ابن تودة دخل البرجة التي قرب آرمور وأخذ أسوارها وعزم على أن يستأصل في الفد بجيتا ولا يبقى للكفر بها أنرا فكتب اليه السلطان الغالب بالله ينهه عنها فراجع النصاري اليها بعد أن ركبوا البصر عازمين على الجلاء عنها أه وقد وقعت في التاريخ البرتغالي الموضوع في أخبار الجديدة واسم مؤلفه لوز ماريه على أخبار هذا الحصار وقد استوعبها وبسطها لتتبع الوقائع فصلا فسلوا ويوماً ما أتى من ذلك ما يزيد على الكرامة فكان من جملة ما قال انما لعزم السلطان الغالب بالله على غزوهم وأخذ في تجهيز الجيوش اليهم أنهم بعض المنتصرة قال وهو عبد أسود فاجبرهم بأن السلطان مستعجلهم وكانوا عازمين على

التوثيق من هذا الجاسوس فافلت منهم فقلوا ان اظهروه للتنصر كن مكيدة ثم أخذوا في الاستعداد
 واشتروا من عند قائد آرمور أن في سيف هكذا زعم قال وفي اليوم الرابع من مارس سنة ألف وخمسمائة
 واثنين وستين مسيحية وصلت جوع المسلمين الى حوز الجديدة وهذا التاريخ موافق للتاريخ العربي
 الذي قد مناه قال فكانت خيل المسلمين نحو ثلاثين ألفا والرماة ضعف ذلك وكان فيهم عسكر الترك
 المعروف بالبلد بروس وكانوا بوشة جند المسلمين وكان معهم عشرون مدفعا عشرة كبيرة وعشرة
 صغيرة وفيها واحد أعظم من الجميع يسمى ميمونا وكان معهم العلم الكبير الأبيض ورايات أخرى ملونة
 وتقدموا الى الجديدة فحاصروها حصارا شديدا وماروا بها حرا باهائلة وصف هذا المؤرخ ذلك كله
 وصفا كافيا وكانت الجديدة ومثني في غابة الحصانة والمناعة فلم يتمكن المسلمون من النصارى على ما ينبغي
 وأرسل الترك عليهم أنواع الحراقيات ومدكوا التارقات التي كانت حول السور بعد ان هلكت عليها
 نفوس من الفريقين ثم صنع النصارى للمسلمين عند هامينا البارود مرتين في الاولى كانت المينا تسعة
 براميل نقط منهن تسعة فاهلك خلقا من المسلمين والنصارى وفي الثانية كانت تسعة عشر برميلا
 أمام السور فنقطت بالمسلمين وأتلفت منهم عدد أقبح بعض طوفان الهواء وبعضهم أوتقط تحت التراب
 وكان وفاة المسلمين ينالون منهم يلا عظيما واعترف النصارى لهم ببجود الرمي بحيث كانوا كلما ظهر منهم
 عسكرى على السور اخطفته رصاصة في آخره وضع من يده من الرأس أو الصدر وقال لوزير المؤرخ
 ولقد قدم في بعض الايام من أسبونة كبير من كبراء جندهم فقال لهم أو في كيف قتلكم هؤلاء المسلمين
 وكيف مصافقتكم لهم قال فاشاظهر برأسه على السور ليرى جملة المسلمين حتى أصابته رصاصة تترت دماغه
 كان صاحبها كان يتنظره وكان ذلك بنفس زوله من البحر قبل أن يذهب الى منزله فوضعه منه المسلمون
 القبر قال فما كان النصارى بعدها يتقدرون أن يظهر راعي السور الا في النادر ولما طال عليهم الحصار
 ندد كبيرهم بجاعة منهم لخروج الى السواحل البعيدة عن محلة المسلمين لعلهم ينظرون بأسير منهم
 يستكشفونه عن خبر الجيش المحاصر لهم هل هو مرتحل أو مقيم ومادة الاقامة قال فخرجوا في ذلك
 لهم ليل وساروا حتى بلغوا ساحل طيط وهي بوشة خالصة وكان بقرها محلة لقائد أسقى فلما طلع الفجر
 تقدموا الى البر وأرسلوا فلكهم الى جانب بعض الاحجار هناك بحيث يتخفى على المارين بالساحل ثم كتموا
 هناك فلما كان وقت الاسفار اذا برجل من محلة أسقى الى فرسه الى شاطئ البحر لبعض حاجاته فلم يره
 الا النصارى قد أخذوا به وأخذوا بالجام فرسه وجعل بعضهم فم محطته في صدره فلم يملك المسلم من نفسه
 شيئا ثم أزلوه عن الفرس وساقوه الى تلك أسيراء الجحوبة في البحر ولما بعدوا عن البر شيئا ماري أحدهم
 الفرس برصاصة فقتله ثم أسرعوا الى الجديدة فدخلوها واجتمع النصارى على السلم وهو كالهموت بينهم ثم
 سألوه عن خبر الجيش المحاصر لهم فاجابهم بانهم ينجونهم بعد هذه امرة أخرى أو مرتين فان لم ينظفروا
 بهم ارتحلوا عنهم فكان كذلك قال وكان ارتحال المسلمين من الجديدة في سابع مايه الهجري من السنة
 المذكورة فعمل النصارى لذلك عييدا وأحدوا في كنائسهم صلوات لم تكن قبل وذلك باشارة باباها
 صاحب رومة ومما حكاها هذا البرتقال فيما كان يجري بين أهل آرمور وبينهم من الحرب وذلك بعد
 هذا الحصار بمدة يسيرة أنه كان بأرمور امرأة حسناء وخطها رجل من أهل البلد سماه لوزر الا أنه لم
 يحسن التطبيق به لبعثته وأظنه اسمه الميساودي لان الحروف التي ذكر تقرب منه قال فامتعت عليه
 فرأوها أيا ما واشتد كلفهم فلم تزد عليه الا تمناعفت للبهادات يوم رغبها في نفسه ويدلى عليها بما تراه
 التي من جلبها للصباعة حتى قال لها لو ان شئت أن أتيتك برأس أعظم نصراني بالجديدة وأجمعه فقلت
 ولعلها كانت موودة لهم فقالته ان أتيتني به تزوجتك فذهب الرجل المذكور الى قائد آرمور ولم يسمه
 لوزر وعرض عليه أن يكتب الى كبير نصارى الجديدة وصاحبها أنهم يان بعين من جانيه رجلا من

جمعناهم ليبارزه ان شاء فاجابه القائد الى امراده وذهب الرسول بالكتاب حتى وقف على نحو خطوة من
 المدينة وهذا الموضوع هو الذي كانت تقف فيه رسول آرمور اذا قدمت افرض فخرج اليه البريد من عند
 صاحب الجديده وعاز الكتاب ورجع به الى صاحبه فلما قرأه أحضر جماعة من وجوه جنده وعرض
 عليهم ما فيه فقام رجل منهم وقال أنا صاحبه وهذا الرجل سماه لوزي وقال كان ابن لاثنين سنة كامل
 القامة ممتلئ الاعضاء اسمر اللون كثير شعر البدن أسود اللحية وكان رأسه جرح لم يندمل من وقعة كانت
 بينهم وبين أهل آرمور قبل ذلك فكتب صاحب الجديده الى قائد آرمور ان اقد أجبتك الى
 ما دعوت وقد أعجبنا ذلك وهاتين قد عينا لصاحبك قرنيه فلتعينوا لنا اليوم والساعة التي تكون فيها
 الملاقاة فاتفقا على يوم معلوم وفي ذلك اليوم صار قائد آرمور في أحمابه وجوه أهل بلده ومعهم الرجل
 المذكور الى الجديده فانتهوا الى الموضوع الذي جرت العادة أن يقف فيه المسلمون وخرج قائد النصاري في
 جماعة وشرطوا البارزة وكيفية الشروع وطامنها أن تبعد كل جماعة من صاحبها بخمسين خطوة ولا يلتقي
 الا المتبارزان وحدهما يرى من الفريقين ومنها أن مساحة الموضوع الذي يكون فيه مجالهما خسون
 شبراً وسطا من الفريقين وان من خرج عن هذا المحل منهما ولو قيد شبر كان رقاً لآخر واخطوا
 خطوطهم بذلك ولما حان وقت البراز خرج عدلان من جانب المسلمين حتى انتهيا الى النصاري فقتلاه
 لينظر اماغليه من السلاح وما معه لان من جلة الشرط أن لا يبارزا الا بالسيف والرمح فقط فلم يجد اماغ
 النصاري سواهما فقال لوزيرهم وكان صاحبهم المذكور يحسن الضرب بكتايديه فشرط عليه العدلان
 أن لا يقاتل الا باليمين فرضى ثم خرج شاهدان من جانب النصاري حتى انتهيا الى المسلم فقتلاه فلم يجد اماغده
 سوى السيف والرمح اذ ضاعفانه قد علق على ذراعه غنائم كثيرة فخرورة في الجلبة قال له الشاهدان لا بد
 أن تنزع هذه التمام لان صاحبنا ليس عنده شيء من هذا وايضا فيمكن أن تقيك هذه التمام بعض
 الوقاية فقال لهم لا أزعها الان مثل هذا لا يتقي به في الحرب ولا ينفي في الظاهر من السيف والرمح شيئاً
 وانما فيها أسماء الله ولا يحسن بي أن أطرحها في هذه الحالة التي أنا مشرف فيها على الموت فيكون ذلك
 سوء أدب مني مع اسم الله تعالى ويرى ما يكون سبباً في خذلاني فرجع النصاريان الى قائدهما وأخبراه
 بالقضية فقال لايدهم نزعمها فعاد الله وزعم لوزي أن المسلمين وافقوا على نزعمها وقال له العدلان ان الحق
 مع النصاري لانا كشفنا صاحبهم كشة انا ما اوراوده القائد ايضاً فاصر على الامتناع معتذراً بما سلف
 ولم يتم حصوله على طائل رجع المسلمون الى بلدهم ولم يكن برانز فقال لوزيهم وعذبت النصاري ذلك غلبوا جعلوا
 يصيغون ويخربون البارود قال وكان سور الجديده مكسوراً بالنساء والصبيان واغتاط قائد آرمور
 فصبغ المسلم المذكور لكونه جزه هذه المنلة على المسلمين فقاتلهم من تأمل وأنصف علم أن القتل اغاهو
 من جانب النصاري لان تلك التمام من حيث الظاهر لا تنفي شيئاً وكون بركتايديه من ضربات السيف
 وطعنات الرمح فهذا لا يعتقده النصاري بل ولا يسلطونه فلم يحق الا القتل والتعليل بالاعتبار به عند
 العقلاء ثم قال لوزيهم وقد كانت بين المسلمين والنصاري بمذلك وواقع قابلي فيها ذلك المسلم البلاء الحسن
 وعرف محله من الشجاعة اهـ والحق ما شهدت به الاعداء وانما ثابت هذه الحكاية بطولها لغرضها ولما
 اشتملت عليه من خلال الفتوة ومنازع النخوة الايمان ففسأله سبحانه وتعالى أن يعلي منوال الدين وبكبت
 كيد الجاحدين والعقدين آمين ثم توفي سنة سبعين وتسعمائة بكونه في السلطان الغالب بالله الفقيه أبا مالك
 عبد الواحد بن أحمد المجدي قضاء من فطالت مدته

هو فاداه السلطان الغالب بالله على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى السلمي رضي الله عنه

هو حكى صاحب المتع أن السلطان أبا محمد عبد الله الغالب بالله قال لا تذاذي عبد الله لا ترغني في أحد

في نفسى لراثة وطلب النسيج فامض فاطلب لي شيئا فذهب يطوف على مشايخ المغرب وكنوا انذاك متوافرين حتى اتي على الشيخ ابي العباس احمد بن موسى الجزولي ثم السملاني فوجد شيئا جليلا لاسنيا متواضعا زاهدا ظاهر الورع حسن الاخلاق باعرا للكرامات واصلح الطريقة جامعاً للمحاسن لالحلال والاصناف فرجع اليه وجعل دمفله كل من رأى من المشايخ عاظوه فيه حتى اتي على الشيخ المذكور فقال وهو ولي ثم ولي ثم ولي سبعة فقال له كأنك تداني عليه وانه مطلوب وانه مقدم على غيره فقال له لا اذلك عليه ولا عندي ما اعرف فيه تقديم غير ان هذا الذي ظهر لي فازمع السلطان الغالب بالله الرحلة اليه فلما بلغ الشيخ المذكور بجي السلطان اليه خرج بسلامة وقد هاله الازل وما يصلحه وأعدله ما يناسبه من الاطعمة الرقيقة النفيسة وقدم اليه التمر الحيدرو اللين الحليب وما خرج لقاؤه اثناء بعضهم بغرس وكان من عادته ان لا يركب واذا اثناء أحد غير كوابل يرد عليه بل يستحبه معه ويعلقه حتى يرجع ففعل ذلك واتي السلطان ورجع به معه وأتته عنده فحك في ضافته ثلاثة ايام ثم طلب منه ان يتخذ وسيلة الى الله تعالى وما له مع ذلك عهد الملك واعتذر اليه بان لا يمكنه العيش بدونه ولا يأمن على نفسه ولا تنويه ارض اذا هو تخلى عنه فقال الشيخ يا عرب يارب رياهيل يا جليل اطيعوا السلطان مولاي عبد الله ولا تحتفوا عليه ثم بعد الثلاث انصرف السلطان الى محله فبقى مدة وهو مسكن بمهد الملك في عاقبة ثم اتي الترك الى وغاز طلبة وسبعة فخانهم وتشوش منهم كثيرا ولم يناله عيش فجعلت ماشيته يتوون عليه امرهم فقال دعوني منكم حتى استقي من رأس العين ثم ابرد يدي الى الشيخ فلما انتهى اليه سمعه يقول يا ترك ارجعوا الى بلادكم وبامولاي عبد الله هناك الله في بلادك بالعافية فتقدم الرسول وسلم على الشيخ وبلغه سلام السلطان ثم انقلب من فوره بعد ما رتخ وقت سماع مقالته فلما بلغ الى السلطان أخبره بما كان من الشيخ من تلك المقالة وما كان منه من التاخر وأقاموا ينتظرون ما يكون فاذا انخبر قد ورد على السلطان بان الترك قد ارتحلوا وانصرفوا الى بلادهم واذا ارتحلهم كن وقت مقابلة الشيخ المذكورة ثم ان الشيخ قدم مرا كس في بعض ايام زار من كل بها من أهل الله تعالى فرغب اليه السلطان الغالب بالله ان يدخل داره هو وأصحابه ويصنع له ما يطعموا ويشرط على نفسه ان لا يطعمهم الا الحلال ولا يطعمهم ما فيه شبهة وحلف الشيخ على ذلك فأسحقه ولما حضر الطعام وضع الشيخ يده عليه ولم يصب منه فلما خرج قيل له مالك لا تتناول من طعام السلطان وقد حلف ان لا يطعمك الا الحلال فقال له من أكل طعام السلطان وهو حلال أطم قلبه أربعين يوما ومن أكله فوفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة اه هو وما يخترط في هذا الملك ثم ان السلطان المذكور كان له اعتقاد في الشيخ ابي عمرو والقسطلي وكان يعظمه غاية وكانت عنده مظلة له من سعف النخل يتقي بها الحزب تركها ولما توفي الشيخ أبو عمرو المذكور وذلك يوم الجمعة منتصف شوال سنة أربع وسبعين وتسعمائة حضر السلطان المذكور جنازته وحتى التراب على قبره بيده ومن أخبار السلطان المذكور ان الشيخ ابا محمد عبد الله بن حسين النصارى كان يظهر برا كس وكثرت الجوع عليه وقصده الناس من كل جهة فأسرل اليه السلطان المذكور امانا فخرج عنى أو اخرج عنك فقال الشيخ ابن حسين بل أنا اخرج وخرج من فوره الى ناصطوحت فكان من أمره ما كان

في احتيلاء النصارى على حجر ياديس والسبب في ذلك

قد تدب لبا في أخبار اوطامسيين أن النصارى بنوا حجر ياديس واستولوا على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة واحترقوا الي ان انزعهما الترك من أيديهم ولما كانت دولة السلطان الغالب بالله وطمع الترك في الاستيلاء على المغرب الاقصى أغرى السلطان المذكور النصارى بالاستيلاء على القنور

الهيبة وسدأ نقامه في قتال في التزهة ذكر بعضهم أن السلطان الغالب بالله لما رأى عارة ترك الجزائر وأساطيلهم لا يتطاع ترددها عن حجر بادييس ومرسى طنجة يعني البوغاز وتحوف منهم اتفق مع الطاغية أن يعطيه حجر بادييس ويخليه الحسم من المسلمين فتقطع بذلك مادة الترك عن الغرب ولا يجدوا سبباً له فقتل النصرى على حجر بادييس وأخرجوا المسلمين منها ونشوا قبور الاموات وحرقوا هياكلها وأنوا بالمسلمين كل الاهانة ولما بلغ خبر نزولهم عليها الولد محمد وكان خليفته على فاس خرج بجيوشه لاغاثة المسلمين فلما كان بوادي الدين بلغه استيلاؤهم عليها فراجع وتركها لهم اه وذكر اليعفرى انه وجد هذه الاخبار في أوراق مجهولة والله تعالى أعلم

في فتنة الفقيه أبي عبد الله الاندلسي ومقتله

كان الفقيه أبو عبد الله محمد الاندلسي تزيل مرأ كش متظاهراً بالزهد والصلاح حتى استهوى كثير من العامة فتبعوه وكانت تصدر عنه مقالات فيجده من الطعن على أئمة اللذاهب رضى الله عنهم ينحرف فيها مضى ابن حزم الظاهري ويتقو بمقالات شنيعة في الدين فامر السلطان الغالب بالله بمقتله فاستغاثت العامة من أتباعه واعصوا وصوا عليه وقعت فتنة عظيمة جرا كش بسببه الى ان قتل وصلب على باب داره برياض الزيتون من المدينة المذكورة وكان ذلك أواسط ذي الحجة من سنة ثمانين وتسعمائة

في ظهور بدعة الشريعة من الطائفة اليوسيفية ومقتل فيهم

في قتال في الدوحة كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الزاهد تزيل ملبانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعده صيته وكثرت أتباعه فقلوا في محبته وأفرطوا فيه حتى نسب به بعضهم الى النبوة قال وقتذاك العلوي بدرجل من حبيب أصحابه يقال له ابن عبد الله فانه تزندق وذهب مذهب الاباضية على ما حكى عنه واعتقد هذا المذهب الحسبي كثير من الفوغاء وأجلاف العرب وأهل الاهواء من الحواضر وتعرف هذه الطائفة باليوسيفية قال ولم يكن اليوم بالقرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة وسمعت بعض الفضلاء يقول انه قد ظهر ذلك في حياة الشيخ أبي العباس المذكور فلما بلغه ذلك قال من قال عنام لم تقبله ليتليها بالله بالعلمة والقلة والموت على غير ما في قتال صاحب الدوحة في وقت قد أشار الفقيه على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بمادة فساد هذه الطائفة فحين جماعة منهم وقتل آخرن وهؤلاء المبتدعة يسوان أحوال الشيخ في شئ وانما فعلوا كفعل الرافض والشيعية في أنهم وانما أصحاب الشيخ كافي محمد الخياط والشيخ الشطبي وأبي الحسين علي بن عبد الله دفين تأفلات وأتظروهم من أهل الفضل والدين والافلاحة للتقدي بهم كلهم يعظم الشيخ ويعترف بالولاية والعلم والمعرفة اه وقال في المرأة مانسه في الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الزاهد الملباني من كبار المشايخ أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية وكان كذير التلقين فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبي أهنت الحكمة في تقينك الاسماء لاهامة حتى النساء فقال له قد دعونا الخلق الى الله فأوقفنا منهم بان تشغل جراحة من جوارحهم بالذكر قال الشيخ الخروبي فوجدته أوسع من دائرة في قتال صاحب المرأة في وانتسبت اليه الطائفة المعروفة بالشرافة بتسديد الزاهو يرى من يدعهم فما كان الامام سنة وهدى فتدب في العلم والدين فذكره الله وظهر جانبيه وقد أظهر واسمياً من ذلك في حياته فقبوا منهم وقتلهم وبلغ المجهود في شريدهم قال وحده نبي شيننا أبو عبد الله النبيجي أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث السالطوق لما ظهر بدعة الشريعة وانتسب اليه ووقع في نفسه من ذلك شئ فقبل له ان الشيخ أبا محمد الخياط من أصحابه فقال أنا نائب الى الله كفي في طمارة جانبته أن يكون الخياط من أصحابه وكانت وفاة الشيخ الملباني سنة سبع وعشرين وتسعمائة لكن ما كان ننقوان تلك البدعة المدسوسة عليه

الاقى دولة السلطان الغالب بالله كما هو والله يضل من يشاء ويمر من يشاء

في احتيال النصارى بكيدة البارود بجنا مع المنصور من مراکش وما وفق الله تعالى من شراهم

كان بقصة مراکش جماعة من أسارى النصارى من لندن أيام أبي العباس الأعرج وأخيه أبي عبد الله الشيخ فرأوا الجبل الغدير من أعين المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة للصلاة مع السلطان بجنا مع المنصور من القسبة المذكورة تحدثهم أنفسهم الشيطانية بأن يصنعوا مكيدة يكون بها السلطان ومن معه فحفر وفي خفية تحت الجامع المذكور حفرة ملؤها من البارود ووضعوا فيها قتيلا تسرى فيه النار على مهل كي ينقلب الجامع بأهله وقت الصلاة فتغطت الدنيا وانهدت بها القبة الواسعة من الجامع المذكور وانسحق مناره شقا كبيرا ولا زال ما تلاه إلى الآن وكان ذلك مبلغ ضررهم وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا وكان ذلك سنة إحدى وعشرين وتسعمائة

في وفاة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله

في قال الشيخ أبو العباس ابن القاضي في شرح درة السلوك في توفى السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة إحدى وعشرين وتسعمائة بسبب غم كان يعتريه اه وهذا الغم هو الداء السمي عند العامة بالضيق أعان الله منه وذكر غيره أنه توفي في شوال بسبب تكافئه لأميام فبنت عليه العلة المذكورة وشاع على السنة الناس أنه بات يصلي ليله سبع وعشرين من رمضان فوافقه ميتته وهو ساجد وذلك كذب ودفن رحمه الله عند ضريح أبيه بقبور الأشراف وقبره معروف ومما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الآيات

أبلى أثرى هبلى الدعاء ترجى • فاني إلى فضل الدعاء فقير

وقد كان أمر المؤمنين وملوكهم • إلى وصيتي في البلاد شهير

فها أنا ذا قد صرت ملقى بحفرة • ولم يغن عني قائد وزير

ترودت حسن الظن بالله راجي • وزادى بحسن الظن فيه كثير

ومن كان مثلى عالما بجناته • فهو نبيل الصفو منه جدير

وفد جاء أن الله قال ترجى • إلى ما ظن العبدى سمير

وحكي أن ابنه أبي عبد الله المعروف بالسلاخ لما قرأ هذه الآيات عاقب ناظمها وقال له إن في قولك ملقى بحفرة دسيسة وتلويعا إلى الحديث القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فها أقلت بليغ أو نحوه

في بقية أخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بأحوال الملك وتأن في الأمور ولما ولي الخلافة الآن الجانب ونهض الجناح وصار بسيرة حسنة حتى صلت الرعية وازدانت الدنيا وانتعش الناس حتى كان يقال ثلاث عينات هم عيون الزمان السلطان المولى عبد الله والشيخ أبو محمد عبد الله بن حسين المغاري والشيخ أبو السرور عباد السوسي في قال القرني ثم رأيت من جلة سؤال كتب به الفقيه المصالح خطيب الجامع الأعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني إلى قاضي الجماعة أبي مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكاني يقول فيه ولا شك أن مولاي عبد الله جمع على عدالته وبيعته وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ الجامع أبي العباس أجد بن موسى السملالي أنه قال مولاي عبد الله يا قرة الأشراف هو صالح السلطان وقد أشهر بين الأنام وعلى السنة الخاص والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا

ووقع في الرسالة التي كتبها ابن أخيه السلطان أبو المعالي زيد بن منصور إلى الفقيه أبي بكر
 يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد التميم الحامشي ما ظاهره يخالف ذلك ويؤذن بأنه كان مستغفراً من الملوكة
 في موضع المحتاج إليه من تلك الرسالة تخاطب الفقيه المذكور يقول وقد شحقت وعلت أن ولاية أحد
 ابن موسى السعالي كانت تكون قطعية واشتهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على
 ولايته وقد كان على عهد مولانا عبد الله بن أبي البركات ضريحه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه
 وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولولته بالبقاء ونظره حبه وكان المولى المذكور يميز ويولي ويقتل
 وكان شر منه في الزاوية المرباط الاندلسي وولد أصناك وأمثالهم وكان الشيخ يقدم للشعاعة فيشفع ولا
 يتعقب ولا يبعث عساوياً ذلك ما بقي على عهد وموته وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره
 فخافها حتى أمره ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولا جاهد سب الفقه الفتنه وكان قواد المذكور
 من قبل وزير ابن شقراء وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن البلج والهبطي والزهروني
 وعبد الصادق بن الملوكة وغيرهم عن لا يحضر في ذكركم لبعده عنهم قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ
 القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب وكان في عصره أحد بن موسى المذكور وابن
 حسين والشرقي وأبو عمرو وابسطي وأبو محمد بن إبراهيم التاماري والشيخ طغی وغير هؤلاء من المشايخ
 وأهل الدين الذين لا يسع من يدي هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم فأحسنوا
 السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولادة الأمر وقادة الأجناد ممن ذكر الذين كان الملك
 يدور عليهم ويرجع إليهم في تنديدهم هذا القدر المحتاج إليه من الرسالة المذكورة في قول البصري فيهم ومثل
 هذا ما ذكر بعضهم أن السلطان الغالب بالله أعطى حجر ياديس للطاغية لتقطع بذلك مادة التركة عنه
 ومثله ما ذكر عنه أيضاً أن قائد ابن زبدة أخذ بعض أسوار الجديدة وعزم على قتلها من الغد فكتب إليه
 السلطان المذكور ينهيه عن ذلك وتقديره أيضاً فضيته مع أهل غرناطة وأطال فيها هذا البعض المتقول
 عنه بما استنكفت من ذكره هنا قال وهذه أمور شنيعة إن صح أنه فعلها ولست أدخل في عهدتها لأنني
 أعتار أيتها في أوراق جمهولة المؤلف شملت على ذم هذه الدولة السعيدية ونظي انهم وضع بعض
 أعدائهم لحطه من قدرهم وانراجه أياهم من النسب الشريف ووصفه دولتهم بالدولة الخبيثة فلذا
 تجنب منها كثيراً من الاخبار التي لا تظن بأولئك السادة رحمة الله قد قال الشيخ تاج الدين السبكي
 رحمه الله في طبقاته أن المؤرخين على شفا جوفها لا نهم بتسلطون على أعراض الناس وربما وضعوا من
 الناس تعصياً وأجلاً أو اعتماداً على نقل من لا وثوق به قال في المؤرخ أن بقي الله تعالى اه الآن
 الملوكة لا يستغرب في حقهم أن يمدوا أساس الشريعة لينشوا مناراً يأسهم ويستوفوا عظاماً لا موار
 لتطيههم الرعية ساعة كيف لا وشرعاً أقدمتهم تلعب به رياح الشهوات قتل في حقبة قلوبهم على ساحل
 بحر انقنوط من رحمة الله تعالى والله يسامح الجميع ويتجاوز عن كثرة عصاة هذه الأمة عنه وفضله اه
 كلام البصري رحمه الله فيهم ومن وزراء السلطان الغالب بالله في ابن أخيه الأمير لاجل الاديب الاخضر
 أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ كان من أنبل الوزراء وأطهرهم مسلكاً وأخفهم روحاً وله
 عارضة في النظم والنثر في ذكر الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد القاسي في كتابه الاعلام عن مضي وغير
 من أهل القرن الحامشي عشر ماضية قدم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر السعدي من مراكن
 إلى فاس بوجه الفقيه قاضي الجماعة أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الجدي والفقيه الامام أبو العباس أحمد
 النجور فلما تبذرت لهم معالم فاس الجديد ونظي للشوق في جوارحهم أوار وأبرح ما يكون الشوق
 يوماً إذا ذنت الديار من الديار أنشد الوزير المذكور لنفسه أو تجال

أخذ لائي هذا المستقي وربوعه * وهندي نواخير السلا دتنوح

وذلك الصلي مطرح الشوق والاسى • وتلك منازل الديار تلوح

فقال القاضي الحميدى ارتجالا

وتلك القباب الخضراء شبه زبرجد • بهن غوان طرفهن ججوح

يمن كما ملود من الروض يانع • شذاهن من حول الديار يفوح

فقال الفقيه أبو العباس المنصور ارتجالا أيضا

ويرقن في الحلان يحتلن في الحلى • وفيهن أنواع الجمال وضوح

يسادن ترقيق الكوى بمحاجر • لأقبال حبطال منه تزوح

ولما بلغت الايات الى الاستاذ أبي العباس أحمد الرمورى قال مدينا

تأمل سنا الحسناء تحت قبائها • كشمس غدت تحت السحاب تلوح

تحتلن بروع للمستقى بجمها • وأنت الى تلك القباب تزوح

وبعضهم جعل البيتين الأولين للولى الاديب أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسى وكان

كاتب الوزير للذكور ويعمل موضع أخلاقى أمولاي والبيتين بعدهما للوزير والله تعالى أعلم والمستقى

بصفة اسم المفعول اسم بستان معروف وتطير هذا ما ذكره الاديب المذكور في اعلامه المذكور قال

كان الوزير المذكور مع كاتبه المولى عبد الواحد الشريف في بعض الاسفار وأرسلت السماء بفيضها

الدرار فقال الوزير المذكور

فقد أشكو غداة السمع اذ ركضت • أيدي المطايا وحادى الرمح يحدوننا

فأجاب الكاتب المذكور

والقيم في الاتفاق قد أرخى ذوائبه • بأحهم الودق لا ينضك برميننا

فقال الوزير

حتى استوى الماء والآن كام واستترت • معالم الرشيد لا خريت بهدينا

فظلت انجيل في الامواج سابعة • سجع السلاخ نحو الدار جهونا

فقال الكاتب

والنفس في خلقا بين ما ألفها • والشوق يحدوننا والحال يقصينا

فقال الوزير

كأن شالم نبت والوصل نالنا • حتى غدا الطير فوق السرح يقصينا

وأخبار هذا الوزير وروايد كثيرة وهو الذى أخرج بنى راشد من مدينة شفشاون حسبما • وكانت وفاته

في العشرين من جادى الثانية سنة خمس وسبعين وتسعمائة • ومن وزراء السلطان الذال بالله أيضا

القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العلي الجنوى • وعبد الرحمن بن تودة وقاسم الزهرى وأحمد الهبطى

وه • ولادة مظالمه أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسى وهو والى الشرطة وكان فقيها مشاركا • وقد ذكر

بعضهم • أن الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن موسى السملالى كان في بعض قدماته على السلطان الغالب

بالله قد انتشر الناس زيارته بزائوته فوق أبو عمران المذكور يذود الناس عنه ويقولون رحمكم الله من زار

خرج فسمعه الشيخ فقال له لا تقل ذلك وقل من جاز خرج ومن كتاب السلطان للذكور محمد بن عبد الرحمن

السجلماسى ومحمد بن أحمد بن عيسى وغيرهم • ومن قضائهم كش • الفقيه قاضى الجماعة أبو القاسم بن

على الشاطبى وبغاس أبو عبد الله العوفى وأبو مالك عبد الواحد الحميدى رحمهم الله

هو الخبير عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل على الله ابن السلطان عبد الله الغالب بالله رحمه الله

لما توفي السلطان الغالب بالله بحضرة مراکش كان ابنه محمد هذا باقيا وكان ولي عهد أبيه فاجتمع أهل
العقد والحل عرا كس وأستاذوه البيعة وكتبوا لها البيعة فوصلت اليه وهو يفا من أوائل شوال سنة
احدى وعشرين وتسعمائة فبايعه أهل فاس وتم أمره فقال ابن القاضي في أمه أم ولد وكنيته أبو عبد الله
ولقبه المتوكل على الله ويعرف عند العامة بالسلوخ لانه سلخ جلده وحشى تبنا كما سباقى وكان مما وقع في
أيامه أنه كانت بين المسابين وبين نصارى طنجة وقعة بالرملة المسماة بأبي غاص من شخص طنجة قرب
قنطرة عصماء وذلك يوم الأربعاء منتصف جادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وفي هذه الوقعة
استشهد الشيخ أبو مهدي عيسى بن الحسن المصباحي دفين الداع على وادى مضى من حمل القصر فانه
جل بعد استشهاده الى الموضع المذكور فدفن بأزاء قبر أبيه في الروضة التي هنالك واستمر أمر أبي عبد الله
المتوكل منتظما الى أن أواخر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فقدم عليه محمد عبد الملك بن الشيخ يحيى
فتسلمه كعبه بذكر ملكه على ما ذكره ويقال انه كان أضر الفتن بعمه أجدو عبد الملك ففترأضه الى
ناحية الترك على ما سباقى قالوا وكان السلطان المذكور فقها أديبا مشاركا مجيدا قوى العارضة في
النظم والنثر وكان مع ذلك متكبرا ثانيا غير مبال باحد ولا متوقفا في الدماء عسوفاعلى الرعية ومن
شعره قوله

تقدمنا نصليج صهباء صافية • في وجهها عصبوني وجهه نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلعا • فان تأخيرا وقات الصبا غلظا
ومن شعره أيضا قوله

ساروا فساد قوادى أثر نظمهم • وخلفوني تحيل الجهم حيرانا
لا افتقر ثمر الثرى من بعد ينهم • ولا سقى هامل وردا وريحانا

كان خليفته عرا كس القائد ابن شقراء وحاجبه أجد بن جواد الدرعي وكتابه يونس بن سليمان الثاملى
وعلى بن أبي بكر وغيرهم رحمهم الله تعالى

والخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ وأولية أمره وما له

كان أبو مروان عبد الملك بن أبي عبد الله الشيخ السعدى وأخوه أبو العباس أحمد المدعو بعد بالمصور
مقيمين ببجلماسة سائر أيام أبيهما فلما توفي وولى الأمر بعده ابنه الغالب بالله فترع عبد الملك وأحمد الى
تلمسان خوفا على أنفسهم من فاقا ما عند صاحبها حسن بن خير الدين مدة ولحقهما أخوهما عبد
المؤمن فصار ثلثة الاثافي ثم انتقلوا بعد ذلك الى الجزائر ومنها ركب عبد الملك البحر الى القسطنطينية
متطارعا على صاحبها السلطان سليم بن سليمان العثمانى رحمه الله فأمده بالجنود حتى ملك المغرب كما سباقى
(ولند كرهنا كيفية استيلاء العساكر العثمانية على تونس واتقراض أمر الحفصيين منها ثم رجع الى
بقية أخبار السلطان أبي مروان المعتصم بالله لانها تنبى على ذلك فنقول) اعلم ان أمر بني أبي حفص
أصحاب تونس كان قد مرج في هذه المدة وتداعى الى الاختلال وكان خير الدين باشا التركى الما تقدم ذكره
في أخبار تلمسان قد استولى على تونس في حدود الأربعين وتسعمائة وغلب عليها صاحبها الحسن بن محمد
الحفصى ففتر الحسن المذكور الى طائفة الاصنبول صاحب قشتالة أعطاه العساكر وجاءهم الى تونس
فنزله عسكر النصرارى ببرج العيون قرب حلق الوادى وتقدموا الى تونس فلكوها وانهم خير الدين الى
الجزائر وشارك النصرارى الحسن بن محمد في امرأة تونس واستباحوا أهلها وقتلوا أمرأونها يقال أنهم قتلوا
من أهل تونس الثلث وأمر والثلث وأبقوا الثلث وكل ثلث سستون ألفا هكذا عند صاحب الخلاصة
النقبة ثم ما كوا الموضع المسمى بطلق الوادى وليس هنالك وادعذب وانما هو جون دخل من البحر في

البر وعليه مرسى تونس ثم بنى النصارى فى الحلق المذكور حصنا عاديا فقاموا فى بنائه نحو ثلاث وأربعين سنة بحيث يحجز الترك عن هدمه لما مكوه بعد ثم ناز على الحسن ابنه أحمد المدعو جسيمة وذلك الحاضرة مدة وقاتل نصارى حلق الوادى فاستمتعوا عليه ثم غزا على باشا صاحب الجزائر واستولى على تونس سنة سبع وسبعين وتسعمائة وطردها فذهب أحمد إلى طائفة قشتالة مستغنياه شأن أبيه من قبله هذا كله ونصارى الحلق لازالوا متمكنين منه أى تمكن فامة الطائفة أحمد المذكور باسطول عظيم واشترط عليه أداء مال فالترمه ولما وصل الاسطول إلى ظاهر تونس أطلع قائده السلطان أحمد على كتاب من الطائفة مضممة المشاركة فى الحكم فأنكر أحمد ذلك وأنف منه وذهب إلى صقلية فبقى بها إلى أن مات ووصل إلى تونس وكان هنالك أخوه محمد بن الحسن فرضى بالمقاسمة ودخل بالنصارى إلى تونس فاستولى عليها وذلك قصبتها وبالسنة شريكه النصرانى بها وانتهت المدينة وأهين الدين وعم الخراب وتكثر المنرب وتفرق الجمع وارتبطت خيل العدا بالجامع الأعظم وألقيت ما فيه من نفائس الكتب بالطرق ونش قبر الشيخ أبى محفوظ محرز بن خلف فلم يوجد فيه إلا الزمل جاية من الله وحاشى أن تعدو الأرض على جسد مثله وأرسل محمد بن الحسن إلى الناصر بالامان واستمالهم النصرانى بعد بكانب الفرق فقاموا بأداء مائة وهو ان واتصل ذلك كله بالسلاطين سليمان سليمان العثمانى فأعظمه وجهز العمارة العين مع الوزير سنان باشا يقال كانت أربع مائة وخمسين قطعة فخرجهم الوزير المذكور من القسطنطينية وهى اصطنبول غرة ربيع الاول سنة احدى وعشرين وتسعمائة ووصلوا إلى حلق الوادى فى الرابع والعشرين منه وكان حيدر باشا صاحب القيروان ومصطفى باشا صاحب طرابلس محاصرين لتونس قبل ذلك حتى قتر عزمهم فلما قدم عليهم سنان باشا قويت نفوسهم واعصوا صوابا عليه وتقدموا إلى الحصن الذى يحلق الوادى فحاصروه حتى اقتحموه غنوة سادس جادى الاولى من السنة المذكورة أعنى سنة احدى وعشرين وتسعمائة واستلموا منه وغنوا ما فيه والتجأ محمد بن الحسن الحفصى وأنصاره من النصارى إلى البستون وهو حصن آخر كانوا قد بنوه خارج باب تونس فحاصروهم سنان باشا حتى اقتحمه غنوة وقتلوا من بهو امتسلات أيديهم من المغانم وطهر الله منهم البلاد وكانت احدى الوقائع الجليلة القدر الباقية للذكر وظفر الوزير محمد بن الحسن فاحتله معه إلى السلطان سليم فأعقله فى بندقية أحد حصونه حتى هلك وانقرضت عهله دولة بنى أبى حفص التى هى بقية الموحدين فإذا علمت هذا فاعلم ان استيلاء العساكر العثمانية على تونس كان قبل وفاة السلطان الغالب بالله بنحو خمسة أشهر لان وفاته كانت فى آخر رمضان سنة احدى وعشرين وتسعمائة كما مر وفتح تونس كان فى جادى الاولى من السنة المذكورة وهو وقع فى التزهة كما أن فتح تونس كان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وهو غير صواب والله تعالى أعلم

في حجي السلطان أبى مر و ابن عبد الملك بن الشيخ السعدى بعسكر الترك واستيلاؤه على المغرب في

(اعلم) انه وقع فى التزهة وغيره ان عبد الملك بن الشيخ وأخاه أحمد كانا فى ابتداء أمرهما بسجلماسة فلما توفى أبوهم وولى أخوها الغالب بالله لحقا بتلسان فقاما بهامدة ثم انتقلا إلى الجزائر فلما اتصل بهم أخبر وفاة أخيهما الغالب وولاية ابنه محمد المتوكل من بعده ركب عبد الملك البحر إلى القسطنطينية وقطارح على ملكها العثمانى فى أن عيده بجيش لملك المغرب قتنا فى عنه العثمانى إلى ان بعثت العمارة لفتح تونس فنشد عبد الملك الفتح وعاد اليه بالبشارة فاسعفه وهذا غير صواب من جهة أن فتح تونس كان متقدما على وفاة الغالب بالله كما مر اللهم إلا اذا كان عبد الملك وقد على العثمانى مستعديا على أخيه الغالب بالله وفى أثناء ذلك توفى وولى ابنه المتوكل فيكون الكلام صحيحا وأما ما فى التزهة مما يقتضى تأخر فتح تونس عن وفاة

العال بالله فقير صواب كما مر ولقد ذكر ما حكموه من ذلك فنقول بما لا يوجب السلطان أبو عبد الله محمد
 المتوكل على الله كان عبد الملك بن الشيخ وأخوه أحمد المدعو بعلينا تصوريا بالجزائر فكتب الجبر إلى
 القسطنطينية العظمى قاصدين السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ومع عبد الملك أمه صحابة
 الرجانية وزعم بعضهم أن التي كانت معهم ماسعوده الوزكيتية وهي أم أحمد منها فأتتهما إلى
 القسطنطينية وتعلقا بكبراء الدولة حتى أذن لهما على السلطان سليم ودخلت أمهما داره وطلبوا منه أن
 يبعث معهم العساكر لتلك المغرب ويقوه واقية بدعونه فتناقل عنهم مدة إلى أن كان الغزو إلى تونس
 فكتب السلطان سليم إلى أهل الجزائر وأهل طرابلس أن يوجهوا فراسينهم لحصار تونس مع العمارة
 الموجهة من قبله فطلب عبد الملك وأخوه أحمد من الدولاقي وهو صاحب الجزائر أن يجعل لهما رياسة
 قرصان نهائية يتوجهان فيه للجهاد معه فأعطاهما غلطة فهاسته وثلاثون رجلا فركبها ولحقا بعمارة
 السلطان سليم في جملة مرآكب الجزائر هكذا وقع في سياقة هذا الخبر وهو يقتضي أنهما كانا يومئذ
 بالجزائر لا بالقسطنطينية فلما أعاد إليهما من عند السلطان سليم إلى أن سافرا في جملة عسكر الجزائر
 والله تعالى أعلم ولما اقتصوا تونس واستأصلا من جهات الكفار حجبوا عن رئيس العمارة العثمانية
 مر كبين يتوجهان بكتاب الفتح إلى السلطان سليم فطلب منه عبد الملك وأحمد أن يأذن لهما في الذهاب
 معهم إلى الغلطة ليأتيا بماتهما التي تركاها هناك فليز الأباليس المذكور حتى أسعفهما ففكك من قدر
 الله تعالى أن هاج البحر عليهم ذات ليلة فتفرق مرآكبهم ولما أصبح عبد الملك وأحمد لم يجد المركبين أنرا
 فوافقهم السعد وساعدتهم الرج فوصلوا إلى القسطنطينية قبل المركبين بثلاث وأصل خبرهما بالسعد
 الأعظم فأحضرهما وسألهما عن العمارة وما كان منها فأخبراه فبلغ تونس وقصاعليه الحديث من البدء
 إلى الختام فأعلم السلطان سليم بما فادخلهما عليه وسألهما كذلك فأخبراه وسألهما عن كتاب الفتح فقالا
 إن أمير العمارة قد بعث به مع مر كبين حبسناهما إلى أن تفرق بيننا البحر ولم ندر ما كان منهما بعد ذلك ولما رأيا
 من السلطان سليم تنزلا واهتزاز الكلاله هما طلبا منه في بشارتهما أن يبعث معهم العساكر إلى المغرب
 وشغفاني أنزل الرأى والدماء ودفعه فقبل شفاعتهم ما تم أمرهم إلى بعض المنازل فأنزلهم بها وأكرمهم ما
 وبعث إليهم ما بالام التي كانت هناك وأرجأ أمرهما إلى قدوم الخبر اليقين وبعد ثلاث قدم المركبان
 وهما كتاب الفتح وظهر صدق عبد الملك وأحمد فحينئذ قبل عليهما السلطان سليم وأعطاهما ملا
 وسلاحا وزادا وكتب لهما فرمانا للدولاقي صاحب الجزائر ليعت معهما خمسة آلاف من عسكر الترك
 نظامهم ما أرض المغرب الأقصى ولما قدما على الدولاقي بأفرمان وقراء على أهل الديوان قالوا علينا
 الرجال وعليهم المال وهذه عادتنا مع السلطان ولما لم يكن عندهما مال يومئذ تطارعا على الخنزير وعلى
 الاغا والوكيل وأهديا اليهم وغبانهم أن يسلفوا لهما ما ينفقانه في وجهتهما تلك إلى أن يعتابه اليهم من
 المغرب فسلوا لهما ما قوما السكركما يحتاج اليه وفرضوا له المؤنة كل يوم يومه إلى أن يرجع وأنشدوا
 عليهما بذلك في دفتر قبلا وأعطوا خطوطهما به ثم نهض عبد الملك وأخوه إلى المغرب يحتران عساكر
 الترك خلفهما وكتب عبد الملك إلى شيعته بالمغرب يعرفهم قدومه ويعددهم وينبئهم إلى أن كان من أمره
 ما كان وساق البقر في هذا الخبر وفيه بعض مخالفة لما تقدم قال لما فتحت تونس كان عبد الملك أول من
 أرسل البشارة مع أصحابه إلى السلطان العثماني فبلغت الرسالة أمه صحابة الرجانية فأعطتها السلطان
 المذكور والتفتت منه أن يعطيها في بشارتها أمر أهل الجزائر بالذهاب معها إلى المغرب فأعطاهم ذلك
 فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان إلى أهل الجزائر يأمرهم بالسيرة معه لتلك ما كان يبدأ به فطالبه
 أهل الجزائر بالاتب فقال لهم اسلفوني وعلى القضاء فاتفق معهم أن يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة
 وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف وهو قال في شرح الدرر أن عبد الملك طلب من رئيس الترك أن

بعينه بحصة منهم ترصده الى تخيم بلاده ليدخلها اذا جئته كله جنداً يه لا يمكن ان يقاتلوه ويضربوا في وجهه لتعطيلهم اياه فاصغفه على مراده وأرسل معه عصابة حصة قليلة فاقبل بهم حتى انتهى الى الموضع المعروف بالركن من أحواز فاس فلما سمع بذلك ابن أخيه محمد المتوكل خرج للقاتنه بنفسه ولما التقى الجمعان ترزع رئيس جند الاندلس سعيد الرغالي الى عبد الملك وكان عبد الملك يكتب حاشية المتوكل ويطايشه وروث من أجناده وبعدها تعهدهم ووعدها صيدهم فلما سمع المتوكل بما فعله جند الاندلس فت ذلك في عضده وفست رعيه وأيقن بالنكبة فلما منه أن جنده كله سيفعل فعل الرغالي فكان ذلك سبب جزعه وفراره من المعركة وصحب خراب ملكه واقامة ملك عمه ويقال ان بعض الجند لما سمع بان القائد جرمون وأولاد عمران نزعوا الى عبد الملك أيضاً جاء الى المتوكل وقال له ان القائد ابن شقرة قد غدر وقرأ الى عبد الملك ولكن ابن شقرة هذا من أكبر قواده وأصدقهم لديه فارتاع المتوكل لذلك وانقلب منهزماً وانتهت خزائنه وأوقد فيها النار ونظ ما كان به من البراد وحتى رى من روث الجبال ولما انهزم المتوكل بالركن عطف على فاس لجده يد فاحذ منها ما يضر عليه من الذخيرة ثم خرج على وجهه الى مراكنس لا يلوى على شيء فلحق به القائد ابن شقرة وادى النجاة على مقربة من فاس وأغظ له في القول ولامه على عدم التأني والتثبت وكان أمر الله غدره مقدوراً

في استيلاء السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم بالله على حضرة فاس وما يتبع ذلك

لما نهزم المتوكل بالركن وأجفل الى مراكنس تقدم هم أبو مروان الى فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد سابع ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة من باب الفتوح وبعد ان دخلها وابعده أهلها أقامهم أياماً ثم طمعت نفسه الى اتباع ابن أخيه الى مراكنس ولما عزم على التوض الى طلبه الترك بان يردهم الى بلادهم وأن يعطيهم المال الذي اتفق معهم عليه وهم يسمونه بفتحهم البقسبش فبذل لكل واحد منهم ما أربع مائة أوقية واستسلم المال من تجار أهل فاس حتى يتسع ماله فكان جملة ما أعطى الترك خمسمائة ألف وأعطاهم عشرة من الانفاض منها النصف الكبير الذي له عشرة أفواه وزادهم من تحف المغرب وطرقة ماسلي به نفوسهم وركب لوداعهم بنفسه الى نهر صبروا ثم رجع الى فاس وفي هذه المدة قبض على قاضيهما الفقيه أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الجدي لاهم تهمه عليه وأودعه السجن فبعث الفقيه المذكور ولاده الى الشيخ الصالح أبي النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي يطلب منه أن يشفع له عند السلطان المعتصم بالله فكتب اليه الشيخ أبي النعيم يحضه على الاستغفار بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستمسك بجبله لانه باب الله الاعظم فقبل القاضي اشارته وتوجه الى ربه بكليته فاتاه الفرج من حينه رحم الله الجميع عنه

في هوض السلطان أبي مروان الى مراكنس واستيلاءه عليها

وفروا ابن أخيه الى السوس وما يتبع ذلك

ثم ان السلطان أبي مروان نهض من فاس في جنده الذي أقامه وكان غرس يده وفيما اضاف اليه من جند ابن أخيه وتقدم الى البلاد المرأشبية فاصداح به وتشر يده عنها ولما سمع ابن أخيه بخروجه اليه وقصده اياه تهاً للملاقاة وسار الى منازلته فالتقى الجمعان بحوض يسمى خندقار يحان على مقربة من وادي شراطين من أحواز صلافا كانت الفرقة ايضا على المتوكل وقرر رأس طمرة ولباطم وأجفل كعادته اجبال النعام وتبعه أحمد المنصور خليفة أخيه أبي مروان ومشد فلما سمع المتوكل باتباعه بعد بلوغه الى مراكنس قرع عنها الى جبل درن وأسلم له مراكنس فدخلها أحمد نائب ابن أخيه وأخذ له البيعة على أهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان فدخلها يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الثاني سنة أربع وثمانين

وسمعائه وأقام بها أياما ثم خرج في طلب ابن أخيه فعميت عليه أنبؤه وسقط بينه وبين الأرض وبصرها فنادى أبو مروان إلى مراکش فاقام بها إلى أن كان من أمره ما نذكره

في استخلاف السلطان أبي مروان لأخيه أبي العباس أحمد على فاس وأعمالها

لما استقر السلطان أبو مروان بمراكش وانقطع خبر المتوكل عنه بالسوس تقدم إليه أخوه أحمد وسأله أن يستخلفه على فاس ليكن فيه أمرها فأجابته إلى ذلك وولاه عليها فلما علم أنه ان أمر المغرب قد صفاه وإن المتوكل لا يعود إليه وكان الوزير أبو فارس عبد العزيز بن سعيد الوز كيتي حاضر للطالبة والعطية فأنكر ذلك ولم يروه صوابا وقال لا ينبغي لك أن تقع دأحي بحكم الله بينك وبين ابن أخيك فإظنا ذلك أحمد ووطن أنهن سمعن رأي عبد العزيز فبغضه لجانته فأعرض عن مقالة الوزير المذكور وذهب إلى فاس خليفة عليها وبقي السلطان أبو مروان بمراكش وفي هذه المدة كتب السلطان أبو مروان لأخيه أحمد بمرألة يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم ووصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله العظيم بالله المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني أيداه الله وأعز نصره وأسعد مناه المبارك وعصره وأبقى بتمه غفره من أملائه أيداه الله ونصره إلى أخينا الأعز الأحنى بابا أحمد حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فاعلم أني لأحب أحدكم من نفسي كحبي لك ورغبتي في انتقال هذا الأمر بعدى إليك لا لأفرك غير أني أعتاد منك التراخي في الأمور حتى أنك لا تبال بغيرك ولا تلتزمه إلى أن يتطرق إلى ما لا تبال في جبره من الأمور التي تكاد لولا لطف الله تذهب بهذا الملك وتهدأ ركانه وبياغ العدو معها مناه ومراده من ذلك التراخي إهمالك أمر الجند للذي بالعرش وأغفالك مع ما تترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة إليه من المؤنة والبار ودوال الرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك وجعلت تقابل خطبهم بالاهمال وعدم المبالاة والآن ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك أبيت إليهم مؤنة عشرة أيام يتغافل أن شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجون إليه زائد على ذلك مع ما نعتكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطف ولا تراحم بحيث لا تقبل منك منرا في هذه المسئلة التي لا تحتاج إلى الاهمال ولا بدولا بدق بلفنان صاحب التصاري بقرب أصيلا في خمس عشرة مائة من النصارى وتغيب أن لو حركتلك الهمة للاقتحام عليه في مكانه بجيش يكسوه أردية الصغار ويرجع ساعق رؤيته إلى عادته من اللذوالفرار فأنبه من الغفلة وافزع عين الانتباه واليقظة فان الساعة لا تنقضي إلا الحزم والتشهير عن ساعد الاجتهاد والعزم والسلام اه

في ظهور أبي عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه إلى مراکش واستيلاؤه عليها

كان أبو عبد الله المتوكل بعد فراره عن مراکش يحول في جبال السوس ويتنقل في قبائلها وأحيائها إلى أن اجتمعت عليه طائفة من الصعاليك وتأسب عليه ما يشبه أن يكون جينا فاستهزئهم منه الأضال وقادهم فود الملك الضليل وجاءهم إلى مراکش فسمع به السلطان أبو مروان فخرج للقائه فخالسه المتوكل وسلك طريقا غير طريقه وفجأ غير فقه وقصد مراکش فدخلها بانفاق أهلها ونصره وكتبوا له البيعة إلا أنهم يتمكن من القصبة لأن السلطان أيامه وإن كان قد نكرها بها أخته الست مريم في نحو ثلاثة آلاف من الرماة فتحصنوا بها وبلغ الخبر أيامه وان باستيلاء المتوكل على مراکش فرجع عوده على يده إلى أن وافي الحضرة فحاصره بها وكتب إلى أخيه أحمد الخليفة على فاس أن يأتيه بجيش منها فأتاه به أحمد مسرعا ولما انتهى إلى مراکش اجتمع بالوزير أبي فارس الوز كيتي فقال له أوقف على الرأي أول الفكرة آخر العمل فبانت لاحد نصيبته وزال ما كان يخرج بصدره عليه ولما جاء أحمد بجيش فاس أسلم

المتوكل شيعته من أهل مراکش وقرأى السوس فبقى أهل مراکش متمادين على الحصار إلى أن اتفق
السلطان أبو مروان مع أعيان جراوة فاندخلوه من بعض الأسوار والأنقاب ولما قرأ المتوكل إلى السوس
تبعه أجد المنصور فكانت بينهما هناك حروب عظيمة أتاح الله فيها النصر للمنصور منها وقصة تينزرت
التي أُنسده فيها وزير الكاتب أبو الحسن علي بن منصور الشيطمي البيتين اللذين قالهما فيه الكاتب
أبو عبد الله بن عيسى وهما

هو الغيث والبحر القطمطم في الندى * وليت إذا جدد الطعان همور

يقوق الميهام عز مسه وانبعاته * ويقصر عنه في الثبات ثبير

فاجابه أجد المنصور بيتي أبي فراس الحمداني وهما

وحن أناس لا ترسوا عندنا * لنا الصدور دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خاطب الحسناء لم ينله المهر

ومنها الواقعة التي بعدها باسطين المنصور وهو في نحو ثلاثة آلاف والمتوكل في نحو ستين ألفا ومع ذلك
هزمه المنصور في وقت كان أجد المنصور هذا مجودا محظوظا مسعودا بحيث أربت سعادته على
شجاعته وما كان أخوه عبد الملك يسرى إلى في ضوطة ملته وعين نقيته فلذا كان يقدمه في الحروب
ويستكني به في نوازل الخطوب ومن سعادته ما اتفق له في ذهابه إلى الأندلس في بحر القنق وتقدمه قبل
الكاتب بثلاث حتى تسنى له من جانب السلطان المذكور ما كان سببا في استلامه على المغرب واستمع
في أخبار دولته من أخباره ما اتفق به على حقيقة الحال إن شاء الله وأما أمر المتوكل فإنه بعد توالي
الهمزات عليه قرأ جبل درن وتوغل في قننه ثم قرمنه إلى باديس فاقامهم امدة ثم ذهب إلى سبتة ثم دخل
طنجة مستصرا خايمه البرتقال والله تعالى لا يهمل من حقوق عباده وزن المنقال

في الغزوة الكبرى وادى الخازن من بلاد المغرب والسبب فيها

كل من خبر هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أباعه الله محمد بن عبد الله السعدي لما دخل طنجة قصد
طاغية البرتقال وأحجمه سبتة أن يكسر السدين وفتح الباء والسدين وسكون التاء القريبة من الطاء وهو
طاغيتهم الأعظم وليس قائد الجيش فقط على ما هو المحقق في تولى بينهم وظاهر عليه وشكا إليه ما ناله
من همه أبي مروان المعتمد بالله وطلب منه الأمانة عليه كي يسترجع ملكه وينتزع منه حقه فاشكاه
الطاغية وأبى دعوته وصادف منه شرها إلى تلك مواعيل المغرب وأمصاره فشرط عليه أن يكون
للمنصاري سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك فقبل أبو عبد الله ذلك وانتمه والعين جمع الطاغية جوعه
واستوعب كبراء جيشه ووجوه دولته وعزم على الخروج إلى بلاد الإسلام وهو من التواتر في تاريخ
الأفريق ثم إن كبار دولته حذروه عاقبة هذا الخروج ونهوه عن التعرير ببيضة البرتقال وتوريطها في
بلاد المغرب وبقائه فعم عن سماع قولهم ولحق في رأيهم ملك الطمع قلبه وأبى الانخروج فأسعفه وخرج
من طنجة في جيش ثم قال ابن القاضي في المتن في المقصور في عهده مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا
ثم وقال أبو عبد الله محمد العربي الغاسي في مرآة المحاسن في يقال أن مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا
وأقل من قبل في عدهم ثمانون ألف مقاتل وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمائة من أصحابه قال
بعضهم وكان عدد الانقراض التي يجزونها مائتين وقصدوا هلاك المغرب وحصد المسلمين وإدارة رعي
الحواب على الدين فعظم ذلك على الناس وامتدات صدورهم رعبا وقلوبهم كربا وبلغت القلوب
الحنان وانتقدت هاتيران الحواجر وكان محمد بن عبد الله المذكور قد كتب عند خروجه بجيش البرتقال
إلى بلاد الأسلام رسالة بعث بها إلى أعيان المغرب من علمائه وأسماؤه وذو رأي به يخلص عليهم بها في

نكت يته وتقصها ومبايعة همه من غيره وجب شرعي وقال لهم ما استصرخت بالنصارى حتى عدت
النصرة من المسلمين وقد قال العلماء أنه يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه
وتخذهم فيها وأبرقوا رعد وقال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وسمى النصارى أهل العدو
واستكف من تسميتهم نصارى فأجابهم علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة
لجيش أبي طيبله وفاخرة تركك تاوليه **وهذا نص جواب تلك الرسالة** حرفا حرفا الحمد لله كما يجب
لجلاله والصلوة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وآله وارضاه الله وأصحابه الذين همجروا
دين الكفر فأنصروه ولا استصروا به حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحت وكفا (وبعد فهذا
جواب من كافة الشرفاء والعلماء والعلماء والاجناد من أهل المغرب وفقهم الله ولانا محمد بن مولا تاج عبد
الله السعدي عن كتابه الذي استدعاهم فيه لحكم الكتاب والسنة واحتل بحججه الواهية المنكبة عن
الصواب فالتين له عن أول حجة صدر بها الخطاب لورجعت على نفسك اللوم والعتاب لعلك أنك
المجروح والمصاب فقولك خلعتنا عتاك التي التزمناها وطوقناها أعناقنا وعقدناها فلا والله ما كن
ذلك مناعن هوى متبع ولا على سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ولنا ذلك مناع على منهج
الشرع وطريقه وعلى سبيل الحق وتحقيقه ونشرح لك ذلك ونبينه ونسطره لك بالادلة الشرعية
التي ترقيه وترينه نعم كنت سلطانا بجماعة ذلك والدلك من البيعة وتركك من الاموال والعدو والحصون
مما لم يتأمله لاحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في الله حق
جهاده حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلاده وأسوار الدين الله فوادعوا أركاننا
وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا قلا وصل ذلك اليك ألفت اليك الأعباد أعنتها وملكتك
أزمته غير مبذل ولا مغيرين ولا باغين ولا منكرين الى ان قام عليك حمل بحجته التي لا يملكك
بجدها حسب ما نبت كما يجب عقدها فخرجت مبادرته بدفعها ولقيته بما أنت واسطة عقدها وحامل
راية عهدها وعملك في قسمة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل جندا من جنودك أو يدافع ماتحت لوله من
أوليئك وبنودك فها هو الآن جرى القتال وحضر التزال رجعت على عقبك هاربا بهروب مطرود
بقصاص وجنودك تناديك ولات حين مناص فتركت عدوك ومحلت بكل ما فيها وخلفتها العدوك
بينها وبينها وهربت عن مدينة فاس المحروسة وسكانها ينادونك ان تركتنا والى من تكلنا فلم تلتفت
اليهم وأسألت بلادهم على ما فيها من خزان الاموال والصدد الوافرة والرجال والأسوار المرتفعة
المانعة والمدينة المشهورة الجامعة فأصبح أهلها والبلد العادية من المفسدين تريد أن تقسم الى الحريم
والاولاد والطارف والتسلاد ولادافع عن الضعفاء والمساكين الا الله تعالى الذي قال في مثلهم ومن
أصدق من الله قولا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأما مكهم بعدد ربك عنهم واسلامك
لهم فوضى مهملين الا النظر في أمرهم واعمال الفكر في التدبير على أنفسهم فيفساهم على ذلك اذا
يعمل بجنوده على باب مدنتهم قاتلا بحجته سالكا في ذلك سبيل أبيه رجه الله وحجته حسبما تقر ذلك
عندكم وظهر ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر اذ كن مولانا محمد الجلالا كبر عهده ولادة مولانا أحمد
ومولانا محمد الشيخ واخوانهم لا ينول الخلافة منهم ولا من أولادهم الا الا كبر فالأكرموا ذلك
الى أن كبر أولادهم فطلب جدهم من عك الوفاء بذلك فامتنع قتاله على ذلك حتى تم له الامر وانتظم
فعهدوا له الذي كان أكبر أولاده فلم ينزعه أحد في ذلك الى أن أتى والدك رجه الله ذلك وعهد اليك
فلم ينزعه أحد فأتى الله الحق فأعطى ملكه لعمك الذي هو أكبركم بعد أبيك فان سلمت هذا فأى حجة
تدلي بها وأي طريق تعتمد عليها وان أنكرت هذا فلا أثر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجلالتك من قبلك
لثبوتها عنكم مولانا أحمد اذا جحدنا جحدنا في القيام على عك خلافة حجيبة لبيعة جدك له فربيق

الا التظلب لذي تدلى به في مسئلة حملك وفي قيامه عليك فان كنت تريد ان تسقط تحتبه بالتظلب عليك
 فحجتك آتية في السقوط لعدم ثبوت الخلافة قل عقد هالك اذا المعذور شرعا كالعهود وحسابه يبق بينكم
 الا والمالك بعد ابي ليلى بن غلبا فياز ملك على هذا ان تثبت ما عقده مولانا الجندرجه الله وعليه فالخلافة
 لعلم القائم عليك اذ هو اكبر في هذا التاريخ فان قلت في ان ما عقده الجندرج صحيح فقلنا في ذلك ذكر
 الامام الماوردي رحمه الله ورضي عنه في كتاب الاحكام السلطانية له في باب عقد الخلافة ان عهده الملك
 ابن مروان رتباه في الاكبر فالأكبر من بنيه فلم ينزعه أحد في ذلك فان قلت في فصل عهده الملك ليس
 بحجة فقلنا في سكوت العلماء على ذلك وهم ما هم في زمانه هو الحق فلا يمكن ان يسكتوا على باطل واقرار
 أهل العصر الواحد على مسئلة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذي هو حجة الله في أرضه
 وكان أيضا من محفوظات علمه فاس المحررة ما ترجمه مسلم رضي الله عنه في صحيحه في كتاب الامارة ما
 نصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع اسكل غادر لواء يوم القيامة عند رأسه يقال هذه غدرة فلان بن
 فلان الا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عاتمة فيقال القاضي في أبو الفضل عياض رحمه الله في كتاب الكمال
 للعلم على شرح فوائد مسلم يعني لم يحطهم ولم ينصح لهم ولم يبق العقد الذي تنقله من أمرهم وفي الباب
 نفسه عنه عليه الصلاة والسلام مانسه ما من أمير استرعاه الله رعية ثم لم ينصح لهم الا يرح رائحة الجنة
 وان دبريها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وفي الكمال نفسه قال القاضي والذي عليه الناس ان القوم
 اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم فلهم ان ينفقوا على امام يبايعون ويستخلفونه عليهم ينصف بعضهم
 من بعض ويقيم لهم الحدود قبل اسلمتهم وأخوابهم في امام وعلمك يدلى بحجة التي ذكرناك مع ما حفظوه
 من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام السلف الصالح وأيسوا من رجوعك اليهم بقوا فوضى مهملين لم
 يسهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم فانتفقوا على ان يبايعوا علمك لما ذكرناك من
 الحجج التي لا يسلم بعدها الا على وجه المكابرة فاطمان الناس وسكتوا وانفتحت السبل وأقيمت الحدود
 وأرقت اليد العادية فان قلت في كنه يجب على أهل فاس ان يقاتلوا على السبعة التي التزموها لك
 فقلنا في انما يلزمهم القتال ان لو أقت بين أظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعي لان القتال على الحدود
 الشرعية لهما يكون بعد نصب امام يصدرون عن رأيه ولا يمكنك أيضا جدها اليه ثم وصلت الى
 مرا كش الفراء التي تجي اليها الاموال من البوادي والامصار وتشد اليها الرجال من سائر الاقطار
 فقبلك أهلها بالترحاب والسرور وأنواع الفرح والحبور فوجدت خزانها تتدرج مثلثا من كل شيء فلما
 أسوارها ورحابها فحسى كاقيل تربة الولى ومصدر الحلى وحضرة الملك الاوى والبرج النير الجلى
 فخلتها وغمكت من أموالها وزائنها ووافقت أهلها فانتكروا ولا غدروا ولا خرجوا عليك في
 سلطانك ولا أنكروا فطلبت أيضا قتالهم ووجدت جنودا لا يجاهدون حافظ ولا يهددها لسان
 لافظ فخرحت اليه تحت راية الخيل وراك كالسيول والزماة فدمرات الحصاب والتولى فما كان من
 حديثك الا ان وقع القتال وحضر التزال يادرن هاريا بمحكا للعاده تاركا لرؤساء من أجنادك والقاده
 فخلت بهم الخطوب والرايا واختطفتهم أيدي المنايا فتركت أيضا محلتك بما فيها من حريك وأموالك
 وعدتك ثم أسرعت هاريا الى مرا كش فاصدتك عنها أحد من أهلها ولا قال لك أحد لست ببعيها
 فموا على القتال معك والتمتع بأسوارها الحصينة والمصار داخل المدينة فلما كان الليل غدوهم
 وغادرت بناتك وأخوانك وهما تلون ساءك ونجحت عنهم من القصة وتركهم لبقواب عليهم ولا حارس
 ولا راجل ولا فارس فيالها من مصيبة ما أعظمها ومن داهية ما أعظمها ولو لافضل الله ولطفه
 ووعده بتطهير أهل البيت لامتنت اليهم أيدي السفلة من النسقة فاي حجة تنبى لك بعد هذا وأي كلام
 لك بين الرجال يا هذا ثم جاءك همك أيضا بلطف من الحجج فوجد أهلها في لطف الله سبحانه وهم

يخسرون أولادهم وديارهم من اليد العادية فانقذهم الله أيضا فابيعوا عملك عباسا من الحج
واطمانوا وسكنوا ثم هرب للجبل عند صاحبه فصرخا في نهب أموال الرعية وسفك دماهم وأكثر
ما صفالك من ذلك أهل الذمة المصغرون بحكم القرآن الداحلون تحت عهد سيد الثقلين في الأمن
والأمان فانت وهم في استيلائك عليهم وظلمك إياهم كاقيل

إن هو مستوليا على أحد * الأعلى أضعف المجانين

ولم تبال بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنا خصم من ظلم ذنبا يوم القيامة ثم خرب العامر وأفسدت
ما شئت الأسلاف للإسلام من الماسر فلما رأى أهل السوس الأقصى ذلك أتبعوا انك انما قصدت
خرب الإسلام وأهله فتكبد عنك أهل الدين والعلم منهم وبقيت كاقيل في خلف كجند الحرب فان
قلت إن أولئك انقلب لم يبيعوا عملك فتقتضهم بما قرأناه في قلنا لم يدع في خلافة أمير المؤمنين
أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من تخلف عنها من أهل الشام وفيهم من قد علمت من الناس
والاجماع على عهدة بيعته وسعى من تخلف عنها باغيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر تقتلك الفسقة
الباغية فقتله أصحاب معاوية رضي الله عنه والحديث من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام والقاعدة أن
ما اجمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ولا يعد خلاف من خلفه خلافا وهذا كله
بالنظر إلى ما كان من حديثك قبل التعزيب مع عدو الدين والاختلاف الضابط العظيم على المسلمين فانك
انفتحت معهم على دخول أصيلا وأعطيتهم بلادا لا سلام فيها لله ورسوله لهذه العصية التي أحدثتها وعلى
المسلمين فقها ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرداد ثم تتكلم أن ألفت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم
ومواليتهم كاتك ما طرق سمعك قول الله سبحانه يا أيها الذين آمنوا اتخذوا اليهود والنصارى أولياء
بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم قال أبو حيان رحمه الله في أي لا تنصر وهم ولا
تستصبر ولهم وهو في كتاب القضاء من فازل الامام البرزلي رحمه الله في أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
المتوفى رحمه الله استفتى علماء زمانه رضي الله عنهم وهم ما هم في استنصار ابن عباد الاندلسي بالكتابة إلى
الافرنج على أن يعينوه على المسلمين فأجابهم رضي الله عنهم برذنه وكفره فتأمل هذا مع قضيتك تجدها
أحرورية مناسبة لقضية ابن عباد في عقدها ابتداء وانتهى طر الكفر وجب العزل وناهيك بقول النبي
صلى الله عليه وسلم عليكم بالسمع والطاعة وبما أفتى العلماء رضوان الله عليهم برذنه من استصبر بالنصاري
على المسلمين فهو نص جلي في وجوب ظلمك وسقوط بيعتك فلم يبق لك الا منفرعة الحق سبحانه في حكمه
ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب وهو ما قولك في النصاري فانك رجعت إلى أهل العدو
واستعظمت أن تستعينهم بالنصاري ففبه المقت الذي لا يخفى وهو قولك رجعت اليهم حين عدمت
النصرة من المسلمين ففبه محظوران يحضر عندهما غضب الرب جل جلاله أحدهما كونك اعتمدت
ان المسلمين كلهم على ضلال وان الحق لم يبق من يقوم به الا النصاري والعباد بالله والثاني انك استعنت
بالكفار على المسلمين وهو في الحديث أن رجلا من المشركين عن عرف بالعدة والشماعة جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فوجده بجرة الوبرة موضع على نحو أربعة أميال من المدينة فقال له يا محمد جئت
لا نصرك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن كنت تؤمن بالله ورسوله فقال لا أقبل فقال له عليه الصلاة
والسلام إنني لأستعين بعيرك وهو ما سمعته من قول العلماء رضي الله عنهم في الاستعانة بهم لغاها
على المشركين بان تجعلهم خدمة لا زبال الدواب لا مقاتلة فاما الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر الأعلى
بال من قلبه وراءه لسانه وقد قيل قديما لسان العاقل من وراء قلبه وهو في قولك يجوز للإنسان أن
يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه وجعلت قولك هذا قضية أنتجت لك دليلا على جواز
الاستعانة بالكفار على المسلمين وفي ذلك مصادمة للقرآن والحديث وهو عين الكفر أيضا والعباد بالله

وهو قولك فان لم تنفعوا فاذنوا بحرب عن الله ورسوله ايه أنت مع الله ورسوله أو مع حرب مقامل ما قلت
 في الحديث يتكلم أحدكم بالكلمة تهوى به في النار سبعين خريفاً وهو لما سمعت في جنود الله وأنصاره
 وجاهدينه من العرب والعجم قولك هذا حلتهم الفيرة الإسلامية والحية الإجمانية وتجدد لهم نور
 الإيمان وأشرق عليهم شعاع الايمان فمن قائل يقول لادين الا دين محمد صلى الله عليه وسلم ومن قائل
 يقول سترون ما أصنع عند اللقاء ومن قائل يقول وليعلن الله الذين آمنوا وليعلن المنافقين ومن
 قائل يقول انما قصد التشفي بالمسلمين اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال القبيحة
 الى غير ذلك فجزاهم الله عن الاسلام خير اورضى عنهم وبارك فيهم فله درهم من رجال وفرسان
 وأبطال وشجعان قالوا يمكن منهم الاما غير قلوبهم عن الذين لكان كافيا في حجة ايمانهم وعظيم ايمانهم
 فقد بلغ نور غضبهم لله سبحانه مع العرش والحب في الله والبغض في الله من قواعد الايمان وهو قولك
 أيضا متبرئان من حول القوت فان لم تنفعوا فالسيف فهو كلام هنيئان يدل على حفاقة قائله فقط
 أنباء سيفك هذا وانت مع المسلمين في أربع وعشرين معركة لم تنته بك فيها راية ثم زال نبوه الا ان
 بالكفر فهذه أخوة قتالها وهو امامان بنه لا امام دار الهجرة فكفك عجزاً ان لم تعين لننا صلياً
 نعمد عليه فيما تحب به الا انك كثر بسواد القرطاس مغرباً بذكره لا مغرباً بنه وهو مانسته
 الحنفية من أكل الميتة عند الضرورة ونموغ الفضة بخرم فهو عما نص عليه المالكية في
 مختصراتهم التي ألفوها للصبيان فمدولك عن ذلك الى الحنفية اما قصور واما الغناء مذهب مالك رضي
 الله عنه وهو الصمد الثاق وهو ما قولك أنت أهل بني وعناد فلا نسلم لك ذلك الا لو أقت بين
 أظهرنا وقالت مناحي ترى أنسلك أم لا فاما اذهرت عناوتر كنا فاحجة عليك لا علفا على انك في
 كتابك تنسق الكل بملك وتكفره وقد قال العلماء رضي الله عنهم من يقول بتكفير العامة فهو أولى
 بالتكفير وذلك معزول زعيم العلماء القاضي أبي الوليد ابن رشد والقاضي أبي الفضل عياض وكيف لا تنتظر
 لقضايا لسان وتونس وغيرهم من سائر البلدان كيف وقع لاهلهم المستنصرين بالكفر على
 المسلمين هل حصلوا على شيء مما قصده أو بلغوا شيئاً مما آملوه على ان أكثر العلماء حكموا برؤيتهم فقاتلهم
 الدنيا والآخرة والعباد بالله وقد انقضت في كتابك مجموع الروم وقيامهم ملك وعولت على بلوغ
 الملك بحشودهم واني لك هذا مع قول الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
 لكم الاسلام ديناً ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه
 وسلم ان تغلب هذه الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لبات الدنيا وهو عنه صلى الله عليه وسلم أنه
 قال سيقا تل آخر هذه الامة للرجال وهو عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت ربى ثلاثاً فاعطاني اثنتين
 ومعنى واحدة سألته الاله ليحكمهم بسنة عامة فاعطانيها وسألته ألا يظلم عدوهم الكافر فاعطانيها
 وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعها والكل عليك واياك نفي وهو ما ذكرته عن علك فاعلم انه لما بانته
 خبرك واستصارك بالكفار عقد الربية المنصورة بالله في وسط جامع المنصور بعد ان ختم عليها أهمل
 الله من جملة القرآن مائة ختمه جميع البخاري وصحوا عند ذلك بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام
 على البشير النذير والصلوة والسلام بالانصروم والتكبير والفتح الشايع المبين فلو سمعت ذلك لعلت
 وتحقت أن ابواب السماء انفتحت لتلك وقضى ما هنالك وبلغه كتابك الذي كان هذا جوابا عنه
 وهو بوسط تامسنا معه من جنود الله وأنصاره وجاهدته ما يجعل الله فيه البركة ولولا ان النزع
 العزيز أمر بتعظيم جنود الاسلام والمباهاة بها والافتخار بكثرته الما قرونا لكم أمرها الا اعتماده أيده
 الله عليه لو كذلك هم لا اعتمد لهم الا على حول الله وقوته ونصره وتأييده والناس على دين الملك وقد قاتلك
 وأنت في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة لم تنصر لك فيها راية فاي نخس وشوم حلالا لارل وم فان

جلبتم فآله ولهم بالمرصاد ارجع الى الله أي المسكين ونب اليه فانه يقبل التوبة عن عباده في كل
 وقت وحسن ودع عنك كلام من لا ينضك حاله ولا يدلك على الله مقالته وهذه نصيحة ان قبلتها
 وموعظة ان وقت اليها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهونم المولى يوم النصير وهو
 حسبنا ونعم الوكيل والسلام انتهت الرسالة (وكان خروج محمد بن عبد الله بجيش البرتغال
 وفصوله به من طنجة في ربيع الثاني سنة ست وثمانين وتسعمائة) وقال في المرأة انهم لما خرجوا الى بلاد
 الاسلام ضربوا محلاتهم بالفحص على أقل من مسيرة يوم من مدينة القصر وكانت أصبلا فقد تصبرت
 اليهم قبل ذلك بأشهر يعني بعد فرارهم عنها أيام السلطان محمد الشيخ كانت قدم فعابن أهل القصر الحكمة
 لقرب العدو منهم وقوتها التي لا طاقة لهم بها وقتها التفاق لاجل السلطان محمد بن عبد الله الذي معهم
 ولا لاجل بعد صريح المسلمين فان السلطان بأمر وان المعتصم بالله كان اذذاك عمرا كش فاستبطوا
 وصول الخبر اليه ثم حجبته بعد ذلك فلم يبق لهم تدبير الا الفرار والتحصن بالجبال وغيرها فقال الشيخ أبو
 المحسن يوسف الفاسي رحمه الله وكان اذذاك بالقصر رجل من أصحابه نادى الناس ان أزموا بلادكم
 ودوركم فان عظيم النصارى مصبون حيث هو حتى يجي السلطان من مرا كش وان النصارى غنية
 للمسلمين ومن شاء فليطع خسين أو قبة في النصارى بشير الى مبلغ قيمة النصارى في الغنيمة فانتقل
 النصارى من مكانهم ذلك أكثر من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان وكان مريضا اه وهو قال في
 الترهة ان النصارى لما برزوا من طنجة شنوا الغارة على السواحل فأعلم أهلها السلطان بأمره وان كان
 عمرا كش وشكروا اليه كلب العدو عليهم فكتب السلطان أبو مروان من مرا كش الى الطاغية ان
 سطوتك قد ظهرت في خروجك من أوزك وجوز لك العدو فان ثبت الى أن تقدم عليك فانت نصرائي
 حقيق تصالح والافانت كلب ابن كلب فلما بلغه الكتاب غضب واستشار أصحابه هل نقيم هنا حتى يطق
 بنا من خلفنا من أصحابنا فقال له محمد بن عبد الله الراي ان نتقدم ونكف طلاوين والعرايش والقصر ونجمع
 ما فيه من العدو ونقتوي بما فيه من الذخائر فاجب ذلك الراي أهل الديوان ولم يهب الطاغية وكتب
 السلطان أبو مروان لآخره أي العباس أحد وكان نائبه على فارس وأعلمه ان يخرج بجيوش فارس
 وأحوارها وتهيأ للقتال ثم كتب اليه أيضا في شأن مؤنة الجيش كتابا يقول فيه من عبد الله المعتصم بالله
 المحمدي في حيل الله أمير المؤمنين أي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أي عبد الله محمد الشيخ الشريف
 الحسين أيد الله أمره وأعز نصره الى أحننا الأعز لا نجيب بابا أحد ابن مولانا والودوس الله كريم خاتمه
 سلام كريم ورجة الله وبركاته أما بعد فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بتأمرنا ولا زائد بحمد الله
 الانخير والعافية والنعم الضافية هذا وان ساعة وصوله اليكم تخرجون من الخدام لعمالة مكاسة
 وقبيلة زمو رؤا ولا دجلول من يفرض عليهم علف محلتنا المنصورة ومؤنتها وبأمرهم رفقه وابلغته
 الى مدينة سلا وقد ذلك صحفة شعير وعشرون مدام القمع لكل نائبة وصاع من يمن وكش لكل
 أربع فواب وكده عليهم عاك الله ان يفتوا بذلك وبإصالة الى المكان المذكور من غير علة وهذا
 ما وجبه الاعلام اليكم والله يرعاكم بعنه والسلام اه ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية نائبة
 وذلك بعدما وصل الى النصارى رحلت اليك ست عشرة مرحلة اما ترحل الى واحدة فرحل الطاغية
 من موضع يقال له تاهد لرت وتزل على وادي الحازن بقرية من قصر كرامة وكان ذلك من السلطان
 أبي مروان مكيدة ثم ان الطاغية تقدمت بجيوشه وعبر جسر الوادي وتزل من هذه العدو فامر السلطان
 بالقنطرة أن تدم ووجه اليها كتيبة من الخيل فهدموها وكان الوادي لا مشرع له سوى القنطرة ثم
 زحف السلطان أبو مروان الى العدو بجيوش المسلمين وخيل الله المسومة وانضاف اليه من المتطوعة كل
 من رغب في الاجر وطمع في الشهادة وأقبل الناس سراعا من الأفاق وابتدروا حضور هذه المشهد

الجليل فكان عن حضره من الاعميان الشيخ أبو المحاسن يوسف القاسي وغيره **وقال في المرأة** كان
 الشيخ أبو المحاسن في ذلك اليوم في أحد الجناحين وأظنه المبصرة من عسكر المسلمين في مقابلة النصارى
 دمرهم الله **قال** فوقع في ذلك الجناح انكسار ترخيبه المعلوم عن مصافهم وحلب عليهم النصارى
 فثبت الشيخ وثبت من كان معه الى ان منع الله المسلمين النصر وركبوا كثاف العدو يقتلون بأسرون
 والشيخ لم يزل ولم يلفت منذ توجه الى قتالهم حتى فتح الله عليهم اه **ولما التقت القشتان** وزحف
 الناس ببعضهم الى بعض وحى الوطيس واسود الجربق الجبادودخان المدافع ودامت الحرب على ساق
 توفي السلطان أبو مر وان رحمه الله عند الصدمة الاولى وكان من مضايقاته في محنة فكان من قضاء الله
 السابق ولطفه السابغ انه لم يطلع على وفاته أحد الا حاجبه مولا مروضان العلي فانه كتم موته وصار
 يختلق الى الاجناد ويقول السلطان بأمر فلانا ان يذهب الى موضع كذا وفلانا ان يلزم الاية وفلانا
 يتقدم وفلانا تأنثر **وقال** شارح الزهرة في ما توفي السلطان أبو مر وان لم يظهر الذي كان سائس المحنة
 موته فصار يقدم دواب المحنة نحو العدو ويقول الجند السلطان بأمركم بالتقدم اليهم وعلم ايضا بجوئه
 أخوه وخليفته أبو العباس أحد بن الشيخ فكتمها ولم يزل الحال على ذلك والناس في المناصلة والمقاتلة
 ومعاينة القواضب والاصطلاء بنار الطمان واحتساء كؤوس الخمر الى ان هبت على المسلمين ريح النصر
 وساءدهم القدر وأغرقت أغصان رماحهم زهر الظفر فولى المشركون الادبار ودارت عليهم دائرة
 البوار وحكمت السيوف في رقاب الكفار ففرزوا وان حين فرار وقتل الطاغية سبستان عظيم
 البرقتال غريقا في الوادي وقصد النصارى القنطرة فلم يجدوا الا نارا هائشة نفوسهم ونجا قوا في
 التهرتاف الفرائش على النار فكان ذلك من أكبر الاسباب في استئصالهم وأعظم الجبايل في اقتناصهم
 ولم ينج منهم الا عدد نزر وسر ذمة قليلة **وقال في المنتقى** المقصور كان هذه الغزوة من الغزوات
 العظيمة الواقعة الشهيرة حضرها جهم غفير من أهل الله تعالى حتى انه أشبه شيء بغزوة بدر **وقد** تأنى
 شيخنا أبو راشد يعقوب البغري عن يتقيه ان الرجل من حاضري ذلك المعترك كان يستبق الى النصراني
 لينتزعه الفرصة فإيسله حتى يجده ميتا اه **وبحث في القسلي** عن محمد بن عبد الله المستنصر خ بهم
 والقائد لهم الى مصارعهم فوجد غريقا في وادي الخازن وذلك انه لما رأى الهزيمة قنجا جاب نفسه واضطر
 الى عبور النهر فغرق في غدير منه وغرق فالت فاستقرجه القواصون وسخ وحشي جلده تبنيا وطيف به
 في مراكش وغيرهما من البلاد ومن وجد صريعا في القسلي ومثله الفقيه أبو عبد الله محمد بن عسكر
 السريفي الشغساوي صاحب الدوحة فانه كان قد هرب مع السلوخ وكان من بطانته فدخل معه بلاد
 العدو فوجد بين جيف النصارى قتيلا وتكلم الناس في أمره حتى قيل انه وجد على شمله مستدبر القبلة
 وفيه يقول الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن الامام الشيرازي محمد عبد الله الهبطي رحمه الله في
 منظومه التي نظم فيها أصحاب أبيه معتذرا عن ابن عسكر المذكور ومشير الى توهين ما قيل فيه
 ومنهم الشيخ الذي لا ينكر * محمد أخو الهداه عسكر
 وان يكن أتى بذنب ظاهر * فمرضه من الشكوك طاهر
 رأيته في النوم ذا بشاره * وهبته حسنة وشاره

الناس يترقبون مغبتها لا خسر لا ط لا مال بالحرام فظهر ذلك من غلا وغيره وكنا نسمع ان البركة
 رقت من الاموال من يومئذ وقد حضر الشيخ أبو الحسن هذه الفزوة وأبلى فيها بالامحسان وتبرع عن
 الغنية فلم يتلبس منها بشئ وبلغت قيمة النصارى ما ذكره الشيخ ولكن سبب عدم ضبط الغنية وقسمها
 على الوجه المذكور موت السلطان أبي مروان قبل هزيمة النصارى ولكن مرينا فاشتغل أخوه أبو
 العباس أجد بجمع الكلمة ولم يتبل بأمر الغنية فتم له ما قصد وهو قدساق في منويل في تاريخه خبر هذه
 الواقعة مساقا حسنا فقال لما استولى عليه الملك السعدي المدعو عند أهل المغرب بولاي ماولك على
 ملك المغرب وطرد ابن أخيه مولاى محمد المعروف بالاكحل بنى السلوخ ذهب أولا الى اصبانيا وتطارح
 على طاغية الاصبينول فيليب الثاني في أن يعينه على استرجاع ملكه فامتنع ثم دخل اصبونة وتطارح على
 طاغية البرتغال سبستيان فاجابه وذهب الى خاله طاغية الاصبينول فيليب المذكور أنقا وطلب منه
 الاعانة على ما هو بصدده فوعده بان يعطيه من المراكب والعسا كراما يكمل به العرائش لانه كان يرى
 انها تعدل سائر مراسى المغرب ثم أمده بعشرين ألفا من عسكر الاصبينول وكان سبستيان قدساق
 معه اثني عشر ألفا من البرتغال وثلاثة آلاف من الطالين ومثاهما من الالمان ومن متطوعة
 الاصبينول وغيرهم عددا كثيرا وبعث اليه اليابا صاحب رومة باربعة آلاف أخرى وبالف
 وخمسمائة من الخيل واثني عشر مدفا وجمع سبستيان نحو ألف مراكب وجاء الى قادس ولما عزم
 على اتمام بلاد المغرب تشفعت اليه جدته وأرباب دولته وشيوخ دينه في الرجوع ففهم عنهم وكذلك
 خاله فيليب حذره عاقبة التوغل في أرض المغرب ففهم عن ذلك كله وجاء الى قادس ومنهاج الى طاغية
 وكان محمد بن عبد الله السلوخ ينتظره هناك فاجتمع به وزحفوا الى بلاد المغرب وزحف اليهم السلطان
 عبد الملك في عساكر المسلمين وكانوا أربعين ألفا وزيادتهم ومدافهم أربعة وثلاثين مدفا وقواد الجيش
 أبو علي القنوري والحسين العلي الجنوي ومحمد أبو طيبة وعلي بن موسى وأخوه أجد بن موسى
 الذي كان عاملا على العرائش فجاء في جمعه الى السلطان عبد الملك وانضم اليه ولما تقارب الجيشان
 جمع السلطان عبد الملك الناس وخطبهم ثم استدعى النصارى الى القتال ونصب لهم علامته فاجموا
 وكان قصدهم المطاولة وقصد السلطان عبد الملك المناجزة وذلك لان محمد السلوخ قدس اليه من
 سمع وقال منويل في ولما أحس عبد الملك بذلك وأنه لا محالة هالك بذل نفسه للقتال ليوت في الجهاد
 وكان السلوخ يترصد كي يملك همه قبل اللقاء فتقع الفتنة في عسكر المسلمين لكن جيش النصارى
 لم تكن لهم مؤنة يطاولون بها فاجأهم ذلك الى المناجزة ولما انتشبت الحرب هلك عبد الملك الحسين وقال
 منويل في وكان أمر هذا الرجل عجبا في الحزم والشجاعة حتى انه لما مات مات وهو واضع سبابته
 على فخه كأنه يشير الى جيشه أن يسكتوا عن الغلوص في فاته حتى يتم أمرهم ولا يضطربوا وكذلك كان
 فانهم كتموا مؤنة فانتصر واوظفوا بالنصارى ظفرا لا كفاه فكاوا يذبحونهم مثل الكباش ودهش
 النصارى وتكبكب جوعهم وراكت أمتعتهم وصناديقهم وخيلهم وسلاحهم بالترتيب وزادهم
 دهش أن بعض طوايرهم كان ينادي صاحب صفاته وراكم وراكم فطعمكم العدو وقدت النار في بارود
 النصارى فنقط وانهمزوا الى وادي الخزن فهاقت جلهم فيه فهلكوا والباقي أسره المسلمون وزعم
 ان سبستيان هلك تحت في ذلك اليوم أربعة أفراس وكان شابا حذاقا قال له صاحبه ان تروني تروني أمامكم
 وان لم تروني فأتاني وسط العدو أقاتل عنكم قال وأبدا وأعاد في ذلك اليوم الى ان خرت قتيلا وبقي مذكورا
 عند البرتغال يسمى ون باخباره وذكره شعراء الاوربا في أشعارهم ولازوا يذكرونه الى الآن وخلفه
 في ملكه الطاغية الربيكي البرتغالي فهو الذي ولي بعده واقتدى جنازته من المسلمين وقامها الى سبعة فقيبت
 هنالك الى ان هلك الطاغية الربيكي وتولى على البرتغال طاغية الاصبينول فيليب الثاني فصار ملك

الدولتين معا وهو خال سبستان أخو أمه قتل جنازته من سبتة الى اشبونة ثم اخرج من قبل الوقعة
 بالتاريخ العربي واليهي موافقا لما ذكره في هذه الوقعة وقال في التزهة في تو في السلطان
 أومروان عبد الملك بن الشيخ في ذوال اليوم المذكور وبايع الناس أخاه أبا العباس أجد المنتصور بالله
 كما ساقى ان شاء الله قال في درة الحال فاقطر لحكمة الله الواحد القهار أهلاك ثلاثة ملوك في يوم
 واحد وهم أومروان بن الشيخ وولدا أخيه محمد بن عبد الله المسلوخ والطاغية سبستان وأقام واحدا
 وهو أبو العباس المنتصور اه قلت وفي أهلاك الثلاثة وإقامة الواحد إشارة وأخيه لاهلاك دين
 التنبلث ونصيردين التوحيد في ذلك اليوم والله تعالى أعلم ولما بلغت الفرقة الى الطاغية الأعظم أعنى
 القائم بالامر بعد سبستان لان التحقيق انه كان الأعظم ومثله امر بعث الى المنتصور بعد استعانة لاهل الملك
 وعوده الى قاس كما ساقى يتلمس منه الفداء فبين بقي بيده من الاسارى فاجابه الى ذلك وحصل له بسببه
 أموال طائلة فهو ذكر بعضهم ان الاسارى لما ذهبوا الى بلادهم قال لهم الطاغية لم تأخذوا تطاوين
 والعراش والقصر قبل أن يصل ملككم فقالوا له امتنع من ذلك الامير الذي كن علينا فامرهم فارقوا
 جميعا مع حكته وقال في التزهة في ذكر بعضهم ان النصارى لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة فخرج من فني
 منهم ورأى أساقفتهم قلة عددهم وخلاهم لبلادهم لكثرة من مات منهم بأحوال العامة فاحشة الزنا لكثرة
 التماسل ويخلف ما هلك منهم وأذاك من نصرته دينهم وتقوى أودع منهم أنزاهم الله اه وقد وقعت في
 على تاريخ بعض مؤرخي الفرنج النجيزيين من أهل جزيرة مالطة فرأيتهم قد أخبروا هذه الوقعة وصرح
 بانها كانت سبب هلاك البرتقال وتلاشي دولتهم وبتلان كرسي سلطنتهم حتى استضافهم اليه طاغية
 الاصنبول بعد نحو سنتين وصبرهم من جلاء رعيته ومن فصول كلامه بعد ان ذكر ان أكثر البرتقال
 قتلوا في ذلك اليوم مانصه وكانت بعنى الوقعة المذكورة وقعة هائلة ويوما مشؤما وبالجملة فقد قتل في
 ذلك اليوم سائر أمراء البرتكيسيين ولم يخلف منهم أحد فلما بطل كرسي سلطنتهم قام وقتندفيليس
 الثاني ملك اصبانيا وتزوج ملكتهم وحكم على البلاد كلها اه كلامه الا انه ذكر ان السبب في استغاثة
 السلطان محمد بن عبد الله البرتقال هو تغلب الاصنبوليين على ملكه وانتزاعها من يده وهو كذب وأغلط
 ولعله تصف عليه لفظ الاصنبوليين بالاصنبوليين اذ قد تقدم أن السلطان أبا مروان انما استولى على
 المغرب بجيش الترك المتقدم من قبل السلطان سليم العثماني والله أعلم وقد أتم هذه الوقعة أيضا الوزير مارية
 في كتابه الموضوع في أخبار الجديدة لكنه لم يبسطها على عادته في السكوت عن ما يكون من الظهور
 في جانب المسلمين واشاعة ما يكون من ذلك في جانب النصارى بل والزيادة فيه ومع ذلك فقد قال في وصفها
 كلاما هذه ترجمته وقد كان نجبوا الثاني مستقبل الاعصار العصر الذي لو وصفته كما وصفه غيري من
 المؤرخين لقلت هو العصر النفس المبالغ في الخوسة الذي انتهت فيه هذه الصولة والظفر والنجاح
 وانقضت فيه أيام العناية من البرتقال وانطأ مصباحهم بين الاجناس وزال رونقهم وذهبت النخوة
 والقوة منهم وخطفها الفشل وانقطع الرجاء واضمحلت ابان الفنى والريح وذلك هو العصر الذي هلك فيه
 سبستان في القصر الكبير من بلاد المغرب اه فهذا كلام هذا البرتقال قد تحفظت عليه وآذيت ترجمته
 كما هي ليعتبر به من يتف عليه والحق ما شهدت به الاعداء ولما تمت للسلطان أبي العباس المنتصور
 البيعة بوادى الحجازن طلبه الجيش بارزاقهم واستنجزوا اعطيتهم حسب ما جرت به عادة من قبله معهم
 فطالهم هو بخمس الغنيمة لانهم جعلوها نبي ولم يقتسموها على الوجه الشرعى كما سبق فصعب
 استخراجها منهم لعدم التيسير وجوء الناس على الغلول فسامعهم فيها وسامحوه في عطيتهم ثم أمر
 المنتصور بتوجيه كتب البشارات الى الآفاق في هذا الفتح المبين فكتب الى صاحب القسطنطينية
 العظمى والى سائر عمالك الاسلام المجاورين للغرب يعترفهم بما أنتم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك

عبدة الصليب واستئصال شوكتهم ورد كيدهم في نحورهم فوردت عليه الارسل من سائر الاقطار
مهنئين له بما فتح الله على يده حسبا مذكره بعد ان شاء الله

بقية اخبار السلطان أبي مروان وسيرته

وقال ابن القاضي كان سبب وفاة السلطان أبي مروان رحمه الله أنه سقى سما وذلك ان قائد الترك الذين
كانوا معه واسمه رمضان العلي بعث الى بعض قواده أن يتفاهم بكعك معصوم هدية للسلطان المذكور
وقت مرورهم عليه وقصد بذلك قتله وذلك بعد أخذه بمدينة فاس ليثبت لهم الملك بما لم يكن الله
مرادهم لما شهده من عظيم جيش المغرب فهذا كان سبب موته رحمه الله اه ولما توفي حمل
الى مراکش فقبورها وكانت مدة خلافة أربع سنين ومن حباه القادر ضوان العلي وكتابه
محمد بن عيسى ومحمد بن عمر الشاوي وقضاته قضاة ولداً أخيه وكان يترى بالترك ويجري
بجراهم في كثير من شؤنه وكان يتم بالميسل الى الاحداث ورعا كان يظهر ذلك وكان أخوه أبو
العباس المنصور خليفته على فاس كما هو وكانت له فيه محبة تامة وكان يظهر أنه ولي عهده وبرئحه
لذلك كثيرا حسبا أخصت عنه رسائله التي كان يبعثهم اليه ولقد ذكر كما كان في هذه المدة من
الاحداث في سنة ثمان وعشرين وتسعمائة كان الوفاء بالمغرب كافتنا في سنة ثلاث
وثلاثين وتسعمائة زل مطر غزير بمراكش حتى امتلأت منه الابار وتهدمت الدور وصار
الناس يؤرخون بعام الابرار في سنة واحدة وستين وتسعمائة توفي الشيخ أبو محمد عبد الله بن
ساسي من أولاد أبي السباع ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسيفت من أعمال مراکش وقبره
مزارع مشهورة وعليه بناء حافل في سنة ثلاث وستين وتسعمائة توفي الشيخ الامام أبو محمد
عبد الله بن محمد الصنهاجي الطنجي المعروف بالمطلي وكانت وفاته في ذي القعدة من السنة المذكورة
وكان رحمه الله من أهل الورع والدين والاتباع للسنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن فوائده
ما حكا عنه في الدوحة قال سألت شيخنا الامام أبا محمد عبد الله المطلي عن الشيخ أبي محمد الغزواني
وكان من أصحابه فقلت له يا سيدي ما سائر المشايخ من أصحاب الشيخ الغزواني كافي الخراج التبليدي
وأبي البقاء الباصوفي وأبي الحسن علي بن عثمان وغيرهم بصرت حون بقطانية الشيخ وينسبونك
أنت الى التقصير في حقه حيث لم تغسل بما يقولونه فقال لي رضي الله عنه قد علمت معنى الشهادة
في الشرع ما هي فقلت نعم فقال لي كيف لي أن أشهد لاحد مقام معين وأنا لم أسلكه ولم أتبعه ولم
يكشف لي عنه فان فعلت فقد شهدت شهادة الزور فقلت له وأي شهادة تشهد في الشيخ فقال لي أشهد
أنه من العارفين بالله أنه كان يحجب بالحال أكثر مما يحجب بالمقال انتهى فقلت له وهذا شأن أهل
الدين والورع المخاطين لا ينهم لا يقدمون على أمر ولا يتقوهون به حتى يكونوا منه على بصيرة وتجهد
كثيرا عن عقله ورأه لسانه يتقولون على الله في غيبه ويخطون خطب العشواء وينسبون المقامات
والاحوال لمن ليس منها في قبيل ولا دير نسأل الله تعالى أن يلهنا رشدنا بجمعه في سنة أربع وستين
وتسعمائة في يوم الاربعاء الثامن والعشرين من رمضان من سنة تسف التمس الكسوف الكلي
العظيم في سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كساها وجباله وأقي كما هو بأطاله
واتصل أمره الى سنة ست وستين بعد هذا في سنة احدى وسبعين وتسعمائة توفي الشيخ أبو العباس
أحمد بن موسى الجزولي ثم العملاي الشهير ببلاد السوم أخذ عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع
والشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي ثم اللياني في سنة ست وسبعين وتسعمائة في ليلة عيد الاضحى
منا توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عباد الصنهاجي ثم الفرجي الدكالي المعروف بالمجنوب الولي المشهور

دفن مكاسة الزيتون كان مأوى سلفه بدينة تيط قرب آرمور ثم رحل هو ووالده الى مكاسة
لغات بالبحر وفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة هـ بعد صلاة الجمعة من أول يوم من المحرم منها زلزلت الارض
زلزالا شديدا وقع الناس لذلك وفي هذه السنة في الحادي والعشرين من ربيع الاول منها وفي الشيخ
أبو محمد عبد الله بن حسين من مرقاني آه قاردين نام صلوحت وقد تقدم ماجرى بينه وبين السلطان
الغالب بالله وهو في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة هـ وذلك أو آخر شوال منها الموافق لواسط مارس القمري
حدث بالمغرب جراد كثير وفي أيام السلطان الغالب بالله ظهر نجم لم يكن معه هودا ثم ظهرت في أيام ابنه
محمد بن عبد الله أعمال حرق في البحر من الناحية الشرقية تبعته في الارض أجناد الترك التي جاءها
السلطان أبو مروان من الجزائر كاهم وفي أيام السلطان أبي مروان المذكور ظهر الكوكب ذو الذنب
الكبير في برج العقرب وطلع أياما ثم غاب وظهر بعده كوكب آخر ذو ذنب أصغر منه وعلى أثره كان خروج
البرق قتل من طنجة وقمة وادي الخازن كاهم والله تعالى أعلم بنيه

في الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله السعدي المعروف بالذهبي وأوليته ونشأته هـ

كانت ولادة السلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان أبي عبد الله الشيخ يقاس سنة ست
 وخسين وتسعمائة وأمه الحرة مسعودة بنت الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبد الله الوز كيتي
 الوارزاني وكانت من الصالحات أخبارا وستاتي بقية أخبارها وهو ذكر في المتن فيقال مرض المنصور
 في صغره مرضا شديدا حتى أيس منه فرأت أمه في النوم شخص يقول لها أزيه الشيخ أبي أيمن
 فأتها أصابته عين فزارته أيامه فوفى وكان أبوه المهدي بنه على أنه واسطة عقد أولاده وهو قال في مناهل
 الصفا في حديثي الشيخ المسن القاندا أبو محمد مؤمن بن الغازي العمري أن المنصور أقبل يوم في حياة أبيه
 وهو وصي والمجلس خاص بالأكابر فاندفع بخرق الصفوس قال فصاح بي المهدي اذ ذلك وأنا أصغر
 القوم فقال يا مؤمن ارفعني فسينفك أو ينفع عقبك فاستدردت جلده وكان كذلك فان المنصور لما أفضت
 اليه الخلافة كان القاندا مؤمن بن الغازي عنده بالخطوة الرفيعة والمنزلة العالية ونشأ للمنصور رحمه الله
 في عفاف وصيانة وتعامد العلم ومناقضة لاهله عليه وكانت تخاليل الخلافة لا تفتح عليه من لدن عقدت عليه
 التنازع الى ان تم أمره هـ حدثنا في الفقيه العالم سفيان الخفاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن علي الجزولي
 الدروي أنه اجتمع ببعض أهل المكاشفة بمصر فساءله عن السلطان أبي عبد الله الشيخ وأولاده قال فسميتهم
 له واقتصرت على الكبار منهم فلم أذكر المنصور لانه كان أصغرهم سنا ومثد فقال لي بقي منهم من لم تذكره
 فقلت له أذكر فقال ذلك واسطة عقدهم ووجه صفتهم فكان كذلك هـ وقال الشيخ أبو فارس عبد العزيز
 الفسستاني هـ لما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدمه من قاص وأوصاه
 بالمنصور جدا وقال له ان الغايدة فيه أو كما قال وهكذا كان بينه على أنه واسطة عقد أولاده وكان المنصور
 رحمه الله يحدث أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأتوره تشرق قال فوقع في نفسي أن أسأله
 عن نفسي من الخلافة فكشفتني عليه الصلاة والسلام بما في خاطري وأجاني بما حقق لي نيلها ثم أشار لي
 بأصابعه الثلاث الشرقية ضامها الى الأهم منها الى السبابة والوسطى وقال أمير المؤمنين هـ وقال في الامام
 أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التمار في كتابه القوائد الجمة باسناد علوم الامة أخبرني الفقيه أبو
 العباس أحمد بن عبد الله اللغوي صاحب الحسبة بنار ودانت أن رأي في منامه كأنه في حلقة مدبر
 فيها صحب البخاري بموضع من دار الخلافة هـ وأبو العباس للمنصور يومئذ ما وذاك قبل ولايته قال فرأيت
 في طرفة الكتاب هذا اللفظ وري الزند فكنت أنا أمل معناه فالتفت فلذا برجل انزل ناحية على طرفة
 فوق في نفسي أن أسأله فأتيت بالكتاب وقلت له يا سيدي ما معنى هذه الكلمة التي في طرفة هذا الكتاب

فقال لي قل لولائك أجد أنا الذي أوريته ذلك مادمت على الحق فان عدلت عنه فأنابى عنك فقلت له
 ومن أنت يا سدي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يعبس الا قليل حتى ولى الخ لافه وحدثت سيرته
 قال أبو زيد بن وهب بريد أواه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان ولاية الاسلام لا تمتنع الا بامر
 النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتهرت المرائي بذلك ويقرب من هذا ما ذكره صاحب انتاج القلوب في
 مناقب الشيخ المجذوب أن الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد الملقب بكدار ابن الشيخ أبي زكريا يحيى بن علال
 المالكي البوخصي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوم فاشكا اليه ولاد مطاع لما أوأهم عليه من الفساد
 في الأرض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم أجد فكان كذلك أناهم عقب ذلك السلطان أبو العباس
 المنصور فاخذهم وقل جمعهم اه وأخبار المنصور من هذا النمط كثيرة وكان وجه الله طويلا القامة
 عمتي الخدين واسع للتكبين تلوها صفرة رقيقة أسود الشعر أدمج أكمل ضيق البلج براق الثنايا
 حسن الشكل جيل الوجه ظريف للترق لطيف الثعائل وكانت يبعته بعد الفراغ من قتال
 النصاري وادى الخازن يوم الاثنين من شهر جادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة واجتمع عليهما من
 حضر هناك من أهل الحل والعقد ثم لفعل المنصور من غزوة تلك ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر
 جادى الاخرة من السنة المذكورة جئدت له البيعة بها ووافق عليهما من لم يحضرها يوم وادى الخازن
 ثم بعث الى مراکش وغيرهما من حواضر المغرب وبواديها فأنعن الكل للطاعة وسار عواالى الدخول
 فيما دخلت فيه الجماعة وقال الفشتالي ههنا كانت وقعة وادى الخازن ونصر الله دينه وكبت الكفر وأهله
 واستوسق الأمر للتصور وكتب الى صاحب القسطنطينية العظمى وهو يومئذ السلطان مراد بن سليم
 العثماني وأنى سائر عمالك الاسلام المجاورين للغرب يعرفهم بما أنتم الله عليه من انظروا الدين وهلاك
 عبدة الصليب واستصال شأنتهم فوردت عليه الارسل من سائر الاقطار مهتدين به بما فزع الله على يده
 وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر ثم تلته ارسل طاغية البرتغال وهو الرى القائم بأمرهم
 بعد هلاك سبستان وليس خاله وأعماله طاغية الاصنبول فيلب الثاني الذى جمع الملكتين معا
 بعد هلاك الرىكى المذكور وبعد وقعة وادى الخازن بثلاث سنين فقد مواجدة عظيمة وضعوها
 يوم دخولهم الى فاس على الكر لريص والجهل فجهب الناس منها بحبايلغا وكان ذلك اليوم يوما مشهودا
 وكان من جملة ما فيها ثلثة آلاف ذكأت من ربال الفضة وأما الطرفى النفيسة والاثاث الرفيع فثنى
 الايصى ثم وردت ارسل طاغية الاصنبول صاحب قنسة التهديدية عظيمة منها البواقيت الحكار التى
 انتزعها الطاغية من تاج أبانوه صنديق ملو من الدر الفانور وقضب الزمر ذو غير ذلك وتكلم الناس
 فيما بين الهديتين أعنى هدية البرتقال وهدية الاصنبول أى سما أعظم ولم يهتد أهل العقل والعرفه
 الى مقدار التفاوت بينهما ثم قدمت ارسل السلطان مراد العثماني ومعهم هدية وهى صيف محلى لم ير
 مثله مضاد وصفه امتن ثم قدمت ارسل طاغية افرانسة ومعهم هدية عظيمة ولم تزل الوفود متردفة
 بباب المنصور والارمال تصبغ ونسى على أعقاب تلك القصور الى ان لم يبق أحد من تشوق النفوس
 اليه وحينئذ اطمانت المنصور للدار وطلب المقام وتم القرار وهو في جادى الأولى سنة سبع وثمانين
 وتسعمائة ثم مرض المنصور مرضا خفوا وطال به حتى كانت الامور تتحلل ثم تبارك الله على يد الحكيم
 الماهر أبى عبد الله محمد الطيب ولما أبل من مرضه أحسن الى الطبيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه
 من الخلع ما لا يحصى وكان يوم خروجه يوما مشهودا وفي ذلك يقول الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد
 ابن على الهوزالى المعروف بالثابته

تردى أذى من سقمك البر والجسر • وضعت لشكوى جمعك الشمس والبدر
 وبات الهدى خوفا عليك مهيدا • وأصبح منذور الفؤاد الندى الغمر

فلما أعاد الله صحتك التي • آفاقها من غم البدو والحضر
 ترامت لنا الدنيا بزينة حسناتها • وعاد إلى أمانه ذلك البشر
 وصار بك الإسلام في كل بلدة • بهني وبدي أن يطول لك العمر
 وصحت لنا الأموال بعد اعتلالها • وعادت إلى الانبعاث أغصانها الخضرة
 ولا غرو أن صامت على سبط الندى • إذا غبر وجه الأرض واحتبس القطر
 ليت أبي العباس انضمت بحافها • قد عينا تخافت أن يعاودها الضر
 لئن صدت يفيض المعالي لقد غدت • تسي الكفاة البيض والسدين السمير
 بقيت لهنسنا الذين تحمي ذماره • ويحميكم رب العرش ما بقى الدهر

في عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو للمأمون

وقال الفشتالي في أول المنصور من مرضه المذكور وعاد إلى حاله من الصحة أجبر أي أعيان الدولة
 واتفقت كلمة كبارهم على أن يطلبوا منه تعيين من يلي الأمر بعده ويكون ولي عهده وكان المنصور مهيبا
 لا يقدر أحد على مواجهة مثل هذا فتفقوا على أن يكون البادئ لذلك القائد المؤمن ابن الغازي العمري
 لما له من الأدل على المنصور بطول الخدمة وسالف التربية فقال له القائد المذكور يا مولانا الله تعالى
 حفظ الإسلام بآلائك من هذا المرض وعصم الدين بإبقائه عليك وقد بقي الناس في أيام سقمك في حيرة
 عظيمة ودخلهم من الدهش ما لا يخفى عليك فلو عينت لنا من أبنائك القساورة من تجتمع كلمة الإسلام
 عليه ويشار بالخلافة إليه لكان أولى وأليق بسياسة الملك وإن ابنك الأكبر أبا عبد الله محمد المأمون
 حقيق بذلك وجدير بسلوك تلك المسالك لما فيه من خلال الخير وحصل السيادة زيادة على ما هو
 عليه من التيقظ في أمور والحزم في شؤنه وقد ظهرت للناس محاسن سيرته وأطلعوا على جيل سريته
 فاستحسن المنصور ذلك وأعجبه ما أشار عليه به فقال له سوف أستخير الله في ذلك فإن يكن من عند الله عهده
 فقلت في هذا الذي حكاه الفشتالي على لسان القائد مؤمن في حق المأمون المذكور هو بخلاف الواقع
 كما استقف عليه من أحوال المأمون بعد هذا إن شاء الله ولكن المؤرخين والشعراء مدحون ويقدحون
 بحسب أغراضهم لا بحسب الواقع غالباً لا سيما إذا كان من يعنونه بذلك مخدوما لهم ومنعما عليهم فلا
 ينبغي لمن وقف على كلام هؤلاء المصنف منهم أن يعتمد عليه إلا بعد التثبت والتبصر والله تعالى الهادي إلى
 الصواب بعينه ثم لبث المنصور بعد هذه الإشارة أياماً يستخبر به في ذلك ويستشير من يعلم أهليته الشورى
 من أهل العلم والصلاح فلما انقضت أيام الاستشارة وتواطأت الآراء على حسن تلك الإشارة جمع المنصور
 أعيان حاضرة مراکش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أشيخ القبائل وجوه الناس من أهل
 الطواغر والبوادي وأوصى بالعهد لولده المذكور أي عبد الله محمد المأمون وذلك يوم الاثنين من سن
 شعبان سنة سبع وثمانين وتسعمائة وكان للمأمون آنذاك خليفة أبيه على فاس فلم يحضر هذه البيعة
 فبعث إليه المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويبايع يحضر تعول يقننه ما كان عقده من البيعة وهو
 غائب ولما بعث إليه خرج المنصور بسكره إلى تانسيفت خارج مراکش ثاني عشر صفر سنة سبع
 وثمانين وتسعمائة ولم يزل بسكره هناك • تلو ما ينتظر القوم المأمون إلى أن قدم غرة جادى الثانية
 من السنة المذكورة فكانت ملاقاتهم ما من عجائب الزمان ولما اصطفت جيش المنصور وجيش المأمون
 ترجل المأمون عن فرسه وتقدم حافي القدم فغرو وجهه بين يدي والده ثم قبل رجليه والمنصور على فرسه
 واقتناب الصفيق فدعاه بخير وأظهر الفرح بمقدمه وكان المأمون قد عالج جيشه تعبئة ليرمئها ورتبهم
 ترتيباً حسناً في لباسهم وسائر أمورهم فسر المنصور بذلك وبعد أيام من بلوغه أمر به فأجلس في سرادقه

الاعظم الذي لم يكن للولوك قبله مثله كما سيأتي وأمر أهل الحل والعقد فأزجوا على تقبيل يده واقضيت
منهم الأيمان بحضرته وقام الشعراء فالحصوا عن وصف الحال وغمر المنصور الناس بالنوال وكان ذلك
اليوم وما مشهودا وبعد أيام منه أمر المنصور المأمون أن يرجع إلى حضرة قاس فرجع ودخل المنصور
حضرته وتم غرضه الذي قصد

في ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ والسبب في ذلك

في قال القسستاني في لما وقعت البيعة لأمون وتكامل أمرها نار الرئيس الاجل أبو سليمان داود بن
عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وهو ابن أخي المنصور وقرأ في جبل سكسيوة وشق العاصودا إلى
نفسه فانثالث عليه أوشاب من البربر وغيرهم ونجم أمره وأثرت في أذن الرعية جهمته فبعث إليه
المنصور قائده الزعيم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن بجة فقاوشه القتال بجبل سكسيوة فهزمه وقرأ في جبل
هوزالة فغزو عليه وقويت بهم شوكة وأخذ يشن بهم الغارات على أهل درعة إلى أن ضاقوا به
ذرها فاشكوا أمره إلى المنصور فبعث إليه قائده الذي ذكر فلم يرز في مقابلته ومقاتلته إلى أن شرده عن
جبل هوزالة فقتل داود عنه إلى العسراء واستقر به الرحل بها عند عرب الودايا من بني معقل فلم يرز عندهم
إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكفى المنصور وأمره

في حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني ولا في المنصور لذلك

قد علمت ما كان من التجار عبد الملك المعتمد وأجد المنصور إلى السلطان سليمان العثماني وتطارحهما عليه
حتى أمدهما بالجيش الذي كان سيباني فملكهما المغرب ولما صفا الأمر لعبد الملك أهل جانب العثماني
ولم يكتبه نبأ ولا خرج على ساحته ثم لما ملك المنصور وكتب إلى النواحي بخبر وقعة وادى الخازن كتب
إلى السلطان مراد في جملتهم فبعث السلطان المذكور إلى المنصور بالهدية التي تقدم ذكرها وكان
المنصور راسقها وأتت منها فتشغل عن الوفود تركهم مهملين بحضرته وتأخر عن جواب السلطان مراد
فكان ذلك سببا للنفرة ولكن وزير البحر للعثماني واسمه الرئيس علي علوج بعث المنصور فلم يرز يسعي به
عند سلطانته ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح في ولاية الترك والطعن عليهم وقال له في ذلك
قد ضاع صنعك في هذا الغادر وصنيع ولدك من قبلك ولم يرز يقتل له في للثروة والغارب ويؤمن عليه
أمر المغرب حتى أذن له في توجيه العمارة إليه ومنزلته والاختفاء فاقه إلى أن يستأصل أمر المنصور
ويخمد جبرته ويقال أن السلطان مراد أمر وزيره المذكور أن يذهب بالعمارة إلى الجزائر فتكون
هناك ثم يتقدم بالعساكر في البر إلى المغرب وأخذ الوزير في التأهب لذلك واتصل الخبر بالمنصور على يد
بعض قناصل الجبلية فارتحل إلى قاس من حينه ومضى التنوير وملا المراسي وكان على أهبة وكمال
استعداد وبعث أرساله إلى السلطان المذكور بهدية عظيمة ولا قبلا فخرط واعتذر أعراسا وكان
من جملة أرساله القائد الانجياد أبو العباس أحمد بن ودة العمراني والكتاب الشهير أبو العباس أحمد
ابن يحيى الهوزي إلى فركبو البحر من مرسى تطاون فاصدين القسطنطينية العظمى وبغياهم في أثناء
الطريق على نيج البحر ليقبضهم الوزير علوج في أسطوله فاصد ديال المغرب عازما على منازلة المنصور به
فلما رأهم سقط في يده وأقر بخيصة مسماة فراهصة هما فاصدا إليه وأياهما من تدارك الأمر وقال
لهما أن تخرفا قد اتسع على الراقع ولو كان لصاحبكم غرض في المسألة فابقى أحبا بنا بأبوابه كالكلاب
والبادي أنظم فلم يرز الوزير علوج بالقائد ابن ودة إلى أن صرفه عن رأيه وردّه معه وترك الهوزي يبلغ
الرسالة والهدية فلما منه أنه صغير السن لا يحسن مخاطبة الملوك العظام وابن ودة الذي كان عنده مظنة
لكمال التدبير ومثاقفة الملوك رده معه فلما انتهى الهوزي إلى السلطان مراد ودخل عليه أظهر

من تـ لـ د ولطف مخاطبته ما خلب به قلب السلطان المذكور واستل الضخمة من صدره واعتذره
عن تأخر المنصور عن الجواب بما لا يعود بوهن على مخدومه ولا يغيد غلبة خصمه قبيل السلطان مراد
الاعتذار وتقبل الهدية بقبول حسن وكتب مع الهوزالى الى الوزير علاء الدين جرجى عن منزلة المنصور
فرجحه الهوزالى بطير سرور اولم يغيب عن علاء الدين الشهر حتى قدم عليه بأمر الملك قسرحما
علاء الدين سمن الندم وأسف على تفريطه فى الهوزالى وتركه وبعث السلطان مراد رساله مع الهوزالى الى
المنصور يومه على التراخي فى أمور الملوك فلما قدموا عليه أكرم وفادتهم وأحسن زلهم وردهم
مكرمين الى مرسلهم وبعث معهم الفقير الامام قاضى الجماعة بمحضرة مراکش أبا القاسم ابن على
الشاطبي والقائد الانجذاب ابا زيد عبد الرحمن بن منصور الشينطى المريدى فلما وردوا على خاقان الترك
فرح بهم كل الفرح ورب الشاطبي كلا ما بلغنا أعرب فيه عن فضل الدواتين وقرر فيه حق أهل البيت
وأطرى المنصور وحض فيه على اتحاد كلمة الاسلام وقرأ ذلك على السلطان مراد فاهترس سماعه ثم بعد أيام
أحسن اليهم وأزل صلهم وردهم مكرمين الى مرسلهم وهو قال صاحب خلاصة الاثر كان المنصور
موادع السلاطين آل عثمان فيرسل اليهم بالهدايا في كل سنة وكانوا هم رسالون اليه بالكتب والخلق
السنية حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه أثناء مكانيه لك على "الهدى ان لا امتدى اليك
الاصلحة وان خاطرى لا ينوى لك الا الخير والمساخة وكانت رساله داعيا تاتى الى القسطنطينية
من جانب البحر ويكثون زمانا طويلا ولا يتعهدون الوزيراء ومن له قرب من الدولة من جلتهم الرئيس
الاديب محمد الامين الدقري فقد ذكر صاحب خلاصة الاثر ان هذا الرئيس كان يجمع نقائس الكتب
ويبعث بها الى المنصور فيسبب ذلك كانت المراسلات بينهم غير متقطعة وقد ذكر صاحب خلاصة
الاثر في ترجمة الرئيس المذكور بعض تلك المراسلات فانظره ولما تكامل هذا الغرض وصح جسم
الدولة من المرض ورجعت الارسل فى أحسن الاحوال عاد للمنصور الى مراکش وفي يوم تروجه
من فاس خرج اعيان أهلها ومشيعه العلم لوفرى البخارى بين يديه سرادعى عادة الخلفاء فى ذلك وكان
ذلك كله سنة تسع وثمانين وتسعمائة

في ايقاع المنصور بعرب الخلط والسبب في ذلك

قد قدمنا في أخبار الدولة المربنية ما كان لهؤلاء الخلط من الاعتزاز والدالة عليهم بسبب ما كان لهم
من الشوكة والمصاهرة مع ملوكها ولما أدبرت دولة بني مرين واستولى على ملكهم أبو عبد الله محمد الشيخ
المهدى انتحاشوا اليه وأظهروا الخدمة والنصيحة فلما جاءه وحسون الوطاسى بجيش الترك حسبا
شرعناه قبل أو وقموا الهزيمة على المهدى لاي حسون كما مر فلما غلب المهدى على المغرب وصفاه أمره
خلعهم من الجندي ووظف عليهم الخراج ونحى اسمهم من ديوان الخدمة ونقل اعيانهم الى مراکش
واختدعهم رهائن عنده ولم يزل الامر على ذلك الى أيام المنصور فقرأى جلاذهم يوم وادى الخازن وحسن
بلائهم فاختر المصنف منهم وردة الى الجنسية وأبقى نصفهم الاخرى في غمار الرعية ونقلهم الى أزغار
فاستوطنوه حينئذ الدهر ثم اتوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد ومتوايد بهم الى اولاد مطاع
قهبهم وضايقوا بني حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور فغضب عليهم سبعين ألفا غرامة
فلم يزدادوا الاعتوا وشقة فارسل اليهم ليعثوا طائفة منهم الى تيكورار بن فامتعوا من ذلك حينئذ
بعث اليهم القائد موسى بن أبى جداد العمري فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة ثم حكم السيف
في وقتهم واستأصل جهورهم فمن خضعت شوكتهم ولا تسلعوا من قنائمهم

في استيلاء المنصور على بلاد العسراء تيكورار بن ونوات وغيرهما

لما استقر المنصور بمرآكش مرجعه من فارس وأمن من هجوم الترك على المغرب طمعت نفسه إلى
التغلب على بلاد تيكون رابن وتوات من أرض الصحراء وما انضاف إلى ذلك من القرى والمدائن إذ كان
أهل تلك البلاد قد انكفئ عنهم أيدي الملوك ولم تنسهم الدول منذ أزمان ولا قادههم سلطان
ظاهر إلى ما يراد منهم فسخط المنصور أن يجمع بهم السكامة ويردهم إلى أمركه فبعث إليهم القائد أبا
عبد الله محمد بن بركة والقائد أبا العباس أحمد بن الحداد العمري المعقلي في جيش كثيف فقطعوا إليهم
القفز من مرآكش وانتهوا إليهم على سبعين مرحلة منها فتقدموا إليهم أولاً بالدعاء للطاعة
والاعتذار والانذار فامتنعوا فقتلواهم وقتلواهم وطالت الحرب بينهم أياماً ثم كان الظهور لجيش
المنصور فاقبلهم وأنقذوا فيهم إلى أن أذعنوا للطاعة وصاروا في حزب الجماعة وأنهى خبر الفتح
إلى المنصور فسر بذلك سروراً عظيماً وقال الشعراء في ذلك يوم الفتح ببلاد المغرب وكان ذلك سنة
تسعين وتسعمائة وبعد هذا نشأت نفس المنصور إلى الاستيلاء على بلاد السودان فكان من أمرها
ما نذكره إن شاء الله

﴿ تلخيص القول في سودان المغرب والاشارة إلى عمالكهم ودولهم من لدن الفتح ﴾

﴿ الاسلاى إلى هذا التاريخ ﴾

اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق النسابين والمؤرخين ويجاور البر
بأرض المغرب عنهم أم كثيرة من أعظمها أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة المغرب
على مصب النيل السودان فيسه وتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصا بصادين
أو سنيين هم ملتين مضمومتين ثم بعدها أمة أخرى يقال لها مالى ثم بعدها أمة أخرى تسمى كوكوا
ويقال كانوا ثم بعدها أمة أخرى تعرف بشكرو وويقال لهم أيضا سغاي ثم بعدها أمة أخرى تسمى
كانم وهم أهل مملكة برنو المجاورة لأفريقية من جهة قبلتها ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر
وهكذا إلى آخر الشرق أم لا يحصهم إلا خالقهم ﴿ فاما أهل مملكة غانة ﴾ فقد كانوا في صدر الاسلام من
أعظم أم السودان أسماؤا قديما وكان لهم ملك ضخم وكانت حاضرة ملكهم هي غانة وهي مدينتان
على ضفتي النيل السودان من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرا تاذكرها صاحب تزهة المشتاق
وصاحب المسالك والممالك وغيرهما وقال الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف القيسي
الشريفي في شرح المقامات للحريزمية مناصه غانة بدمن بلاد السودان واليهان انتهى التلويح من
المغرب والمدخل إليها من مجملاسة ومن مجملاسة إليها ماسيرة ثلاثة أشهر ومن غانة إلى
مجلاسة أيام ماسيرة شهر ونصف ودون ذلك وسبب ذلك أن الرفاق تجهز إليهم من مجملاسة بالامتعة
والانتقال فتباع في غانة بالتبر في سافر إليها ثلاثين ميلا يرجع منها بثلاثة أجال أو بثمانين واحدا
لر كويونان لما بسبب الغارة التي في طريقها حدثني غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة
في ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الابل فثمان أجال الثلاثين جلا يتجمع فيهم من التبر
ما يجعل في مزود واحد فيطوون للمراحل للغة قالوا غانة بدمن مملكة السودان وانتشر الاسلام في أهلها
وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون انخسب والامن وكثرة المتاجر
فيسترون بها خدما للتعري ويقيمون بها عسدا مبرها في غاية الكرامة والامانيها فاجعل الله فيهم
من الخصال الكريمة في خلقهم وخلقتهم فوق المرام من ملامة الابدان وتفق السودا وحسن العيدين
واعتمد الالفق ويبيض الاسنان وطيب الرائحة ﴿ وقال ابن خلدون ﴾ كان في غانة فيما يقال
ملك ودولة لقوم من الملوين يعرفون ببني صالح ﴿ وقال صاحب تزهة المشتاق ﴾ انه صالح بن عبد الله

ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب العوضي الله عنهم قال ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن
 وقد هبت هذه الدولة لهذا العهد اه ثم ان اهل غانة ضعف ملكهم وتلاشي أمرهم في المائة
 الخامسة واستغل أمر الملتين المجاورين لهم من جهة الشمال عمالي البربر وذهب اليهم الامير
 أبو بكر بن عمر التوفي فاتح المغرب وصنّف يوسف بن تاشفين عليه حسبهم ما في ذلك في أخبارهم
 فلما رجع الامير أبو بكر الى مصر اغزى بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر واقضى منهم
 الاثاوان وجمل الكثير منهم عن لم يكن أسلم قبل ذلك على الاسلام فداؤوا به ثم اصحى ملك اهل غانة
 بالكلية وتطلب عليهم اهل ملكة صوصوا المجاورين لهم واستعبدوهم وصيروهم في جملتهم ثم ان
 اهل مالى كثروا ثم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الامم المجاورين لهم فقلبوها على صوصوا
 وملكوا ما كان بأيديهم وبأيدي اهل غانة ثم اقتصوا بلاد كوكوا و اضافوها الى ملكهم وصارت دولة مالى
 متصلة فيما بين غانة في الغرب وارض التكروري في الشرق واعتزل سلطانهم وهابتهم أمم السودان ومن
 هذه الدولة كان السلطان منسا موسى بن أبي بكر وأخوه منسا سليمان اللذان كان بينهما وبين
 السلطان أبي الحسن المريني من المهادة والمواصلة ما تقدم ذكره وكان مع السلطان منسا موسى
 المذكور الازيب الشاعر أبو اسحق الطويجي الاندلسي الذي بناه القبة المربعة العجيبة الصنعة
 المبدعة النقش والتخريم التي اجازها عليها ثمان عشرة ألف منقار من التبر وغير ذلك مما ذكره في أخبار
 الدولة المرينية وكان منها ايضا السلطان ماري زاطة الذي هادى السلطان أبي اسلم المريني وأغرب عليه
 بالزرافة حسبما تقدم قالوا وكان هذا السلطان مسرفا مبدرا بحيث أفسد ملكهم وأنفذ خديرتهم وكاد
 أمر سلطانهم يحتل حتى لقد انتهت الحال به في سرفه وتبذيره أن يباع حجر الذهب الذي كان من الذخائر
 الموروثة عندهم وهو حجر ين عشرين قطرا من الذهب العين منقولا من المعدن كذلك من غير
 علاج ولا نصفية بالنار فكأوا برؤيته من أنفس الذخائر وأكبر القرائب لندور مثله في المعدن فعرضه
 منسازطة على تجار مصر المترددين الى بلده فاشتروه منه بائس ثمن ثم أصابته علة النوم وهو مرض
 يطرق اهل ذلك الاقليم كثيرا وخصوصا الرؤساء منهم بحيث يعقده غشي النوم عامة زمانه حتى لا يكاد
 يفيق ولا يستيقظ الا في القليل من الاوقات ويضرب صاحبه غايه ويتصل سقمه الى أن يموت ودامت
 هذه العلة بهذا السلطان سنتين ثم هلك منها سنه خمس وسبعين وسبع مائة ثم توارث بنوه الملك من بعده
 فكانوا في نزاع وانتقام الى أن انقرض أمرهم شأن غيرهم من الدول وظهرت دولة آل سكية
 من اهل ملكة كوكوا يقال كغواي قال الامام التكروري في كتابه نصيحة اهل السودان ان آل
 سكية أصلهم من منساج قوم ملكوا كثيرا من بلاد السودان وأول ملوكهم الحاج محمد سكية بنهم
 السنين وسكون الكاف بعد هلبه مقتوحة ثم هاء تانيث وكان الحاج محمد المذكور رحل في أوائل
 المائة التاسعة الى مصر والحجاز بقصد حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم فلقي بمصر
 الخليفة العباسي اذ كان رسم الخلافة العباسية لازال قائما يومئذ حتى عماد السلطان سليم العثماني
 أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة المذكور
 طلب منه أن يأذن له في إمارة بلاد السودان وأن يكون خليفته هناك فتوؤا اليه الخليفة العباسي
 النظر في أمر ذلك الاقليم وجعله نائبه على ورائه من المسلمين فرجع الحاج محمد سكية الى بلاده
 وقد بني أمر رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج اهل السنة ولقي بمصر ايضا الامام شيخ
 الاسلام حافظ الحافظ جلال الدين السيوطي فاخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام وسمع عليه
 جلا من آداب الشريعة وأحكامها واتفق وصاياه ومواعظه فرجع الى السودان ونصر السنة وأحيا
 طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال الى السيرة

العريضة وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال وبرئ جسد الرشاد من الداء العضال وكان الحاج محمد
الذكور سهل الجلب وقبح القلب خافض الجناح شديد التظيم لآفة الدين محبا للعمل معكم ما لهم
يفسخ لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء ولم يكن في أيامه كهل بائس ولا بائس بل كانت عيشته في
خفص عيش وأمن سر بوفرض عليهم شيئا أخفيا من المقارم ونفقه عليهم وزعم أنه ما فصل ذلك حتى
استشار الامام السيوطي شيخه ولم يزل على سيرته للذكورة الى أن اخترته المنية فقام بالامر بعده ولده
داود بن محمد فاحسن ما شاع وتبع طريقة أبيه الى أن لحق بربه ومضى لسبيله فقام بالامر بعده ولده
ابن داود ففصل عن بعض سيرة أبيه ولم يكن في أمره بالذم واستمر حاله على الانتظام الى أن غزته
جيوش المنصور ففقت ملكه وتثرت ملكه وانقرض عليه أمر آل سكية بعد أن كان تحت طاعتهم
مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان وسند كركيفية ذلك هو ما ملكه التكرور وكانهم فقال ابن
خلكان ما نصه كانهم بكر النون جنس من السودان وهم شوعم تكرر وركل واحدة من هاتين
القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وإنما كانت اسم بلدة بنوا حنيفة فسمى هذا الجنس باسم هذه
البلدة وتكرر ورأس للارض التي هم فيها وسمى جنسهم باسم أروهم اه وقتهم وكان من كانهم
الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكفاي الاسود الشاعر وهو الذي دخل على يعقوب المنصور
الموحدي فأنشده

أزال حجابي عني وعيني • نراه من المهابة في حجاب

وقربني تفضله ولكن • بعلت مهابة عند اقترابي

وأهل كانهم أهل ملكة برنوا المجاورة لأفريقية من جهة قبلتها كما قلنا وكانت لهم مع الدولة الخفصية
في المائة السابعة وما بعد هامة مواصل كما كان لاهل مالى مع بني مرين وقتهم ومن أهل
برنوا الشيخ العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الله البرنوي شيخ الولي العارف بالله تعالى أبي فارس عبد العزيز
الدباغ الموضوع في مناقبه كتاب الذهب البرز واتصل أمر أهل برنوا على الانتظام الى أن كان من
أمرهم مع المنصور ما نذكره وكل هؤلاء الامم كانوا على دين الاسلام فقبلا كآراء وكان فيهم العلماء
والصلحاء والادباء والشعراء كما علمته آثارنا ونعلمه فيما بعد ان شاء الله تعالى وقال الشيخ أبو العباس أحمد بابا
السوداني في تقييده المسمى بعراج الصعود ان أهل السودان أسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم
كأهل كنوا وكنتي وبرنوا وسفلى ما هم محافظ أن أحد استولى عليهم قبل اسلامهم ومنهم من هم
قدماء الاسلام كأهل مالى أسلموا في القرن الخامس أو قبله كأهل برنوا وسفلى اه وقد علمت أن
أهل غانة تقدم اسلامهم على هذا التاريخ والله تعالى أعلم وانرجع الى ما كتبته من أخبار
المنصور فنقول

فوصول هدية صاحب برنوا الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ عن ذلك

من بيعته والتزام طاعته

كان المنصور رحمه الله مسودا محظوظا كما أشرنا اليه سابقا وكان من سعادته ما هيا الله له من مهادة
صاحب ملكة برنوا ومحاطبته حتى كان ذلك سببا في مبايعته والدخول في طاعته وكان من خبر ذلك
ما حكاكه في مناهل الصفا قال في سنة تسعين وتسعمائة ورد على المنصور الخبر وهو بعينه فاس
بقدم رسول صاحب ملكة برنوا من ملوك السودان وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من
قتان العبيد والاماء وكسى السودان وطرقه وكان من ذلك عدد كثير بناهز الثمن فوافى المنصور
بسكره على رأس الماء من ساحة فاس وكان يوم علاقه يوم مشهور وحسنوا به وجملة جلس نصره

الله تعالى بالقبتين التوأمتين المصرويتين أمام السياج المحيط بقبايه هو أفراك واستوقف الموالى
 والماليك بمطمين من التوأمتين إلى القبة العربية ثم منها إلى فسطاط الجالوس المعلوم بالديوان ثم منه
 إلى باب المعسكر القبلي وأتى بالرسول يخترق السماطين حتى نزل بالديوان وكان المسلمان أكابر الدولة
 وصُدور المملكة جلوسا وكرسي المملكة وسرير الخليفة منصوبا به والمهاية قد أعزست الألسن
 وأخشعت القلوب والابصار فجلس الرسول هنالك مليا ثم توجه به على سبيل الترقى إلى القبة العربية
 فجلس بها ثم جاء الأذن الكريم بإدخاله إلى مقر أمير المؤمنين بالتوأمتين فوقف بين يديه وتشرف بالنظر
 إلى طلعه السعيدة فأدى الرسالة وقضى فرض التهنئة وسنة الهدية وأعرب عن مقاصد مرسله واعترف
 للملكة العظيمة بجمعها وأظهر من الخضوع والتلق والامتثال والخدمة والطواعة ما أوصاه به
 مرسله ثم توجه به إلى معسكره ولحقه العهود تاج الإسلام وكافل الأئمة بعد والده المولى الأمير أبي عبد الله
 محمد الشيخ المأمون بالله وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء فاسترف الرسول على دنيا أخرى وأيمه
 مدحشة ومحلة هائلة فوقف موقف الحيرة واستدبر إلى أن وصل إقبال لولي العهد ومضاربه وكان
 قد فعله بفسطاط جلوسه أنغم فعود ولما استؤذن عليه ووقف بين يديه هنا وحى وفدى وانصرف
 عنه إلى محل نزوله بالقبة من فاض وأدر عليه من الانعام والكرام ما لم يكن له في حساب وكان من
 أغراض الرسالة التي أنفذها لسلطان طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد وعدة البندق
 ومدافع النار لجاهدة من يليهم بقاصية السودان من الكفار وكان هذا الرسول قد وفد قبل على
 سلطان الترك بالأصطنبول السلطان مراد العثماني يطلب منه المدد لجهاد كفار السودان وأخفق سعيه
 ولم يحصل على طائل فوجه في هذه التوبة إلى ملك المغرب يطلب منه المدد ولما قرئ كتابه على
 أمير المؤمنين اتفق أن وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين وتباين واضح فكان الذي دل عليه
 الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول جز إليهم ذلك توغلهم في الجهل والغباء وعدم من يحسن
 الأعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء والكتابة لطموح من عالم المعلوم عندهم على الجملة وقارن
 ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدويع قطري توات وتيكوراربن وأمل أن يجعلهم مراكبا
 لبلاذ السودان والاستيلاء على محالها التي وجه إليها عساكره بعد ذلك فبلغت مملكة مالى عظيم
 السودان إلى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من شعور المغرب فاعتمت التصورات ذلك اختلاف
 الرسول والرسالة وبني عليه ما اعتبه على صاحب برؤا ورجع الرسول إلى مرسله بعد مكافأة وتوجيه
 هدية من عشاق الخيل وأشرافها بكسي من ملابس الخلافة وأسباب أغر ولما بلغ الرسول وألقى
 المعذرة إلى سلطانه استأنف الهدية وأعرب اذذاك عن مراده ورد الرسول ثانية إلى باب أمير المؤمنين
 فوافاه بضرته ودار خلافته من مراكش فزال اللبس وبين الغرض وصرح بالمقصود فلما تحقق
 المنصور بقصده صدع له بالحق والدعاء إلى التي هي أقوم وطالهم البيعة له والدخول في دعوته النبوية
 التي أوجب الله عليهم وعلى جميع العباد في أقطار البلاد الانقياد إليها وترزق لهم بلسان السنة الناطق
 والكتاب المتزل على جذه الصادق أن الجهاد الذي ينتضلونه ويظهرون الميل إليه والرغبة فيه لا يتم لهم
 فرضه ولا يكتب لهم عمله ما لم يشدوا في أمرهم إلى اذن من امام الجماعة الذي اختص الله أمير المؤمنين
 بوصفه اذ هو الكافل لهذه الأئمة ووارث تراث النبوة وقضه الله لحمايته بيعة الاسلام وخصه
 بالشرف القرشي الذي هو شرط في الخلافة باجماع من علماء الاسلام وأئمة السنة الاعلام وأزهمهم
 القيام في أقطارهم بدعوته ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته وعلق لهم أيده الله الامداد على البيعة
 والوفاء بهذا الشرط فالترمه الرسول وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاباحة وطلب من السلطان
 نسخة يتوجه بها من صورة البيعة اذ ليس يبلدهم من يحسن الانشاء ويوفى الغرض ثلاثين لاشي

من الشروط التي شرطهم عليها أمير المؤمنين فأنشأها كاتب الدولة أبو فارس عبد العزيز القسبي إلى
 ونصها الحمد لله الذي أعلى لكلمة الحق مناراً سامي في مطالعها النجوم وأزاح بها عن شمس الهداية
 المتيرة غياهب القباوة المنهضة وسحائب القواية للركوم وحتى على الفلاح هداية التوفيق الذي
 نشر النجاح كتابه الموقوت واستبخر للسعادة أجلاها العلوم وشرق هذا الوجود والعالم الموجود
 بالخلافة النبوية والامامة الحسنية العلوية التي صرفت الوجوه إلى قبلتها المشروعة واستبان الحق
 بتبليغ الصباح في صياحه والافتقار لدعوتها المسموعة ونسخ بدولتها القزاة دول الخيف التي هي بسيف
 النبوة المصلت مقطوعة وبلسان السنة مدفوعة وقوض بها مبانى الادعاء التي هي على غير أساس
 الشرع الصحيح مرفوعة وقرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التي هي على مشافة الله
 ورسوله تابعة ومتبوعة وخطع نظهورها على اعطاف الخبيثة السمحة رداء العزل القضاة واستل
 بتأييدها الذين المحدث سيف الاخوة والامتناع وأشار للاعادي من بأسها المروق بلسان الحجة
 النفضاض وبجر للؤمنين بنبرع رجتها الجاري على حصائد لها الرضراض ومهد بسيفها للتنقاة
 الاثاق والاقطار تمهيداً أنزال عن حكمه الاعتراض وحلى بأقوارها المتألفة سدف الجهالة التي
 ادلهم جرها وغيم وأسعد الوجود بينهما الذي لبث في أكناف مجددها لوغيم وقضى لها بتراحم الارض
 ومن عليها ان شاء الله الى عيسى ابن مريم والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي تعاقدت البراهين
 الفاطمية على صدق رسالته البارعة ونجم الدين القويم طريقة الحق المثلى ومادة الشارع وسقى غل
 آمن به مناهل الهدى النيرة الزلال وموارده المنيرة ومشارعه نبي الرحمة وشفيع الامة وعلى آله
 وأصحابه الكرام أتمم الهدى ومصابيح الظلام والدعاء لمولانا الامام العلوى المهتم أمير المؤمنين
 ابن أمير المؤمنين نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين وسليل الوصي والسبطين وبعدة لما أذن الله
 في ليل الجهالة أن ينجب وفي شمس الحق الوهاجة أن يرتفع عنها الخجاب وفي العز انخلق الجباب أن
 يعود الى الشباب وفي النجاح والاستقامة أن يفتح لهما الباب وفي الامارة أن تستند الى السنة والكتاب
 وتتعلق من الشرع بأسباب تدارك الله سبحانه الوجود وأعز العالم الموجود واستطارت الانوار
 المضيئة للأغوار والنجوم بطول شمس الخلافة النبوية والامامة الهاشمية العلوية ففاضت على آدم
 البسيطة أقوارها وارتفع الى حيث السها والفرقدين منارها وتبج بالاصباح نهارها ولاحت في
 سماء المجد يدورها وأقارها وكانت تهب بنجوم السماء أتباعها وأنصارها وانتشرت في الاثاق والاقطار
 على البعد والقرب آثارها وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها وأخبارها وفاض ببركتها على اكناف
 المعمور بها الزاخر وتبارها خلافة ينتمي الى النبوة عنصراها وتستنبط من رسالة الوحي أسطرها
 ويناط بعرونها الوثني خصرها وامامة على وليها والله نصيرها والسبط يدورها الذي حياه منبرها
 وسريرها والحمد لله الذي اصطفى من هذه اللوحة النبوية السماء والشجرة الطيبة الهاشمية التي
 أصلها نابت وفرعها في السماء اماماً ألقى الله في القلوب حجاب جيلاً ومولى جعله الله على مرضاته
 سبحانه علامة ودليلاً وخليفة استعراه فكان بحسن الرعي لخلقته وعباده كفيلاً وانتضى من بأسه
 وبسالته لحاية جي الشريعة حساماً صقيلاً مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله في الارضين وسليل
 خاتم النبيين وارث الانبياء والمرسلين المفترضة طاعته على الخلق أجمعين والمؤمنون بامامته المقدسة
 على العالمين بحر الندى والباس وعجمة الله للناس أمير المؤمنين المنصور بالله مولانا أبا المباس
 صلات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين والائمة الطيبين الطاهرين وطيب بانفس المنفردة لخدمهم
 أجمعين امام تهتر لا ذكره أعطاف المنابر وتتقدم من شريف دعوة أبيهم من نفس الجواهر
 وتستضيء البلاد باكليل شرفه الزاهر وتسكن العباد تحت ظل رحمة الوارف أنبي الله أيامه

الغرقاء يصعب التصردوامه وخلده ولا عقبه هذا الامر الكريم الى يوم القيامه ولما طمعت ايده الله
 على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته ولاحت في سمائها شهب منافية النيفة
 الدالة على خفامة شرفه وانافته وتليت لمجده الايات الينيات التي تشهد له بتراث الرسالة وتقضي له على
 الاسلام وعلى الانام بحكم الولاة والكفالة وأوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته
 والافتداء امامته والانتقاد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم ووردت به سنة نبيه
 الكريم كما قال عليه السلام لا تزال الخلافة في قريش ما بقي منهم اثنتان وكما ورد في صحيح الخبر ان
 الخلافة في قريش والقضاء في الانصار وفي الحنيفة الاذان ويدل على هذا ما ضد الخبر والبيان فلا
 نكران ليس في العمور على هذا الشرط غيره ايده الله من نان قهض بديل الشرع انه امام الجماعة حقا
 المستوفى شروطها والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام ان يحوطها وأن القائم
 بهذا الامر على الاطلاق غيره دعي ومحاولة دون اذنه الم شروع دعي قعين لذلك أن الرجوع الى الحق
 فريضة واستنبان بما تقرر وعلم ان امارة لا تلاقى في الشروع محلها الم شروع منبوذة ومرفوضة
 وعروته لذلك مفصومة ومنقوضة فانتدب لهذه الامار وصحح الاخبار وصرف الرضا الله العنايه
 ووقف من الشرائع للشريعة حيث مر كراياه ومنهى القايه الرئيس أبو العلاء ادريس أكرمه
 الله انتداب من وقت به مطية التوفيق على حضرة الاخلاص والتصديق وأخذت بزمامه السعادة
 الى حيث الفوز برضا الله ورضاه حقيق والتأييد صاحب ورفيق وروض الآمال أنيق وراح
 الراحة والاطمئنان عتيق الى تقليد بيعة امام الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله عزاده الله تقديسا
 ونشرفا التي تؤسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان وتشهد عقد هذا الكريم ملائكة الرحمن
 وآثر أسعد الله أن يؤدى فرضها المعلوم من فروض الاعيان وحكمها الذي توجه به خطاب الشرع
 العام الى القاصي والدان وينشر منها الم شروع في صفعه وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان تقلدا
 يستضيء ان شاء الله بأواره ويستشرق به للعزم المكين على مناره ويخمد به للجهل جذوة ناره وتنظم
 به في اتباع الحق زمر انصاره ويحتل به صورة انسانه ويستوجب من الله عوارف صنعته واحسانه
 ويرفض به للعقد وعلى العزمات حذيفة وسانته ويقرب به لرضا الله باب القبول ويتضاعف به بركته
 العمل المقبول ويستشيق بعشده عقد الكريم فواسم النبوة ويعود له الزمان للشباب والفتوة
 ويرفع به منار الامارة على قواعد الشرع الوثيقة ويعدل به في كل الاحوال عن المجاز الى الحقيقة وتنسب
 له به وهي المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى الاسوة الحسنة بامام بنى العباس السفاح والمنصور ويحيى
 سنتها التي نقلها ثقات الاعلام والصدور في مباحثها الامام الخليفة المهدي الاكبر سليل سيد المرسلين
 وجده مولانا أمير المؤمنين الذي رأى امام دار الهجرة أنه بتراث الخلافة النبوية أولى وأحق وفي
 منصب الامامة على شرطها أعرق وبسريرها ومنبرها ألقى قفا كد لتدبأ كرمه الله بهذه الآثار
 الشريفة والمناقب النيفة العزم والقصد وانجزه فيما أراده صادق الوعد وساعدته الصالحة فيه
 السعد فبإبائه أعلى الله به على الامن والامانة والعفاف والديانة والعسل الذي يشيد المسجد وأركانه
 مباينة شائمة على عقدها الكريم أكرم الله اتباعه وجوعه وأشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والموائيق
 الشديدة الوثاق وبجميع الايمان الصادقة الايمان أعطوا بها صفة أيديهم ورفع بها العقيرة مناديبهم
 عارفين أن يد الله فيها فوق أيديهم وأمضوها على السمع والطاعة والانتظام في صفك الجماعة امضاء
 يدينون به في السر والجهر واليسر والعسر والرخاء والشدة والازمان المستندة والتمروا بشروطها
 طوعا واستوعبوا حنسا ونوعا بنات منهم خالصة صادقة وعدة من ائمة بالخير لهم سابقة وسعادة
 بالحسنى لاحقة أبرموا عقدها وأحكموا وعدها وعهدا على حكم الكتاب والسنة والجماعة والاخذ

بسنها أعقابا عن أعقاب وأحقابا ترا حجاب الى يوم القيامة واقتراب الساعة لا يلحق عقدها الكريم
فمخ ولا يعقبه بحول الله نسخ ولا يتطرق اليه نقض ولا ينكث ولا يشوبه بشوائب الشبهات بحث
وأجمع على هذا أسعده الله بالمواثيق المستقيمة والأيمان اللازمة المندقة هو وأتباعه أجمعاء شريعا
وحقوه على أنفسهم حتما مقضيا واعتقدوه اعتقادا أبديا وعرضوا على التزامه بعهد عقده المبارك
أفرادا وزواجا وحدانا وأقواجا وأشهدوا على الوفاء بما يمانهم الصادقة البرور ومواثيقهم المثبتة
للمصور قائلين بالله الذي لا اله الا هو الملك القدوس العليم الخفيات والخبير بالآجال الوفيات وبجميع
الرسال الكرام والأنبياء وملائكة الرحمن في الارض والسما وعلى انهم ان حادوا عن هذا السبيل
وانقادوا للدعاء في التيسير والتبديل أو انخرفوا عن هذا المنهج وسنته فهم برآء من حول الله وقوته
ومن دينه وعصمته ومستوجبين لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته وبعدها من رجته ومن شفاعته نبيه
الكريم يوم القيامة لاقته وانهم خالعون لريقة الاسلام وخارجون عن سنة الرسول عليه السلام
أعلنوا بهذا اعلانا فعده النجوى وأدوه بشروطه الجارية على مذاهب الفتوى وأحكامه اللازمة
لكلمة التقوى استرضاء لله وللخلافة النبوية والامامة العلوية ورياضة للنفس على بيعتها المباركة
المجونة النقية واستيفاء لشروطها وأقسامها الواجبة والمسبوبة والمندوبة مستسلمين الى الله القلوب
انما شمه ومتضرعين الى باب الكريم بالادعية النافعة في أن يبرفهم خير هذا العقد الكريم والعهد
الصميم بدأ ونختما وأن يجمعهم بركته التي تصبهم حلا ودواما لا ريب غيره ولا خير الاخيره أشهد على
نفسه بما فيه وعلى رعيته الرئيس أبو العلاء ادريس أسعده الله وأكرمه وتبارخ المحرم الحرام من عام
تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية انتهى ﴿ولما كتبت﴾ هذه البيعة دفعت للرسول وأكرمه وكافاه
أمير المؤمنين على هدية سلطانه وتوجه الى بلاده ببواب مرسله ولم يلبث ان يرجعه سلطانه ثالثه توجه
معه هدية ورسالة وغاض القصر الى دار الخلافة فوصل الى بلاد تيكورار بن وهناك اعترضته منيته
فاعتل وهلك فانقض أولوا الامر الذين يتكورار بن الهدية مع رفقائه القادمين معه من عند سلطانه
فوصلوا بها الى حضرة أمير المؤمنين عرا كش وقدموا اليه رسالتهم وهديتهم فقبلها بقبول حسن وتم
السرور وعظم الجهور واستقامت المنصور الامور

فوجعت المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وكيفية ذلك ﴿﴾

لما أدى الوفد الواردون على المنصور من السلطان أبي العلاء صاحب ملكة برقا فقدموا لاجله ردهم
المنصور الى صاحبهم مكرمين وانتخب رسولا عارفا بغير ما يمن لهم بصيرة باحوال السودان فبعثه معهم
عينايا تيسره باخبار البلاد حتى كآته يشاهد هاهنا بشت معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود ومن آل
سكية صاحب ملكة كاغوا من أرض السودان يأمره فيها أن يرتب على معدين الملح الذي يتنازع بين
المغرب والسودان ومنه يعمل الملح الى اقطار السودان وظيفا بان يجعل على كل من يعمل منه شيئا من
الواردن عليه مثقالا من الذهب العين لكل رجل تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد
الكفار لان ذلك بحر لا ساحل له وكان المنصور لم يكتبه في ذلك حتى استفتى علماء ايلاته وأشياخ القبائلها
فأفتوه بما هو المنصور للمعارضون الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقا انها هولا لا مام لاغيره
وأنه ليس لاحد أن يتصرف في ذلك الا عن اذن السلطان أو نائبه وبشت اليه المنصور بثلث الفتاوى مع
الرسالة الموجهة بهامع الرسول وكانت من انشاء العلامة الاديب مفتي الحضرة المرزا كسمة المولى أبي مالك
عبد الواحد بن أحمد الشريف المصطفى لان كاتب الانشاء أبافارس عبد العزيز بن محمد الفشتاني كان
مريضاً ومثولاً ففرغ الشريف المذكور من انشاء سابق عليه المصدر فلم يذكر كيف يقول في مخاطبة

اسحق سكية ولا كيف جدحه وهل يتوغل في المدح أو يتوسط فكتب أبو مالك حين تحرر في ذلك إلى المنصور بانه أيدكم القوت نصر أعلامكم أن مخاطبة هذا الرجل الذي هو في مرتبة عماليك الحضرة المولوية أمر تعلم فيه لسانى ووقف عن خوض بجنبته بنافى لان التناى عن هذه الحجية قدمه بيني وبينها حجاب وأغلق في وجهي بابا فلا آمن من أقبح الوقوع في تقريظ أو إفراط وخير الأمور لو علمته الأوساط لكن لا سبيل إلى معرفته إلا بعد علم الطرفين والعبد محجوب عن ذلك دون من فتركت أيديكم الله الصديق هو به مني أقدر وتحاميت عقده لمن هو له أعتمد أبي فارس عبد العزيز الذي فاضت عليه أنواركم وأضاءت له سبيل هذا الخبر أقاركم والافرعت هو انفس لسان الحال سمعي يقول القائل

يا باري القوس برياليس يحسنه * لا تظلم القوس أعط القوس بالبر

ولما بلغت رسالة المنصور إلى السلطان اسحق سكية واطلع عليها اشق عليه ذلك وما طبل في الجواب وحيث أبطل الرسول فطن المنصور لما انطوى عليه سكية من عدم اجابته لما طلب من الوظيف على الملاحة فاشتد غضبه وعزم على توجيه الصاكر إلى السودان فهذا هو الحاصل له على قصد تلك البلاد وتوخيها ولما فتح تيكورارين ونوان قوى عزمه على ذلك وطعمت نفسه للاستيلاء على ما هناك على ما ندكره ان شاء الله

في مقاضة المنصور الملا من أعباءه في غزو آل سكية وما دار بينهم في ذلك

وقال القسطل رحمه الله لما رجعت ارسال المنصور إليه من عند اسحق سكية وأعلموه بجهالتهم واستعائه واحتجابه بانه أمير ناحية والمنصور أمير ناحية وأنه لا يجب طاعته عليه شاور المنصور أعباءه ورجع أعيان دولته والتقى أهل الرأي والمشورة فاجتمعوا وكان يوم اجتماعهم وما مشهود أفعال لهم المنصور اني عزم على منازلة أمير السودان صاحب كاغوا وبعث الجيوش إليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتتحد الرعية ولان بلاد السودان وافر الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشتمت ساعد كنيته مع أن صاحب أمرهم والتولى لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة ثم عاينهم بقرنى ولا اجتمعت شروط السلطنة فيه العظمى فلما نزل المنصور ما في كتابته وأبدى ما في خيته وعرض ما في عيته سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشئ فقال لهم أسكنتم اسمعوا بالأي أظهور لكم خلاف ما ظهري فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق أن ذلك رأى عن الصواب منصرف وأنهم مائة عن الآراء السديدة ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك وذلك لان يبتنا وبين السودان مهامه فيجاء تنصرف فيها الخطا وتغار فيها القضا وليس فيها ماء ولا كذا فلا يأتى السفر فيها ولا اعتساف شئ من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا وباضافان دولة المرابطين على ضمايتها ودولة الموحدين على عظمها ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة واحد منهم شئ من ذلك ولا تعرضوا لها هناك وما ذاك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها وحسبان أن نفقتي أثر تلك الدول فان التأخر لا يكون عقل من الاول فلما قضى أولئك الاقوام كلامهم وأبدوا له رأيهم ومصلاتهم قال لهم المنصور ان كان هذا غاية ما استغنتم به أمري وفيلتم به رأيي فليس فيه حجة ولا ما يندش فيما عندي أما قولكم يبتنا وبينها حجارة مخوفة ومقاومة ملكة لجذوبها وعطشها فمن نرى التجار على ضعفهم وقلة استمدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ويخوضون في احشائها مشاة وركبانا وجاعة ووحدا ولم تنقطع قطركب التجار عنها وأنا أقوى أهبة منهم والجيوش همة ليست للقوافل وأما قولكم ان من كان قبلنا من الدول الطنات لم تطعم أبصارهم لذلك فاعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقابلة الأفرنج ومن يملك الساحل من الاروام والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك وزادوا بحرب ابن غانية والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبدالوهاب بلسان

ونحن اليوم قد انسد عنا باب الاندلس باستيلاء الصدوق الكافر عليها جلة وانقطعت عنلروب نلسان باستيلاء الترك عليها ثم ان اهل تلك الدول لو ارادوا ما اردنا لصعب عليهم لان جيوشهم كانت فرسانا راحمة ورماة ناشبة ولم يكن عندهم هذا لبارود وعساكر النار المرهبة الصواعق واهل السودان ليس عندهم الا ان الال رماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع المستعذنة فتقاتلهم سهلة وجرحهم يسير من كل شيء وايضا فان بلاد السودان اتسع من افريقية فالاشتغال بها اولى من منازلة الترك لانه تعب كثير في نفع قليل فهذا جواب ما عرض لكم ولا يحملنكم ترك الملوك الاول ذلك على استبعاد القريب واستعاب السهل فانه كم ترك الاول للاخر وقد يفتح على المتأخر على ما يفتح به على المتقدم فلما فرغ المنصور من خطابه وأبدى ما في وطابه استحسن الحاضرون جوابه واستملحوا اشارته واستجابوا واياه وقالوا قد طبقت الفصل والهمت الصواب ولم تبق لاحد ما يقول وصدق من قال عقول الملوك ملوك العقول فان فصل الجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور في رأيه عليه **وقلت** وفي كلام المنصور امران يحتاجان الى مزيد بيان الاول ما قاله من أن المؤمنين لم تكن لهم سلطنة على السودان يعني بهم الذين أظلموا بارض المغرب ودير وأمره مثل يوسف بن ناشئين وبنيه فلا يرد عليه أن الأمير أبابكر بن عمر غزا السودان وفتح عنه مسيرة ثلاثة أشهر لأن ذلك كان بعد رجوعه الى الصحراء واستقر أرواه واوراعه عن ملك المغرب بالكلية كما هي الثاني ما قاله من أن البارود لم يكن في تلك الدول الفارقة يعني به لم يكن موجودا فيها بكثرة بحيث يستغنى به الجيش عن غيره ساعة القتال فلا يرد عليه أن ظهوره كان في أوائل المائة السابعة لأول دولة بني مرين كما مر ان ظهوره في تلك المدة كذا ظهوره والله تعالى أعلم بحقائق الامور

استبازة المنصور لعلاء مصر رضى الله عنهم وتلذذ لهم

قالوا من اعتناء المنصور رجه الله أنه بعث الى علماء مصر يستخيرهم رغبة في اتصال جبل السند واقفاء لاجب ذلك الطريق الاسد **وعن** أجازته **في** الامام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري رضى الله عنه **ومن** بعض فصول اجازته قوله يمدح كتاب المنصور اليه وبني عليه بالقصاحة والبلاغة مانعه ولقد وصل الى المثل العديم للثال المزرى نظامه بعقود اللال فاذا به النصر الا أنه الحلال ولو ادعى أحد أن من مجزات أحد صلى الله عليه وسلم أن يعذ الله كراما كاتبين في زمانه فبجله أمير المؤمنين أحد بكابر كريم على أسلوب قويم يرسله الى محب قديم من النبعة والصميم لم تكذب دعواه خاسر خارق في الامة الا وهون مجزاته صلى الله عليه وسلم دال على علاه وأما ما شرفني به من طلب الاجازة فالبيت والحديث ولكن رب أبأرسل الى ابنه على يد عبده عطاء قبيلة واليه بامره جله وحيث وقع الامر فامر مولانا حاتم وطاعته غم فولا نا محجاز من هذا العهد من جميع ما يجوز لهذا العبد بجمع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهل الامر وكذلك محجاز أهل مصر اجازة عام بعام ليكون أبناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام فانه هو السبب في تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا في رابع عشر ربيع الثاني سنة اثننتين وتسعين وتسعمائة محمد بن أبي الحسن الصديق سبط آل الحسن **وعن** استبازة المنصور ايضا من علماء مصر **في** الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير ببدر الدين القرافي صاحب ذيل الديباج فأجازة اجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله

أجرت لمن تفضل واستجازا • وبادر لاقتناخير وحاذا
وأبرز في سلوك العلم حالا • به من فضل مولانا يجازي

امام كامل غوث البرايا • أمير المؤمنين حوى مجازا
وذلك بعد تشريفه بامر • وقصد للأجازة فاستجازا
فبادرت امتثالاً قدورسى • ومقتضياً من أجازا
وقد أبدت حقاً لا محالا • بما صار الامام به مجازا
فاتحة وسنة خير هدى • وسلسلة لمن حاز امتيازاً
بدلوا البصرة العليا امام • بما أبداه من فضل مجازا
وأرجوه منه هدى إلى دعاء • لما أوجوه من خير مجازا
بمقتضى تعلقنى مراما • بجنات أراها إلى مفاضا
وأشياخى يبلغهم رضاء • ويوصلهم إلى خير مجازا

﴿تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون وما وقع في ذلك﴾

قالوا في سؤال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة جسد المنصور البيعة لولده محمد الشيخ الملقب بالمأمون
وأخذ هاله على أخوته خصوصاً لأنهم كانوا في البيعة الأولى قبل البلوغ فأراد أن يستوثق منهم بعد
البلوغ حسب المادة النزاع بينهم فارتحل المنصور من مراکش إلى تامسنا وبث الباشا عزوز بن حميد
الوزكيتي لياثيه ولي عهد له المذكور من طين قوافي القصد أن تناسنا وباشر المنصور أخذ البيعة
له بنفسه وحضر الأعيان وأهل الحل والعقد وأحضر المصنف الكريم الذي هو مصنف عقبة بن نافع
الفهري رضى الله عنه وهو من ذنابر الخلفاء وأحضر الصعيان الشيخين وقرئ ظهير البيعة فتولى
قراءته الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي وبجنيبه القاضي أبو القاسم الشاطبي يفسر ما أشكل من
لفظ الظهير ﴿ولما أخذ البيعة﴾ آخر أولاده إلى غد يومها فكتبوا خطوطهم بحسب ما موافقة على
ذلك والالتزام له ووقع في رسالة السلطان زيدان لابي زكريا بن عبد القم الامام بدكر هذه البيعة
فقال اني حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب القريسا بحمد الله وحضر أولاد السلطان فاستخلفهم له إلا
أنا فانه رضى الله عنه قال فلان لا يحتاج إلى احتجاج اليه فيما أمر به بوقعه وعظم ذلك على أخوتي وظهرت
في وجوههم لاجله الكراهية اه ﴿ولما فرغ﴾ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرفع كلامه
أولاده للامارة وقسم بينهم البلاد حتى لا يتبق في نفوسهم احن ولا تطوى قلوبهم على صفات فقد
لا يبارس شقيق المأمون على السوس وسائر عمارته وعقد لابي الحسن على مكاسة وما والاها وعقد
زيدان على نادلائهم عكس ذلك لامر اقتضاه الحال فقتل زيدان اني مكاسة ونقل أبا الحسن إلى نادلا ولم
يزالوا على ذلك إلى أن كان من أمرهم ما نذكره في محله ان شاء الله

﴿ثورة الحاج قرقوش ببلاد غماره ومقتله﴾

قالوا في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ثار رجل يقال له الحاج قرقوش ببيلاد غماره وبلاد الهبط
وتسمى بأمير المؤمنين وكان في ابتداء أمره حاكماً قتل بس بالزهد والصلاح واعتقده العامة ثم استحال
أمره إلى ما ذكرنا فخذل وحل رأسه إلى مراکش وانقطعت مدة فساد فلبتبه أرض ولا أسماء

﴿بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش حسب ما الله﴾

كانت الحرة مسعودة أم المنصور وهي بنت الشيخ الاجل أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي
الوارزاني من الصالحات حرصت على اقتناء المفاتيح رغبة في فعل الخير ﴿قال في المنتقى﴾ وهي التي
أنشأت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراکش ووقفت عليه أوقافاً عظيمة وكان ذلك

سنة خمس وتسعين وتسعمائة قال وهى التى بنت جسر وادى أم الريسع وغير ذلك اهـ **وقلت** **في** المرقوم على رخامة قبرها انها بنت جسر بن بلقظ التثنية وتزعم العالمة انها بنت السجدة المذكور وكفارة لما انتهكته من حرمة رمضان وذلك انه ادخلت بسنانا من بساتين قصورها وهى في حال الوحم فرأت به خورا وما تافتا ولتموا ما كلت - نسما في ثمار رمضان ثم ندمت على ما صدر منها وقملت أعمالا كثيرة من باب البرجاء ان يتجاوز الله عنها ومنها الجامع المذكور ولا زال النساء والصبيان يسمعون بقصصها الى الآن فيقولون عودة آكلت رمضان بالخور والمان في أصابع غير هذه ولقد عودت تخفف من مسعوده على طريقة البربر في مثل هذا والله تعالى أعلم

في بعث المنصور ببيلة الزاخام الى جامع القرويين من فاس حرسها الله **في**

في قال ابن القاضي في المنتقى المصور **في** ان المنصور رجه الله بعث الخليفة سنة ست وتسعين وتسعمائة الى جامع القرويين من فاس مع كرسى من المرمر وضع عليه وزنه ما سماه ثمة فطار قال وهى الخليفة التى تحت منار الجامع المذكور وقال ابن القاضي المذكور **في** ما نقش برقيتها

امام دار الهدى المنصور شيدنى * بحر المكرم من أبناء عدنان
خوت المفاخر بالمنصور أجمعها * ومن علاه سنام المجد أرساني
من جاء يشكو الظما يوما فباني * أغناه ما فدي من صوب أبحاني
لا تنكرن وجود الدمع من فرح * فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئا من السلال لا حرج * معين دمع جرى من فيض خلماني
تغر السلاطين من أبناء طلمة * أشاع صيتي الى أطراف عمان
وقد برت مقلتي تحكي هائبها * كف الخليفة من أبناء زيدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما * ما هيجت عاشقا ورفاقتان
انشأ في زمن التارخ واقعه * للدين والاجر بحر الجود سواني

في وفي هذه السنة **في** أعنى سنة ست وتسعين وتسعمائة في خي الخليفة منها سافر المنصور الى فاس ويغاهو في الطريق واقفه البشري بالفتك نصارى سبته وان زعم العثة الجهادية وهو المتقدم أبو العباس أحمد النقيس التطواني كن لهم مع جماعة من الفرسان في موضع فخرج النصاري باولادهم وخمسهم قال النقيس بينهم وبين سبته واقعهم وكاد يفتحوهم المنصور بهذا الخبر وأنشده في ذلك الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الفسالي بين زجره منهم ما قال باستيلائه عليها وما

هذه سبته تزف عسروما * فحونا ديك في شباب قشيب
وهي بشري وأنت كفو اللواق * كافأت بعلاها بغض قريب

وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة في اليوم الثاني من ذي القعدة منها أخلى النصاري مدينة أصيلا جلهم انطوف من كتية المسلمين المربطة هنالك أى على الفرار بانفسهم فتركوها يابا وذهبوا وفي ذلك يقول أبو العباس ابن القاضي

يا أيها المنصور أبشر بالعلى * فاته أبلغ في العدا المامولا
أضناكم سيفا لخلف عداته * وبكم غدا سيف الردى مفلولا
وهزمت الشوك اللتين بعزمكم * من غير سيف لم يرى مسولا
وأذيتكم كيد الخبيث همة * وقتعت دار العدا أصيلا
أكرم به من مالك بيل صالح * أخفى لبرود العدا خيلا

لا زال في أنف الهدى شمعوا في • عين العلاء يشاكل الشكيلة

وأشار بقوله لبارود الصداة خيل إلى ما صنعته النصارى بدمهم الله حين أرادوا الخروج من أصبلا
فأنهم حضروا تحت قصبته وملؤوا الحفرة بالبارود وأوقدوا قنبلة تارة عند دخول المسلمين فيها لكون
فتر نصراني منهم وأخبر المسلمين بذلك فبهاهم الله تعالى من مكيدة الويال وكفى الله المؤمنين القتال
وقال في ذلك أيضا الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفشتالي شعرا ذكره صاحب نشر المثنى فأنظره
وكان في زمان المنصور رجال من بيوت المغرب معروفون بالشجاعة والنجدة في قتال العدو منهم أولاد
النقيس التطوايون ومنهم أولاد أبي الليث من أهل بلاد الهبط ^{في} قال في المرأة ^{في} لما كان للمقدم
المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليث من الشهامة والصرامة على ما كان عليه ومن شدة
نكايته في العدو الكافر الطنجي وبسداثره فيهم جرت أمور يشه وبين صاحب عمل القصر يسعى به إلى
المنصور فامر رجلاه إلى فاس وهو وعشيرته معتز بن عن وطنهم كأنهم في ممين فأقاموا فاس مدة لا أدري
هل هي سنة أم أكثر إلا أني كنت أراه عند الشيخ سنفشان وتسعين وتسعمائة وأنا آنذاك صغير
ويعني بالشيخ والده أبا الحسن رحمه الله قال فضاقت عليهم أنفسهم من الاغتراب فقال يوما للمقدم عمر
لاخيه كبيره المقدم محمد لوزارنا الشيخ اليوم تبرك كتابه اعل الله بترج عنا فان الناس كثيرا ما يقصدون في
المهمات فقال له لا تتحرك فقد غلب اليأس فصار المقدم عمر وحده فلما وصل إلى الشيخ قال له فطعم قال
نعم يا سدي فقال له الشيخ غدا يخطي سبيلكم ان شاء الله فرجع إلى أخيه وأخبره فلما كان من الغد بعث
اليهم القاضي أبو محمد عبد الواحد الحمدي فلما أتوه قال لهم أنشروا بالسراخ والرجوع إلى الوطن ان شاء
الله فانه قد قرئ الآن بين يدي السلطان بعض الفسروات التي ذكرها ابن الفاس وغناه أبطال المسلمين
فيها فقال السلطان أو غيره ترى هل بقي في هذا الزمان من يعاينهم فقالوا قد بقي من يفعل فعلهم وهامهم
أولاد أبي الليث المقربون هنا يفعلون مثل ذلك فقال السلطان سرحوهم إلى بلادهم ليصوموا ثورهم
ويجاهدوا في سبيل الله فرجعوا إلى بلادهم وفضلوا إلا فاعيل في عدو الدين إلى ان استشهد المقدم محمد في
ربيع الثاني سنة اثنين وألف اه

﴿غزى السودان وفتح مدينة كلغوا وقتل طائفتها الصقي سكية رحمه الله﴾

قد تقدم لنا ما كان من مفاوضة المنصور لحاشيته في غزى السودان واستقرار رأيهم على ذلك فبقي
المنصور يقدم رجلا ويؤخر أخرى إلى ان كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة فقوى عزمه واشغل بضمه
آلة الحرب وما يحتاج إليه الجيش من آلة السفر ومهمات وأمر القواد أن يقوموا حصص القبائل
وما يحتاجون إليه من ابل وخيل وبغال وان من أتى بجمل ضعيف بما قب واشتغل هو بتقويم آلة
الحرب من المدافع والبعثات التي تحملها والبارود والرصاص والأكور وتقويم الخشب واللوح
والحديد والغلاط والسفن والغلات والمخاديف والقلاع والبراميل والارياح والماحول الفخاريون ذلك
في البر إلى ان تألف ثم خلعه وشده أجاملا واستمر الحال إلى ان استوفى المنصور أمر الغزو في ثلاث سنين
ثم أمر بانحراج المضارب والباني لؤاى فانسيقت فخرجت الاحمال والاتقال من مرا كش في اليوم
السادس عشر من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة فوئزت العساكر وضربت أبنيتها خيلا ورجلا
وجلتها عشرون ألفا وهم من المعلمين البصريين والطبجية ألعان الفخمى اثنان وعشرون ألفا وعقد
المنصور على ذلك الجيش لولاه الباشا جؤز وشذأز به جماعة من أعيان الدولة فاختار منهم من يعلم
نجدته ويعرف كفايته وتخير من الابل كل بازلوكوماء ومن الخيل كل عتيق ووجداهم ثم ضوا في زى عظيم
وهيئة لم ير مثلها وذلك في محرم ففتح سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وكتب المنصور إلى قاضي تنبكتوا

التيه العلامة أبي حفص عمر ابن الشيخ محمود بن عمر آقيت المهاجري بأمره بعض الناس على الطاعة
ولزوم الجماعة ولما مضوا من تانسيفت جعلوا طريقهم على ثنية السكاوي ثم على درعود دخلوا القفر
والخبياني قطعوه في مائة من حلة ولم يضع لهم علة لم يعرو ولا نقص منهم أحد فزتلوا على مدينة تنبكتوا
نهر السودان فأراحوا بها أياما ثم صاروا قاصدين دارا حصن سكية ولما سمع قتلهم احتشد أهل
السودان وقبائلها وقبائل الملثمين للمهادنين لهم وخرج من مدينة كاغوا بجبر الشوك والمرد يقال تجمع
مائة ألف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل وقال القشتاني ولم يقع بالجيش التي جمع حتى أضاف إليها
أشياخ الصرة وأهل النفث في العقود وأرباب الغزائم والسيما فلما منه أن ذلك يشبه شيئا وهيئات
ويرحم الله أبا تمام إذا قال فيما يقرب من هذا الحال

السيف أصدق أنباء من الكتب • في حده الخدين الجعد والعب
بيض الصفاغ لا سود الصفاغ في • متون جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماع لامة • بين الخبيثين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين التبعوم وما • صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
نحصر ما وأحاديثا ملققة • ليست ينبع إذا عذت ولا غروب

ولما تقارب الجمعان عبالباشا جؤذر عساكره وتقدم للحرب فدارت بينهم عساكر السودان من كل
جهة وعقلوا أرجلهم مع الأبل وصبروا من الفضي إلى العصر وكانت سلاحهم انما هي الحرشان
الصغار والرماح والسيوف ولم تكن عندهم هذه المدافع فلم تكن حرشانهم ورمحهم مع البارود شيئا
ولما كن آخر النهار هبت ريح النصر وانهم السودان قولوا الأديار وحق عليهم البوار وحكمت في
رقابهم سيوف جؤذر وحده حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون نحن اخوانكم في الدين والسيوف
عامة فيهم وجند جؤذر يتقانون ويسلبون في كل وجه وقراصم في شريعة من قومهم ولم يدخل قلعة
ملكه وتقدم جؤذر فدخلها واخترى على ما فيها من الاموال والمتاع وكان ذلك منتصف جادى
الاولى من سنة تسع وتسعين وتسعمائة ويقال ان جؤذر لم يدخل مدينة كاغوا وانما تحصن بها اصحق
فخاضه جؤذر فيها وكتب الى المنصور يخبر الفخ وبعث اليه بمدينة فيها عشرة آلاف من مال الذهب
وما تان من خيار الرقيق وغير ذلك وامتنعت العساكر المنصورة في بلاد السكية فقبضت ونفسد ونسي
وتقدم الى أن راسل اصحق الباشا جؤذر في تقرير الصلح على مال معين يدفعه الا أن وضعية يؤذيها كل
سنة فأجابها الى ذلك على مشورة المنصور وامضاته اياه ثم كتب الى المنصور بذلك وكانت العساكر قد
أصابها الحمى ووخامة تلك الارض فاتفق رأي الامراء على الرجوع والاقامة تنبكتوا الى أن يأتي جواب
المنصور ففر جمعاوا وأخذ جؤذر في انشاء القلائط والسفن وزكيم اولما اكملها دفعها في النسل ولما بلغ
المنصور خبر الصلح قام فمضى وقوم عسكر اخضعوا وبعث به مع علكة الا أن محمود باشا هو أخو جؤذر
وقلده أمر العساكر كلها وعزل جؤذر عنها وأمر محمود أن يبقية معه وكتب الى أمراء العسكر يعاتبهم
ويوبخهم على ما فعلوه مع اصحق من الصلح ويؤكدهم في الرجوع الى بلاده واتباعه حيثما توجه
ولو عبر النيل الى العدو الاخرى وخرج محمود باشا فمضى عينه من العسكر في زمان الحز في وقت لا يقدر
على الحركة فيه الا القطار الكدور وقطع التفريق خمسين من حلة أمر لم يسمع بخله ونزل بالعساكر على ظاهرها
تنبكتوا على رأس سنة الألف فأراح بها ثلاثا ثم تحصن القلائط والسفن والفلك بالزوايا والملاحين ووجوه
الجند فساروا في النيل وسار السواد الاكظم في البر الى أن نزلوا على مدينة كاغوا قاعدة لك اصحق سكية
وكان اصحق لما رجعت عنه العساكر الى تنبكتوا احتشد أهل السودان المجاورين له ونفذوا امره واصفقوا
معه على الموت فلما بلغه رجوع العساكر الى كاغوا قصدتهم في جوعه ولما التي الجمعان لم يكن

الامقدار فوق ناقة حتى لنهزم السودان من سماع رعد المدافع والمهايمس وارتفاع القنابر في الجوى
وهدير الطبول وتبعهم العساكر يقتلون ويأسرون الى أن غشسهم ظلام الليل ورجعوا بالغنائم والسبي
فاستراحوا فلما تم أمر محمود أخاه جوذوا أن يقيم عدينة كغول صامرها يترك معه عدا من العسكر
يكون رده المسم وسار هو في اتباع اصحق الى أن لحقه بعض الجهات فأوقع به وقعة شتعا وقتل من
قومه فغير النبل الى العدو الاخرى وتبعه محمود فغير النبل بمساكره في السفن وسار خلفه الى أن لحقه
فأوقع به وقعة ثالثة احتوى فيها على مامعه من المال والحريم ودخل اصحق القفر فهلك فيه ثم كانت
لمحمود وقعة أخرى مع أخيه الذي كان ينازعه في الملك فانه قام بدمه هلك أخيه وجع الجوع وزحف الى
محمود باشا فقبض اليه محمود فزعمه وقتله فيمن معه من جنده وأتباعه وتمهدت له البلاد واستولى عليها
استبداء كليا وكتب بخبر الفتح الى المنصور ولما بلغه هذا الفتح وصورته كان عنده ذلك اليوم عيسا من
الاعباد أخرجه من الصدقات وأعطى الرقاب وأقام مهورا عظيميا بظواهر الحضرة خرج له عامة
الناس للفرجة والتزينة وزينت الاسواق وأخرجت المدافع بالنفط وتسابقت الخيول وأطعم المنصور
الناس عنة أيام وقطم التسعرا فسادهم ورفعوا أمداحهم وأجازهم بما تحدث الناس به دهرًا وكتب
بخبر الفتح وصورته نسخ وجهت الى جميع الأفاق وكل من عاقل في ذلك من الشعرا أنشدوا الكاتب
أبو فارس عبد الميرزا القشتاني فقال

جيش الصباح على الدجا متدفق • فيياض ذال السواد ذلك يحق
وكانه رايات عسكرك التي • طلعت على السودان يضا تفتق
لاحت وأفهم ليل كله • كعمود صبح في الدجا يتألق
نشرت لتطوى منه ليلادامسا • أخفى بسيفك ذي الفقار يترق
أرسلتهن جواشدا وجوارما • في ككل عظمى اغراب ينق
وسرت فكان دليلهن الهسم • مشغوزعرك والسنان الأزرق
لمى البالي قد جلى أحلا كها • نور النبوة من جيبك بشرق
صعقت بن رعود نارك صقعة • رجت لصيغتها العراق وجلق
صقعا لاصحق الشقى وخزيه • قلقد غدا بالسيف وهو مطوق
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه • من جيش جوذرك الفضض فيلق
جيش أوانره يبائك سيلة • عرم وأوله بكافوا محمد
لم يمسسروا الا واسوار الردى • ضربت عليهم من فناءك وخندق
كتب الاله على عدا تلكهم • قص لسهومك غزوا أو شرقوا
صلت ملوك ساجلوك على العلا • سفها وشأوك في العلى لا يلق
ان يشبهوك ولا شبه يرى لكم • في الخلق ابن من البجين الزئبق
بشر ملوك الارض أنك فاع • بالشرقى على الولا ما غلقوا
وبقاصل لك ذي الفقار مفرق • ماجعوه وجامع ما فترقوا
دامت طيور السعدوهي غوارد • بالمشتهى لك والميرة تنطق
مادام أصل علاك في صف الثنا • أصل الفخار وكل غيرك ملق

والمشتهى والميرة يستنانان للمنصور ورتيها هذا الشاعر وسياق الكلام عليهما وكان محمود باشا
لما استوصى له الامر هناك بعث نصف جيشه الى المنصور مع هدية عظيمة فيها من الذخائر ما لا يحصى
من ذلك ألف ومائتان من مختير الرقيق الجواري والعلمان وأربعون رجلا من التبر وأربعة سروج

ذهبنا الصا وأجال كثيرة من البانور وقطوط النالفة وغير ذلك ولما وافى المنصور سر بلك سرورا
عظما وأمر بعمل المفرجات في بلاد المغرب وبتر بين الأسواق غدوة وعشبة ثلاثة أيام ووفدت عليه
الوفود من كل ناحية مهشين له بما مضى الله من الظفر والنصر وانتظمت الممالك السودانية في
سلك طاعته ما بين البحر المحيط من أقصى المغرب إلى بلاد برنو الساخنة لبلاد النوبة الساخنة لصعيد مصر
وقال القسطنطين في فكملة المنصور نافذة فيما بين بلاد النوبة إلى البحر المحيط من ناحية المغرب وهذا
ملك ضخم وسطان غم لم يكن له قبله والله في ملكه من يشاء ولما فتح الله عليه عمالك البلاد
السودانية جعل إليه من التبر ما يعي الحاسبين ويحسر الناظرين حتى كان المنصور لا يعطي في
الرواتب إلا النصارى الصافي والدينار ألواني وكان يبايع كل يوم أربع عشر مائة مطرقة لضرب الدينار
الواني دون ما هو معد لتبر ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك ولاجل هذه القبة الذهبية
لفيضان الذهب في أيامه وأمر وكلها بيد الله

في وفاة أم المنصور الحرة مسعودة الوز كنيته رجمها الله

كانت الحرة مسعودة هذه من الخبيرات الصالحات وتقدم بعض ما ترها من بناء المسجد الجامع باب
دكا وكغيره وكانت وفاتها بمصر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم فأنشئت سنة ألف ومن المستفيض
أنها ربت بعد موتها فسلت ما فعل الله بها فقالت غفري بسبب أني كنت ذات يوم جالسة لفضاء الحاجة
فسمعت المؤذن شرع في الأذان فرددت على تسماني اعظاما لما ذكر الله تعالى حتى فرغ المؤذن من آذانه
فشكر الله في ذلك فغفري في سنة إحدى وألف في أتي بالقبيلة من بلاد السودان إلى المنصور وكان يوم
دخولهم لرا كش يوم امشهدا بر زرقوبتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان ثم جعلت
إلى قاص في رمضان سنة سبع وألف في قال في نشر الثاني في كان دخول القبيل إلى قاص يوم الاثنين سادس
عشر رمضان سنة سبع وألف وبعث المنصور مع القبيل إلى ولده المأمون هدية منسوبة فيها تحف
وأموال عريضة ونج أهل قاص في ذلك اليوم لبقاء القبيل بنحو مائة ألف نفس في قال بعضهم في بسبب
دخول هذه القبيلة إلى المغرب ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتايغ لأن أهل السودان الذين
قدموا بالقبيلة يسوسونها قدموا بهم بشر ونحو أن يزعمون أن فيها منافع فضاغت منهم في بلاد درعة
ومرا كش وغيرهما من بقاع المغرب وتعارضت فيها قبايل العلماء وضوان الله عليهم في قائل بالتحريم
ومن قائل بالتحليل ومتوقفوا العلم فيها عند الله سبحانه فالبقر في قلت في من تأمل أدنى تأمل في
قواعد الشريعة وأدبها علم يقين أن تناول هذه العشبة مرام لانها من الخبائث التي حرّمها الله تعالى
على هذه الأمة المطهرة وبذلك وصفها في الكتب السالفة إذ قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي
الذي يجذونه مكتوب ما عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وبسط هذا المقام أن تعلم أن الله تعالى اختار هذه الأمة من بين سائر
الأمم قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس واختار لها من الطاعات وأنواع العبادات ما هو أفضلها
قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت تكميلكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وأفضل تلك العبادات
كلها الصلاة التي هي من الدين بمنزلة الرأس من سائر الجسد ثم إذا أمنت الظهور رأيت الشارح صلوات
الله عليه قد بالغ في الاحتياط لهذه العبادة الشريفة والاستعداد لها بما يستعمل كل طيب أمكن
واجتناب كل خبيث أمكن فشرع أولا الطهارة الكبرى الشاملة لسائر البدن وحظر من مفارقة الصلاة
وما هو في معناها حال انطوائها ثم شرع ثانيا الطهارة الصغرى المتعلقة بأطراف البدن زيادة في الاعتناء
بها لأنها تبرق في غالب الأحوال فيعلق بها من الأقدار ما لا يعلق بشيء هلو أزم الكفاف استعمال هذه الطهارة

حكم شرب الدخان

عند عرض كل حدث مستقذر حتى الريح والسبب الداهي الى خروجه ثم نذهب الى استعمالها عند القيام الى كل صلاة من الصلوات الخمس ثم اننا اذا تأملنا أفعال هذه الطهارة وجدناها تستعمل على مبالغات كثيرة تستدعي غاية النظافة وتنفي كل قدر وان قل فشرع الفصل في أعضاء الوضوء مكررا وشرع مسح وشعر الرأس بالماء دفعا لما يعلق به من الغبار وشرع بتبضع مسام الوجه بالغسل والتطيق كالمضمضة والاستنشاق ثلاثا تطيبا للتكعبة وشرع مسح الأذنين من ظاهرهما وباطنهما حتى الصماخين ازالتهما بداخلهما من تلك الفضلة مع أن الحى ودعمه وعرقه ولعابه ومخاطه كلها طاهرة أو ليس في هذا دليل واضح على أن الحكمة في هذا كله انما هو لمبالغة في النظافة وتطيب الرائحة والتكعبة اذ بذلك يستحق المبدآن يتلبس بالعبادة ويدخل حضرة الرب وشرط للدخول فيها طهارة البدن والثوب والمكان من سائر المستقذرات حتى يكون على أكمل الحالات بعيدا عن القذير بكل وجه ثم لم يكتف الشارع بهذا حتى شرع السواك عند القيام الى كل صلاة وقال لولا أن أشق على أمتي لامرهم بالسواك عند كل صلاة كل ذلك المقصود منه تطيب التكعبة فانظر وتأمل اعتناء الشارع بتطيب راحة فم المؤمن وتكعبته حتى في حق الصائم الذي خلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك هذا كله في حال الصلاة وأما خارجها فقد علم من الشرع علما ضروريا أن العبادة مطوَّبة بالمحافظة على هذه الحال والبقاء عليها سائرا أو كما معنى قدر على ذلك وتيسره ومن هذا المعنى ما حرم الله تعالى على هذه الأمة من تناول المستقذرات كالبصق والدم وسائر النجاسات اذ كل حرمة الاشياء وتناولها ما كونها مستقذرة كالنجاسات اجلها وكالحشرات وما تعافه النفوس على مذهب الشافعي رضي الله عنه أو مضرة كالسم والطين وضوحا مما يضر بالبدن أو ببعض الاعضاء منه أو محترمة ما لدانها كالأذى أو لكونها ملكا للغير وهو ظاهر فالشارع له غرض أكيد في اجتناب الطيبات واجتناب ما يضادها من المستقذرات وقد ثبت في الصحيح أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يملكون في حوائطهم فاذا حضرت الجمعة أتوا الى المسجد وأبدانهم سهكة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالغتسل عند كل جمعة ثم منع كل من تلبس برائحة كريهة كالثوم والبصل والكراث من حضورها وحجب الى النبي صلى الله عليه وسلم من دنيا نساء والطيب ونوب أمته الى استعماله في المشاهد العامة مثل الجمع والاعياد ونحوها ونحوها الفطرة انما شرعت لهذا المعنى فيها كفاية لمن تأملا وقال صلى الله عليه وسلم ارزوا للمؤمن الى انصاف سابقه دفعا للسرقة والخيلاء ولما لا يعلق به شيء من النجاسات والا فلا روى غير هذا ما لو استقصى لطال ودل دالة قطعية على أن المطلوب من المبدآن يكون تطيبا لطيب الرائحة حسن البزرة طاهر البدن والثوب مجامع الكل حيث مستقذرو هذه حالة أهل الجنة والعكس بالعكس وأنت لا تجد أخبث ولا أفقر من رائحة أفواه شربة الدخان ولا أنتن ولا أعفن من تكهات المستقين لغبار تابغ وهذا التنتن من أفتح الموبين في نظر الشارع حتى انه جعل الخيلار لاحد الزوجين اذا كان صاحبه أجبز فاذا لا نشك أن استعمال هذه العسبة الخسنة في الغم أو الاتق من أعظم المحظورات لانها تصدم غرضا كبيرا من أغراض الشارع وتضاده وتضيقه وأقول لو كان تنها يعلق ببعض من الاعضاء غير الوجه لكان هينا لكنه يعلق بالغم والاتق اللذين وضعهما الحكيم العليم في وسط الوجه الذي هو أشرف الاعضاء فأى مضمة وأى استنشاق وأى سواك يزيل ذلك التنتن الذي يرسخ في أنفاس أهلها وأقواهم وخياشيمهم رسوخا لا يمانله شيء ولقد أفصح العامة عن شدة تن هذه العسبة وصادقوا الصواب حيث قالوا ان فضلة الدخان المسماة بالقيتر تنجس النجاسة هذا الى ما يتبع ذلك من المفاسد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى انه اذا انقطعت عنه صار كالجنون لا يدا الى عبادته ومنه ومن دخول الشك في صيامه لان قبل ذلك الدخان أو ذلك الغبار قديك في حلقه الى طلوع الفجر وما بعده لان جلهم اذا قرب الفجر والوا استعماله حتى يكون هو خاتمة حضورهم وبالجملة فلا يستعمل ذلك الا من

لا خلاق له ولا يكثر عجره ولا دين وهو قاذح في الشهادة والأمامة والله تعالى الموفق بعنه

في تنكبة الفقيه أبي العباس أحمد بابا السودان وعشيرته من آل آقيت والسبب في ذلك

كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تنسكو اومع لهم الواجة الكبيرة والرياسة الشهيرة
ببلاد السودان دينا ودينا بحيث تعددت فيهم العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مسدة طويلة
تقرب من مائتي سنة وكانوا من أهل اليسار والسود والدين لا يبالون بالسلطان في دونه ولما فتح جيش
المنصور ببلاد السودان أبقاهم الباشا محمود على حالهم الى ان كانت سنة اثنتين وألف فكان أهل
السودان قد سئروا ملكة انما ربة وأنسوا منهم خلاف ما كانوا يهدونهم سلطانهم الاول وكانت آنهم
مع ذلك صاغية لآقيت فتحقوا المنصور ومنهم ورجعوا الىهم فكتب اليه حاملا محمود بالقبض
عليهم وتقريرهم الى مراكش قبض على جماعة كبيرة منهم كن فيها الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن
أحمد بن أحمد ثلاثة أحامدين عمر بن محمد آقيت المدعو بابا صاحب تكميل الديبايع وغيره من التأليف
وكان فيها أيضا الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت وغيرهما وجوامع فدين في
الحديد الى مراكش ومعهم حرمهم وانتهب ذخائرهم وكتبهم وقال في بطل المناجحة في سمعت الشيخ بابا
العباس أحمد بابا يقول أنا أقل عشيرة في كتابا وفتنه بلى ست عشرة قامة مجلد وكان القبض عليهم في أواخر
الحر سنة اثنتين وألف ووصلوا الى مراكش في أول رمضان من السنة المذكورة واستقر وابععاهم
في حكم الثاقف الى ان انصرف أمد الحنفية فسر حوازم الاحد الحادي والعشرين من رمضان سنة أربع
وألف فخرجت قلوب المؤمنين بذلك ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور بعد تسريحه من المعين
وجده يكلم الناس من وراء حجاب ويستهوينهم كلمة مسدولة على طريقة خلفاء بني العباس ومن يتشبه
بهم فقال له الشيخ ان الله تعالى يقول وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وأنت قد
تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الجلب فقول المنصور ورفعت
الاستار فقال له الشيخ أى حاجة لك في نهب مناهي وتضييع كتي وتضييع من تنسكو الى هنا حتى
سقطت عن ظهور الجبل وانذفت ساقى فقال له المنصور أردنا ان تجتمع الكلمة وأنتم في بلادكم من أعيانها
فان أذعنتم أذعن غيركم فقال الشيخ أبو العباس فهلا جعت الكلمة بترك تلمسان فانهم أقرب اليك منا
فقال المنصور قال النبي صلى الله عليه وسلم أتركوا الترك ما ترككم فامتننا الحديث فقال أبو العباس
ذلك زمان وبعده قال ابن عباس لا تتركوا الترك وان ترككم فترك المنصور وانفض المجلس ولما
سرح الشيخ أبو العباس تصدق بنشر العلم وأهرع الناس اليه للاخذ عنه ولم يزل يراكمش الى ان مات
المنصور لانه ما سرحهم حتى شرط عليهم السكنى بمراكش ولما توفي أذن ابنه زيد بن لآقيت في
الرجوع الى بلادهم بعد ان مات جماعة منهم بمراكش وقد كان الشيخ أبو العباس يتشوق الى رؤية بلدته
ويكتب العبرات عند ذكرها ولم يأس من روح الله في العود اليها لوه في ذلك شعر على طريقة الفقهاء
ولما خرج من مراكش قاصدا بلده شيعه أعيان طلبتها فاخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى
ان الذي فرض عليك القرآن لردك الى معاد على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع
سلاما فارتفع الشيخ أبو العباس يده بصرعة وقال لا ردتني الله الى هذا المعاد ولا رجعتني الى هذه البلاد
ثم طوق بتبكيوا فاستقرح الى ان مات سنة ست وثلاثين وألف ورحه الله في تنكبة في قديين لك
بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الاخذ بدين الاسلام من لدن
قديم وانهم من أحسن الامم اسلاما و قومهم ديناءوا كثرهم للعلم وأهلهم تحصيل ولا محبة وهذا الامر شائع
في جل عملكم المروية القرب كما علمت و هذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قديم

من استرقاق أهل السودان مطلقا وطلب القطائع الكثيرة منهم في كل سنة وبمعهم في أسواق المغرب
حاضرة وبادية يسعرون بها كاتحسب الدواب بل أخش قدعنا الناس على ذلك وتوات عليه أحياء لهم
حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعا هو أسود اللون وكونه بجوارح من تلك
الناحية وهذا العمر الله من أخش المتأكر وأعظمها في الدين إذا أهل السودان قوم مسلمون فلهم مائتا
وعليهم ما علينا ولو فرضنا أن فيه من هو مشرك أو من دين يدين آخر غير الإسلام فالغالب عليهم اليوم
وقبل اليوم بكثير أنها هو الإسلام والحكم الغالب ولو فرضنا أن لا غالب وانما الكفر والإسلام
متساويان هنالك فنلذان المجلوب منهم هو من صنف الكفار لا المسلمين والاصل في نوع الإنسان هو
الحرية وانخلوع من موجب الاسترقاق ومدعى خلاف الحرية مدع بخلاف الاصل ولا ثقة بتجرب الجالين
لهم والبائعين لهم لما تقرروا على الباعة مطلقا من الكذب عند بيع سلمهم واطرا لاجل اليس فيها وقي
باعة الرقيق خصوصا ما هو أكثر من ذلك كيف ونحن نرى أن الذين يجلبونهم أو يصرون فيهم انما هم
من لا خلق لهم ولا مروءة ولا دين ولا زمان كما علمت وأهلهم كما ترى ولا يعتمد أيضا على قول ذلك العبد نفسه
أو الامة نفسها كما نص عليه الفقهاء لاختلاف الاغراض والاحوال في ذلك فان البائع لهم قد يضرهم
حتى لا يقرون الاعمال لا يتقدح في صحة بيعهم وقد يكون للعبد أو الامة غرض في الخروج عن ملك من هو
بيده بأى وجه كان فهو عليه أن يقر على نفسه بالرقبة كي ينفذ بيعه عاجلا الى غير ذلك من الاغراض
وقد استفاض عن أهل العدل وغيرهم أن أهل السودان اليوم وقبل اليوم يغير بعضهم على بعض
ويتخطف بعضهم أبناء بعض ويسرقونهم من أماكن النائية عن مدائنهم وعمرانهم وإن فعلهم ذلك
كفعل أعراب المغرب في اغارة بعضهم على بعض واحكاما في دولهم ومواسيتهم أو سرقة الكمل مسلمون
وانما الحامل لهم على ذلك قلة الدليلة وعدم الوزن فكيف يسوغ للحصا طلدينه أن يقدم على شراء ما هو
من هذا القبيل وكيف يجوز له التبرى بانهم وفي ذلك ما فيه من الاقدام على فرض مشكوك
في وقد قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضى الله عنه في كتاب الحلال والحرام من احياء علوم الدين ما نصه
اعلم أن كل من قدم اليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تهب فليس لك أن تفتش عنه
وتسأل وتقول هذا مما لا تحقق حله فلا آخذه بل أقتس عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل
مالا يتيقن تخريبه بل السؤال واجب مرة ومرة ومن دواب مرة ومرة مرة فلا بد من تفصيله
والقول الشافعي فيه هو أن مظنة السؤال موقعة الرينة ثم أطال رضى الله عنه في تقرير ذلك وصرح بان
البائع إذا كان متهمًا على رويج ساعته لا يعتمد على قوله فإذا كان هذا في الاموال فكيف باسترقاق الرقاب
وملك الابضاع الذين للشارع مما حرم بداعته كما هو معلوم من الشرع وأصوله في وقد ذكر في الشيخ أبو
العباس أحمد بابا في تقييده الموضوع في هذه المسئلة السمي بمراج الصعود تفصيلًا اختتمه بكلامه
وذكر قبائل من كفار السودان مثل موسى وبعض فلان وغيرهم وقال ان كل من كان من هؤلاء
القبائل فيجبوا استرقاقه وكذلك كرولى الذين ابن خلدون أن وراء النيل قوم من السودان يقال لهم
المقال وهم كفار ويكفون في وجوههم وأصداعهم قال وأهل غانة والتكر وغيرهم عليهم ويسبونهم
ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وهم عامة ترقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يمتد الى آخر
كلامه لكن هذا التفصيل الذي ذكره الشيخ أبو العباس انما ينفع أهل تلك البلاد المجاورين لهم
والمطلعين على المجلوب منهم ومن غيرهم فاما أهل المغرب الذين هم من وراء وراو وينهم وبين أرض
السودان مهامهم فيجوز قتالهم ليعمرها الى الراجح فن الذي يحقق لهم ذلك وقد قلنا أنه لا يجوز الاعتماد على
قول الجالين لهم وأيضا فنلذان ان أولئك القبائل لازالوا على كفرهم الى الآن على ان الناس اليوم
لا يلتفتون الى ذلك أصلا وما رأى أحدهم العبد أو الامة يسعس في السوق الا يقدم على شرائه

غافلا عن هذا كله لا يسأل الا عن عيوب بلنه لا فرق في ذلك بين اسود و ابيض وغيرهما بل صار الفسقة
اليوم و اهل الجحراء على الله يحفظون اولاد الاحرار من قبائل المغرب و قرأه و امصاره و بيعوه و سبوا في
الاسواق جهارا من غير تكبر ولا امتعاض للدين و صلا النصارى و اليهود يشتر و منهم و يسترقونهم بحري
مننا و مسيح و ذلك عقوبة من الله لنا و اعتسبنا فانا لله وانا اليه راجعون على ما ذهبت به في ديننا فالحاصل
انما كان الاصل في الناس هو الحرية كما قلنا و علم ترا ان اهل بلاد السودان الموالية لنا اهلهم و اولادهم
مسلون و استقاض عن اهل العدل و غيرهم انهم يغير بعضهم على بعض و يستطف بعضهم ابناء بعض
و يبيعونهم ظلماء و عدوانا و رأينا انما شاهدنا ان الجالدين لهم و المتجرن فيهم اغناهم من لاخلاق لهم
ولا دين لهم لم يبق لنا و قف في ان الاقدام على شراء هذا الصنف مخلو في الشرع و التقديم عليه مخاطر
في دينه و اما وضع يد الجالدين لهم عليهم فلا تنكفي شرعا في جواز الاقدام على شرائهم منهم لضيق هذه
العلامة بما اخف بها من القرآن المكتوبة لها و ليستفت المرء قلبه فقد قال صلى الله عليه وسلم استفت
قلبي و ان اقولك فانه متى رجع الى قلبه في هذه المعضلة الا و لا يتدبر ان يحوم حول هذا الخي بجال
ثم تنزل عن هذا كله و تقول لو لم يكن في ذلك الا الشبهة القوية و فساد الزمان و رقة ديانة اهلنا لكان
في هذه الامور الثلاثة مع ملاحظة سدة الزريعة الذي هو احد اصول الشريعة لا سيما عند الامام مالك
رضي الله عنه ما يقتضي وجوب التفتي عن ملازمة هذه الفسدة المزرية بالعرض و الذين فتناسا سبحانه
ان يوفق من و لا امر العباد لحسم مادة هذا الفساد فان سبب الاسترقاق النحرى الذي كان على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم و السلف الصالح مفقود اليوم و هو السبي النائي عن الجهاد المقصود به اعلاء
كلمة الله تعالى و سوق الناس الى دينه الذي اصطفاه لسياده هذا هو ديننا الذي شرع لنا نبينا صلى الله
عليه وسلم و خلافة خلاف الدين و غيره غير المشروع و التوفيق انما هو يد الله ربنا قلنا انفسنا
وان لم تقهر لنا و ترجنا لنكون من الخاسرين

في بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرمها الله

وقال في مناهل العجايب كان السبب الحاصل للنصور على بناء البديع و اتفاقه فيه جلائل الاموال
و نفائس الخزائر هو انه اراد ان تكون لاهل البيت مآثرة و شغوف على دولة البرار من المرابطين
و الموحدون و من بعدهم فان كلاما من اهل تلك الدول ابقى بناء يحيى به ذكره و لم يكن لاهل البيت في ذلك
المعنى شئ تزداد به حظونهم مع انهم احق الناس بالمجد و السودد الا ثيل قصدي لبنائه بقصد تشریف
اهل البيت لان البناء كما قيل

هم الملوك اذا ارادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن النبينا

ان البناء اذا تعظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشان

وقلت في هذا اعتذار بارد كالا يخفى و لما اراد المنصور ان يشرع فيه احضر اهل العلم و من ينسب
بالصلاح فحينئذ او ان الابداء و وقت الشروع فيه فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس
الاسهر من خلافة سنة ست و ثمانين و تسعمائة و اتمم العمل فيه الى سنة اثنتين و الف و لم يخلل
ذلك فترة و حشده الصنائع حتى من بلاد الافرنجة فكان يجمع كل يوم فيه من ارباب الصنائع و مهرة
الحكام خلق عظيم حتى كان يبايع سوق عظيم يقصده التجار بضائعهم و نفائس اعلائهم و جلبه
الرخام من بلاد الروم فكان يشتريه منهم بالسكر و نازون على ما قيل و كان المنصور قد اتخذ حاصر
السكر ببلاد ماحة و شوشة و غيرهما حسبما ذكره الفشتالي رحمه الله في المناهل و اما جبهه و جيره
و باقى اناقضه فانها جعت من كل جهة و جئت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيها ان فلانا دفع

صاعاً من جبرج حله من تنيكوا وظف عليه في غلوا الناس وكان المنصور مع ذلك يحسن الى الابراء غاية الاحسان ويجزل صلة العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمون أولادهم كي لا تتسوف نفوسهم وتتشعب أفكارهم وهذا البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها بقعة رائقة المشية واحتفبها مصانع أخرى من قباب وقصور ودور فظمت بذلك بناؤه وطالت مسافته ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعجب المصانع بقصر عرشه شجب بوان وينسي ذكر غمدان ويحس الزهراء والزاهره ويرى قباب الشام واهرام القاهرة وفيه من الزخام المجنى والمرمر الأبيض والاسود ما يصير الفكر ويدش النظر وكل زخامة على رأسها بالذهب للذائب ومؤم بالفضة الصافي وقويت أرضه بالزخام العجيب النعت الصافي البشرية وجعل في أضلاع ذلك الزليج المتنوع التلون حتى كأنه مثل الزهر أو برد موشى من عمل صنعاء ونسج وأما مقوفه فحجس فيها الذهب وطلبت الجدران بمجمع بديع النقش ورائق الزخام بمخالص الجبس فتكاملت فيه المحاسن وأجوى بين قبابه ماء غير آمن وبالجملة فإن هذا البديع كان من المباني المتناهية البهاء الاشراق المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وقتها الحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف

كل قصر بعد البديع يذم • فيه طاب الجنى وطاب اللحم

متلر رائق وما غير • وزرى عاطس وقصر أئتم

ان مرا كسابه قد نباهت • مغفرافى للعلال الدهر ثمرو

وبمن الاشعار المرقومة في الاستار والايات المنقوشة في الجهات على الخشب والزليج والجبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويهر العقول وعلى كل قبة ما يناسبها وفي بعض القباب مغشوة على لسانها المقابله وتتبع ذلك بطول لكن لا بأس أن نلم هنا بما لفت من ذلك الخوض ونحوض في بحار تلك البدائع بعض الخوض اذ في ذلك عبرة لمن اعتبر وترويح للقلوب بكيفية فعل الدهر بمن غير من ذلك ما نقش خارج القبة الحسينية لان فيها خسين ذراعا بالعمل من انشاء الكاتب البليغ أبي فارس عبد العزيز الغضائى على لسان القبة المذكورة

سموت تغتر البسدر دوفى واضطأ • وأصبح قرص الشمس في أذنى قرطأ
وصفت من الاكليل تابا لفرقى • وينطىبى الجوزاء فى عنقى سمطأ
ولاحت بالهوا فى الثريا ككأنها • تشبى رجان قد تبتمه لقطأ
وعدت عن زهر النجوم لانى • جعلت على كيوان رحلى مخطأ
وأجريت من فيض السماحة والندى • خليجا على نهر المحسرة قد غطأ
عمدت عليه الجسر للغير فارقت • اليه وفود البصر تعرف ما انطأ
ينفضض ما بين الغسروس كأنه • وقد فرقفت حصباؤه حير قوطأ
حواليه من دوح الرياض خرائد • وغيد تغتر من خباياها مرطأ
اذا أرسلت لادن الفسروع وقصت • جنى الزهر للاح فى ذوائها وخطأ
برضها من القسم اذ انبرى • كما مال نشوان تشرب اسفطأ
يشق رياض اجادها الجود والندى • سوا طيها القيت أسكب أم أبطأ
وصالت بسلسال اللجين جياضه • بجوار غدا عرض البسيط لها سطأ
تطلع منه لوسط وسطاه دمية • هي الشمس لا تخشى كسوفها ولا غمطأ
حكمت وحساب الماء فى جنباتها • سنا البدر حل من نجوم السما وسطأ
اذا غارت لها الشمس التى شعاعها • على جسمها الغضى نهر ابرها طأ

توهمت فيها من صفاء أديمها • نقوشا كأن للسك ينقطعها قطا
 اذا اتسقت بيض القباب قلادة • فاني لها في الحسن درتها الوسطا
 تكفني بيض الذي فكأنها • عذارى نضت عنها القلائد والديا
 قدود ولكن زادها الحسن عسرها • وأجل في تنعيمها النحت والخرطا
 سمعت معدا تبجائها فتكسرت • قوارير أفلاك السماء بها ضطا
 فملك شأوا بالسمادة أهلا • بأكتافه رحل العلاء والهدى حطا
 وكعبة مجده شادها العزف أنبرت • تطوق بعنقاها أمانى الورى شوطا
 ومصرح غزلان الصبريم كناسها • خنايا قباب لا الكتيب ولا السقطا
 فلكن بهما طاب لا الأثمل والخطا • ووسدن فيه الوشى لا الصدر والارطا
 ثراه من للسك القنيت مدير • اذا ما زجته الصبي عاذبها خطا
 وان باسكركته نسمة يفسريها • الى ثل أنف عرف عنبره قسطا
 آتت له الزهر لوان الخلد وانتفت • أو لوين كسرى الفرس تغطه غبطا
 جناب دواق المجد فيه مطنب • على خير من يعزى لخير الورى سبطا
 امام بسير الدهر تحت لوائه • وترى صفان العلا حفا خطا
 وقناح أقطار السلا بقلق • يلقى هامات العدا بالظبي خطا
 تطلع من خرصانه الشهب فانتفت • ذوائب أرض الزنج من ضوءها خطا
 كتائب نصران جوت الملة • جوت قبلها الا قد لوت نسبها فرطا
 اذا ما عقدن راية علوية • جعلن ضمير القمع في عقد هاشمطا
 فما لهما تلك الاهلة لهما • سنا بكها أبقت مشالها خطا
 يطالع أيدي المعالوات عنانها • فيمتاض من قبض الزمان بها خطا
 يد لأمير المؤمنين بكفها • زمام يقود الزوم والفرس والقبطا
 أدار جدارا للعلاء وسرادقا • يحوط جهات الارض من رعيه حوطا

وقال ايضا ما كتب بداخل القبة المذكورة

جمال بدائي مصير العيونا • وروثق منظرى جهر الجفونا
 وقد حسنت بقوسى واستطارت • سنا يمشى عيون الناظرينا
 وأطلع بحسبى الاعلى نجومها • وأقبل لا تقور الدهر حينها
 وجوى من دخان النسبة ألقى • على أرضى القياهم والذجونها
 علون دوائر الافلاك مسبها • لذاك الدهر ما ألفت سكونا
 فصخت من الاهلة والحنايا • أساور وانخلال والبرينا
 تكفني حياض مائحات • أمانى والشمائل واليمينها
 يقيد حسن الطرف انصاما • ويجرى الفلك فيها والسفينها
 تدافع نهسرها تحوى قلا • عملاء البحر فى غمدا دفينا
 وقد نثر الحباب على سماها • لاني تزدري العقد الثمينها
 نخرت وحق ليل الجنباني • لمجلسه أمسير المؤمنينها
 هو المتصور حائر خصل سبق • وباني المجد نبينا مكينها
 وليت ونغى اذا زار امتعاضا • بروع زئيره هند وطينها

إذا أمت مكنائمه الأعادي • بعض برعبه جيشا كينا
 يدبر عليهم من كل حوب • تدفهم رخي أو منجنونا
 أمام بالنصارى لاح شمسا • بها الشرق اكسى فورامينا
 بقيت بنى القصور القربدا • تلوح بأفقهن مدى السينا
 تحف بكم عوا كف عندياني • ملائكة كرام كاتينا
 لك البشري أمير المؤمنين اد • خلوها مع سلام آمينا

وقال أيضا كما كتب في هو هلمبر مر أسود في أبيض

له هو عزم منه ظهير • لما غدا كالروض وهو نصير
 وصفت نقوش حلاه وصف قلاند • قد نضدت في النور المحور
 فكأنها والبرسل خالها • وثى وفضة تر بها كافور
 وكان أرض قراره ديباجة • قد زان حسن طرازها تنصير
 وإذا انصاع دنته نوافي • أغماطه نور به عطور
 شأو القصور قصورها عن وصفه • سدان فيه خورنق وسدير
 فإذا أجلت الخط في جنباته • يرتقو هو بمحسنة محصور
 وكان موج البركين أمامه • حركان مصب صاغته دبور
 صفت بصفها تماثل فضة • ملك النفوس بحسنتها تصوير
 قد بر من صفو الزلال معلل • يسرى إلى الأرواح منه سرور
 مابين آساد يهيج زئيرها • وأساود بعوا لها من صغير
 ودحت من الأنهار أرض زباجة • وأضلها فلك بضئ من سير
 راقطن حصبتها وفواقيع • يطفوا عليها القول والنور
 يا حسنة من مصنع فهاؤه • باهى نجوم الافق وهي تنور
 وكان غما زهر الياض يجنبه • حيث التفت كواكب وبدور
 ولحسته الاسمي خبير وصفه • غفر الورى وامامها المنصور
 ملك أناف على الفراق دربة • وأقبله فوق السماك سرير
 قطب الخلافة تاج مفرق دولة • رميت بجعلها الإلهام الكور
 وجرى إلى أقصى المراق لربها • جيش على جسر القرائ عبور
 نجى النبي ابن الوصي مليل من • حقن الدماء وعف وهو قد ير
 بحمر الندى لكنه ممتوج • سيف العلال كنه مطرور
 طوي يخف لخلسه ووقره • ولجنته يوم التزل تبسير
 دامت معاليه ودام ومجده • طوق على جيد العلامرور
 وتعاهدته من الفتوح شائر • يفسد وعليهم مساو بكور
 ما زال منزل سعده يرتاده • نصر يرفي لواؤه المنشور
 وجرت به مرما جباد مسرة • وأدار كما من الانس فيه مير

وقال بعض الكتاب كما نقش في عضاد في باب القبة الحسينية المذكورة

يا ناظرا بالله فف وتأمل • وانظر إلى الحسن البديع الاكمل
 وإذا نظرت إلى الحقيقة فلتقل • السر في السكان لافي المنزل

وقال بعض الكتاب أيضا مما طرزت به الأسرار للذهبة المحكمة الصنعة لتستر بها النواحي الأربع من القبة الحسينية وتسمى هذه الأسرار عند أهل المغرب بالحائط **﴿وفي الجهة الأولى﴾**

متع جفونك في يدع لباسي • وأدع على حسي جبا الكاس
هذي الريا والروض من جوعاتها • لم تقتنى بالعروض الجباس
أني لروض أن يروق بهاؤه • مثلي وأن يجري على مقباسي
فلروض تغشاه السوام ولتما • تأوي إلى كنف طياء كناس
﴿وفي الجهة الثانية﴾

من كل حسنا كالقضب إذا انتنى • ترزى بغصن البنة المباس
ولقد نشرت على السماء فوائبي • وتطرت من شرواني الكناس
وجرت ذيلي بالمحسرة عابسا • تغرأ بغيري أبي المباس
ما تبطم مثلي في القباب ولا زدهت • بختي سواء مراتب وكراس
﴿وفي الجهة الثالثة﴾

ملك تقاصرت المسالك لعزه • ورواهم بالذل والانعاس
غيت المواهب ببحر فضيلة • لبث الحروب معسر الاوطاس
فرد المحاسن والمفاخر كلها • قطب الجبال أخو الندى والباس
ملك إذا وافي البلاد تأزجت • منه الوهاد بعاطر الانفاس
﴿وفي الجهة الرابعة﴾

وإذا تطلع بدوه من هالة • دعنى سناه وانظر الجلاس
أيا ميه غرر تجلت كلها • أبهى من الأعياد والاعراس
لا زال للمجد السني يشيده • ويقم ميناء على الأساس
مامال بالنصن التسم وكلت • دور الندى في جيده المباس
﴿وقال أبو فارس الفشتالي﴾ مما كتب على الصربية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من
بديع المنصور وكان أنشأها في جمادى الأولى من سنة خمس وتسعين وتسعمائة

باكر لى من السرور كؤسا • وارض التديم أهله وشعوسا
واعرج على غري التيف سماؤها • تلق الفراق في جلي جلوسا
وإذا طلعت بأوجها قر العلى • لا ترفضي غير النجوم جليسا
شرق القصور وبريقها لما اجلت • منى على بسط الرماض عروسا
وامتضت بالنصور أجلس فيها • وودت نصير من يدي خيسا
ملك أرى كل الملوك عمالكا • لعلاء وللدنا عليه حيسا
وهناك ياترف الخلافة دولة • تلق برايت المطلاع عيسا

وقال أيضا مما كتب في بعض المباني البديعة

معاني الحسن تظهر في المعاني • ظهور المعرف في حديق الحسنان
مشابه في صفات الحسن أعنت • تمت بها المعاني للنسوان
بكل عمود صبح من لمحين • تكون في استقامة خطوطان
مفصلة القيدود مثلثات • مواصلة المناق من التدان
تردت ساري الحسن يروى • يحسن الساري الخسرواني

وتعطوا الخبز رائحة من جأها • بسالفة القطيع البرهمناني
 لمجدك تنفي لسكر غماها • الى صنعها ما صنع السدان
 يدين لك ابن ذى رن وبعسو • لها غمدان في أرض ألبان
 غدت حوما ولكن حل فيها • لوفدكم الامان مع الاماني
 • بان بالخلافة أهلات • بها يتلو الهدى السبع المتاني
 هي الدنيا وساكنها امام • لاهل الارض من قاصوداني
 قصور ما لها في الارض شبه • وما في الجسد لقصوداني
 وقال عما نقش في بعض الابواب

هذي وفود السعد تحوى رننى • وطلائع البشرى لباني تنفى
 وسعت الى عتاة عرفك مثل ما • يهوى الخيول الى سقاية زمزم
 حلت بجمراى السعود بشائرا • لاحت على الشرفات مثل الانجم
 واوان صنعى ان تقول ولا تبلى • يبدع أجود جنة للتميم
 وقال الفشتالى لما عرضت عليه هذه الايات احسنها الا انه كره لفظة جنة وتغير منها كثيرا • وقال
 الوزير الاديب أبو الحسن علي بن منصور الشبلي عما كتب على مباحقة الزجاج
 ان شئت تاريخ اكال البديع قتل • اوان أجدا اوان السعادات
 وقال الوزير المذكور عما نقش على أحد ابواب البديع

باب انى كبراعة لست لال • وكأنا القصر القصيد اتالى
 ولذا سمى بالبديع وجامال • لغراق والتجنيس والاغال
 واتى التمام قفلى في تاريخه • يشابلا عتد ولا اشكال
 صرح على تقوى من الله اتنى • فى طالع للسعد والاقبال
 وقال ايضا فى غمام البديع مهنتاى

يا ملكا ملكه فبين • كطالع الفجر من بعد الحلق
 ثم هذا القصر فاسكنه على • حمن حال بدوام الملك
 وكان الفراغ من غمام البديع سنة اثنين وألف وفى تاريخه يقول الوزير المذكور وهو عما نقش
 بباب الرخام أحد ابواب البديع

الحسن لفظ وهذا القصر معناه • يا ما أميل مرآة وأجهاه
 فهو البديع الذى راقت بدائع • وطابق اسم له فيه معناه
 صرح أقيمت على التقوى قواعد • ودل منه على التاريخ معناه
 ولاح أيضا وعين الحفظ تكلفه • تاريخه من غمام قل هو الله

وقال فى فتح الطيب • اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن
 وهى البديع والمسرة والشهوى وفيها يقول المنصور موزيا
 بستان حسنك أبدعت زهراته • ولكم نهيت القلب عنه فأنتهى
 وقوام غصنك بالمسرة ينثى • يا حسن زمان به الشستهى ٥١

وقال القرني • والذي ذكره صاحب كتاب البيان المغرب عن أخيل المغرب وهو الشيخ أبو عبد الله محمد
 ابن عذارى الاندلسى حسيبا رأته فى السفر الثانى منه أن أول من أنشأ المسرة التى يظهر جان
 الصلحة عبد المؤمن بن على كبير الموحدين قال وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها

فيه كل فاكهة تشتهي وجلب اليه الماء من أعماق واستنبط له عيوناً كثيرة **وقال ابن السبع** **و** ما نزلت أناس من أراكش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه فواكه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على شخص الفاكهة عراكش اه ولعل المنصور وجد معالم المسيرة بعد اندراسها وأفاض بسجال الحياة على ميت غراسها وكان المنصور يختار بالبديع كثيراً وينوّه بقدره وفي ذلك يقول أبو فارس الغنصاني

هذا البديع يعزّيه بدائع • أبدعت به غريباً
أضئ النزالة حسنه حسداً • أبدى عليها صلباً
وانقضت الزهر المتيرة لذرات • زهر الرياض به ينور عجباً
شيدت مصانعاً وصنائعاً • أنجزت وعدك للعلا المرقوباً
وجرت في كل الفخار لقاية • أدركت وما مست لغروباً
فانهم على كل دام فيه مؤبداً • تحبى به فن النسيم رطباً

ولما اكمل المنصور البديع وفرغ من تميم برده ونظر برحته صنع مهرباً ناظماً لودع الاعيان والاكارق قدم لهم من ضرب الاطعمة وصنوف الموائد أفرغ عليهم من العطايا ومنهم من الجوائز ما لم يهده منه قبل ذلك وكان ممن دخل في غمار الناصر رجل من البهايل من كانت له شهرة بالسلاح في الوقت فقال له المنصور ما سطا كيف رأيت لارنا هذه يا فلان فقال له اذا هدمت كانت كذبة كبيرة من التراب فوجم لها المنصور وتغير منها وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور والله أعلم **وقال** **اليفري** **هو** قد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر الملوك اسمعيل ابن الشريف فانه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة ألف لموجب بطول شرحه فهدمت معالمه ونجحت مرابعه وقرق ما كان به من جوع الانس وعاد حصيدها كما لم يكن بالامس حتى صار مري السكلاب واللواشي ووكر الصدى والبوم وحق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه ومن البهايل أنهم لم يبق بدم من بلاد المغرب الا ودخله شيء من أنقاض البديع ولقد نذكر تبسيطاً ما حكمه بعض مؤرخي الاندلس أن الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر وهي من بهايل الدنيا ماز عليها في أيام المنصور بعض أهل البساتين وهي في نهاية الصمران والازدهاء بسكانها فقال ياد ارفيك من كل دار لجعل الله منك في كل دار قال فضرِب الدهر ضرباً بنو سوط عليها أيدي العدوان فهدمت ونجست وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها الى العراق **وقال اليفري** **هو** ولما دخلت البديع مغفلى من الرحلة ورأيت ما هالني أنشدت أيماناً أنشدته الشيخ يحيى الدين ابن عربي في كتاب المسامرة لما دخل الزاهرة فوجد هاهنا تمعة وهي

ديار بأكناف الملاعب تلح • وما انت بها من ساكن فحسبى بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب • قصفت أحبانا وحسنات رجع
نخاطبت منها طائر امتعزداً • له نجين في القلب وهو مرقع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى • فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأنشدت ما أنشدته ابن الأبار في تحفة القادم

قلت يوماً لدار قوم تفاؤوا • أين سكان الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلاً • ثم صاروا ولست أعلم أيننا

ثم قال اليفري رحمه الله **هو** لطيفة تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحسب الجمل مائة وسبعة عشر وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديع قائماً فانه فرغ منه سنة اثنتين وألف وشرع في هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف فذه عمره مائة وسبع عشرة سنة على عداسمه وذلك من غريب الاتفاق

فبصان من دقت حكمته وجلت قدرته وعمرت حجة لاله الاوهو الحكيم العليم

في ثورة الناصر ابن السلطان الغالب بالله بلاد الرافق ومقتله

كان الناصر هذا في حياة أبيه عبد الله الغالب بالله خلقته على تادلا وتواحيها ولما توفي أبوه المذكور وقام بالامر أخوه المتوكل كما استوفينا خبره قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلا عنده سائر أيامه الى ان قدم المعتصم بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما فرج الناصر من اعتقاله وأحسن اليه فلم يزل عنده في أروغديش الى أن توفي المعتصم يوم وادي الخازن وأفضى الامر الى المنصور فغزى الناصر الى أسبلا وكانت للنصارى يومئذ من عبر البحر منها الى الأندلس فكان عند طاغية قشتالة مدة طويلة الى أن سرحه الطاغية الى المغرب بقصد تفريق كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم فخرج الناصر عليه فزله ثلاث مضت من شعبان سنة ثلاث وألف وتسامعت به التوغاء والطغام من أهل تلك البلاد فأقبلوا اليه يزفون فكثر جوعه وتوفرت جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك هوذ كره البغرى في الصفوة في أن الفقيه أباع عبد الله محمد بن قاسم القصار كتب كتابا الى الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف من أهل بلاد غماره وكان مسموع الكلمة فيها يحضه على الاستسكاك بدعوة المنصور وأن يازم الطاعة فوقع الكتاب في يد المنصور فصرف الشيخ القصار حقه ولما وفد عليه بعد ذلك وصلاه وولاه الفتوى ولخطبة بجامع القرويين وتفرقة صدقة للمساكين ثم ان الناصر خرج من ملبية قاصدا تازا فدخلها واستولى عليها ونزعت اليه القبائل المجاورة لها كالأبرانس وغيرهم قتالوا عليه وقا على اعزازهم ونصرهم ولما دخل تازا طالب أهلها بالمكس وقال لهم ان النصارى يفرمون حتى على البيض ولما سمع المنصور خبره أفاقه ذلك وتخوف منه غاية لان الناصر اهتز المغرب لقيامه وتشوقت النفوس للميل القلوب عن المنصور راشدة وطائفة واعسافه للارعية فقال في ابتاج القلوب في تركة الولي الصالح أبي الحسن علي بن منصور البوزي المعروف بابي الشكاوي دفين شاة أنه كان سائر ايامه على بطة ومعه أصحابه فقال لهم يا قداماء اتبعون ما تقول فقلت انما التصبح بالنصر لولاى الناصر وكذلك الشجر والحجر وانى أرى غير ذلك فكان الامر كما قال اهتز لقيام الناصر كل شئ ثم قتل عن قريب ولجئته أمر اه ثم ان المنصور بعث اليه جيشا لوافرهم منهم الناصر واستفحل أمره وتمكن ناموسه من القلوب فامر المنصور في عهده المأمون بنناز لم يخرج اليه من قاص في قبية حسنة وهينة ثامة فلما التقى الجمعان كانت الدرة على الناصر بالموضع المعروف بالحاجب ومتر على وجهه فاحس بالجابة بلة من عمل بلاد الرقيب فلحق بهولى العهد فلم يزل في مقاتلته الى أن قبض عليه فأزال رأسه وبسبه الى مراكش وكان ذلك سنة خمس وألف وقل سنة أربع وألف وقال في نشر المثنائى كان مقتل الناصر وادخله مقلوع الراس الى قاص يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من رمضان سنة أربع وألف وهو الاصح هوذ كره الشيخ أبو علي البوسى في المحاضرات ما نصه في حقاوع صلح تادلا لانه انما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه الناصر قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي ان الناصر يدخل تادلا يعنى دخول الملك فلما بلغ الخبر الى الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد التبرقي التادلى قال مسكين يا أبا أحمد رأى برأس الناصر قد دخل تادلا قلته الناصر يدخلها فكان الامر كذلك فاته هزم في فواحي تازا ثم قطع رأسه وحمل الى مراكش فدخل تادلا في طريقه اه ولما قتل الناصر سر المنصور بذلك وأتته الوفود للهنثه وقال الشعراء في ذلك منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوى قال

عننا أمير المؤمنين فقد جرت * بسطونك الاقداد ويرى السوابق
أضاه تلك الايام وأحوال كت على * عدوك وأرغبت رؤس الشواهي

وذلك الذي قد خيب الله سمعه • تزدى فلم تنفعه ضرة مارق

فكان كاذباً قيل لكن رأسه • أتى سابقاً والرجل ليست بسابق

ضمن قول بعضهم في الوزير ابن الفرس • وقد آراه مصلوباً منكوس الرأس

لقد طمح المهر الجروح لغاية • تقطع أعناق الجياد السوابق

جوى فخرت جلاله لكن رأسه • أتى سابقاً والرجل ليست بسابق

وكتب المنصور بغير هذا الفتح إلى الآفاق في كتابه الشريفين الإمامين أبي عبد الله محمد بن العابد بن
البكري وأبي عبد الله محمد بن الدين القرافي رسالة يقول فيها ما نصه من عبدربه المجاهد في سبيله أحد
التصور بالله أمير المؤمنين الحسن بن الفضل الذي اعتصم بالحق والتقوى وهو وزير العابد بن وتعلي يحيى
المعارف الربانية وتلك حلى العارفين والسالك الذي برز في الطريقه وسلك على الجواز الواضح إلى
الحقيقة فكانت شأواً السابقين والمعارف الذي تجرد عن رعونة الأهواء النفسانية فكان سلوكه على
التجريد إلى حضرة الواصلين الشيخ الصالح العجوة الوافي السيد بدر الدين القرافي والشيخ المعارف
الواصل السري الكامل سلامة العلماء سبط الفضلاء أبي عبد الله محمد بن العارفين ابن الشيخ السامي
المقام قطب المشايخ الاعلام فخر علماء الاسلام الشهير البركة في الامام أبي عبد الله محمد بن أبي
الحسن الصديق أبقا كما اتفقوا واحكاماً تطهيراً يحيى الانس في حضرة القدس وتتم النعمان
الهابية من رياض المشاهدة إلى مدارج الانس ومعارج النفس وسلام عليك ورجة الله تعالى وبركاته
وبعد حمد الله مفيض أنوار غياة أحد على صاحبه الصديق مظهر كنوز المعارف الربانية جلالاً
بعد جميل من بيت حقيق والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختار لمراقبته صاحبه في القادر
والعريس والطريق والرضا عن آله أتمه لنطق وسبوق الحق وأصحابه الذين فاضت أنوار هدايتهم
على الغرب والشرق وبركهم اتساق لنا الفتح اتساق الاسلام وبفضلهم يعاودنا على الكفر
عقوب القطب على دائرة الافلاك فكبتنا هذا اليكم من حضرتنا ما كش حاطها الله وصنع الله لها مقام
المجال واسع المجال وعزمها الماضية تبعث إلى المدارس الاجال والايام بعزصولتها ومن
دولتها بهذه المغرب باسمه الثغور مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله أن تطوى ملامحة
الدهور هذا وانه اتصل بعلي مقامنا كتابك الذي صدحت على أفنان البلاغة سواجعه وعذبت في
موارد الحجة الصديقية مناهله ومشارعه ولطفت في كل معنى من المعاني أفانينه ومنزعه وتلفت
على الاجادة في كل مقصد من المقاصد مواصلة العذبة ومقاطعه وأنبئت بازهار العناية الربانية بأباطمه
الفجر وأجاءعه ومعه المنظومات التي صحت بالحكم ديها ورسا في البلاغة قدسها ورباني منبت
المواهب الربانية يراعها الفصح وقلمها وحل من نفوسنا موقعها الجيب محلا من دونه التريافي
مطلعها والبدر ليلة تمامه اعجابها وتنويعها بها وابتهاجها بخوارق التي أطلق الله على لسان عبدها
والى هذا فليست علمك بان مقامنا تنفق فيه على الدوام ان شاء الله نفائس بضائعكم وتنمو فيه مع الامام
سعود مطالبكم ونعموه على كل مقام مقاماتكم وتنسوخ فيه على الحجة الصميمة اماراتكم
الواضحة وعلاماتكم فعلي هذا تنفقد منكم الخناصر وتشتد الاواخي والاواصر بعز الله ومنه ثم
مما نستطرد لكم ذكره على جهة البشرى واهداء المصرة الكبرى اعلامكم أن عدو الدين طائفة
قنائلة الذي هو اليوم العدو الكبير للاسلام وعيد ملل التثليث وعبدة الاصنام لما أنس من نقله
جانبنا نال العزم تلتب من التهايا وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزائرة بكل عدد وعدة اضطرابا
وهممنا قد همت بتجديد الاسطول والاستكثار من المراكب المتكفلة للجهاد ان شاء الله بفضله كل دين
مطول وعلم أن الحديث اليه يساق وإلى أرضه ينسلف والتدمير بحول الله يفر كل لواء خفاق رام

خذله الله كما فأت على ذلك بما أمل أن يغتبه في عضدنا الأقوى وعزمننا الذي بمعنا لله يزداد ويقوى
 فرمى بخذل من أبناء أخينا عبد الله كنرى لديه وطوحته الطواغيت من ثمانية عشر عاما اليه الى
 مليية احدى الثغور للمصابقة لغرب عمالكا الشريعة التي الى كفاة ولدنا ولى عهدنا كفل الآمة من
 بعدنا الامير الاجل الارضى صلوم العزم المنتضى وحسام الدين الامضى أبى عبد الله محمد الشيخ
 للأمان بالله وصل الله لآياته التأيسد والظهور والعزالى يستخدم الايام والذهور فالتف عليه من
 اغتر باباطيه الواهية البناء من أوابش العامة والقوناء ومن قضى له من أجناد تلك الناحية بالشقة
 جوع نكارا رمل وتفتوت الحصار والغل لاحم للشقي حلب بارق أكذبته أمنيته اذ صدقته منيته
 فصرم نحوه ولدنا أعزه الله بجنود الله التي اليه وبمسار كرتك للمالك التي ألتينا زمام تدبيرها في يديه
 خراع الشقي لا انتفاضه عليه من الجواتق اضاع الاجل وتصبه اليه بعزائم ذلك الطود وتغلق
 العضر والجندل فاستولى عليه بجمه الله لأمين وعلى جوعه الاشقياء في يوم أغر بحبل وساعة أنزل الله
 فيه على الخوارج المارقين العذاب الجهل فاستأصلتهم الشفار وحصدت هشيمهم المصوح أسنة
 النار وقبض على الشقي في يوم كان شفاء للمدور ومنترها لجة السيف وربات الخلدور وأحرز الله
 تعالى بغير هذا الفخ العظيم والبن الجسيم لولدنا أعزه الله عز وجل في خاصة أجناده ونض وحده
 بأعبائه ونحن على سرير ملكا وادعون مطمئنون وأجنادنا في أوطارنا لا هون ومفتنون فلم ينجح الى
 أنجاده من قبلنا ولا امداه والعاقبة للثقين والمجد لله جدا الشاكرين وعزفنا كمل تأخذوا بظلمكم من
 السرور بهذه البشرى التي سرت الاسلام وسالت بجمه الله عبدة الاوثان والاصنام وقطوا مع ذلك
 ما عليه الاحوال اليوم بحول الله علينا من خفق رايات العزم ونهض آراء الحزم واعمال عوامل الجزم
 الى محاراة عمدة الدين ان شاء الله على قتلته التي عادت عليه أسفا ولها واعدة ما كان أسلف من ذلك
 ان شاء الله بلكال الاوفى وقدمنا اليكم التعريف لتمدونا ان شاء الله بأدعيكم الصالحة في اوقات الاجابه
 وتعرضوا على التماسها هنالك وبالحرمين الشريفين من كل ذى خضوع واثابه أن يؤيدنا الله على عدو
 الدين بفضله وبخير لنا وعهده الصادق في اظهار دين الحق على الدين كله ويسهل علينا بفضله ومعونه
 أسباب فتح الاندلس وتجديد رسوم الايمان بها وحياء اطلاله للدرس حتى ينطق لسان الدين
 في أرضها بكلمة الله التي طالما سكنت عنانها ووه وخرس وشرق بربقه فقص وخص فبيده الحول
 والقوة وعنايته العناية المرجوة ثم نوصيكم بحسن الوقوف مع أصحابنا فيما يشترى من الكتب العلمية
 برسم خزانة الكريمة الامامية العلية ثم الاتعاف بدوان الشيخ والدكم التماسا لجبل بركاته ونسكا
 بما سبق من الاجازة العامة في سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته وهذا موجه اليكم والسلام
 الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته في ربيع النبوى سنة خمس وألف اه وهذه الرسالة من املاء
 المنصور على ما قبل هو وما كتب به أيضا بخط يده الى سلطان مكه وللدينة والحجاز الشريف أبى المحاسن
 حسن بن أبى غنى بن بركت ما نصه من عبد الله المجاهد في حيله الامام المنصور بالله أحمد أمير المؤمنين
 ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنى الى الاصلة التي تبصت من ذؤابة هاشم في صميمها وتوغلت من
 غرفات حرمة الله بنزهر مهلو حطيمها وتغنعت من عرارة تجديب انتشاق فطحانها الاربيجة وشميمها اصالة
 السلطان الاتيل الاثير الاسنى الاسمى الازكى السلطان حسن بن أبى غنى أبقاكم الله والبيت ذوالاستار
 تنقيون ظلاله وتلقون من البحر الاسود الاسعد حاله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد) جد الله
 الذي أعزاه الله المثابة العلوية الامامية النبوية العزيزة الانصار السامية المتمددة والنجار الساجدة
 أذبل عزها الوريف الظلال على أهل البيت السامى المقدار سكان الحلى والذين تبوءوا الدار والصلاة
 والسلام على مولانا محمد الذي أطلع نفوس الهداية الساطعة الانوار والراضعين آله الذين تتضاءل

لمجددهم السامى المنار الثموس والاقار وعن اصحابه الذين استأصلوا شاة الكفر عواضى الشفار
 ومسله للنساء هذا المقام الذى "الامامى" للتصورى الحسنى بنصرته فى الفتوح من قنبر راحه
 ونجوى الاقدار على وفق اقتراحه فكنا بنا هذا اليكم من حضرة مر اكش طاهها الله وسع لها المجال
 فى ميدان الجبال والامام بعزصولتها وبين دولتها هذه المغاربى بحمة الثغور مؤذنة اتصال امرها
 العزيز بتحول الله الى أن تطوى ملاء الدهور بعز الله وعنايته هذا وان شيخ الركب المغربى وهو المراتب
 انخير الحاج محمد بن عبد القادر لما أزمع الى المعاهد الشريفة الرحيل لتجديدهم الطاعة الذى ليس
 بصاف ولا محيل وهب له من محارم الله نسيم عيل وأن طابا أن تعمل الوحد والذمى مل مدالى على
 مقامنا كفا الرغبة فى كتاب كريم يتشرف به عمله ويتعرف منه السعادة بتحول الله فى مر تحله وحله
 يتضمن الاصلة به اليكم فى المورد والمصدر ومدة مقامه من جوارك يحرم الله تعالى البيت والشعر
 فحمله هذه الجملة لترعوا له ان شاء الله عنها الحق العتبر وتولوه من جانبكم بما يصدق به الخبر وتدواله
 من آماله قطوف كل فن مهتصر وعما كفكم النهوض لاجل حقوق الاخوة باعبائه ونظام اليكم
 لوشاع الرحب لاعتبه بأدائه التماس الاداء مع الاحيان تجاه البيت الحرام وعند الماتزم والمقام
 أن يؤيد الله على عدو الدين بفضله ويخبر لنا وعده الصادق فى اظهار دينه على الدين كله ويسهل علينا
 بفضله ومعونته أسباب فتح الاندلس وتجديدهم اليمان بها واحياء الطلالة للدرس حتى ينطق
 لسان الدين فيها بكلمات الله التى طالمسكت عنها انداؤه ونرس وشرق بريقه فقص ونحن فذلك
 دعاء لا يرتد لاسمى من أهله فى محله ومعاد السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (وفوه) حتى
 ينطق لسان الدين فيه توريته بين الخطيب رحمه الله

هذرا احتفال للتصوير بالمولد الكريم واعتائه بسائر الاعياد

وقال الفتاوى كان ترتيب التصورى فى الاحتفال بالمولد النبوى الكريم انه اذا طلع طلوع شهر ربيع
 الاول صرف الرقاع الى الفقراء ارباب الذكر على رسم الصوفية والمؤذنين التعاريف فى الاصهار فى انون
 من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب بياهم السماعين بنظر راس الشموع واتقان صحتها
 فيتبارى فى ذلك مهرة السماعين من كل من يبارى النحل فى نسج اشكالها الطفا ولا ما جافى صوغون انواعا
 من الشمع التى تحير التواظر ولا تذبل زهورها النواضر فاذا كان ليلة المولد تها لملها وزفاف كواعها
 العصفافون المحترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف فيستربنون لذلك ويكونون فى اجل شارة
 واحسن منظور ويجمع الناس من اطراف المدينة كلها رويتها فيمكثون الى حين يسكن حرا الظهيرة
 وتخبض الشمس للغروب فيخرجون بها على رؤسهم كالعدلى ريق فى حلل الحسن وهى عدد كثير كالفضل
 فيتسابق الناس لرويتها وتعتلها الاعناق وتبرز ذوات الخدود ويتبعها الاطبال والابواق واصحاب
 المعازف والملاهي حتى تستوي على منصات معدة لها بالاىوان الشريف قصطف هنالك فاذا طلع الفجر
 خرج السلطان فصلى بالناس وقعد على اريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة واما مه تلك الشموع
 المختلفة الالوان من بيض كلالى وجرجلت فى ملابس ارجوان وخضر سندسبة واستحضر من انواع
 الحسك والمباخر ما لهى المحزون ويدهش الناظر ثم دخل الناس افواجا لى طبقاتهم فاذا استقر بهم
 المجلس تقدم الواحد فردجلة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومجراته وكرم مولده ورضاعه
 وما وقع فى ذلك باختصار فاذا فرغ انفع القوم فى الاشعار للمولديات فاذا فرغوا تقدم اهل الذكر
 المزعمون بكلام الششتري واشعار الصوفية ويختل ذلك توبة المنشدين للبيتين فاذا فرغوا من ذلك
 كله قام شعراء الدولة فيقدم قاضى الجماعة الشاطبى لبس منابر الجمع والاعباد فيتمد قصيدة بقتتها

بالتقرب والنسب فإذا تم تخلص لدخ النبي صلى الله عليه وسلم تم فتح مدح المنصور والدعاء له ولولي عهده
 فإذا قضى نشيده تقيم الامام المفتي المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشده قصيده على ذلك المتوال
 فإذا فرغ زلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشيطمي ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي
 وبله الكاتب محمد بن علي الفشتالي وبله الاديب محمد بن علي الموزاني النابغة وبله الاديب الفقيه
 أبو الحسن علي بن أحمد المسقوي فإذا طوى بساط القصائد نشر خوان الاطعمة والموائد فيبدأ بالاعيان
 على مراتبهم ثم يؤذن للساكن فيدخلون حجلة فإذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلوات الشعراء
 على أقدارهم هكذا كان دائماً في جميع الموالد ولا يصح ما يفرغ فيه من أنواع الاحسان على الناس اه
 من كتاب مناهل الصفاء وهو قال صاحب النعمة المسكية في السفارة التركية فهو هو العلامة المشار إليه أبو
 الحسن علي بن محمد التاجمروني حضرت المولد الشريف بعد القول من بلاد الترك فاستدعى المنصور
 الناس لا يوانه السعيد واستدخلهم لقصره البديع الشيد المحتوى على قباب متقابلة عالية وقدمه
 فيها من فرش الحرير وصفت الفارق وتبدلت الاستار والكلل والجلال المحصورة بالذهب على كل باب قبة
 وحنية كل سرير ودار على الحيطان ما تطيب الحرائر التي هي كآزهار الخياض ما رثيت قط في عهد
 الاوائل وتلك القباب مرفوعة الجوانب على قواعد واساطين من رخام مجزع مطيلة الزون بالذهب
 اللذائب مفروشة جلها بالمرم الابيض مخططا بالسواد يتخلل ذلك ماء عذب فيدخل الناس على طبقاتهم
 ويأخذ كل مرتبة من قضاة وعلماء ووزراء وقواد وكتاب وأصناف الاجناد فيفضل لكل
 منهم أنه في جنة النعيم والسلطان مالم في فخر ملابسه تعالوه الحبيبة والوقار وترمهق الابصار بالتعظيم
 والاكبار ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان الوصفان والعروج وعليهم الاقية
 المحصورة والمناطق المرصعة والحزم المذهبة عماديش الناظر وركاز ما مهم النبع الملون وأذن لمامة
 الناس فدخلوا من أصناف القبايل على أجناسهم من الاجناد والطلبة وسكنت بعد حين الحليبة وأتى
 بأفواج الطعام في القصاع الملقية بالبنسية المذهبة والاولى التركية والهندية وأتى بالطبوس
 والباريق وصب الماء على أيدي الناس ونعت مباخر العنبر والعود وأرزت عتائق الفضة والذهب
 وأنعى ان الريحان الفخر فرشها من ماء الورد والزهرة وأنشدوا قصائد ونسكلم المنشدون وأحسن اليهم
 السلطان ثم ختموا المجلس بالدعاء لا امير وإذا كان يوم السابع يكون ترتيب أيدع من الاول وهذه سيرته
 دائما اه وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم حجج البخاري وذلك أنه كان إذا دخل رمضان
 سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم صفر من نسخة البخاري وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين
 سفر في كل يوم صفر الا يوم العيد وتاليه فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه حجج البخاري ونعيا له السلطان
 أحسن ثم نهي الان العادة البخارية عندهم في ذلك أن القاضي يتولى السر بنفسه فيسرد نحو الورتين
 من أول السفر ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ويلي من ظهره بحث أو توجيه ما ظهره ولا يزالون
 في المذاكرة فإذا تم إلى التبرك ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكملة سرد في بيته ومن القديسين
 سفرا آخر وهكذا السلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة قد عين جلوسه موضع
 وقال القسطنطيني وكان المنصور يعطى أموالا كثيرة الحاجات عند انقضاء رمضان ويقيم مهرجانا يوم
 عاشوراء لخمس أولاد الضعفاء وكل من ختن منهم أعطى أذرعاً من كنان وحصص من الدراهم وسهم من
 اللحم اه وهو ما ترتب جيش المنصور وعادته في أسفاره فسند كرهافي الفصل بعده أن شاء الله
 ولندكر بعض القصائد الميسلانية التي أنشدت بحمائل المنصور حسانة قدمت الإشارة إليه في ذلك
 قول القاضي أبي القاسم بن علي الشاطبي رحمه الله

ما بال طيفك لا يزور لاما * وبمخى الاحضا ضربت خياما

أعيش فيك عواذلى لسلوهم • وأموت فيك صباية وغراما
وتبع نهرك سائلا من آدمى • أوليس نهر السائلين حراما
ماذا فتل ما لك في سنة الكرى • الا انتهت فكان لى أحلاما
عرض اذا حدثت عن بان الحلى • فحدث قلمي بالاجار حاما
أروى حديث الرقتين مسلسلا • عن دمع باكية الغمام معجلا
وتلق من جيب النسيم تحية • أضفى الهوارد الهاوسلا
يا جسيمة الملمن دعوق شيق • للمسندين عيش بالتضالوداما
نخذوا بجرعاء الحلى قلى فقد • ألف الاقامة بالحلى فاقلاما
وخذوا بنارى أهل نجدانهم • سلوا الفؤادوا دغوا الاجساما
فى كل غرب دموع عيني مشرق • لكواكب فيها ائرن ظلاما
صليت بشرا الشوق ثم رنت الى • انسلما فى جلسة قد حاما
وتسللت عبراتهم شوقا لن • وقفت عليه صلاتهم اوسلاما
خير الانام محمد الهادى الذى • أردى الضلال وجب منه سناما
كثرة العوالم سر طينة آدم • ولحفظ ذلك البراءة خناما
وأجل إرسال الاله ومن به • قد لا ذنوس حين غاض ظلاما
وتقامرت عن فرداء اعداهم • فلذا تنقدم فى الحساب اماما
أسرى الى السبع الطبايق فأقبلت • زمر الملائك وقده اعظاما
فى ليلة غمت بأعلاك السما • قسبر خفف ركبه وأماما
يا خسر من جبر العاند شأته • همز اقنص بريقه الخماما
أعيا جلالك أن يحيط بوصفه • وصف البليغ وأعرس الاقلاما
مسلى عليك التملازار الحيا • روضا ففتح زهره الاحكاما
ملائق فى مدح غيرك مخلفا • الابعده حتى من بئسك اماما
خير الورى وامامها المنصور من • فى ظل دولته الانام انام
أضنى على الارضين ظل مهابة • فسمى بها امام العبادوساما
وسما على الدنيا عقب تنوفة • فاقنص بفترس الاسودبها
قل للوك هو المالككم فدى • ونحو الاتفسك لديه ثماما
هذا الذى يحيى البلاد بعده • ويعيد هاتشراوكن رماما
هذا الذى وعد الاله بانه • يطوى البلاد ويغنى الاهراما
يا مشبه للمهدى فى آرائه • حرما وفى عزماته اقداما
أنت الذى بينه ابنه العلى • أرسى البلاد ووطد الاسلاما
فكأنها من حولك الاشبال فى • غاب الوشيع تبسروا أن آجاما
وأمنها بالمأمون غضب سهامها • علم انق على المضارب سناما
وأجل مضطلع قصيره الورى • بعسد الامام تقدموه اماما
وحياه أجد عهدا مة أحمد • فوق فكان لرعيه المعناما
لا بعدون النصر سيفك انه • سيف يحوط للدين والاسلاما
نخذها من على العبير مديحها • ويقض عن مسك الختام خناما

وقال العلامة مفتي الحضرة أو مالك المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف الفضلاني

أرقت وشاقتني البروق والسوامع • وذكري خليط هيمتها السرايع
مرابع غفها الرامس والسما • تراق من الاشواق فيها المدامع
كن لم تكن من قبل قدما أو اهلا • اذ السلك متلوم وشعلي جامع
تذكرني عهد الاجازع واللوى • وأين اللوى مني وأين الاجازع
مهيأها بذيل الصبابة برهة • وجفن الردي غناو عاشاك هاجع
وقفت بها البزل والبليل دامن • أنارهما الشكوى بها وتنازع
أسائلها عن جيرة بان جهم • وضعت هواهم بمدالك الاضالع
فهل قدموا نحو النقي صدورهم • ولاح لهم برق من القور لامع
يخبر عن دار الرسول وقرها • عراض بها اللوحى فاضت ينابيع
ديارها حل الحى سيد الورى • وهبت على الاشراك منها زعزع
عليك صلاة الله يا خير مرسل • ويا خير من تنفى عليه الاصابع
فلولاك هذا الكون مازال معدما • وأنت الذي يرجوه عاص وطائع
لث الغفر في الدارين والموقف الذي • لا هوالة ككل النبين جازع
فأتمهم والسلك تحت لوائكم • وليس لنا والله غيرك شافع
بجاز الرب العرش ما أنت أهله • جزاء به شجى المتلوى المخادع
وبازى اماما قدغته اليكم • أصول وآباء كرام فوارع
سميت وابن السبط حقل من له • عوارف في اغناقنا وصنائع
قدم للعلا يا ابن الخلاق مفردا • اليك اشرقتوها وغيرك بائع
ودامولى العهد بمدك صارما • يحب الى نيل العلاء يسارع
هو الا آمن للآمون من كل فتنة • لفيض الندى من راحته تدافع
فنيك أقول والنصوص شواهد • أحاديث همت ليس فيها منازع
بكم رأس هذا القرن جئت دينا • وقاضت بحور العلوم هوامع

أشار بهذا الى ما أخرجه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث على رأس كل قرن من
يقتله هذه الامة امر دينها وجه بعض الاعتم على ان المجتهد من الملوك وقيل من العلماء وقيل من الاولياء
والصواب الاطلاق وقال الوزير القائد أبو الحسن علي بن منصور الشيطمي رحمه الله تعالى

من بعد أهل قبلاو أهل كداه • شوقى يزيد وعز ذلك عزائى
ولى الشفاء بقرهم وهم جلا • ماني الخواطر من صدى وصدا
لصكته بعد المترا فآين من • تلك المداهد ما كن الجراء
باواوهاج السوق ذكر روعهم • ذات السنوا الرندوا الاضواء
وشدا بهم حادى الركب فكاد أن • تدع القلوب جسومها بضاه
باسعدوا ان زمان مساعدى • وبجيب داي البعد بعد نداى
ركبت حرفا كالهلال منافرا • للهيمز الا فى المتناى النناى
ولبت أحياء الفضلا وطوبى • طلى الملا بغيبة فوداه
تحتاض في جوف الظلام كأنها • سر فوج في ضمير رجاء
وتخال في لبح السراب سفينة • تجرى القلوع جابر عرجاء

هل أنزل بها النصب من منى • وأزور بعد معاهد الزوراء
 فأحط عنها الرحل ثم نجحيا • في ظل أحد بيتي ومناثي
 وأمرغ الخدين ملتحمي • وطنته رجلا خاتم النبثاء
 محي الهدى ماضي الضلالة والرداء • بالبيض والخطبة السمراء
 صلى عليه الله ما نفع السفا • لئوما أجلي للباين ذكاه
 وعلى صحابته الكرام وآله • أكرمهم من سادة فضلاء
 أكرم وارث مجده وعلائه • صبط الرسالة غزاة الأبناء
 خير لائلاف أحد المنصورين • حاز الكمال وشرط تل علاه
 الصارم الهندى في بني الهدى • والكوكب الوطد في الطلاء
 يا أبا الملك الذي بسيفه • حاط الهدى برأيه الوضاه
 ذنوب الالاء لك الفتوح وصانها • كالزهر في الأتكام والأوعاء
 لا بد من فخر ووقتك واضح • كالصبيح يد في شعور عداه
 وسقط الحرم الشريف وبنيتي • لئولئك المنصور دون مره
 وترى الجهات وقد أنت متقادة • بظبي بينك السادة النصيه
 وتقر عيننا بالخليفة منهم • وزر البعيرة عذة الامراء
 محمد المأمون خير من ارتقى • دوح الكمال وذب للعلياه
 فرح سبكي أصله ولقد حكى • بمقاصد قد سقت وندهاء

وقال الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الغشتالي وجه الله تعالى

هم سلبوني الصبر والصبر من شاتي • وهم حرموا من لذة التمتع أجناتي
 وهم أخروا في مهجتي ذم الهوى • فلم يشتم عن سخكها حبي الجاني
 لئن أزعروا من قهوة البين أكوئى • فسوقهم أضحي سميري وندماني
 وإن غادرني بالعمره حولهم • كفى أن قلبي جاهد أراطعاني
 قب العيس وسئل ربهم بأية مضوا • ألبنصر صاروا مدبلجين أم البان
 وهل يأكروا بالسفح من جانب القوا • ملاعب آرام هنالك وغسزلان
 وأين استقلوا وهل بهضبتهم • أنا نحو اللطايا أم على كتب تعيان
 وهل سأل في بطن للسيل تشوقا • نفوس تراقت أسمى قبل جثمان
 وانزجروا هابا المشى فهل نتي • أزمها الحادى الى شعب وان
 وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا • يؤتمهم رهبانهم دير خيران
 سروا واللبا صبح المطارق فالتنى • ما حادهم شتى صفات والوان
 وأدلى في الأصمار يرض قباهم • فلن نجو ما في معارج ككتبان
 لك الله من ركب يرى الأرض خطوة • إذا زقها بدنا فواعم أبدان
 أرحمها ما يلقى دغنى بها الهوا • تفتى الحيا في مفاصل نشوان
 ويجمها الوادى المقدس بالحي • به الماء صدا والكلانيت سعدان
 وأهـد حلول الحبر منه نحية • تغلوح عرفا ذكي الزند والبان
 لقد نجت من شع ثرب نحية • فهاجت مع الأصمار شوق وأنصافى
 وقتتها الشرق في القرب مسكة • محبت جاني أرض دارين أرداني

وأذكر في نجد وطيب عراره • نسيم العاصم نحو طيبة حياقي
 أحق إلى تلك المهادناتها • معاهد راحتي وروحي وريحاني
 وأهفوم الاشواق للوطن الذي • به صغي أنسى الحنى وسلاواني
 وأصبوا إلى أعلام مكة شاتقا • إذا لاح برق من شعام وشمس لان
 أهبل الحى ديني على الدهر زورة • أحت بها شوقا لكم عزى الواني
 متى يستنى جنى القربح تنطرة • يرحماني نوركم عين انساني
 ومن لي بان يدنو القاصكم تعطفنا • ودهري عني دائما عطفه ناني
 سقى عهدهم بالحنيف عهدته • سوافح دمع من شسوفى هتان
 وأنم في شط العقيق أراككة • باقيا تاملت النى والهوى داني
 وجبار وعابن مروءة والمصفا • نجة مشتاق لها الدهر حيران
 ربوعها تاتوا لللائكة الملا • أقاتين وحى بين ذكر وقرآن
 وأول أرض باكرت عرساتها • وطرزت اليها معائب ايمان
 وعمر من فيها للنبوة موكب • هو البصر طام فوق هضب وغيطان
 وآدى بها الروح الامين رسالة • أفلت بها البشرى مدافع عنوان
 هنالك فض ختمها أنشرف الورى • وغر زار من معدن عمدان
 محمد خير العالمين بأسرها • وسيد أهل الارض والانس والجان
 ومن بشرت بالبعث من قبل كونه • فوامن كهان وأخبار وهبان
 وحكمة هذا الكون لولاه ما سمعت • سماء ولا غاضت طوافع طوفان
 ولا زنوف من جنة النخل أربع • تسبح فيها آدم حور وولدان
 ولا طلعت شمس الهدى غب دجية • تجهم من ديجور هاليل كفران
 ولا تحبب بالذنبين شفاعة • يذوبها عنهم زباني نيران
 له مبهزات أغوست كل جاحد • وسلت على المرتاب حارم برهان
 لا تشق قرص البدر شقين وارثي • بلاءه من كفه كل ظلمات
 وأنطق الاوثان بنطقات سرأت • انى الله فيه من زخارف ميان
 دعا سرحة بهما فلبت وأقبلت • تجمر ذبول الزهر ما بين أفتان
 وضامت قصور الشام من نوره الذى • على كل أفق نازح القطر أوداني
 وقسد هج الاقواب دعونه التي • كست أوجه الغراب هجة نيسان
 وإن ككتاب الله أعظم آية • بها اقتضع المرتاب وابتنى الشاني
 وعنتى على شأ والبليغ بيانه • فهيات منه صبح قس وصحبان
 نبي الهدى من أطلع الحق أنجما • محى نورها لاداف افلك وهتان
 بمنزلة الاكساسة الالى • هم طربوا تيجانها آل ساسان
 وأمر السنين الحنسي بالظبا • تران اللوك الصيد من عهد يونان
 وتقع من سمير القناس السم قصرا • فجرعه منه بحاجة نصبان
 وأخضر دروع الكفر والشرك بلقا • يناغى الصداق هاتف شيطان
 وأصبحت السماء تزوق فضارة • ووجه الهدى يادى المصلحة للرائى
 أيا خبير أهل الارض يتشاوحتدا • وأكرم كل الخلق يحجم وعربان

[illegible]

المراد به سبب نیکان ملک
البرتقال لکنه عزیه فقال
ستان

إذا قسم المداح فضل غفارهم • فقسمي بالنصور وظاهر ربحه
 امامه في جبهة الدهر ميسم • ومن عزه في مفرق الملك تاجان
 سما فوق هامات النجوم جبهة • يحوم بها فوق السموات نيران
 وأطلع في أفق المعالي خلافة • عليها وشاح من عسلاء وسعطان
 إذا احتسب فوق الأسرة ولزدي • على كبرياء الملك فغوة سلطان
 توهمت لقمان العجا وهو ناطق • وشاهدت كسرى العدل في صدر اوان
 وان هزله حتر الثناء تدفقت • أنا مملعه عسرة فاندق خلعان
 أيا ناصر الاسلام ثم بارق المنا • وبأكرار ورض في خرا المجد في نيران
 قضى الله في عليك أن تلك الدنيا • وتفصهما بين سوس وسودان
 وأتلك تطوى الأرض غيره مدافع • فغن أرض سودان إلى أرض بغداد
 وعسلاء عسلا يرفي لواءه • على الهرمين أو على رأس غمدان
 فكم هنا أرض العراق بك العلا • ووافقت بك البشري لا طرف عمان
 فلو شارفت شرق البالد سيومك • أملك استلابا تاج كسرى وخاقان
 ولونشر الاملاك دهره أصبحت • عيالا على عليك أبناء مروان
 وشايصك السفاح يقتاد طائعا • برايته السوداء أهل خراسان
 فما الحمد الا ما رفعت معاكه • على عهدي عسر الطوال ومزمان
 وهانسك أبكار القواي جالوتها • تغازلن الحسور في دار روضوان
 أنتك أمير المؤمنين كأنها • لطائم مسك أو خائل بستان
 تعاطن حسنا أن يقال شبيهها • فسراند در أو قلاند عقبان
 فلا زلت للدينا تحوط جهاتهما • وللدن تحميمه بمسك سليمان
 ولا زلت بالنصر العزير مؤزرا • تقادلك الاملاك في زى عبدان

انتهت القصيدة الفريدة • وقال في فتح الطيب • أخبرني ناظمها أنه أراد بقوله • ونافس بيتي في الولايت
 سلمان • قبيلة سلمان التي منها السنان الذين ابن الخطيب اشارة الى ولاء الكعبة للخلافة كما كان لسان الدين
 رحمه الله وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضى الله عنه انتهت • وهذه القصيدة على طولها من غرر
 القصائد ولذا لم يد كرفي المتقي من الامداد المنصورية غيرها وقد أتى عليها في فتح الطيب جدا وتبع
 ما قبيل في هذا الاحتفال واقامة المولد العديم المثال من الامداد يفضي الى العلول وفي هذا القدر
 كفاية وبالله التوفيق

ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات أسفاره

وقال الفشتالي • كانت السيرة على عهد أي عبد الله المهدي وولده الغالب باقية وابنه المتوكل سيرة العرب
 في الجيش والمأكل والملبس وغير ذلك ولما ولي المعتصم جل الناس على السيرة البهيمية وجفع اليها من سائر
 شؤنه لما رأى منها في بلاد الترك حيث كان بها فكره الناس ذلك وأنفوا عنه ووقوا مع العوائد فلما جاء الله
 بالمنصور ألقين صير في العرب والبهم واصطفي من البهم موالى ديارهم بخدمته وأشملهم درورا احسانه منهم
 مصطفى باي ومعناه باقة الترك قائد القواد ويختص به قائد الاصباحية وكان يرسم حراسة الباب المعالي
 ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزان الدار يده مفااتيح بيوت الاموال ومنهم القائد عروج قائد جيش
 العالوج والباشا جؤنر فاع السودان وهو قائد جيش الاندلس وكان لاهل الاندلس جيش عظيم رماة

وعمل قائده جيش السوم فهو لاءا كابر العلوج وتليهم طائفة أخرى منها يجتارون بها ثم ان جيش
الجهم من الأترك والعلوج قسمه الى أقسام (منها البيالك) وهم أهل القلائس الصغرى المذهبية ذوات
الأعراف من ريش النعام الموثقون سمطين أمام قبة أو فسطاطه (والسلاق) أهل القلائس
الطويلة البيض المرسله على الناكب ويناط بها من أعلى الجباه جباب صفرة ذهبية ويضعفون اليها
وقت الحزام أجنحة طولا يؤلفونها أيضا من ريش النعام الداني على أصل خلقتها ويركزونها في الجباب
المنوطة بالقلائس من أعلى الجباه ويرسلونها الى وراء ويقف هؤلاء خلف البيالك (ولبلدروس) وهم أهل
اللقايف وهي رماح قصيرة غليظة المعى مغطاة بالحديد ومروحة بالمسامير البيض وكتب عليها أسنة
عظام وزجاج هائلة تنبت من ريشتى كل سنن منها أضلاع مستقيمة ويقف هؤلاء خلف السلاق
(والششيرية) وهم أهل الطعام وضعاور قنالا غير وقائدهم يجتارون من سبي وادى الخازن (والقبيصة) وهم
أهل حفظ الأبواب وغصها وقصها قائدهم مولود المساورى وطائفة من هؤلاء تعرض ليللا وتطوف على
مسايف السور المحيط بالدار ومن وتليهم هؤلاء خدمة الكرمي والسرير الذين يجلس عليهم السلطان
بالايوان وتعاود اذ أطال الجلوس وكسها (والشواش) وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصافى في حرب
أوسم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر فقال القشتالى في هذا ما زادته دولته على سائر الدول
فأذا خرج في يوم عيد أو ملاقة أو تهنئة خرجوا مترين وكل قائده يقف عند مبدأ انبعاث جبل جيشه تحت
ألوية محفوقا بجيش من رؤساء جنده أهل الخليل وهم الذين يدعون عندهم بالكباشات فاصلا بذلك بين
جيشه وجيش من يردده خلفه وهكذا تمتد الى انبعاث الجيش من تحتاه أمير المؤمنين وكل يعرف مركزه
ورتبته لا يتعداه الى غيره بالتقدم أو تأخر ولا يجيد السبيل الى ذلك لو أرادوه فقال القشتالى في الترتيب
الذي جرى به العمل في عساكر التار ان يتقدم أولا لجيش السوم ثم يردده جيش سراكة وكل منهما
ينقسم جبليين ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالى من العلوجي ومن انضاف اليهم وعسكر
الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زميرتهم وهذا ان يسيران صفين متساويين لا ستواء مرتبتهما
وعند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء غير ان الموالى يكونون في المقدمة تارة هؤلاء وكلهما يحفظ
بحوالا وكاب السلطان ويتقدم قائدهما محمود قائدا الموالى وجوزر قائدا الاندلس وترفع على رأس كل
منهما الرايات ويحفه عسكر من بكباشات ثم يتصل هذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من البيالك
والسلاق ولبلدروس فقسم الفرق الثلاث أمام المنصور صفا متساوية فاما البيالك فيلون ركبا يحفون
به جيماوشمالا ويرفع البعض رماحه البرتيسة المنصوبة أمامه ومنهم صاحب المظلل المرفوع على رأسه
كالقمامة يحمله حائل تركوبه أقربهم درجة لقائدهم ابرويز واذامشى المنصور الى جامع المنصور من جهة
قبور الاشرف والشنشى وهو الروض المتصل بقصر البديع على رجليه حلة ابرويز بنفسه ثم يسير عن
يمينهم وشمالهم السلاق ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم لبلدروس أهل اللقايف متوتة تكيف من الجميع
صورة ترزع الرعب في القلوب وتسير الجناث فيباين سماطى هذه الدخلة تجو به صفا صفا الى ألوية
عساكر التار ومنبث جبالها المندودة يقودها صديقه يدمون المراكب كركبانا وكانت جنائب انطلاعه
يقودها الرجل من الوزعة وهذا أكل مزية وجيش اصباحية الذي الى نظرية الارباى ينقسم كتيبتين
عظمتين تسيران احدهما ذات الجية والاخرى ذات الشمال أمام الموكب الذي يرفع اللواء العظيم الابيض
المدعوب بالواء المنصور علامة على شعار الدولة على رأس المنصور يسامته من خلفه وهناك ألوية كثيرة
ذات ألوان مختلفة وأمامه العطل العظيم الذي يسمع دويهم من مسافة بعيدة ومن خلفه الطبول الاخر
معها النبطات واحدة تها غبطة بتولى النفع فيها قوم من الجهم أسانيد يتعلمون ما ينفخون فيه اقتنعت
منها أصوات وتلاحب لانتحرك الطباع ولا تبعها على شىء دون الحرب فانها تشجع الجبان وتقوى جاش

انحلت حكمه فيلسوفية وهناك من امير آخر وجواب طوال صغيرة على مقدار التغير في الطرباط
 مما أحدثه أيضا في دولته وزادت بدولته غنماة وضخامة ثم ردف هذه الالوية والالات من خلف
 أمير المؤمنين موكبه العظيم فهذا ترتيب جيش المنصور انتهى باختصار من كتاب مناهل الصفا وليس
 اقتضا المثل مما أحدثته الدولة السعدية كان معه بعضهم بل كان ذلك موجودا في الدول القديمة شرفا
 وغربا وقال اليعفرى في وما ذكره الامام التستالى من توافر أجداد المنصور وتكاثر جرحه وشبهه وكذلك
 وقد ألفت انباء من كتب تاريخه وروايتهم ورجوعه الى الرملة بظاهر مراکش ولم
 تعلم أصحابه بغير وجهين علموا بخروجه تبعوه خفا فافوا ثم اقام بعد ما معه هنالك من الجيش فوجد
 ثمانين الفا فقال يا سبحان الله قد خاطروا بنا بهذه الزكبة ان هذا السعد يستتله ولا يخفى ما في هذا
 الكلام من الافراط والذي ذكره الشيخ أبو العباس أحمد القاضي الاندلسي في كتابه المسمى برحلة
 الشباب الى لقاء الاحباب ما عناه قال ان جزيرة اندلس التي اوردت ايام أبي الكفار سهول
 واسترجاعها منهم قريب بل دخلت مراکش في أيام المنصور ووجدت عنده من الخيل نحو من ستة
 وعشرين الفا فلو تحركت همته لقصها لاستولى عليهم في الحين اعلم اني اهل كلام اليعفرى وهو امانيان
 حالة المنصور في السفر فقد قل شارح زهرة السمرج ان المنصور لما قيل الاسفار وانما سافر الى فاس
 مرتين لا غير وانما كان متفرغا لانه واستبقاه شهواته مدة خلافته وقال اليعفرى في ويهبط ان ماشاء
 على الاسنة من انه كان يكثر بفاس ستة أشهر وعمرأ كش مثله ليس يصح وانما أعلم وكان المنصور اذا
 سافر استعذ غاية الاستعداد و أحسن في التهيئة ماشاء وقال صاحب النخبة المسكية في كان له قصر من
 عود ممر بمسامر ومخاطف وخلق وصفاغ مفضضة على هيئة عظيمة وقد أحس ذلك كله سراق
 كالسور من نسج الكنان كانه حديق بستان وزخرفة بنيان وفي داخل القصر المذكور والقباب المأثورة
 بيضاء وسوداء ووجراء ونخسراء كأنها أزهار الى باض قد نقش ذلك أحسن النش و على بابى الفرس
 والسرراق الذى هو كالسور ابواب كأنها ابواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهايز وتعاريج ثم ينتهى
 منها الى القصر الذى فيه القباب وهذا القصر كأنه مدينة تنتقل بانقاله وهو من الابيات الملوكية التي لم
 يوجد مثلها عند الملوك الماضين اه وهو مما يتعلق به ما حكاه أبو فارس الغشتالى في المناهل في قال خرج
 المنصور يوم الاثنين عاشر شعبان سنة اثنى وتسعين وتسعين ليلة أضرحبه الصالحين باغاث قال
 فتأخرت وراءه فلحقني المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف وأتاني أخريات الناس فأنشده أبا فارس

بان الخليل وودعوا قاتلوا وحسن الصبر منى شعوا
 وتمرد حادى البين وانسقت العصا وكاد فؤادى للنوى يتقطع
 فقلت الى الله أشكو فرقة منهم وقد تجرعت من كأس الذوى ما تجرعوا
 ثم زدت ان شرد السوا نعى بعدهم في حصة المنصور أنسى أجمع
 ثم قال تدور عليه هالة لقبابه ومركزها قصر الحلافة بلح
 فقلت مسياح به بحر الندى بمقوح ومن أفتقه شمس الامامة تمام

وكان المنصور خرج ليلة أغمات في شارة حمة فبانغ أغمات كد فيه يومين في الثالث من الخزيارة
 الامام أبي عبد الله المزمرى وعاج على ضرب الشيخ سيدي بن الج. بوقف عند الجبابة الكبرى فدعا
 مائة مرقوق أموا على ذوى الحاجات على يد السافى الساطي والفقيه الامين أبي الحسن على بن
 سليمان الثمالى وكان معه الفقيه القاضي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى كان قد استقدمه
 من فاس برسم القراءة معه وكان الحميدى لودى ما خفف الروح وفي هذه السفارة صدرت منه الايات
 التي تبارى في معارضها شعراء الدولة وقد ذكرها في التزهة منتظرة نالك وهو يتعلق بأخبار الحميدى

المذكور في أن المنصور سافر مرة إلى تارودانت ومعه جماعة من الأعيان كالقاضي الجبدي وأبي العباس
النجور وغيرهما فخرج المنصور بباب تارودانت وضرب الناس أخيمينهم فترجل عليه أطمار بالية
وهيثة رثة ويقال إن هذا الرجل هو أو عثمان الهلالي تاروداني فوطئ على طنب من أطراب نجباء القاضي
الجبدي فصاح القاضي من هذه البقرة التي قوضت على تخميني. ثم كان الرجل فالتى إليه الرجل قرطاسا
فيه أبيات وقال البقرة من لا يجيب عن هذه ونص الأبيات

إلى يادك العلى مسائل ترتقى * تفطن لمن يا جبدي واصدق
في الحكم في الأوزاع هل ساخا كلها * وما الحكم في موق المجانب فانطق
وهل جازل المسبوق بعد تشهد * دواء إذا مارام اكمال مايق
وما وزن ليس بأديب وأصله * وما جمع فصلة لصاع فحق
وما وزنه ثمسرو لائن واثقا * بجمع سوا والمقبسدا أطلق
وبين لسان في أعسو ذربنا * من أليس والتخمين في الكل فانق

فبدل الجبدي ما لم يكن يعتسب وتوقف عن الجواب فرغت القضية إلى المنصور فاستغرم وقال هذا
رجل من أهل البادية فضع قاضي قضاء الحواضر وأمر النجور وأب عنها قال بعد أربع سنين وبعد
موت السائل ونص الجواب

جوابك في الأولى أباحة أكلها * بمذهبننا فاجزم بذلك وصديق
كذا إن حبيب في الخشاش أباحه * لمحتاجه مثل المقارب فاسبق
وقد قيل في الأوزاع يحصرم أكلها * وذلك في الكافي أبو سفيان
ومستقدر يحكي المخالف منه * وأنكره التنبيه فأنه هو دقيق
ورجح ما عصى المخالف بعض من * له العزو لا يتحقق ولا يشق
وميت مجنون جرى خلف حكمه * بعلم كلام لا تكن غير متق
وتحققها إلى الجنود الذي طرا * يصير كوت فصل الحق يهني
فأرته بعد البسوا غ طروقه * وحين يرى قبل البلوغ فطبق
وأرته أثر الصلاح وقوعده * من ينابه من الكبرة يلتقي
وحين يديم للسمات وتارة * يفتيق فخذ حكم البليغ ورتق
ويندب للمسبوق دعوى تنهد * وذوق امام في التاجاة فترتق
وليس له فعل كتنال وأصله * بكسر لياء فأكسر الغين ترتق
وجعل صاعا في القليل باصوع * وأصوع به زوالا فافهم وتغني
ران شئت فقل به فيرجع أصعا * لئلا يصرف فاعلم ترتق
وصاع كما عنة به فسر ضمة * وتحريكه ففهم فترتق
وجمع سواء فالذي منه جامد * بأدوية فاعلم فترتق
وهنستقه وزن المسطاي قاسمه * رواية نقل في الحق فانطق
ومقصود من في العود بده أنماية * فإليس مدد العون عند الموقف

في انتقاض ولي العهد محمد الشيخ المأمون علم أبيه المنصور وما آل إليه أمره في ذلك

كان المأمون كما تقدم ذكره في عهد أبيه المنصور وكان خليفته في سنة ١٢٤١ هـ لما توفيت أمه وكان المنصور
اعتناه تاما به واهتم بمرشاته حتى قيل إن المنصور كان لا يتعمد على صندوق من ماله حتى يأتى المال إلا قال جعل

الله فتحه على يد الشيخ رجاء أن يقوم بالامر بعده فلم يساعده القدر ونزع الامر كآمال القائل
ما كل ما ينفي السرمدية • تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فأما المأمون السيرة وأضر بالارعية فوالا اليفرنى فهو كان فسيقا حيث الطوية مولعا بالعبث بالصبيان
مدمنا بالخمر سفا كالدماء غير مكترث بامر والدين من الصلاة وشرائطها ولم يظهر فسادا وبان للناس
عوارضه وزير أبيه القائد أو اصحق إبراهيم السفينى عن سوء فعله فلم ينته واستقر على قبح سيرته فأعاد
عليه اللوم فلحق في مذهبه ولما أكثر عليه من التقريع سقاء السم فكان فيه حذف القائد المذكور وعما
أنكر عليه أنه قضى على كاتب أبيه أبى عبد الله محمد بن عيسى وهو مؤلف كتاب الممدود والمقصود من
سنة السادة المذموم وظف عليه أموالا وبتره ذخائره حتى كان عماما أخذ منه ثمانون حسكة مذهبة
ومائه نخ من الملف المختلف الألوان فلما أكثر قبا حجه وترددت الشكايات لايه كتب اليه لينكشف
عن شبهه ويتزجر عن خبثه فزاده التحذير الا اغراء فلما رأى المنصور أنه لم يكترث بامر ولم يتزجر عن
قبا حجه عزم على التوجه الى طاب بنفسه أن يعكر به يؤذيه عما يكون وادعاه فقنع الشيخ بذلك مع
عسا كره وهما أجنده ودفع المرتب لاصحابه وكان عدد جيشه فيما قيل اثنين وعشرين ألفا كلهم بكساوى
الملف والحبر على أحسن شارة وأكل زى وعزم أنه ان بلغه خروج أبيه من مرا كش أن يتوجه في
أصحابه الى تلمسان ويستجير بالترك فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان تخلف عن
الخروج من مرا كش وكتب الى الشيخ بلاطفه ويأمره أن لا يفعل وولاه مصجلماسة ودرعة وتخلي له
عن خواجه ما قاله قدس وشكته ولا أطالبك فيه ومرا ده بذلك أن تسكن نفرتيه ورجع اليه عقله
فاظهر الشيخ امتثال الامر ونزع يوم مصجلماسة فمات انفصل عن طاب بنى يسير حتى ندم ورجع اليها
وعاد لما كان عاكفا عليه فبعث اليه المنصور أعيان مرا كش وعلمائهم فقصوه وعظوه وخوفوه ومخط
والده وحذروه عاقبة العقوق ولم يألو واجهدا في نفسه فوجده مشغول القلب عن نصيحتهم مغشور
الذهن بخلاف قولهم الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من الفرار عن أبيه وأقصر في الظاهر
عن بعض تلك المساوى فرجع الوفدا الى المنصور وقالوا له أنه قد تاب وحسنت حاله وأطمانت نفسه وأنه
واقف عند الامر والنهى فلم يطمئن المنصور لقولهم وقال لهم لعل هذا الطعان نار الشبهة وكذب لا صلاح
الباطن وصمم على المكر بالشيخ فكتب اليه كتابا طويلا يلو فيه عليه على بعض الاشياء وفي ضمن ذلك
تسكين خاطره حتى يفيته على حين غفلة ونص الكتاب من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام
المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله وأمره
وظفر عسا كره الى ولدنا وفى عهدنا الا لا ير الاجل الافضل الا كل ادعيا بالشيخ وصل الله اليكم وسنى
من خير الدارين آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله أما بعد فكان هذا اليكم من حضرة مرا كش حاطها الله
ولا جديدا ما عوده مولانا من الخبر لله الحمد لله هذه الازى أوجه أسعدكم الله وكلام أنه باعنا انكم
قد استخدمتم هنا كم جماعة من أولاد طلمة كأولاد أخى على بن محمد وأخى على بن ملوك وغير هؤلاء وأنك
قد فرضت لهم في اعطائهم نحو خمسة آلاف وإلى هذا أى مصلحة ظهرت لك في استخدام هؤلاء القوم
حتى تتحمل كلفة فرض هذه القروض بل ما في ذلك الا الفساد البين لان هذا الذى تعرضت له لا يفي به
المغرب ولا يقوم معه بشئ ومصلحة هؤلاء أولاد طلمة ان كنت رأيت استخدامنا وأردت تقليدنا
في ذلك واقفاه سيرتنا فاعلم ان يسننوا نيتكم في هذه المسئلة فرفا من وجوه منها ان مرا كش ليست
كفاه وان خدمتهم هنا بعددهم عن بلادهم ليست تكدمتهم هناك وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم
وكنتم في بلادهم وهذه الخدمة كانوا قد طلبوها منى وأنا هناك فوعدهم ان لا يعصى وانا بالبلادهم
الامساختهم فلما جاء اليوم وطالبونا بالوعد لم يمكن الا الوفاء لهم به فعليه شرطنا عليهم مرا كش وسكاها

وعلى هذا الشرط استخدمناهم ومع هذه الوجوه كلها والاعتبارات فقد ندمت والله على استغذامهم غاية الندامة وكنت في ذلك على خطأ إذ كان الاولى أن كنا حاسناهم وتركناهم من الخدمة وأما أنت في مندوحة عن هذا كله لأنه لا وعليك سابق حتى يلزمك الوفاء به ويمكنك أن تجعلهم على أذننا وشورتنا فنكفهم بذلك الشرط الذي شرطنا عليهم من الخدمة هنا ركش وسكناها وعلى هذا الشرط استخدمنا منهم من استخدمنا إلى هذا فالذي ذكركه عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تستخدم منهم حتى فاروا واحدا أصلا من الذين ذكرناك ومن غيرهم من كافة أولاد طلمة وأمرناك أن تنصل لهم فينا وتقول لهم ان السلطان منه من استخدمناكم هنا وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم بحبة هذا لتفادي منهم ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره بل تحسن اللقاء بهم وتواليهم بانظار البشر والقبول وباب الطمع تسد دونهم والذي شق علينا أعظم من هذا كله واستكبرناه ولم تجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد اطعموا عليه أعني أولاد طلمة على بن محمد وغيره من أحوالك وأخباركم وألفيناهم قد توصلوا من ذلك إلى ما يتوصل اليه أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا وخوفاً من أهل بساطنا لأن أهل بلادنا أحبناهم بحسب الآتي صالح أنفسهم هو هؤلاء غافلون عن القربة وعورات المملكة فإذا يكتم تخذونهم بطانة وأصدقاؤه واطاعونهم بأحوالك وأموركم مع ان القوم لا زالوا بسلاسل العذوبين أظهرهم وما يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بان الترك قد اطعموا عليه حتى كانوا شاهدوه ووقفوا بأنفسهم عليه وأيضا كانوا أصدقاؤه ولا يريدون بالخير فالقوم عرب لا يتفظون على ما يطلعون عليه ولا يفهمون ما يحسن اخفاؤه ولا يداؤه ولا يتمالكون قولاً ولا نطقاً وبالجملة فقد أحرقتنا هذه المسئلة وتطمرت لها كبادنا وصارت قلوبنا ماطعة ونفوسنا منك على الناس كانوا يتفظون في أقل الامور أن يطلع عليها الأجانب وان كانوا أحب من كل محب وأقرب من كل قريب وهل ما عندكم علم بان أخانا بابا منصور كان عرض له غرض ضيف جداً أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزور فلما برز بابا منصور لفطنته أن يذكر ذلك حتى يشاور من يباذله لا يكون عيب في ذكر ذلك بحضره فقلبه شاور القائد فحوا بن فرج كان يباذله فقال له هذا الرجل يراني ولا يطلب شيئاً قد اقامه على ان منصور بن المزور وهذا كان مع أسلافنا من أقرب ما اليهم من خواص الخدام أهل بساطنا بحبة وفرا لأنه أسلف معهم خدمة عظيمة فقد كان عدو للترك وبينه وبينهم أرواح وحضر مع أخينا بابا جوال الحزان جميع ما كان في تلك السلاسل أيام استيلائه على القرب الاوسط ثم مع بابا عبد القادر كذلك وشرب معهم الحلاوة والمزرة ولما جاءهم من تلكا جاء بالولادة منهم را حلا كما جاء منها بابا عبد الله بالولادة وكما جاء معهم خدامنا أهل تلك البلاد زوال على الخدمة والوفاء حتى حصلت يد عظيمة مع أسلافنا وناهيك عن بلغ إلى ان قلده حاضرة تذا ثم بلاد الغص التي لا تعطى كلناهما الا لأقرب الخدام الموثوق بحسبتهم وخدمتهم وقربهم ومع بلوغه إلى هذا المبلغ كله بحبة وصدقة وهجرة وانقطاعا حتى انه في دخول صالح رئيس مدينة فارس رحل بالولادة مع السلطان إلى هنا كما فعل أهل هذه البلاد وحين دخلنا نحن من جهة الشرق لغاص رحلوا أيضا مع صاحب الجبل إلى مر اكش ولا يبعدوا أنفسهم من هذا الجانب أبدا في الحديث والقديم ثم ان الناس استبعدوا ان يطلبوا أقل المسائل بحضره وقالوا انه يراني فضلا عن هؤلاء الذين مازوا إلى اليوم في بلاد العدو كما كرونا وروا حونه فإذا يكتم تزلون معهم إلى ان تطامعهم على أموركم ويتوصلوا إلى المعرفة بأحوالك فالحال كالحال هذه المسئلة ولا يوجد ناعليها صبرا ومن جملة الامور التي غافلتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني إلى أمثال هذه الامور أن علي بن محمد كان يتكلم يوما معنا وأخذ يثني عليك في نجاتكم وصبركم عند الشدة ومحنكم عند الحاجة ثم قال الا ان الخيل ليست عنده لاني الحركة الاولى ولا في الثانية لان القبايل أهل الخيل امتنعوا من الحركة معه وهي التي غافلتني

وقلت كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور حتى اسماها وجدنا الا الرذيلة وعكس ما عرفنا
انهم اعتقدوه وقلنا اللهم نسبة التقصير اليكم ولا اعتنا بهم خلو الاله من الخليل لانافهم منا منهم ذلك
ولهذا اجبت وقلت له ان ولدنا لم يعطهم شيئا وأعطى من لا يصدق من ضعة ان القواد المعروفين اكل
المال وعدم الخبز. ولما أعطى تلك القبائل لخصر هاهنا لان اولاد مطاع عندهم من الخليل نحو الزلافة
ألاف وعند اولاد ابن مريزق وألف ونصف عند ابن مريزق وعند اولاد دحمران وعند عبدة وعند الشياطين
وعند اولاد أبي رأس وعند أحر وعند النامية أهل سايس وعند المانية أصحاب امر بن محمد عبوا وجمعت
أعدده قبائل السوس رقة اتر مراكن وأحصى له سيدهم ساجنة وقلت له لو انصفهم لم ترك منهم معه
سنة عشر أمما أو أكثر ويكون قديما بهم تلك البلاد وسال عليها منهم سبيل العرم لافي الحركة الاولى
ولافي الثانية ولوروجه اليهم المحركين والزما لاروا ايضا بلا خلاص والى هذا انزويك على المحافضة من
اولئك الناس ومن رفع الحجاب لهم عن امورك والاطلاع على احوالكم وعدم الغفلة عن أمثال هذا واعلم
ان من جملة ما بلغنا ان انما انما روجوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهد بهم الفساد
والخلاف وكنا انتقدناهم بها مودات فاذا لبسهم اليوم بالدفع وعدة النار وهل هذا بما يجوز عليكم حتى
تسموا وافيهم مع هذه الامايل ليستة اثبة عنكم سمعتموها لسمعنا فقط ولا طولة عهد حتى
تنسأها بالامر ساه رينور ايت شال الذي أنساك فعلهم وما زال برحهم الا ان لم يبر الان
خروج القائد من الطارج الا ان ما كان الالههم والا ان نؤكدهم ان تنقصهم من الخدمة
ولا تنصع مصطفى في هذه المسئلة وقد سمعنا ايضا ان قواد الفاسد الذين عندهم من اولاد حسين
قد صارت جلهم من باب الخلق الى دار الديرين وكان نك نسيتم ايضا ما حمل اولاد حسين بالامر دون
بعد من النهب وأضرموهم من الفساد في البلاد حتى يتزلوا تلك المنازل والى هذا فاساعة وصوله اليكم نفبض
على قواد الفساد هؤلاء خصوصا مد بن عبد الحق بن ارياديجي بن غاتم الذي كان ابوه حاجبا عند الميرفي
فهو اصل الفساد لم يترك لقبائهم جناحا واحدا وزد للقائد مؤمن بن ملوك الفسارم ليستوفي لكم
الفرس في هؤلاء وأمثالهم من كل مائة امر به لان بقاء الرماة هناك ما فيه الا الاستغلال بالفساد في
الدينه فحتاج ان تتولاهم القتل كل يوم باطلا فكلن خروجهم اذ ذاك دفعا لضررتهم وجلبا للمالحهم
وحسب الكاتب اللانق بامثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم لان كنكم تاتي بخط سالم وهو غير عارف بالاشاء
وتارة بخط الكركني وهو باهل مع انك انما كنت خايفتنا واولى عهدنا كنت بصدان يكتب لك كل
أحد لا صاحب الجزير ولا صاحب تونس وحتى صاحب اترك وصاحب النصاري وكل من يكتب لنا
من ملوك الارض بصدان يكتب لك فحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب اليك
ويكون أيضا من يراقبه في المحافضة على اسراركم والى هذا فلا بد من تعيين قائد المحلة واجب وكاتب
مرك وصاحب مشورك وداي للظالم كاهنا هو عندنا السيد علي بن سليمان واعلم ان عا تحتاج
ان تنبهك عليه مسئلة القواد الذين يريدون ان يحكموا انهم اولادهم مثل ما فعلت في اولاد القائد
بركة واخوتهم الذين استخدمتهم وحياتهم جماعة أوفية وكذا عليك ان لا تستخدم منهم أحدا
أعطيناه سلا الا ليرقع فيها اولاده واخوته وكذلك الحكم في أمثاله من أعطيناه عملا وقادناه القيادة
ومن جملة من تحذرك من استخدام في الرماة أهل الجبال من أهل العصفه والدينار فلا تستخدموا
منهم أحد الا فاعلموا انكم ما أردتم حينئذ ان يفرمو اليكم ولا يعطوكم شيئا وان أردتم الخدمة فها هم أهل
هذه البلاد مثل أهل السوس وأهل دوة وأهل مراكن فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم
واذا لم يكن من هؤلاء وكان ولادة من يفرهم في أهل فاس سكان الحاضرة وأما من عداهم فلا على ان
الرماة أهل السوس هاهنا كثيرة فكل ما تريد منهم عرفنا نبعث اليك وضيعة الى خدمتك

ونؤكده عليك أن تكتب بجواب هذه الامور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله
ولا بد ولا بد وهذا موجب اليكم والله يحرس عنه علام والسلا م وفي مهل جلدى الاولى من عام احد
عشر وألف ١٤ ثم لم يلبث المنصور ان بعث الى ولده زيدان وكان خليفته على تادلا بأمره ان يرسل
مائة من الفرسان على طريق تقابل وكل من وجدوه فاصد للغرب من ناحية مرا كش برتونه وارسل
مولاه مسعود الدورى على طريق سلا بفعل مثل ذلك ونخرج المنصور ومن مرا كش فى اثني عشر ألفا
أواثل جلدى الاولى سنة احدى عشرة وألف ووجد السيرة في بعض الأيام قلائل حتى نزل بالروح موضع
قريب من فاس والشيخ في جميع ذلك لا شعوره بخروج أبيه ولا بما هو عليه فبعث بوما عيون به رسدون
له من قدم من مرا كش ويكشفون عن الخبر فزارعهم الا الاطاع تسيل بأعناق الجياد وأقواء الشعب
تقتذف بالجيش من بطون الاديبة والوهاد لانهم كانوا قد همت عليهم الانباء بقطع المنصور بالسبالة
فرجعوا الى الشيخ مسرعين والارعب بعث في أعضادهم ويطعن في جندوه عزائمهم فقه واعليه مادهم
وأخبروه بما رأوا فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار فركب من حينه وقرأ في زاوية الشيخ الصالح أبي
السناء من بلاد فستالة قريب من ورغة وكان الشيخ أو الشفاء قد توفي قبل ذلك سنة سبع وتسعين
وقسم مائه كفاي للراة فتزلبا زاوية ومعه بطاته وأصحاب دخلته من الاحداث وقرئ له السوء فبلغ
خبره المنصور فبعث اليه الباشا جو ذراع القائد منصور النيلي وحلف لهما بأعظا الايمان ان لم يأتياه
به ليكرت بهما أو يجعلهم ماعبرة فذهب اليه فامتنع من الدخول في يدهما وانزل في أصحابه حتى نازحوه
القتال وثاروا بالنبال ثم قبضوا عليه وأتوا به الى المنصور في خبر طويل فأمر به الى مكاسة فحبس بها
ودخل المنصور دار الملك من حضرة فاس الجديد وشكر الله على ما أولاه من الظفر والنصر من غير اراقة
دم وتصديق في ذلك باموال عظيمة وكتب بذلك الى ولده أبي فارس خليفته على مرا كش يعلم بما كيف الله له
من الظفر والنصر ونص الكتاب الى ولدنا الاجل الارضى الاكمل الاسعد الامير الامجد الاسمي
الاسنى بابا أبي فارس وصل الله كمالك وسى عنه آمالك وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فكتابنا
هذا اليكم أسعدكم الله من محبتنا السعيدة بالمستقى ولائى الامجوت به الاقدار وحكمه الفاعل المختار
وما جاء به من محائب الدهر القليل والنهار وهى قضية أخيك التى نارت الى تمام صرف الدهر من مكمنى
وطلعت على من مأمنى اذ ان الله تعالى بمنعه الجليل كفانا أولانا ثم شفانا آخر الله الحمد دائما والشكر
واظبا وشرح ذلك أسعدكم الله وقامكم السوء ان الحال كان انتهى في معالجة أمره الذى تجاوزنا
في وجوه الخبر اليه حذا الاستقصى وأتينا في محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجى
بما لا يصحى الى ما كنا سوغناه من ولاية تجملة بما يجزها ونجى درعة وأبجناه التوجه اليهما
بجملته وجعه رجاء ان تسكن بالاتباض اليهما فقرره وقطع من نفسه ويثوب اليه قلبه الطائر وبراجمه
أنسه الحائر فاطهر أول التوجه اليهما ونهض من تحت لادن فاس مورى بالاقدم عليهما ثم بداه على
الحين ففكر واجعا الى فاس ورجونا ان يكون قد ذهب عنه النغار والشماس وناب لنفسه السكون
والاستئناس فاذ به قد انطوى برجوعه على خلاف ما أظهر فأبدي ما أخفى فما كان الا ان طرأ عليه
خبر بزولنا بالروح فلم يتألم ان أقلم لسلة الخميس خامس عشر شهر ربيع اقلعنا زججه من الدار فريدا
وطاوت به النقرة الى ان حل زاوية الشيخ أبي السناء وحيدا فتلاحق به من جيش رماته اليكشارية
ومتفرقة بمسيرة الفتن وطلائع السوم والخن جمع عظيم وعدد من كثره لا يرم فبادرت حينئذ
بجتهز جو ذرباشا من غير اغفال في خمسة مائة صبا شحية ومعه القائد مؤمن بن ملوك في خمسة مائة فارس
ثم أردفاه يبعوث آخر تألبت اليه وتنازلت عليه تناهز الالفين ورمات بازيه ان حفظه الله فها قد قتب
من كل الجهات وملكو عليه الفعاج والفتيات ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة

در عقود كرتم أنه غير لائقهم أو أنكم استصغروهم عن تلك العمالة فلا شئكم أنه تاذ كرتم ولكن لما وقع
 الاختيار عليه لاهرين الأول النعمة لا تبعاله ولا تخشى أن شاء الله على مالنا الثاني أن خراج در عهده سهل
 معلوم ولعله يكره هذه الولاية ويحب الخلو من بداره وبغري من يتكلم فيه عندهم فإن كان من ذكره
 لكم مثل مسعود أو تاوادي فتممه وقد طالعنا في جريدتك أنكم وجهتم مع زرع المعاصر مائة مرام وهذا
 الذي ذكرتم ما نعلم أنا كتبنا لكم عليه قط وإنما كتبنا لكم على الزرع فتممونه في البحر برسم المحلة التي
 هنا كم يخطى الوادي فإن كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة وإن كان غيره فترقنا بقضيته فإن زرع المعاصر
 الثماني لم يهود والنصارى الكثيرين المعاصر وفيها أيضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط
 من القنطرة وأنكم عتقوه على عدم المبادرة وقد أشكل علينا الأمر لأنكم تعرفوا مقامنا بالساقط هل
 هو من القديم أو من هذا الإصلاح الذي أمرنا به فترقنا لتكون على بصيرة من ذلك وفيها أيضا مسألة
 أولاد طلحة قدبروا عليهم إمام من عند أبي أيوب وغيره حتى لا يرجعون النشأ كين وولاد إبراهيم بن الحداد
 إلى الآن لم يصل وزمام الأمر وصل وأما الدرافة التي ذكرتم فيها السلطنة العتدها عند صاحب بيت
 ثيابا فوجه لبوسف العبد حتى تكلمه ومهره يخرجها من عنده وركبها في موضعها ولا تركب التي عندهم
 بل تمسكونها لأنفسكم وأعلم أني تركت عند أولئك المعلمين أعني معلي بركضوا سلاقي برسم ابنتنا العزيزة
 طاهرة صانعة الله وكلها وحيث يفرغون من الدرافة اجتمعهم عليها كي نجد ذلك طالعا أن شاء الله فانا
 قد أمرنا بنسج درارق تلك السلاقي هذا والمراد أن نجد السلاقي قد فرغ منها أن شاء الله وقصر الخيل مع
 الحمام حرض المعلمين على المبادرة بانشأتها لمهاجما وحاول أن تسقفوا ذلك البلاط الذي والى سور القصبه
 من قصر الخيل والقصة التي فيه لنجد كمالا أن شاء الله عند قومنا عابكم وحتى سوارى الزاخر مركبوا
 في تلك الجهة إذا سقتم ولا تزالوا تعرفوننا بآداب من الأشغال في الموضوعين المذكورين وأوصيكم أعزكم
 الله أن تنفذوا فرسنا الأجر الصغير ولا تتركوهم يعطونه القصيل لئلا يكثر لهم ويزداد له بل انظر له من
 يركبه كل يوم بل لا تترج السرج بالكلية عن ظهره يياض النهار كله وأعطوه لصاحب المسرة يركبه في
 ذهابه وإيابه لداره والمسرة وأوصوه أن لا يركبه غيره ولا يتزل عن ظهره النهار كله وأوصيكم أيضا إذا ظهر
 المرض بملك التاجية ونخرجتم خروج عن وسلامة يجوز الله وقوته أن لا تتركوا ورأه بفت حكم والدة
 ولدا النزي بابا عبد الملك حفظه الله وأمر يوسف العبد أن يخرج لكم من عند صاحب بيت الثياب القدر
 المحتاج إليه من الثياب الجدي الذي كان بقية للشور ويدخل على أيديكم لدارنا وأستدعوا أم المال
 قهرمات الدار وأعطاه إياه برسم أهل دارنا وأمرها أن تعطيه إياه في كل أربع من اليوم الذي يكونه
 فيه وهي أيضا تأكل منه والعبد يوسف أيضا يأكل منه وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعني مسعود
 ابن مبارك والله سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أنتم وأولادكم وقد استودعناكم الله الذي لا تضيع لديه
 الودائع وأنتم في أمان الله وحفظه والله سبحانه خليف عليكم أنتم في بين الرحمن وكلنا يديه بين والسلام
 اللهم عاهدكم ورجة الله تعالى وبركاته ونسلم على ولدا الأعرار الأرضي بابا عبد الملك وعلى ابنتنا الرضية
 سيدة الملك ونحن في غاية الاشتياق والتوحيش لما جاع الله بكم العمل جميعا آمين بحرمه سيدنا محمد صلى
 الله عليه وسلم وعلى آله خير آل والسلام اه قال مؤلفه عفا الله عنه قد وقع في كلام المتصور رجاء الله
 أمرنا يحتاجنا إلى التنييسه عليهما الأول أنه لولده أبي فارس في الخروج من مرا كش إذا ظهرها أثر
 الوباء ولو شيئا بسيرا وهذا الأمر مخطوف في الشرع كما هو معلوم ومصرحه في الأحاديث والثاني أمره
 إياه أن لا يقرأ البطائق الواردة عليه من السوس وإنما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تقوم في الخيل وهذا
 عمل من أعمال الفرج ومن بسلك طريقهم في تحفظهم من الوباء المسمى عندهم بالكرتينة وقد اتفق
 لفيها كلام أذكره ها تيمم لا مائدة وذلك أنما كانت سنة ست وثمانين ومائتين وألف عرض لنا

سفر الى حضرة السلطان المولى ابي علي الحسن بن محمد الشريف ايده الله عز وجل بما كشف المحروسة
بالله فخر جنا من صلا واخر ربيع الاول من السنة المذكورة وممرنا في طريقنا على الحب القايدا لانييل
ابي عبد الله محمد بن ادريس الجرجاني بشعر الجسدية وهو يومئذ متول لمملو افاقا جل قدومنا على
عادته حفظه الله في محبة العلم ومن ينقي اليه وحضر معنا عنده بعض فقهاء الوقت وكانت السنة سنة وباء
بحرث المذكرة فيما يستعمله النصارى في امر الكرتينة من حبس المسافرين وشدة اذا فاق عن
المروء بالسبيل والدخول الى الامصار والقري ومنع الناس من مرافقتهم واسباب معاشهم وحصل
التوقف تلك الساعة في حكمها الشرعي ما ذا يكون لو اجرت على قواعد الفقه ثم بعد ذلك بنص ثلثة
اشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ زقاة الطهطاوي المصري في اخبار باريز فرايت ذكر في صدرها
انه وقعت المحاورة بين العلامة الشيخ ابي عبد الله محمد المناعي التونسي المالكي المدرس بجاه الزيتونة
ومفتي الحنفية بها العلامة الشيخ ابي عبد الله محمد اليرم في اباحة الكرتينة وحظرها فقال المالكي
بحرمها والنف في ذلك رسالة واعتماده في الاستدلال فيها على ان الكرتينة من بلة القرار من القضاء
وقال الحنفي بباحتها واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضا فلما وقفت على هذا الكلام تجدد لي
النظر في حكم هذه الكرتينة وظهر لي ان القول بباحتها او حرمها منطوقه الى ما استعملت عليه من
مصلحة ومفسدة ولو مرسله على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ثم وازن بينهما وادبما رجحت
على الاخرى حمل عليها فان استوتنا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في اصول
الفقه ونحن اذا معنا النظر في هذه الكرتينة وجدناها تشمل على مصلحة وعلى مفسدة في اما المصلحة في
فهى سلامة اهل البلد المستعمرين لما من ضرر الوباء وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة
لانه ليست السلامة مقر وثبتها كاي زعمون وانهم هم استعملوا اهل قطر او بلد الاوريسلون لادائنا
ولا غالبيل الكثير والاكثر انهم يستعملون ابواب القون في اقامة قوانينها ثم يصيبهم ما قر وامنهم كما هو
مشاهد ومن زعم ان السلامة مقر وثبتها ادائنا وقال بالافيه البيان اذ البينة على المذني فتخ من هذا
ان مصلحة الكرتينة مشكوك او معدومة واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعا بل ولا طبعانا
حينئذ من قيل العيب هو اما المفسدة في هي دينوية ودينية اما الدينوية فهي الاضرار بالتجار وسائر
المسافرين الى الاقطار بحبسهم وتعويقهم عن اغراضهم وتعطيل مرافقتهم على ابلغ الوجوه وانجها
كما هو معلوم واما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدرح في نوكهم واهيام ان ذلك دافع
لقضاء الله تعالى وعاصم منه وناهيك بما مفسدين محققين ترتب ان لا يكون اولي يكون فان العامة
لقصور افهامهم قد تذهب او اهامهم مع هذه الظواهر فيفقون معوايقهم في ورطة ضعف الايمان
عياد بالله فان قلت في هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن العامة وهم جهول الامة في قلت في ليس فيه
ميل الى سوء الظن بهم وانما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا تتركهم هلا يضلون ماشاوا
او يفعل بهم ما يضرهم في دينهم وديناهم مع ان سدا الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لاسيما في المذهب
المالكي ولا مر تاجات الشريعة الطاهرة تمتلئ من التحذيرات من مكان هذه الماسد ونحوها ورثة
الاسباب والمسببات كلها الى الله تعالى مع ما في استعمال هذه الكرتينة من الاقتداء بالاعاجم والترى
بزي الكفرة الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم الى الاصابة والحكمة كما قد يصرح به الحق من
العوام فاما اذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعيان بالله فاي مفسدة اقبح من هذه
فالخلاص ان الكرتينة اشتملت على مفاسد كل منها محقق فتعين القول بحرمها وجلب الضرر
الشاهد لذلك من الشريعة لا تعوز البصير وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة
النساء من الجامع العج عند قوله تعالى ولا جناح عليك ان كان بك اذى من مطر او كنتم مرضى ان

تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم ما نفسه دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاعتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب ٥١ وهو يقتضي بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأي وجه كان ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذي ليس فيه مفسدة شرعية كعدم القدوم على الأرض التي بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعد الشريعة كبعض العلاجات المستعملة في إباته المنقولة عن آفة الطب اما بالوجه الذي يشتمل على مفسدة أو مفسدة كهذه الكرتينة فلا هذا ما تحرر لنا في هذه المسئلة والله أعلم ولما وقف على هذا الكلام أخونا في الله الفقيه العلامة الأستاذ أبو محمد عبد الله بن الهاشمي بن خضراء السلاوي وهو اليوم قاضي حضرة مراکش كتب الي بما نصه وأما حكم الكرتينة فهو ما ذكرتم من الخطر وبه أقول لما فيه من القرار من القضاء مع الفاسد العظيمة التي لا تفي بها مصلحة تعالج فرض تحققها وأغلبة ظن حده ولها سيما وقد انتبه بعد التجربة المتكررة في الجهات المتعددة ولا يخالف في هذا الحكم الامكار متبع للهوى فماذا بعد الحق الا الضلال ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد بذلك تركها ما اختصارا والله تعالى الموفق بینه

﴿ وفاة المنصور رحمه الله ﴾

كان المنصور رحمه الله بسد فراغه من قضية ابنه المأمون قد عزم على الرجوع الى مراکش فلما بلغه ظهور الوباء بتلك الناحية تربص الى ان دخلت سنة اثنى عشرة وألف فانتشر الوباء في بلاد المغرب أيضا فكان مصاب المنصور به على ما ذكره فيقال صاحب الاصلية وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محلي كاشع أن السلطان المنصور لما خرج من مراکش قاصدا مدينة فاس لا يرجع الى مراکش وذاع هذا الخبر في الناس قبل نزوله فكان الامر كذلك ثم لا أدري من أين للناس بذلك هل أنفقهم الله به أو عن علم تقوه عن أربابهم وكأنه الاشبه والله أعلم قال ومن هذا ما ذكره بعضهم أيضا يمكن بعد الوقوع والتزول ان دخول ربات أبي العباس المنصور في حياته للسودان واستيلاءه على سلطانها سكية في دار امارته كاغوا مع تنبكتوا وأعمالها كل ذلك من امارات خروج الامام للمهدي الفاطمي وكذلك الوباء انتشر في هذه الاعوام وكثرة المرح والفتل في سائر البلاد حتى الآن وبقي من امارات خروجه فيما شمع فتح وهران اما على يده أو بانه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الامر ٥٢ وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجدة يدقرب سيدي حميرة يوم الاربعاء مادي عشر ربيع النبوي سنة اثنى عشرة وألف ودخل الى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم واحتل بها بعد الغروب وتوفي هنالك ليلة الاثنين المولى لتاريخه ودفن بآزاء مقصورة الجامع الاعظم هنالك خضوة يوم الاثنين المذكور وحضر جنازته ولده زيدان وقدم للصلاة عليه مفتي فاس وخطيب جامع القرويينها الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار فيقال اليفري في كانت وفاة المنصور بالوباء فيقال الشيخ في أبو محمد عبد الله بن يعقوب السجلماسي في شرحه للجامع شامل مرام كان بالمغرب وباء استطال به من سنة سبع الى سنة ثمان عشرة وألف وعم سهل المغرب وجبله حتى أفتى أكثر المطلق ومات به جمع من الاعيان وبمات السلطان أبو العباس أحمد المنصور رحمه الله ونحو ذلك صاحب الفوائد وغيره فيقال اليفري في بوبه تلم أن ماشاع على الالسنه من ان المنصور ومعه ولده زيدان باشارة من أمه الشيبانية فيها كورا وأثل ظهوره وقطع عنه الأطباء الى ان هلك وان المنصور لما أحس بذلك قال استجبتها يا زيدان لانها لك اللهم أو كلا ما هذا معناه قالوا بسبب ذلك لم تنص زيدان راية فاته انهم في زهاء سبع وعشرين معركة كله كذب لا أصل له لان المنصور طعن بالوباء ولم يذكر أحد ممن يروونه

ما شاع على السنة العامة وأضرابهم من الطلبة اه ثم نقل المنصور رحمه الله بعد دفته الى مراکش
فدفن بها في قبور الاشراف قبل جامع المنصور من القسبة وقبره هناك شهير عليه بناء حافل وبها
تنقش على رخامة قبره هذه الايات

هذا ضريح من غدت * به المعالي تغضض
أحمد منصور اللوا * لكل مجد مبتكر
يارحمة الله اسرى * بكل نعمي تستمر
وباكرى الرمس بما * من رضاء منهمر
وطبسي نراه من * نذك كره العطر
وافق تاريخ الوفا * دون تغني ذكر
مقدم صدق داره * عند ملك مقتدر

﴿ بقية أخبار المنصور وبعض سيرته ﴾

كان المنصور رحمه الله حسن السياسة حازما بقطا مشاورا في مهمات الامور وكان قد اقتضى يوم الاربعاء
للشورى وسماه يوم الديوان تجتمع فيه وجوه الدولة وينتطرحون فيه وجوه الراى فيما ينوب من جلائل
الامور وعظيم التوازل وهناك يظهر شكائته من لم يجد سبيل الوصول الى السلطان قالوا من حزمه
انه كان متطلعا لاجل اخبار النواحي بها ناعها غير مترخ في قراءة ما يرسله من رسائل عماله ولا يبطئ
بالجواب ويقول كل شئ يقبل التأخير الاجابة العمال عن رسائلهم وكان الكتاب لا يفارقون
مراكزهم الا في اوقات مخصوصة قال الفشتالى في رثاءه ان كان الكتاب قبل ان
يخرج المنصور فورد النذير على الكتاب أي عبد الله محمد بن علي الفشتالى ان ولده في التزع فمات
نفسه ان ذهب الى داره فخرج المنصور على اثره فسأل عنه فقيل انه ذهب الى داره فاستشاط غضبا
وبعث اليه بغي به مزجها وما شكد كما في عقوبته فلما مثل بين يديه قال له ما الذي ذهب بك فذكر له امر
ولده وانه اشتبه المرض ولم ينجع فيه ودوا طبيب فرق له وقال ان امراض الصبيان لما ينجع فيها الاطب
البحار ولا كها تزدان فابتعد من يسألون ومن حزمه انه اخترع أشكالا من الخط على عدد حروف الهم
وكان يكتب بها فيما يريد الا يطلع عليه أحد يخرج فيها الخط المتعلق فيصير الكتاب مقفلا فذا سقط ووقع
في يد عدو أو غيره لا يدري ما فيه ولا يعرف معنى ما شغل عليه فكان اذا جهز أحد أولاده تولاه خطا من
تلك الخطوط بقلوبهم ما مثله اليه ويكتب عنوانه كذلك ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرق فكان يكتب
به عمل المشرق كتابة كالحسن ما يوجد في خط المارقة ومما وقع له في ذلك انه بعث بطاقة بخط يده
على طريقة أهل المشرق لكتابه أي عبد الله بن عيسى يستدعي منه كتابا فبعثه ابن عيسى اليه وبعث
معه هذين البيتين

سقتني كؤوس السرور دهاقا * خطوط أنتني في مهرق
رأت كف أحد في الضرب بحرا * جاءت اليه من المشرق

وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج ونظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم
بأدائها و زاد الامر على ما كان عليه في عهد أبيه حسامه وكانت الرعية تستسكي ذلك منه ونالها الخفاف
منه ومن عماله وكان غير متوقف في الدماء ولا هباب للوفية فيها قال اليفرنى في تتبع ما وقع في ذلك
يناقض القصور من الاغصاء عن العورات والسر على المضاع وقد ألعنا لك بما يكون دال على ما وراءه
وذكر كره أن بعض عمال المنصور عدى على امرأه من ذكالة فأخذ منها أموالا تقدمت للمرأة على المنصور

بما كثر تشكوه ما ناله من عاملة فلم يشكها ولا كشف غلط لامتياز جرت الى اولادها باباب وقالت
 لهم انصرفوا فاني كنت اظن ان رأس العين صافية فاذا بها مكثرة فلذا تكثرت مصلرفها وهو يحكي بحان
 الفقيه القاضي ابا مالك عبد الواحد الحمدي قد سافر في جع من فقهاء فاس واعيان الى مراكن بقصد
 العيد مع المنصور كما هي العادة فروا في طريقهم على جماعة رجال ونساء قد سلكوا في سلسلة واحدة
 وفيهم امرأة قد أخذها الطلق وهي في كرب المحاض فراو من ذلك ما أهمهم وأخزهم فبقي ذلك في نفس
 القاضي فلما جلس الى المنصور ذكره وأظهر الشكاية منه فسكت المنصور عن جوابه وهجره على ذلك
 أياما ثم ان القاضي تاطف في القول وأظهر التوبة بما صدر منه وعدّها لادارة فقال له المنصور لولا ما رأيت
 ما أمكنك ان تنجي مع أصحابك مسيرة عشرة أيام في أمن ودعة فان أهل المغرب مجتنبين ما رستناهم
 هي السلاسل والاعلال ولقد وفد القاضي المذكور على المنصور في بعض المواسم مع الفقهاء فلما
 انصرفوا من الحضرة جمعهم الطريق بآبار باب الموسيقى واوحى الى أهل فاس وقد كانوا ودوا
 ايضا على المنصور على سبيل العادة فانخرج بعضهم شبابة من البربر صمعة أعطاه اياها المنصور
 وبعضهم قال أعطاني كذا وقال الاسترخاء في بكذا مما لم يعط مثله للقاضي وشيعته من الفقهاء فقال
 القاضي لمن بلغت فاس لا اردن اولادى الى صنعة الموسيقى فان صنعة العلم كاسدة ولولا ان الموسيقى
 العلم العزيز ما رجعتنا خفقين ورجع المغني وشبابة البربر فنقل الى المنصور هذا الكلام فلذعه عليه
 يسير من الملامم هوذا كراؤزيد في العوائد ما صورتكم عدا محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة في
 ضيعة له فشكاه الى المنصور فقال له كم تساوى ضيعة قال سبع مائة أوقية قال خذها وقل لخالي
 الموعديني وبينك الموقف الذي لا كون أنافيه سلطان ولا أنت خال السلطان فرجع صاحب الصيعة
 وأبلغ الى العامل كلام المنصور فامسك برأسه ساعة ثم قال له الحق بضيعة وغرم له كل ما على منها اه
 وهو قال في انما هو كان للمنصور مصانع اخترعها وما فرخاها منها المعقلان الكبيران اللذان أنشأهما
 بفس من أحدهما خارج باب هيصة والآخر قبالة بياب الفتوح وهذا المعقلان يعرفان عند العامة
 بالسنين وهما من الاتقان بحيث لا يعرف قدرهما الا من وقف عليهما وكان الشروع في بنائهما يوم
 الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة تسعين وتسعمائة ومن ذلك الحصنان اللذان بناهما بغير
 العرائش أحدهما يعرف بمحسن الفخ وهما أيضا في نهاية الوانقة والحسن ومن ذلك معاصر السكر فانه
 أحدثهما لكرش وبلاذ ماحة وشوشاوة وهو قال العشة الى كره وكان ابنه راذل ولد له أبو عبد الله الشيخ فكثر
 السكر في أيامه بالبلاد الغربية حتى لم تكن له قيمة وقد تقدم أنه كان يشتري الزخام من النصارى بالسكر
 ومن ما تراه البيلة العظمى مع كرسياه من المرمر يجامع القرويين تحت صارا الجامع المذكور وقد تقدم
 انظر منها وهو قال ابن القاضي في المنتقى المنصور في ان اللباس المسمى بالمنصورية وهو لباس من المنصورية
 يكن مستعملا قبله وهو أول من اخترعه وأضيف اليه قبيل المنصورية اه وكان في مدة المنصور من
 الاحداث انه في سنة سبع وخمسين وتسعمائة وقع غلاء عظيم بالمغرب حتى عرف ذلك انعام بهما بالبقول
 فيقال في المرأة انما انتهب الناس غنيمة وادى الخازن كان اناس يتوقعون مقبلا لاختلاط الاموال
 بالحرام فظهر أثر ذلك من غلا وغيره وكنا نسمع ان البركة رفعت من الاموال من يومئذ وفي هذه السنة
 ايضا أصاب الناس في بعض فصولها مال كثير قل من سلم عنه وكان الرجل لا يزال يستعمل الى ان تفيض
 نفسه فسمى العامة تلك السنة سنة كبحكة وهو في سنة احدى وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ العارف بالله
 تعالى الكبير الشأن أبو التميم رضوان بن عبد الله الجنوي نسبة الى جنوة من بلاد الفرج كان أبوه نصرانيا
 وأمه يهودية وسبب الام والدة ما حكاها أبو العباس الاندلسي في رحلته انه كان له فرس يبلده جنوة
 فانطلق ليلا ودخل الكنيسة العظمى وراث فيها من غير ان يشعر بذلك أحد من السدنة ولا غيرهم

ثم ادبر باخراج القرص من يده اصبح اهل الكوفة والروث قالوا ان المسيح جاء البارحة على قرصه الى
الكثيصة ورواها فيها فاهتز البلد ذلك وتنافس النصارى في شرا ذلك الروث حتى بيع قدر الفضة منه
بمال جبل فممن ان النصارى على ضلال وهاجر الى بلاد الاسلام قتل رباط القتيح من ارض صلا فوجد
هناك امرأته يهودية فترجح ما ولدته الشيخ ابا النعم فتشامت في العلم والولاية فتعجبه النبي صلى
الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه يقول يخرج من بين ثغرتي دم اخذ الطريفة عن ابي محمد الفزواني
وقدم عليه مرا كس ثم عاد الى قاص فابان بها في السنة المذكورة ودفن خارج باب القنوج وفي سنة
خمس وتسعين وتسعمائة هـ توفي الشيخ العلامة الامام ابو العباس اجد بن علي النخعي ركن متبر في
العلوم خصوصاً اصول الفقه اخذ عن اليسيني وابي زيد يسقن المعاصمي وابي الحسن بن هرون وابي مالك
الوانشيري وغيرهم هـ وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة هـ توفي الشيخ ابو الشاه السامري دفن بجبل
آمر كومان بلاد فستلة ويقال اسمه محمد بن موسى وكني بابي الشاه لان الناس تسموا اولادهم اليه فسقوا
في الحين وهو من اصحاب الشيخ الفزواني ويقال مالقيه الاحمره بتبيلتها الشاوية فيسنة ومكنه فهام على
وجهه وكان من امره ما كان هـ وفي ثامن عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وألف هـ توفي القاضي ابو محمد عبد
الواحد بن اجد الجليل ودفن بروضة الشيخ ابي زيد الهزيمري خارج باب معصودة من عدوة قاص الاندلس
وفقدت قدم بعض اخباره هـ وفي سنة أربع وألف هـ توفي الشيخ ابو الحسن علي بن منصور البوزيدي
المعروف بابي الشكاوي دفن خلفه وبها كان سكاه اخذ عن الشيخ المجذوب وابي الزوان المحبوب
ونيرهما واولاده ينسبون الى عيسى بن ادريس الحسيني دفن آت عتاب والله تعالى اعلم هـ وفي سنة ست
وألف هـ توفي الشيخ الرائي ابو عبد الله محمد بن مبارك الزعري دفن تاسلوت من مشاهير الاولياء كل اول
نشأته بمكة الى النون ثم خرج الى البادية بعد ان صعبت عليه القراءة ورأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له ائتني لتقرأ ولكنك شيخ تخرج الى البادية وكان ينظر انه يكون من اشياخ القبايل حتى هبت عليه
نفخة وجانية فقدم مرا كس واخذ عن الشيخ ابي عمر والقسطلي ورجع الى بادية فبني مسجد في
الموضع الذي عين له فيسكنه لسكاه فيقال انه لما قبل له جعلت محرابه مضر فاعن القبلة اشارة الى جهة
مكة فخر سحت الجبال حتى شاهد الحاضر ومكة والله على كل شيء قدير وكان الشيخ ابو عبد الله محمد
الشرقي معاصراه قيل له ان الشيخ ابن مبارك قال اهل زماننا محسرون علينا فقال اشهدوا اناس
اهل زمان ابن مبارك هـ وفي هذه السنة ايضا كان الطاعون العظيم يرا كس وغيره هاجبت عم تلول
المغرب واستطال فيها ومات به جمع من الاعيان منهم الشيخ ابن مبارك المذكور هـ وفي سنة تسع وألف هـ في
جداى الاخرة منها كان سيل عظيم فباس في شبان من السنة المذكورة كان سيل اعظم من الاول
تهدمت منه الدور والحوايت وتهدمت سد الوادي فباس على وفاقته واحكامه وهذا السد والذي كان
جذده السلطان ابو العباس اجد الوطاسي ثم جثده للتصوري هذه المرة من اجاس القروين هـ وفي
سنة عشر وألف هـ توفي الشيخ الدار فبالله الرائي ابو عبد الله ويقال ابو عبيد محمد الشرقي ابن الولي الصالح
ابي القاسم الزعري الجابري ثم الرائي هكذا سمى صاحب المرأة وغيره ورفع اوعلى المعداني في كتابه
الروض الفاضل نسبته الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم نقل عن حفيده العارف بالله
تعالى ابي عبد الله محمد الصالح ابن المعلى مانصه ان الشيخ عبيد محمد الشرقي لم توجد هذه النسبة
العمرية بخطه فيعارة ناعليه امانوا اخيه وبنيه وحفده فقد جثت بخط النعمه منهم وتوارثها عنهم
وكنت في اجازاتهم وكذا في علكاتهم اهـ وهذا الشيخ اعني ابا عبد الله الشرقي كان من اكابر اهل وقته
يقال انه بلغ درجة القبطانية وتخرج جماعته من الاولياء بعث اليه المنصور رجاعة فمات بقطنة
لهم كراماته واتفقت مع الشيخ النخعي وكرامة جلته على ان وفده عليه زائر اومدحه بقصيدة ذكر بعضها

هـ وفي نشر الثاني هـ عن
الشيخ ابا عبد الله السنوي
في نسب الشيخ المذكور
السمري وهكذا لفظ التصغير
قال واولادهم بالتصغير
يتنسبون الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وفي تصيد
المؤلف المتع مانصه هو
من بني جابر ثم من ورديته ثم
من الزغبة ثم من اولاد جبر
ثم من اولاد سمير وكاهم
ينسبون الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه

اليفرى في الصفوة وله مع أبي الحسن القاضي مراسلات ومواصلات ووقع بينهما كلام طويل انظر
 ابتهاج القلوب أخذ رضي الله عنه عن والده عن الشيخ التباع واعتمد على الشيخ الكبير أبي عبد الله محمد
 ابن عمر والمختار من أحوال مكاسة وأخذ أيضا عن ابن مبارك الزمري وأبي محمد بن ساسي وتوفي
 أوائل المحرم من السنة المذكورة ودفن بجديدان وقبره شهيد نفعنا الله به وبسائر أهل الله

✽ الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن أحمد المنصور ورجه الله تعالى ✽

لما توفي المنصور ورجه الله وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحبل والعقد من أعيان فارس وكبرائها
 والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان وقالوا ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره
 وكان بمن تصدق لذلك القاضي القاضي الجماعة بقاس أبو القاسم بن أبي النعيم والقاضي أبو الحسن علي
 ابن عمران السلاسي والاستاذ أبو عبد الله محمد الشاوي والشيخ النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار
 وغيرهم وروي عن أبي القاسم بن أبي النعيم قاضي فارس في الناس خطيبا وقال أما بعد السلام عليكم فإن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على أبي بكر رضي الله عنه ونصن قدمنا مولانا أحمد وهذا ولده
 مولانا زيدان أولى الملك من أخوته فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة
 اثنتي عشرة وألف قالوا وكان زيدان لما توفي والده حكمهم موثوقا بعتب جماعة للقبض على أخيه الشيخ
 المسجون بمكاسة فذهبهم من ذلك الباشا جوذر كبير جيش الاندلس وحمل الشيخ موثقا إلى مراکش
 حتى دفعه إلى أخيه أبي فارس وكان شقيقا له فلم يزل مسجونا عنده إلى ان كان من أمره ما يأتي كذا قال
 بعضهم وقال في شرح زهرة الشعارخ ان زيدان لما اشتغل بدفن والده احتال القائد أبو العباس أحمد
 ابن منصور الملقب فذهب بنصف المحلة إلى مراکش نازعا عن زيدان إلى أبي فارس ومترقي طريقه بمكاسة
 فأخرج الشيخ من اعتقاله واحمله معه إلى أبي فارس فحبسه فلم يزل مسجونا عنده إلى ان كان من أمره
 ما ذكره والله تعالى أعلم

✽ انحراف أهل مراکش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأبي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة ✽

كان المنصور ورجه الله قد فرق عمالات المغرب على أولاده كما مر فاستعمل الشيخ علي فارس والغرب وولاه
 عهده واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها واستخلف عندهم وضه إلى فارس ابنه أبا فارس علي مراکش
 وأعمالها وكان يكتبها بجامع بعض من الرسائل فلما اتصل بأهل مراکش وفاة المنصور وكتب إليهم
 أهل فارس ببايعتهم زيدان امتنعوا وبايعوا أبا فارس لكونه خليفة أبيه بدار ملكه التي هي مراکش
 ولأن جل انفاضة من حاشية أبيه كان يعيل إلى أبي فارس لأن زيدان كان منتبذا عنهم بتادلا سائر أيام أبيه
 فلم يكن لهم به كثير المام ولا مزيد احتشاش مع أنه كان جديرا بالامر لعله وأبيه وكان مروءة رجه الله
 إلا أن السعد لم يراعده وقد قيل في المثل قديما قاتل بسعدو الأقدم ولما شق أهل مراکش العصا
 على زيدان كثرت في ذلك القبيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضي فارس ابن أبي النعيم ومفتيا أبي عبد الله
 القصار تضمن التصريح بحديث إذا بيع تخليفتين فاقتلوا الاخر منهما وكتب بيعة أبي فارس بمراكش
 يوم الجمعة وأخر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة وألف وهو شقيق الشيخ المأمون أمهما أم ولد اسمها
 الجوهرة ويقال الخيزران واسم أبي فارس هذا عبد الله وتلقب بالواثق بالله وكان أكولا عظيم البطن
 مصابيح الجن ويقال أنه لذلك ابنتي المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ أبي العباس السبتي وشيد مناره
 وشحن المنارة التي قبلي الجامع المذكور بمغضب الكعب ونفيس الدفاتر كل ذلك جاء أن تعود عليه بركة
 ذلك الشيخ البر من تلك العلة وكان مع ذلك يعيل إلى المروءة والرفق وحسن السيرة ورجه الله

فنهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس وانهم زامه بامربيع ثم فراره الى تلمسان

لمدايع أهل مراکش أبافارس بن المنصور عزم زيدان على النهوض اليه فخرج من فاس يوم بلاد الحوز واتصل بالخبر بابي فارس فجهز لقتاله جيشا كثيرا وأمر عليهم ولده عبد الملك الى تطرة الباشا جوذر قبيل له ان زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخدعه وولدك عبد الملك لا تقدر على مقاومته فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان أقرب للرأى لان أهل الغرب لا يقانولونه لانه كان خليفة عليهم مدة فهم أنس به من زيدان فطلق أبو فارس أخاه للمأمون من ثقاف السحب وأخذ عليه العهد والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا ثم سرحه في ستمائة من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليهبهم الى كاغوا من أعمال السودان وقال له ولا تحلبه جندك والسير الليلة كي تصبوا وبجملته جوذر على وادي أم الربيع فلما انتهى الشيخ الى المحلة المذكورة علم الناس به وأمر عوا اليه واستبشر وبعده ثم كانت الملاقاة بينه وبين السلطان زيدان بموضع يقال له حواتة عند أمربيع فخرج زيدان أكثر جيشه الى المأمون وحذروا الى سالف عهده وقدم بحبته فانهم عزم زيدان ذلك ورجع ادراجه الى فاس فقتله فيها وكان أبو فارس قد تقدم الى أصحابه في القبض على الشيخ متى وقعت الفرجة على زيدان فلما قرى زيدان انزل الشيخ فحين انضم اليه من جيش أهل الغرب وامتنع على أصحاب أبي فارس فلم يقدر وامنه على شيء وانتعش أمره واشتد تشوكه ثم سار الى فاس يقفو أثر السلطان زيدان ولما اتصل بزيدان خبر بحبته اليه راود أهل فاس على القيام معه في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها صفقتهم عن رضى منهم فامتنعوا عليه وقلوبه ظهرا بين وأعلنوا بخبر الشيخ وبيعته لتقديم محبتهم له ولما أيسر زيدان من نصرهم وقدر رفقته الشيخ في جوعه خرج من فاس بحبته وثقله ناهيا نفسه وتبعه جمع عظيم من أصحاب الشيخ فلم يقدر وامنه على شيء وذهب الى تلمسان فاقامهم الى ان كان من أمره ما نذكره وأما الشيخ فاته لما وصل الى فاس تلقاه أهلها ذكورا واناثا وأظهر والفرح بمقدمه فدخلها ودعا لنفسه فاجيب واستبد على كها ثم أمر جيش أهل مراکش ان يرجعوا الى بلادهم فانقبوا الى صاحبهم مخفيين وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالامر والانفراد بالسلطنة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة أبي القاسم بن أبي النعمان ومفتيها أبي عبد الله محمد ابن قاسم القصار فلما هما على مبايعة زيدان وقولهما فيه وفي أخيه أبي فارس ان أولاد الاماء لا يمتدحون في الامر على أولاد الحر اثر وكان أبو فارس والشيخ ولدى أمة اسمها الخيزران كاسم وزيدان أمه حرة من الشبانات وعزم ان ينكل بهما ثم بعثهما مع جيش مراکش الى أخيه أبي فارس ليبري فيهما ما رآه فقاما الشيخ القصار قوف وجه الله على مقربة من مراکش برأية الشيخ ابن حاسي وحل الى مراکش فدفن بقبة القاضي عياض وذلك في أواسط سنة اثنى عشرة وألف وهو القاضي أبو القاسم فاجتمع بابي فارس قبيل عنده ووضعه عنه وردة مكر الى فاس هكذا ذكره بعضهم وقيل ان الذي بعث بالشيخ القصار الى مراکش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم

فنهوض عبد الله بن الشيخ لحرب همه أبي فارس واستيلاؤه على مراکش

ثم ان الشيخ المتقلب على فاس دعا بتجار أهلها فاستلف منهم مالا كثيرا وأظهر من الظلم وسوء السيرة ونخب البربر ما هو مشهور به ثم تدبى قواد أبيه فذهب ذخائرهم واستصفى أموالهم وعذب من أخفى من ذلك شيئا منهم ثم جهز جيشا لقتال أخيه أبي فارس بمراكش وكان عدد الجيش نحو القياسية آلاف وأمر عليه ولده عبد الله فصار يبعثه فوجد أبافارس بجملته في موضع يقال له اكليم ويقال في مرس الى ماد فوقعت الفرجة على أبي فارس وقتل نحو المائة من أصحابه ونهبت محلته وقره بنفسه الى

مسفورة ودخل عبد الله بن الشيخ مراکش فاباحها لجيشه فثبت دورها واستيحت محارمها واستقل هو بالفساد ومن يشابه أباها فاعظم حتى حكي انعز في بجوارى جده المنصور واستمتع بحظاياه وأكل رمضان وشرب الخمر فيه جهارا وكف على اللذات وألقى جلباب الحياء عن وجهه وكان دخوله مراکش في العشرين من شعبان سنة خمس عشرة وألف

﴿ومجيء السلطان زيدان إلى المغرب واستيلاؤه على مراکش وطرده عبد الله بن الشيخ عنها﴾

كان السلطان زيدان لما فرغ من فاس إلى تلمسان كما مر أقام بها مدة وكان قد بعث إلى ترك الجزائر يستقدمهم ويبتعدهم على آخره فأبطأ عليه وطال عليه انتظارهم فلما شئ منهم توجه إلى محلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ثم انتقل عنها إلى درعة ومنها إلى السوس فكتب إليه أهل مراکش وقد قدموا على ما فرطوا فيه من أمره والدخول في طاعته فكتبوا إليه أن يأتيهم ولو وحده فتوجه إليهم ودخل عليهم ليلا فلم يقبأ عبد الله بن الشيخ إلا ذلاء أهل مراکش بنصر السلطان زيدان وتغزوهم معه وتقدموا إلى قائدهم عبد الله عزاس الذي ولاه عليهم الشيخ فقتلوه وخرج عبد الله فارا بجمعه وعه من أهل فاس والمغرب فحاصره أهل مراکش بين الأسوار والجنات وقتلوا من أصحاب عبد الله موضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف ونجمائة وأمر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه فاقى القتل على جميع من وجب على مراکش من جيش أهل فاس وذلك في أوخر سنة خمس عشرة وألف وقرع عبد الله ابن الشيخ ناجيا بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس في أسوأ الحالات فلول العساكر مهزوم الجوع معنفا عن جيش النصر يعيش للدموع

﴿وعود عبد الله بن الشيخ إلى مراکش واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها﴾

لما قدم عبد الله بن الشيخ على أبيه بفاس حلياء مهزوما قامت قيامته ورأى أن يهيئ عسكرا آخر ويحشد جمعا ثانيا فلم يجد لذلك طاقة لفرغ يده من المال وقلة جبايته واستحي أن يستلطف من التجار لأنه كان استلطف منهم فلم يرد لهم شيئا ولم أعيته الحيلة رجع إلى قواده فقلب لهم ظهر الحين ونهب أموالهم واستلب ذخائرهم وصار يقرقها على التجار فاجتمع له من ذلك أموال عريضة ففرقها في جيشه ونهبها عبد الله للسير إلى مراکش وكان أهل فاس قد غضبوا إلى قتل من أخوتهم بها ونادوا بأخذ ثارهم حتى ان بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جاكية فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش حافلة ولما بلغ خبره السلطان زيدان بعث إليه العلي مصطفى باشا في جموش كثيرة قال في شرح زهرة الشمار يخبرني كان بعث مصطفى باشا لوجه من مراکش في شعبان سنة ست عشرة وألف فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلفت على طريق سلافة ترم مصطفى باشا وقتل من جيش مراکش نحو التسعة آلاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس إلى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى ثم توجه عبد الله إلى مراکش فبرز إليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل والتقى الجمعان بموضع يقال له رأس العين فانهزم أهل مراکش وتقدم عبد الله بن الشيخ فاتحهم بجيشه وقرع زيدان إلى العاقل المنبعة والجبال الشاخنة فبقى متقللا هنالك إلى أن كان من أمره ما ذكره

﴿قوة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره وعود زيدان إلى مراکش﴾

لما دخل عبد الله بن الشيخ مراکش واستولى عليها فعمل فيها أعظم من فعلته الأولى وهربت شرذمة من أهل مراکش إلى جبل جليلز واجتمع هنالك منهم عصاية من أهل النجدة والحجة وانفقوا بهم على

ان يقدموا للخليفة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وكان رجلا خيرا ديناصدا وقوا فباعه
 أهل مراکش هنالك والتفوا عليه فخرج عبد الله بن الشيخ لقتال من بجبل جيليز والقبض على أميرهم
 المذكور ولما التقي الجمان انهم عبد الله وولي أصحابه الادبار فخرج من مراکش مهزوما سادس شوال
 سنة ست عشرة وألف وترك محلقته وانفاضة وعدته وجبل الجيش وأخذ على طريق تامسنا وامشن أصحابه
 في ذهابهم حتى كان مدا القمع عندهم ثلاثين أوقية والحبرة من نصف وطل برقع مثقال ولم يزل أصحابه
 ينتهبون ما هموا عليه من الخيل والعهود ويسبون البنات الى ان وصلوا الى فاس في الرابع والعشرين
 من شوال من السنة المذكورة وأما محمد بن عبد المؤمن فانه لما دخل مراکش واستولى عليها صمغ عن
 الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ وأعطاهم الراتب فلم يجب ذلك أهل
 مراکش وقموا عليه ببقاء عليهم وكانوا نحو ألف ونصف كتبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل
 فاتهم ونعيم نازلا بظاهر البلد فخرج محمد بن عبد المؤمن الى لقائه فانهم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان
 زيدان مراکش واستولى عليه وصمغ هو أيضا عن الفتنة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ فوذي كرفي شرح
 زهرة الشمارج في ان هذا الثائر بجبل جيليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أبي العباس الاعرج
 والله أعلم ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان ان شاء الله

في خروج جالية الاندلس من غرناطة وأعمالها الى بلاد المغرب وغيرها

قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية صاحب قشتالة على غرناطة وأعمالها سبع وتسعين وغنائمة
 وان أهل غرناطة التزموا طاعته والبقاء تحت حكمه على شروط اشترطوها عليه قد ذكرنا مبعضها
 فيما سلف وان عدو الدين قد نقض تلك الشروط عروة عروة وكان أهل الاندلس من أجل ذلك كثيرا
 ما يهاجرون من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام أثناء هذه الفتنة السالفة غير ان عامتهم كانوا قد تخطوا باخلاق
 الجهم وأترفيهم ذلك أثر الظاهر الطول عصيتهم لهم ونشأة أعقابهم بين أظهرهم فكانت تصدر منهم
 في بعض الاحيان مقالات قبيصة في حق ولاة المسلمين من أهل المغرب وعامتهم لاسيما اذا نالهم منهم بعض
 الظلم ولقد رأيت في كتاب المعيار وغيره سؤالات وقتاوى صدرت من علماء المغرب في حق هؤلاء الصنف
 منهم وكان الملوك السعديون قد جعلوا منهم جندا كبيرا وبيع المنصور اقليم السودان واستقر الحال
 على ذلك الى ان كانت سنة ست عشرة وألف فهما جريع من لم ينتصر منهم الى بلاد المغرب وغيرها وقال
 في فتح الطيب في كان النصرى بالاندلس قد شدت دواعي المسلمين بها في التصريح حتى انهم أخرجوا منهم كثيرا
 بسبب ذلك ومنعواهم من حمل السكنى الصغرى فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على
 النصرى مراروا لم يقبض الله لهم ناصر الى ان كان اخراج النصرى اياهم أعوام سبعة عشر وألف
 فخرجت ألوف ففاس وألوف آخر بلمسان وهران ونجرج وجرهم بنونس قسطنطين عليهم الأعراب
 ومن لا يخفى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهكذا كان يبلاد تلسان وفاس ونجا القليل منهم
 من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فلم أكثرهم وهم لهذا العهد قد عمروا قرىها الخالية
 وبلادها ١٥ وقال صاحب الخلاصة التقي في أمر ما فريقية ما نصه في سنة ست عشرة وألف
 قدمت الامم الجالية من جزيرة الاندلس فوسع لهم صاحب تونس عثمان داي كنفه وأباح لهم بناء القرى
 في مملكته فبنوا نحو العشرين قرية واغتبط بهم أهل الحضرة وتعلوا حرفهم وقلدوا ترقيهم ١٦ فم قال
 في فتح الطيب في وكذلك خرج طوائف منهم تطاوين وسلاوا الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى
 منهم عسكرا جارا وسكنا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن وحسنوا قطعة سلا
 وبنوا القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال وصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى

والى مصر والشام وغيرهما من بلاد الاسلام اه كلام فتح الطيب وقوله وحسنوا قلعة سلا يعني بهار باط
الفتح اذهي يومئذ مضافة الى سلا ومعدودة منها والله تعالى أعلم

في استيلاء السلطان زيدان على فاس وقرار الشيخ بن المنصور عنها الى العرائش ثم الى طائفة الاصبيبول
كان الشيخ بن المنصور عفا الله عنه على ما تقدم من فتح السيرة والاساءة الى الخاصة والعامة حتى ملته
النفوس ورفضته القلوب وصاق أهل فاس بشؤمه ذريعا وكان قد بعث ابنه عبد الله مرة ثالثة الى حرب
السلطان زيدان بجراكش وأعمالها فخرج عبد الله من فاس آخر ذي الحجة سنة ست عشرة وألف فالتقى
الجمان بوادي بور كراك فكانت الحزيمة على عبد الله وقرى رط من أصحابه وترك محله بمافيها بيد
السلطان زيدان فاستولى عليها وانضم اليه جيش عبد الله من أهل فاس وغيرهم ميلا اليه ورغبة في
صحبته ففعا عنهم وتألفهم واستعمل أمر السلطان زيدان وتكامل به أهل فاس وسائر بلاد المغرب واتصل
الخبر بالشيخ وعرف أن قلوب الناس عليه غاف القضيعة وأصبح غاديا في أهله وحشمه الى ناحية
العرائش فاحتل بالقصر الكبير وهناك لحق به ابنه عبد الله مهزوما من وقعة بور كراك وانضم اليهما
أبو فاس بن المنصور فانه بعد فراره من مر من الرماد الى مسفوة أقام بها مدة ولما استولى السلطان
زيدان على مر اكش كما مر شدد في طلبه ففتر الى السوس ولما أعت عليه للذهاب وزيدان في طلبه لحق
بشقيقه الشيخ فكان معه الى هذا التاريخ ثم ان السلطان زيدان بعث كبير جيشه مصطفى باشا الى فاس
فانتهى اليها نزل تخيما بظهر الزاوية ووجد لأصحاب الشيخ زروعا كثيرة فارسل مصطفى باشا عليها جيشه
فانتسفوها ودخلت فاس في طاعة ثم نهض الى ناحية القصر الكبير وأبى القبض على الشيخ وخرجه واتصل
بالشيخ خبره ففتر الى العرائش ومنها ركب البحر الى طائفة الاصبيبول مستعرا به على السلطان زيدان
وجل معه أمه الخبيران وبه من عياله وجماعة من قواده وبطاقته وذلك في ذي القعدة سنة سبع عشرة
وألف وانتهى مصطفى باشا الى القصر الكبير فقبض على من وجد به من أصحاب الشيخ وقرى عبد الله وأبو
فاس فقتلوا بموضع يقال له سطح بني وارزين فبلغ خبرها الى السلطان زيدان فجاءه حتى نزل قبالتوما بموضع
يقال له آرووات ففتر من كان معه الى السلطان زيدان ولما بقيا وأوحش من وتديعاع فترا الى دلو
اليهودي ابن مشعل من بلاد بني ترانسان فأقامها واختصر صاحب المرأة هذا الخبر فقال كان السلطان
أبو المعالي زيدان بن المنصور التي مع ابن أخيه عبد الله بن الشيخ صاحب فاس برؤس السعاب يوم الخميس
السابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة وألف فانه زعم عبد الله بن الشيخ وقرى محلة أبيه بالعرائش
ثم رجع الى جهة فاس وانتهى الى دار ابن مشعل واستولى همه السلطان زيدان على محله وسار الى فاس
فدخلها وأقام بها اه وفي دخلة السلطان زيدان هذه الى فاس قبض على الفقيه القاضي أبي الحسن علي بن
عمران السلاسي رحمه الله وقال اليفري في الصفوة كان القاضي المذكور ممن أخذ عن الشيخ القصار
وكان مع ذلك لما ولي القصار الفتوى وانخطا به بجامع القرويين يسمى عند السلطان في تأخيرها حتى أخر
وولي هو مكانه مدة يسيرة ثم أعيد القصار وكانت بينهما مشقة عظيمة بسبب قوى تنازعا فيما هم أقضت
الحال بالقاضي أبي الحسن الى أن قبض عليه السلطان زيدان بسبب أنه عثر له على كتاب كتبه الى بعض
أخوته ينتقصه فيه ويوبه من أمره فأوغر ذلك قلب السلطان عليه فسطا به وسجنه ونهب داره وأثأته ثم
سقاها سمعا على ما قيل فكان فيه حقه وقبحه هذا الخبر في موضع آخر من الصفوة مطولا فقال كان
القاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي شديدا لا تعترف عن الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن بن
محمد الفاسي سي الاعتقاد فيه ولم يزل يسمى به ويكيد به فاتفق أن اجتمع بالشيخ في بعض الليالي بعض من
يتعاطى العلم فتكلموا في مسائل من صفات الله فنقل كلام الشيخ الى القاضي على غير وجهه فانكر

ذلك وركب من حينه الى السلطان زيدان وهو يومئذ بفاس منتظر للفرصة فقال ان ههنا رجلا يعلم الناس البدع وبقترهم آراء الفرق الصالحة فقال له السلطان من هو قال فلان قال أخو سيدي يوسف قال نعم قال بعضنا أنه أعلم من أخيه ثم بعث السلطان اليه وهو مستشيط غضبا لمخبر بلغه من ثورة بعض أقاربه عليه فجاء الشيخ أبوزيد ولم يتطعم فعلمه حتى بلغ بساط السلطان فسلم عليه ومذبه فمأخذه ثم تكلموا في المسئلة فانقطع القاضي ولم يجدا يقول إلا أن النازل لم يحسن نقلها فقال له الشيخ فها تثبت ولكن بهض علماء مرا كش حاضر اقبال في عتاب القاضي وقيل للشيخ ما سبب الوحشة بينك وبين هؤلاء فقال لاشي إلا الاستغناء عنهم فقالوا ليا سيدي هذا وصف يوجب الحب فما انفصل الشيخ عن السلطان حتى اطلع على ما يوجب القبض على القاضي فقبض عليه ونهب داره في الحين فقتل الشيخ من فاس الجديد فاتي اثنا القاضي في الطريق جي به منهوبا وبقي في السجن الى أن مات معه وموارجه الله وكان الأديب الكاتب أبو عبد الله المكلا في قد كتب اليه بآيات يقول فيها ما نصه

أما الملال غاب عنا سطور • فيجلى به خطب دجاء تنور
فمبرا لدهروام يفتك الاسى • فانت عظيم والعظيم صبور
سظهر ما عهدت من جالك • فليدرو من بعد الكسوف ظهور
ونحي رسوم للمال فيسير • فلميت من بعد الممات نشور
أما حسن اني على الحب لم أزل • مقبلا عليه ما أقام بسير
في الفهماء من بقايا ودانكم • ونلك عندي سائح وغير
عليك سلام الله ما هطل الحيا • وغنت باعصان ارياض طيور

قال منشئها وقد أنشدتها بين يديه بحسبه فبكي حتى ظننت انه سبك ثم أفاق وقال لقالا من قبل ومن بعد ثم راجعني رضى الله عنه بآيات يقول فيها

تفتق عن زهر الريح سطور • فما هي الأروضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح هوم • فانت على جسد الكلام أمير
محمد دل في العصر غيرك شاعر • له معكم في الخلقة بين ظهور
فاني على صفو الوداد وانسى • سأشدو وقلبي بالمهموم كسير
مضى وعسى بشئ الزمان عناته • بنهضة جدد الزمان عنور
قد ترك آمال وتخطى ما رُب • وتحدث من بعد الامور أمور
عليك سلام الله منى فاني • غريب بقصى المغربين أسير

وكانت وفاة القاضي المذكور رحمه الله في جامع المشور في مهل ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف

هو عبد الله بن الشيخ إلى فاس واستأذنه عليها ومقتل مصطفى بأمره الله

لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها فأقامهم الى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف فاتصل بمن خبر قدام بعض التوار عليه بناحية مرا كش قهض اليها من بها واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا ولا اتصل خبرهم ومنه بعد الله بن الشيخ وهو يدان مشعل زحف الى فاس فيمن انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا وضرب محلة بظاهرا فاس من ناحية باب الفتوح وقال في المرأة وعرض لابي الحسن علي بن يوسف الاندلسي المعروف بالبطاوعرض من الامور العامة كان بترد دفيه الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف فالتقى الجمعان ويثذين الظهرين فاجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا وقتلوا الحسن بن البطاوع وقال في التزهة لما رحل زيدان الى

مراكش بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه هنالك قدم عبد الله بن الشيخ وعه أبو فارس إلى فاس
فخرج مصطفى بأصحابه لقاتلهم فقتله وفرسه وقتل وأخذت محملته بأسرها وهلك من لا يصح من الناس
ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تطب نحو ستة آلاف ودخل عبد الله بن الشيخ فاس مع عمه أبي
فارس وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف

في تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى

تقدم لنا أن أبا فارس بن المنصور بويع بمراكش وبعث أخاه الشيخ لقتال السلطان زيدان فذكر الشيخ
عهده واستبد عليه ثم بعث إليه ابنه عبد الله فنهزمه إلى مسقية ثم قتر منها إلى السوس فقام عند حاجب
أبيه عبد العزيز بن سعيد الوز كنيته ثم لما بلغ زيدان في طلبه قرأ إلى أخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن
الشيخ إلى أن قتل مصطفى بأشأه ودخل عبد الله فاسا فاستولى عليها كما ذكرناه آنفا فتفرق رأى قواد
شراككة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع حاجبه
جوابن عمر فوجده على مصادته وجواربه حوله فأنجس وجهه وأمر به معه فخنق وهو يضرب برجله الآن
مات وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وألف هـ ذاهو الصواب لا مافي نشر الثاني على اضطرابه
فأسف الناس عليه لأنه كان يرد عن المناكر ويرجوه عن كثير من القبائح وذكر في المنتقى آيات من
إنشاء الكاتب أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن القاسم الغشالي مما كتب تظير راعي فجاد الواقع بالله أبي
فارس المذكور وهي

آتيه وأزري بكل نجاد • يروق على حلة اللباس
إذا كنت يوم الوغامحلا • لعصب حكى شعله القباس
على عاتق الملك المرتضى • مليل الوصي أبي فارس

في عود السلطان زيدان إلى فاس واستيلائه عليها ثم اعراضه عنها سائر أيامه

لما سمع السلطان زيدان وهو بمراكش بمقتل مصطفى بأشأنه إلى فاس وجاء على طريق الجبل وكان
نصارى الاصنيبول يومئذ قد نزولوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كاسياتي وكان
عبد الله بن الشيخ يقاس فسمع بنزول النصارى على العرائش فاستغفر الناس وحضهم على الجهاد فتهبوا
لذلك وعزموا على النهوض إليها فراعهم إلا السلطان زيدان قد أقبل من ناحية ادخسان وقد أنزل بها
محمله وتقدم إلى جهة فاس وضرب بانقاضه فانهزم الناس عن عبد الله ودخل شراككة فاسا فبعث زيدان
قائده عبد الحميد لتسكين روعة أهل البلد وأمر المتأدي أن ينادي بخضره فنزل المتأدي إلى أن بلغ باب
السلسلة فقام في وجهه بعض السباب من أهل العدو وضربه فخرجه ورجع المتأدي وبطل الأمر فبلغ
الخبر السلطان زيدان فامر بطلاق السيل في أهل فاس وتكليم السيف ففهم ثم ندب فاتهم وسكن
روعتهم ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس لقاتله وهو غضبان عليهم وقد استولى على فاس وتمكن
منها فاحذسب أعيانهم وهم يقتلهم ولكن الله علم ثم إن العرب اجتمعوا عند قنطرة المهديومة في نحو
ثمانية آلاف فخرج إليهم زيدان ومعه عرب الشرق فانهزموا عنه ولم يبق معه إلا رهط يسير فرأى
زيدان أمامه خيلا قليلة فقصدها فاذا فيها عبد الله بن الشيخ وقد رأى زيدان مقبلا إليه فنفر مع أن زيدان
لما قصد الفرار إليه من غير علم به فاستتب أمر زيدان وتراجع إليه أصحابه ومن الفرار إلى فاس
فخرج إليه أهل فاس يهتفون كبارا وصغارا فاتهم بانهم يستهزئون به فامرهم فسلبوا رجالا ونساء
فكان بعضهم ينظر إلى عورة بعض وكان عدد السلب نحو عشرة آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان

فأساقبهوها وفعلوا فيها إلا فاعيل ثم أمر زيدان بتسكين الرعدة والامان وكان ذلك كله سادس رجب سنة تسع عشرة وألف فلما كان اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء فخرج اليه زيدان واقتلوا فانه زمر زيدان وقتل من أصحابه نحو الخمسمائة وقرأى محملته التي تركها بدخسان وكان ذلك آخر رجوع زيدان الى فاس فانه لما أعياه أمر الفرب أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادى أمر ربيع الى مراكش وأعمالها وتوارث بنوه سلطنته على ذلك النحو من بعده وبقي عبد الله بن الشيخ في باع الأيام بفاس الى أن هلك وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وصياها على ما ذكره في كتابه كتاب انتاج القلوب في أخبار الشيخ المجذوب ماصورة تكلم الشيخ سيدي كذا في روماني ما لوك وقته فقال أما الشيخ معطى العرائش فان أهل الله قد قدقوا أو تاده هناك حتى يموت فلم يتجاوز محمله الى أن قتل به حوزن طابون كاسياتي وأما زيدان فانه لما أطلق السيل في أهل فاس ضربه مولاي ادريس بركلة صبرته ورأه أم ربيع فلم يتجاوز به بعد ذلك ٥

في استيلاء نصارى الاصبيول على العرائش والسبب في ذلك

قد تقدم لنا ما كان من خبر الشيخ المأمون من انه قرأ العرائش ومنها ركب البحر الى طاعية الاصبيول مستصر خابه على أخيه السلطان زيدان فالى الطاعية أن يحده فراوده الشيخ على أن يترك عنده أولاده وحشمهم رهنًا ويعينه بالمال والرجال حتى اذا ملك أمره بذله لما شرطه عليه ولم يزل به الى ان شرط عليه الطاعية أن ينجي له العرائش من المسلمين ويملكه اياها فقبل الشيخ ذلك والتمسه ونخرج حتى تزل جحر ابادس في ذي الحجة سنة ثمان عشرة وألف ثم تقدم فتزل لادالرف ولما سمع ذلك أهل فاس خافوا من شوكتهم وذهب جمع من علمائهم وأعيانهم كالقاضي أبي القاسم بن أبي النعيم والشريف أبي اسحق ابراهيم الصقلي الحسيني وغيرهم الى القاعة وعنه شتبه القسودم فلما وصلوا اليه فرحهم وأمر قبطان النصارى أن يخرج مدافعه وأقضاة اربابا واطهار القوة النصارى الذين استنصرهم ففعل حتى اصطكت الاذان وارتجت الجبال وتزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان فلما رأوه مقبلا أمرهم الشيخ بالقيام له فقاموا اليه أجمعون وجازوه خيرا على ما فعل مع الشيخ من الاحسان والنصرة وولم هو عليهم ثم نزع فتنسوته على عادة النصارى وأنكر الناس على أولئك الايمان بقيامهم للكاكفر وضربوا بعضا الذل حتى انهم في رجوعهم الى فاس تمرض لهم عرب الحباينة فسلموهم وأخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدا القاضى ابن أبي النعيم فانه عرف برى القضاء فاحترموه ثم ان الشيخ انتقل الى القصر الكبير وهو قصر كرامة وقصر عبد الكريم فقام به مدة وراود قواده ورؤساء جيشه ان يقفوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليقى له الطاعية بما وعده من النصر فامتنع الناس من اسعافه في ذلك ولم يوافقوه على غرضه الا قائد الكرى فانه ساعده على ذلك فبعثه الشيخ اليها وأمره أن يتحياها ولا يدعها أحد من المسلمين فذهب الكرى في المذكور وكلام أهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة ونخرج الباقون وهم يبيكون تحف على رؤسهم ألوية الصغار ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرى الى أن دخلها النصارى واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة وألف ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض لاخذ العرائش أمر عظيم وأنكروا ذلك أشد الانكار وقام الشريف أبو العباس أحمد بن ادريس العمري ودار على مجالس العلم بفاس ونادى بالجهاد وانحروج لاغاثة المسلمين بالعرائش فانضاف اليه أقوام وعزموا على التوجه لذلك ففت في عضدهم قائدهم حوا المعروف بابي ديرة وصرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلة وكان الشيخ لما خاف القضية وانكسر الخاصة والعامة عليه اعطاه بلدا من بلاد الاسلام للكفار احتال في ذلك وكتب سؤالا الى علماء فاس وغيرها يدكر لهم فيه

أنه لما غل في بلاد العدو الكافر واقصمها كرها بابا ولاده وحشمه منه النصاري من الخروج من بلادهم حتى يطيهم قعر العرائش وانهم ما تركوه نخرج بنفسه حتى ترك لهم أولاده وهنأ على ذلك فهل يجوز له أن يفتدي أولاده من أيدي الكفار بهذا الثغرام لا فاجاؤه من فداء المسلمين سيما أولاد أمير المؤمنين سيما أولاد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاه بلد من بلاد الاسلام له جائز وانما وافقون على ذلك ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع ما وقع وما أجاب من أجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه وقد تفرج جماعة من تلك الفتوى كالامام أبي عبد الله محمد الجنان صاحب الطرور على المختصر والامام أبي العباس أحمد المقرئ مؤلف نفع الطبيب باختصار مدة استبراء لدهنهما حتى صدرت الفتوى من غيرها وبسبب هذه الفتوى أيضا تفرج جماعة من علماء فاس الى البادية كالشيخ أبي علي الحسن الزياتي شارح جل ابن الجبراد والحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي وغيرهما

في بقية أخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه في

ثم ان الشيخ بن المنصور نزل بالقص واجتمعت عليه جملة من أهل الذمارة والفساد على شاكلته قتمض بهم الى تطاوين فاستولى عليها وأخرج منها كبيرها المقدم المجاهد أبو العباس أحمد النقيس ولم يزل الشيخ يحول في بلاد القص ويسفأ أهلها الى ان ملته القلوب وعمالا أشياخ القص على قتله لما رأوا من التحلل عقيدة تروق دينياته وعليك ثرا سلام الكفار فقتله المقدم أبو اليف في وسط محلة بموضع يعرف بفتح الغرس وبقي مريعا مكشوف العورة أيا ما حتى خرج جماعة من أهل تطاوين لحملوه مع من قتل معه من أصحابه كالدريين وبعض أولاده ودقوهم خارج تطاوين الى ان حمل الشيخ الى فاس الجديد مع أمه الخيزران فدقابه وكان مقتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف وروى وقال مندوب في انه وصل الى قرب تطاوين وبني هناك افرا كوا قام ينتظرا اجتماع الجيوش عليه ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج الى عين ماء هناك فاستلقى قريبا في نبات أخضر أعجبه خضرته فجاءه اناس من أهل تلك البلدة فمرفوه وشذخوار أسه بضره فقتلوه ويقال ان قتله كان بشارته الثائر أي على الآ في ذكره وانه كتب الى المقدمين النقيس وأبي اليف يحضما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله وكان شيا كثيرا ومن جملة ما تب منه نحو المذممين الباقوت وبقي من أئانه نحو وسق سقينة كان قد تركه بطبعة فاستولى عليه نصاراها من البرقتال لما قتل وكان الشيخ عفا الله عنه مشاركة في العلم ويد في مبادئ الطب أخذ عن أشياخ الحضرتين وله شعر متقارب ومن كتابه الاديب المتفنن أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي وأبو العباس أحمد بن محمد الفرديس النغلي وكان من أهل الاجادة والتبريز في صناعة الانشاء فيقال الشيخ في أبو زيد العباسي في شرحه ادلائل الخبرات عند قوله وكان لي جار نسخ ما نصه وقد كان الشيخ الكاتب الرئيس أبو العباس أحمد الفرديس شيخ كتاب الانشاء بضره فاس رحمه الله استمار مني كتاب الانباء في شرح الاسماء لا قلني ثم مرض مرض مونه فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كرايس منسوخة وأخرى معه فلتع فقال لي اني اذا وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه فاذا غلبني ما لم أسكت فقلت له ولم تنكف هذا فقال لي اني عصيت الله بهذه الاصابع مالا أحصيه فرجوت أن يكون ما أعانيه على هذه الحال من نسخ هذا الكتاب خاتمة حلي وكفارة لذلك فأكمل الله قصده وأتم الكتاب وتوفي من مرضه ذلك وقد طال به سنة عشرين وألف اه ولهذا الكتاب يقول الشاعر

تمت يا غرديس والاهر راقدا * وأنت بفاس وابن حيون وواجد
بمعدك راحت خيزران لقبرها * مصائب قوم عند قوم فوائد

هو رياسته ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد العباسي على الجهاد ومبدأ أمره في ذلك

هذا الرجل هو ولي الله تعالى المجاهد في سبيله أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي الزباني المعروف بالعباسي ونسبته إلى بني مالك بن زغبة الهلاليين وهم اليوم قبيلة من عرب العرب كل وجه الله مستوطن مدينة سلا وكان من تلامذة الولي العارف بالله تعالى أبي محمد عبد الله بن حسون السلاسي دفن سلا وكان ابتداء أمر أبي عبد الله أنه كان ملازما لشقيقه المذكور من أقرب التلامذة إليه وأسرعهم إلى خدمته وأولهم دخولا عليه وأخرهم خروجا عنه وكان مع ذلك كثير الودع قليل الكلام مديبا للصيام وقراءة القرآن فكان الشيخ ابن حسون ملتقيا إليه ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن شاعت مناقب الشيخ وكثر غاشيه فأهدى له يوما بعض أشياخ القبائل فرسا فامر الشيخ بإسراجه وقال أن محمد العباسي فقال ها أنا ذا يا سيدي قال الشيخ أركب بعول الله فرسك ودياك وأخونك فقهقرا ثوبا خلف عليه ليركبن وحبس له الركب بيده وقال له أرتحل عني إلى آزمور وائرزل على أولاد أبي عزيز ولا يدلكن من الرجوع إلى هذه البلاد وسيكون لك شأن عظيم فودعه أبو عبد الله ووضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعاه بغير قصدا ناحية آزمور وئرزل حيث عين له شيخه المذكور وذلك لول دولة السلطان زيدان سنة ثلاث عشرة وألف فلم يزل أبو عبد الله العباسي مثابرا على الجهاد ضد الشكيمة على العدو وقارفا بوجوه المكائد الحربية بطلا شهما مقدما في مواطن الأبحام وقورا محتوما ناعن الكلام فطار بذلك في البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره لما هو عليه من التضيق على نصارى الجديدة وكانوا به مذقدا أمرهم ففرح بذلك قائد آزمور ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن توفي قائد الفحص والبلاد الآزمورية فسأل السلطان زيدان عن بايق بتولية ذلك الثغر فقيل له سيدي محمد العباسي فكتب إليه بالتولية فقبل ونهض بأعباء ماجل من ولاية الفحص وجهاده وكانت له مع نصارى الجديدة وقائع وضيق عليهم حتى منهم من الحرث والرعي فبعث النصاري إلى حاشية السلطان زيدان بالتخف ونفائس الهدايا ليعزلوا عنهم أبو عبد الله المذكور راضا بعتهم فحرقوا السلطان زيدان عاقبته وحضوه على عزله وأظهر والله أنه مسموع الحكامة في تلك النواحي وأنه يخشى على الدولة منه وكان أبو عبد الله العباسي كلما بعث بالغنائم وما يفيض الله عليه من الأسارى إلى مرا كش ازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه فوغر بذلك قلب زيدان وحقق عليه فبعث إليه قائده محمد السنوسي في أربعمائة فارس وأمره بالقبض عليه وقتله وألقى الله في قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من براءته مما أذنبه فبعث إليه خفية أن أفي بنفسك فانك مغدور فخرج أبو عبد الله العباسي في أربعين رجلا فرسانا وشاه قاصدين سلا فاستقرم أسنة ثلاث وعشرين وألف ولما انتهى السنوسي إلى آزمور ولم يجد له أثر أظهر العناية بالبحث عنه وعاقب شريعة من أهل الفحص على إفلاته تعمية على السلطان وأقامه لعذره عنده فقبل السلطان زيدان ذلك والله غالب على أمره

هو ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابي محلي

يقال في كتابه أصليت الحرب كما ملخصه كانت ولاد في سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة والذي تنقبت من أبي وكانه هومتي أن أولاد أبي محلي من ذرية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وأما جدنا الأشهر المكنى بأبي محلي بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحمية ساكنة مع كبير شهرته لا علمي إلا بسبب تكتيته بذلك ولا بتفاصيل أحواله بعد البحث عنه قال وبخطه القضاء اشترى من بناقيرف بأولاد القاضي وزاوي بتنازوية القاضي ولم تزل بقية العلم في دورنا لخصوصه وأبى اه هو وقال صاحب البستان أبو محلي هذا اسمه أحمد بن عبد الله وينسب إلى بني العباس ويعرفون في سجلماسة بأولاد

ابن السمع أهل زاوية القاضي انتهى **قلت** ثم أما الانتساب إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقد
 أنكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية في المغرب قال في فصل اختلاط الانساب وما بعده مانصه
 ولم يعلم دخول أحد من العباسيين إلى المغرب لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من
 الأدارسة والعبيدين فكيف يسقط العباسي إلى أحد من شيعة العلويين اهـ ثم قال أبو محلي في الكتاب
 المذكور فلما أنشأت في حجر والدي بذل مجهوده في تعليمي وقد صككنت أمي رأيت وهي حامل بي وليا من
 أولياء الله تعالى أحدث شيخ التربة بلدنا وهو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله السجلماسي قدسقاها
 قد حاسن لبن وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين قال وكان خروجي لطلب العلم بقاس
 في حدود الثمانين وتسعمائة وأنا يومئذ مرافق أرباب العلم لا هم في الآفاق لم تأت بقاس نحو خمس
 سنين إلى أن جاء النصارى إلى وادي الخازن قد هش الناس واستشرت أئمة الطائفة فدلني على الخروج
 إلى البادية حتى ينجلي غمار الأمن فخرجت إلى كركرة فحفظت فيها الرسالة وقد كنت ما حصلت بقاس
 إلا النقص ثم رجعت إلى قاس بعد أن زال الدهش من زعم النصارى وولاية المتصور والنصوصنتي وفي الفقه
 رغبت وقد كنت في النجدة الأولى إلى البادية زرت قبر الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه فطلب الله عنده
 أن أكون من الراضين في العلوم بأسرها ونوبة متقبلة لها فادعوني إلى الحول والأنا بزاوية الشيخ أبي عبد الله
 سيدي محمد بن مبارك الأزعري لأن قصدي كوني إذ ذاك مولعا بالعلم أما طريق الفقر فلا تقطرن بيال لأن
 المعتمد يومئذ فقراء الوقت اخلاق الضلال فكنت أشد الناس حذرا منهم إلى أن انكشف الستر فرأيت
 ما رأيت ووعيت فصاحبت شيخي الذي لولاه مع فضل الله لم أكن ولولاه ديانته باذن الله لصلت أعني
 أبا عبد الله مولاي محمد بن مبارك الأزعري القليل الجرار السيل وهو رضي الله عنه من قبيلة عرب
 بالمغرب يقال لهم زعيم بصيغة التصغير والنسب إليها زعري على التكبير وهي قبيلة من عرب السوس
 بالمغرب الألهي قال فبقيت في محبة شيخي المذكور نحو ما من ثمان عشرة سنة وما فرقت إلا عن امره
 اذ هو الذي وجوني إلى بادي مصلياسة من غير اختيار فإني إلى صلاحهم فيك ثم ناولني عصاه وبرنسه
 ونفله من غير طلب مني لشي من ذلك وجعل في رأسي قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع فلما
 استوطنت بلدي عن أئمة زعمته منه إحدى عشرة مرة وفي الأخيرة منها وذلك بعد مقتلي من الحجة الأولى
 التي كانت سنة اثنتين بعد الألف دعاني بقوله بلاك الله أكثر مما لاني فتأولتها بإقبال الخلق كما ترى
 وقد صاح عندها صيحة عظيمة لم أر مثلهامنه منذ محبة إذ عادت كانت الطمانينة ولما وافق رجه الله بقيت
 نحو ما من ثلاث سنين عاطلا ثم نحلي التحريد رطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر
 فيما أولي ثم ذكر بنية أشياخه كالشيخ أبي العباس النجور والشيخ أبي العباس السوداني والشيخ سالم
 السهوي وغيرهم ممن بطول ذكرهم قال ثم كملت الفائدة بعد النقل من الحج فرجعت إلى الدار المغربية
 وترلت بواحي الساوردة ثم تحولت بجميع عيالي إلى الوادي المذكور وهذا ملخص أوليته منقول من كتابه
 المذكور وقال الشيخ أبو العباس أجد التواني رجه الله تعالى في رسالته التي سماها مقامه التخلي والتخلي
 من محبة الشيخ أبي محلي وهي رسالة طويلة مصبغة قال كان الفقيه أبو محلي في أول أمره قتيها صرفا
 ثم انتقل طريقه التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ولاحت له مخايل الولاية فانحسر
 الناس بزيارته أفواجا وقصوده فرادى وأزواجا وبعد صيته وكثرت أتباعه قال فلما سمعت بذلك ذهبت
 إليه وجلست عنده مدة إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدي المعلوم للبشر في جميع الأحاديث
 فتركته وراءه وبذته بالعراء اهـ **وهو** قال الشيخ اليوسي في محاضراته **هو** قد تكلم على الدعوى الفاطمية
 مانصه وعن أبي علي بن هارون بن أحمد بن عبد الله بن أبي محلي التستاق خاض في الطريق حتى حصل له نصيب
 من الذوق وألف فيها كتابا يدل على ذلك ثم تزعمت به هذه الترعة فخطبوا أنه كان في أول أمره معاشر محمد

ابن أبي بكر الدلائي وكان البلد اذ ذلك قد كثرت فيه المناكر وشاعت فقال ابن أبي محلي لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك ان يخرج غدا الى الناس فناصرهم بالمعروف ونهني عن المنكر فلم يساغفه لما رأى من تسدر ذلك لنفسه الوقت وتغافم الشر فلما أصبح خرجا فاما ابن أبي بكر فانطلق الى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعره بالحق وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها وأما ابن أبي محلي فتقدم لهماهم به من الحسبة فوقع في شر وخصام اذاه الى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل فلما اجتمع بالليل قال له ابن أبي بكر أما أنا فقد قضيت ما ربي وحفظت ديني واتقيت في سلامة وصفه ومن أتى منكرا فإلله حسبيته أو نحو هذا من الكلام وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ثم لم ينته الى ان ذهب الى بلاد القبلة ودعا لنفسه وأدعى أنه المهدي المنتظر وأنه بهد الجهاد فاستثقت قلوب العوام وانبعوه اه وصار ابن أبي محلي يكتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاحتساب بالسنة ويشيع أنه الفاطمي المنتظر وأن من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فهو ذوق ورعيا كان يقول لأصحابه محترضاهم على نصرته أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل وهم قاموا به في زمن الحق ونحو هذا من زخارف كلامه والى ذلك أشار الفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد الله الحاحي في بعض قصائده معترضا بابي محلي المذكور فقال

يا أئمة المصطفى الهادي اليس لكم • فيمن مضى اسوة من سائر العلماء
نسيتم دين خبير الخلق واقتربت • آراؤكم فقد الاسلام منقسما
أتحسبون بان الله تارككم • سدى وخلقتكم قد تعلمون لما
ناشدكم بالذي في المرض بجهنما • أما فطنتم وما لاهكم من فهمما
بان مغرركم قد هممه مضط • من المومنين بالله معتصما
ان قيل للناس ان المخرج وبكم • قالوا الفقيه فلان قبلنا اعترفا
لو لم يكن جازما أقتى الامام به • ولا أتماء الا لبنو الذي انهم
ومن يقل قال خيرا لخلق قبله • هاهنا صاحب الوقت يكفيني الذي علما
ونحن أفضل من محب الرسول لنا • أجزضا عن في اجفاننا ناطما
وزخر فواتر هات القول فانفعلت • لهم نفوس عوام يرشدها عدما

فنهوض ابن أبي محلي الى مجملامة ودرعة واسدلاؤه عليهما ثم على مرا كش بعدهما

كان أبو العباس بن أبي محلي عفا الله عنه لما كثرت جوعه وانتال الناس عليه بصريح وجوب القيام بتغيير المنكر الذي شاع في الناس ويقول ان أولاد المنصور قد نه الكوا في طلب الملك حتى فني الناس فيما بينهم وانهبت الاموال وانتهكت المحارم فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم ولما بلغه ما فعل الشيخ من اجلاء المسلمين عن العرائش وبيعها للعدو الكفار استشاط غضبا وأظهره غضب الله لاشي سواه فخرج يوم مجملامة وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج المير فخرج عامل زيدان لصاحبه وهو في نحو أربعة آلاف وابن أبي محلي في نحو أربع مائة فلما اتقى الجمعان كانت الدبرة على جيش زيدان وأشاع الناس ان الرصاص يقع على أصحاب أبي محلي بارد الا يضرهم ونفخ الشيطان في هذه القرية فسكنت هيئة في القلوب وتمكن ناموسه منها ولم يدخل مجملامة أظهر العدل وغير المناكر فاحتبه العامة وقدمت عليه وفود أهل تلسان والراشدية بمنوته وفيهم الفقيه العلامة أبو عثمان سعيد الجبازي المعروف بقدورة شارح السلم وهو من تلامذة ابن أبي محلي كما ذكره في الاصلية ولما بلغ خبر الهزيمة الحز زيدان وانتهى اليه فلما جهز اليه من مرا كش جيشا وأمر عليه أخاه عبد الله بن المنصور والمعروف

بالزبد فسمع به أبو محلى فصار إليه فكان اللقاء بينهما بفرعة فوقعت الهزيمة على عبد الله بن المنصور ومات
من أصحابه نحو الثلاثة آلاف فقوى أمر ابن أبي محلى واشتدت شوكتهم وجمع بين مجملامة ودرعة وكان
القائد نونس الأيسى قد هرب من زيدان لأمير تقيمه عليه وقصد إلى أبي محلى فجاء معه يقوده ويطلمعه
على عورات زيدان ويؤمن عليه أمره وما زال به إلى أن أتى به إلى مراكش فعذب زيدان إليه جيشا
كتبها فخرمه أبو محلى وتقدم فدخل مراكش واستولى عليها وقرى زيدان إلى ثغرا أسفى وهم بركوب البحر
إلى بلاد الدولة هكذا في الزهفة وهو ذكر لوز البرنقالي في كتابه الموضوع في أخبار الجديدة أنهم ان نصارى
الجديدة بعثوا إلى السلطان زيدان بعامتين من مقاتلتهم اعانته على عدوه من غير أن يطلب منهم ذلك
فلما وصلوا إليه أنف من الاستعانة بهم على المسلمين لكنه أحسن إليهم وأطلق لهم بعض أسراهم وردتهم
مكرمين هذا كلامه والحق ما شهدت به الأعداء وذلك هو الظن بزيدان وجهه الله ولما دخل أبو محلى
قصره لافقه براكش فعمل فيه ماشاء وولده هنالك مولود سماه زيدان ويقال أنه تزوج أم زيدان وبني
بهاودبت في رأسه نشوة الملك نونس مابني عليه أمره من الحسبة والنسك وفي المحاضرات الشيخ اليوسى
وجه الله ماصورة وزعموا أن أخواتهم الفقراء ذهبوا إليه حين استولى على مراكش برسم زيدان
وعمنته فلما كانوا بين يديه أخذوا بهنوته ويغريهون له بما حاز من المال وفيهم رجل ساكت لا يتكلم
فقال له ما شأنك لا تتكلم وألح عليه في الكلام فقال الرجل أنت اليوم سلطان فان أمنتني على أن أقول
الحق قلت له أنت آمن فقل فقال إن الكرة التي يلعب بها الصبيان يتبعها الماشان وأكرمن خلفها
وينكرمن الناس ويغريهون وقد عوتون ويكر الصياح والمول فاذ اقتست لم يوجد فيها الاشرار ويط
أى غرق بالية ملفوفة فلما سمع ابن أبي محلى هذا المثل وفهمه بكى وقال ومن أن تجبر الدين فالتفناه انتهى

استصرخ السلطان زيدان بأبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحامى ومقتل أبي محلى رحمه الله

لما انفزع الراع من العامة على أبي محلى وكثرت جوعه وعلم زيدان ضعفه عن مقاومته كتب إلى الفقيه أبي
زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحامى ثم الداودى مستغيثا به ثم وفد عليه بنفسه وكان
يحيى براوية أبيه من جبل درن وله شهرة عظيمة بالصنع السوسى وله أتباع فآواه السلطان زيدان وقال له
إن بيعتي في أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم الذب عني ومقاتلة من نازا على أوزكركم دعوته
وحضر الجيوش من كل جهة وخرج يوم مراكش في ثامن رضان سنة اثنتين وعشرين وألف ولما
انتهى إلى قم تافوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب إليه أبو محلى بجانسه بسم الله الرحمن الرحيم
من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله أما بعد فقد بلغنى أنك جندت وبندت وفي قم تافوت نزلت أهبط
إلى الوطاء ينكشف بيننا الغطاء فلذنب ختال والأسد صتال والأيام لا تستقيم إلا بطعن القناضرب
الحسام والسلام فاجابه يحيى بجانسه من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله أما بعد فليست الأيام إلى
ولا أنفاهى لك الهلام وقد أتيتك باهل البنادق الأحرار من الشهابتوم انتفى إليهم من بني جرار
ومن أهل الشرور والبوس من هشوكه إلى بني كسوس فالوعديني وبينك جيليز هنالك يتقم
الله من الظالم ويمز الصرير ثم زحف يحيى إلى مراكش في جوعه قتل قارب جيليز جبل معل على
مراكش وبرز إليه أبو محلى والنعم القتال بينهما فكانت أول وصاله في خرابى محلى فهلك مكانه وايدعرت
جوعه ونهب محنته واحتر رأسه وعلق على سور مراكش فبقى معلقا هنالك مع رؤس جماعة من
أصحابه نحو من اثنتى عشرة سنة وجلت جنته فقتل بروضه الشيخ أبى العباس السبتي تحت المكتب
المعلق هنالك عند المسجد الجامع وزعم أصحابه أنه لم يموت ولكنه قيب فقال اليفرى في وحدثنى من أتق
به من أهل وادى الساوره أن فيهم إلى الآن من هو على هذا الاعتقاد وهو ذكر الشيخ اليوسى في

الحاضرات **•** أن أبى محلى كان ذات يوم عند أستاذة ابن مبارك فورد عليه وارحاله فحترق وجعل يقول
 أنا سلطان أنا سلطان فقال له الأستاذ أنا جدهب أنك تكون سلطاناً أنك لن تحرق الارض ولن تباغ
 الجبال طولاً ووقع في يوم آخر للفقره معاً فحترق أبى محلى وجعل يقول أنا سلطان أنا سلطان فحترق
 فقيراً وجعل يقول ثلاث سنين غير ربيع ثلاث سنين غير ربيع قال وهذه هي مدة ملكه اه
 ويؤيد كرمه أنه لما طاف بالبيت في وجهه الحجازة سمع وهو يقول يارب أنك قلت وقولك الحق وتلك
 الأيام ندوا له ابين الناس فاجعل لي يارب دولة بينهم قالوا ولم يسأل حسن العاقبة فزق للدولة وآليه الامر
 الى ما برمه يد القدرة وكان أبى محلى رحمه الله فقبها لمحصله فلم يبلغ ونفس عال وله تأليف منها
 الوضاح والقسطاس والاصليت والمودج ومخبني الضور في الرد على أهل الضور وجواب
 الخروبي عن رسالته الشهيرة لابي عمر والقسطلي وغير ذلك وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله
 مراسلات ومهاجبات تطملوا وتراكموه

أيحيى الخسيس النذل مالك تدعى **•** بزور شعار الفحول الا وائل
 كدعواك في بيت النبوة نسبة **•** وأنت دنيء من أخس القبائل
 ووجهك وجه القرذع صورة **•** ورأسك رأس الديك بين المترايل

وزعمون أن يحيى كان معاشراً الى محلى أيام الطلب بالمدرسة فحاس **•** وقال البيهقي **•** وحدتني صاحبنا
 القاضي أبو زيد السكتاني أنه وقف على تأليف كبير مشغل على ما وقع بين يحيى وأبي محلى من الشجر في
 غرض الهما وغيره وقد مر تاريخ ثورة أبي محلى ووفاته الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد الميردي
 المراكشي فقال قام (طيشا) ومات (كبشاً) ولا يخفى ما فيه بعد افادة التاريخ من حسن التلميح وبديع
 التورية وما قبل ابن أبي محلى دخل يحيى مراکش واستقر بدار الخليفة منها والقي بها عاصمته ورام
 أن يتخذها دار قراره فكسب اليه السلطان زيدان يقول أما بعد فإن كنت اغماجت لنصرتي وكف يد
 ذلك الذائر عني فقد بلغت المراد وشغيت الفؤاد وإن كنت اغماجت أن تحجز النار لقرصك وتجعل الملك
 من قنصك فأقر الله عينك به والسلام فتجهز يحيى للعود الى وطنه وأظهر العفة عن الملك ولته اغاياه ليدافع
 عن السلطان الذي يبعثه في عنقه واقبل الى بلاده ورجع زيدان الى مراکش فاستقر بدار ملكه وقد
 قيل ان يحيى رام الملك وان أجناده من البربر لم يساعده في قصة طويلة والله اعلم

• بقية أخبار أبي بكر يحيى بن عبد المنعم الحامشي وما دار بينه وبين السلطان زيدان وجههما لله

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحامشي الداودي الملقب وكان جده سعيد واحداً وقته علماً وديناً
 وهو الذي أحيا الله به السنة بالسوس وانتعش به الاسلام فيه وتوفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة خلفه
 ولده أبو محمد عبد الله بجرى على نفسه وسيله بل كان بعض الناس يفضل على أبيه وتوفي سنة اثنتي عشرة
 وألف ودفن بزادغة من جبل درن حيث كانت زاوية له ولما مات جلس ولده أبو بكر يحيى موضعه
 وانهج سيله وكان فقيهاً مشاكراً حل الى فاس وأخذ عن شيوخها كالمتصور وغيره وعن الشيخ العارف
 بالله أبي العباس أحمد الحسني على ما وجد بخطه السوساني الشهير بإدخاله في دينه وهو مقدمه أخذ عنه
 كثيراً من الفنون وأجازه في علوم الحديث اجازة عامة وكان يحيى شاعراً محسنًا وكانت له شهرة عظيمة
 بالصلاح وله أتباع كوالده وجهته وتوجهت الى يارثة المهم وركبت اليه التجائب إلا أنه وقع له قريب مما
 وقع لابي محلى قصدي للثك وناض في أمور السلطنة فتكثر مشربه وقد قال بعض العلماء أن الرئاسة اذا
 دخلت قلبه جل لا تقصر عن اذهاب رأسه ولذلك قال صاحب الفوائد في حقه انه قام لجمع الكلمة
 والنظر في مصالح الامة فاستمر بعلاج ذلك الى أن توفي ولم يمهله أمره وكان يرسل السلطان زيدان ويكثر

عليه ويجير عليه من استجار به ويروم الى مناصحته ابتغاه ويسر من ذلك حسوا في ارتقاه وكان زبداً
 يتجمل منه امر اعظيما فحما كتب به يحيى اليه مائه من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله له
 بجميل لطفه آمين اللهم انا نحمدك على كل حال ونشكرك بأولي المؤمنين على دفع اللوائه والنال ونصلي
 ونسلم على صغيرك افضل من شئت اليه الرجال ونستوهبك بامولنا بجسيل لطفك وبجزيل فضلك في
 المقام والرجال عاشرين بوجهك الكريم من مؤاخذتنا بسوء أعمالنا يا شديد المحال هسداً وسلام الله
 الاتم ورضوانه الاعم ورجته وبركاته على الولي الامام العلم المقدام العلوي الهمام وكيف أنتم
 وكيف أحوالكم مع هذا الزمان الذي شمر عن ساقه لسلب الاديان وألح في اقتضائه هوام على كل ملين
 فانائه ولا حول ولا قوة الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبعد فالداعية اليكم في هذه البطاقة أمور
 ثلاثة مدارها على قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابيه ولخاصة المسلمين وعامتهم
 فالاول بيان سبب الركون الى جانبكم والثاني الحامل على دفع مناوئكم والثالث ملازمة نصيحتكم وتذكيركم
 والضغيم بما يصدر منكم ومن أعوانكم للرعية أما الاول فله اسباب كثيرة منها مراعاة الجنب النبو
 الكريم في أهله بيته ورضي الله عن أبي بكر الصديق القاتل ارقبوا محمد في أهله بيته والقاتل لقربة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي أن أصل من قرأني

يا أهل بيت رسول الله حبيكم • فرض من الله في القرآن أنزله

بكتيكم من عظيم المجد أنكم • من لم يصل عليكم لاصلاة

ومنها نص خاص للمسلمين الذي هو الداء بالمهداية لهم ورد القلوب النافرة اليهم ونصهم بقدر الامكان
 مشافهة ومراعاة ومكاتبة وقد بينا الجهد في الجميع أخلص الله القصدي للجميع وأما الثاني فلما جرى
 القصد بتغلب ذلك الانسان المتحاط على النفس والحريم والاموال وأدخل بتأويلاته البعيدة عن
 الصواب ما ليس في المذهب وتمتد خصوص الولادة الى سائر الرعية فاضلها ومقضولها ومستمتع ذلك يد
 الوعيد الموكدا لايمان النفا في الانفس والاموال فنادى ناه كما تنقروني فتاوى الاثمة رضى الله عنهم حيث
 توفرت فيه فصول الصائل كلها بشاهد الصان فكان الامر كما قدر الله تعالى والله الامر من قبل ومن بعد
 وأما الثالث فالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فصوره والعصر فافقه البرهان في كل أوان وعصر
 وقال تعالى في قضية كليهم ربعا أنعمت على قلن أكون ظهيرا للمجربين وقد استشهد به بعض العلماء
 في برى فلم يكتب بعض الامراء المتقدمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقوله جيل من قائل وتعاونوا
 على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وأما السنة فالحديث الاول وقوله صلى الله عليه وسلم
 المنع من شريك وقوله من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يقدر فليسانه فان لم يقدر فليقلبه وذلك
 أضعف الايمان وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم لكون التغيير العملي اليكم حتى جذبونا
 اليه ودللنا بآيات كتاب أصعب مرام عليه وقوله من أعان على قتل مسلم ولو بسطركم لجاه يوم القيامة
 مكتوب بين عينيه آيس من رجة الله وقد قال المتوفى في شرحه على المختصر من أعان على عزل انسان
 وتولية غيره ولم يأمن سفل دم مسلم فهو شريك في دمه ان سفل ثم أتى بالحديث المتقدم استظاما لذلك
 الامر الفظيع فأناله وانا اليه راجعون على اننا اتخذنا الله حتى كننا من بالقطع سفل الدماء اذ ذلك
 حيث كتبت البنابر اراؤا تمت وأرسلت وكنتم أمتحون من هذا الواقع اليوجها زمو وراسي ومرا كش
 والغريب ولأنك كنت ألحت عليكم في تقرير العهد حتى أتاني القائد عبد الصادق بمحض ذكرانه لسلاطن
 تلمسان في جرم صغير وقال لي أمرني السلطان أن أحلفك فيه نيابة عنه على بقاءه على العهد فيما بينك
 وبينه من تأمين كل من أتمته وامضاء كل ما رأيت صلاحا لامة ثم لم اكف حتى أتى القاضي فكنت
 الى معناه كل ما رأيت فيه صلاحا لامة أمضيته وانك أمتت كل من أتمته ثم بعد استقرارك في دارك

كتب الى كتابنا لما قال على ما تعاهدنا معك عليه من الامور كلها على معار الشريعة فصار اعنى الا وقد
 اخضرت في ذمة الله واما في الذي عقدته لنا من مأسور ومقيد ومطوب بحال ومطرود عن بلد او اخبار
 آخر ترد علينا من جهة السواحل وان الناس يتابع فيها المذمومة الله ولم يزل من اهتبل بذلك ممن قلده
 امور الثغور فلم يدر هل بلغك ذلك قسط غلام لامة الشرع او لم يبلغك فاعلمنا ان الله لم يخلقنا في
 اكنافك في ذلك فلا ارى جوابا فنصت والله من الامر بحسبنا فان عذبت ما من الله به عليك من رجوعك الى
 سرير ملكك واجتماعك بسربك آمنة من قيل النعم فبقده بما تقبده كافي كرم عليك وان رأيت بتظر
 آخر فان الله ما في السموات وما في الارض واما الاجماع فلم يزل من العلماء من نهى عن نصع خاصة المسلمين
 ونهيههم على ما يصلحهم وبالعامة بل عتوه من الذين للحدث الاول وغيره واما ما استمرناه من
 امتنا منكم من عدم الالة القول في مكاتبنا لكم فانا طبعناكم قط وعيا لذلك ولو نصف ما خاطب به
 الامة الاول اهل زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكنهم وعلمكم عالم فله من ذلك ولم يزوه ويكفيكم نصع
 الفضيل وسفيان واما ما مالكم رضى الله عنهم لمعاصرهم من الولاة ومنهم من بكي وانتفع ومنهم من
 غشى عليه وتوجع ومنهم من ندم واسترجع الى غير ما ذكرنا على اختلاف الاعصار وتنوع الدول
 والاقطار فبذلك افتدنا وبما كان عليه اشيا خنا واصلا فانا لكم ولا خلافكم علمنا كالفقيه شيخ والدنا
 رحمه الله سبلى عبد الله المبطي بلدكم المرحوم بكرم الله فطمعت بجمع الصنع ونفعه دنيا واخرى فهذا
 اصل قضيتنا معكم وهلم جرا والذكرى تنفع المؤمنين على كل الاحوال والحمد لله على كل حال والصلاة
 والسلام على سيدنا محمد وآله خير آل وبنازع او اشر ربيع النبوى الا نور كنهه عن اذنه رضى الله عنه
 عبيد به محمد بن الحسن بن ابي القاسم لطف الله بجنه اه فاباه السلطان زيد بن رجة الله بانه

بسم الله الرحمن الرحيم

بوصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

من عبيد به تعالى المقرقر المعترف زيد بن اجد بن محمد بن محمد بن محمد الى السيد ابي ذكريا يحيى بن
 السيد ابي محمد عبد الله بن سعيد اعاننا الله واياكم على اتباع الحق ونفوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
 اعمالنا لولا الام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ورد علينا كتابكم ففحصنا خاتمه ووقفنا على سائر
 فصوله ثم انان جاوبناكم على ما يقضيه المقام الخطا بذكر غيركم ذلك واذا الى المبالغسة والمساخنة
 فيصبي عن عثمان رضى الله عنه انه بعث الى على رضى الله عنه واحضره عنده وآلى اليه ما كان يجده من
 اولاد العصاة الذين اعصوا صوابا اهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضى الله عنه
 وهو في كل ذلك لا يجيبه فقال له عثمان رضى الله عنه ما اسكتك فقال يا امير المؤمنين ان تكلمت فلا أقول
 الا ما تكره وان سكنت فليس لك عندي الامانة وليكن لسانك أجسد بدما من الجواب ارى ان أقدم لك
 مقدمة قبل الجواب فاتم ان الحاج لما ولاد عبد الملك العراق وكان من سيرته ما يغنى اشتهاؤه عن تسطيره
 هنا فتأول ابن الاشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعد بن جبيرة وامثاله من اولاد
 العصاة رضى الله عنهم ولما قوى عزهم على ذلك استدعوا الحسن البصرى لذلك فقال لا أفعل فاني ارى
 الحاج عقوبة من الله فنفرع الى الدماء اولي فقال بعض فضلاء الجهم يؤخذ من هذا ان الخروج على
 السلطان من الكبار وجواز القسام تحت ولاية الظلم والجور وقد علمت ما كل من امر بعبد الرحمن
 ابن الاشعث وسعيدوا امثاله وعلمت قضية اهل الخزة لما وقعهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف
 ولما بلغه الخبر انشد لبيت اشياخه يبدروا شهدوا * جزع الخروج من وقع الاسل
 وشاع ذلك عنه وذاع وكان على عهد كابر العصاة واولادهم ولا تعرض أحد منهم لتكبير عليه ولا تمتنى

لقيام ولا خاطبه بعلام وأما ما يرجع الى جواب الكتاب فأما ما حكيت عن الصديق رضى الله عنه في أهل
البيت والاحاديث الواردة فيهم وأنه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لأجل النبي صلى الله عليه وسلم
فإن كان يجب عليكم تعظيمهم فإن تعظيمهم يجب على أولى وأولى مما لا يقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا
الاموثة في القربى وأمرى الله تعالى عادته أنه ما تصدى أحد له داوة هذا البيت النبوى إلا كبه الله لوجهه
وأما ما أوردتم من الاحاديث النصح فاني والله أحب أن تنصحنى سرا وعلانية مع زيادة شكرى عليه
وأراها منك مودة وأعدها محبة ولكنى أفضل ما أقدر عليه لأن الله سبحانه يقول لا تكلف الله نفسا الا
وسعها ولهذا قال أكثر العلماء في صدور تصانيفهم ولم آل جهدا في كذا لان النفوس الشريفة العالية
لا تترك من فعل الخير والجل في اكتساب الاما عز تناوله عليها صعب اكتسابه وأما ما ذكرتم من أمر أبى
محلى وسيرته وما كان فسلط عليه أما ما كان من استباضكم اليه المتر بعد المتر وتكررت في ذلك اليكم
الرسلى حتى أجبت اليه فلا يحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم
من أراد أن يشق عصاكم فاتقوا الله كان والا فلو دخل الملك من بابي وبابيه أهل الحل والعقد وأخذ
ذلك بوسائط مثل بيعة جذنا المرحوم التي تضافرت عليها علماء المغرب وأهل الدين المشاهير فلو كان وصل
الى ذلك مثل هذه الوسائط لم يجب حرم ولا القيام عليه بما ذكرتم لان السلطان لا ينزل بالفسق والجور
والافان الصحابة في زمن يزيد معاوية لا يصحى عدهم وما تصدى أحد للقيام عليه ولا قال بعزله والا
فانهم لا يقيمون على الضلالة ولونشر بالناشير وأما أبو محلى فبجبر قياحه يجب عليكم وعلى غيرك اعانتا
عليه لانك في بيعتنا وهى لازمة لك فالطاعة واجبة عليك واعلم أيضا أن والدك أفضل منك بدليل آباؤكم
خير من أبنائكم الى يوم القيامة وكان عثما مولاى عبد الملك رحمه الله وسامحه على ما كان عليه واشهر به
اعلانا وكان والدك في دولته وبيعته ووقد عليه ولم يستكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا
أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ولا سمع ذلك منه فإن كان راضيا بقوله فهو مثله وإن لم يرض فإ
وجهه سكونه ولو فاد عليه وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى الجزولى كانت تكون قطعة
واشهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته وقد كان على عهد مولاى عبد الله
بردا لله ضربه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشهر عنه ومابرج الشيخ المذكور بدعوله ولدوته
بالقامو يظهر حبه وكان المولى المذكور يعزل وولى ويقتل وكان قد شرد منه الخزاوية الشيخ المذكور
المرابط الأندلسي وولد أصناك وأمنالهم وكان الشيخ المذكور يقدم للشقاعة فيشفع ولا يتعقب
ولا يبحث عما وراء ذلك باقى على عهده ومودة هو كان المولى المذكور بعث لابن حسين بسدة داره فافتحها
حتى أمره ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سببا للفتنة وكان قواد المذكور مثل وزيره
ابن شقره وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن العج والمبطى والزهرى وعبد الصادق
ابن مالوك وغيرهم ممن لم يحضر في ذكرهم لبعده عصرهم قد انفسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط
الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ومحمد
الشرقي وأبو عمر والقسطلى ومحمد بن ابراهيم التامناقي والشيطنى وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين
الذين لا يسع من يدعى هذه الطريقة التفتيم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم فاحسنوا السيرة
ولا تفرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدم في ولاية الامر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور
عليهم ويرجع في تدبيره اليهم ومثل من ذكر من الاولياء كان علامة الزمان واحدا وقته شيخ مشايخ
افريقية وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطينى الشيخ المتكلم الصوفى صاحب الآيات اليمينات
قد كان من سكان تونس وكان مالوك تونس ومن انضاف اليهم على الفساد الذى لا ينصرف واشهر أمرهم
حتى عرفوا به في المشارق والمغرب ولم يرجع الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير المنكر والامر

بالمعروف حتى قبضه الله اليه . وأما ما ذكرتم من أن من أمان على قتل مسلم ولو بشرط كله جاء يوم القيامة
 مكتوباً بين عينيه آيس من رجة الله هذه حجة عليكم لا علينا لأن ما سبقت في قتل أحد بسم الله ولا قتل
 من قتل الأباة القضاة وأهل العلم ان كان واعياً أنه اذا كان هذا يكون وعيداً في قتل الواحد فمالك
 عن ريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المنيب والالاف ونهب الاموال وكشف الحرم الى غير
 ذلك أما تعلم ان فتنة أبي محلي قد هلك بسببها من النفوس والاموال ما لا يحصى عدده ولا يستوفي نهايته
 كاتب ولكن كل ذلك على رقبته لانه هو التسبب الاول الفاعل ابواب الفتنة لانه كان يقتل كل من انتمى
 البناء حتى قتل بسببه في يوم واحد فكان واحد خمسمائة قتيل ولو لا أبو محلي ما قتلوا أو أعظم في حومة النفوس
 من هذا الذي قلت قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض
 فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ليس في قول التواق ما يمنع على
 السلطان وإنما هو في أصحاب الخطأ على الترتيب الذي كان على عهده من مثل أصحاب الشرط كما صاحب
 الشرطة الذي ينفذ أحكام القاضي وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الأحكام عن قاضي الحضرة وغير
 ذلك من الولايات ولا به أي محلي لا تمتد لآية حتى يعتبر عزله وما عده المواق وغيره وقضا عليه وعرفناه
 وتبيناه عن الاشياخ الجلة وعرفنا ما عده السافهة والخففة ودرسناه للترعة بعد التروة وسعت من ينطبق
 عليه قوله أنفق الناس على ما لم ينفعه الله بعمله وانكن لما نأمنح بقول المواق لغرضك وتجسد حجة
 ولم نجيبنا عن فيما كتبنا اليك في تونس اليومى وقد لك قال صلى الله عليه وسلم الحرم لا يجر عاصياً قال
 الا في وهذا يمنع به على أهل الزوايا وأضرمت عن الجواب وليس ذلك من أدب الجدل ولكن أخبرنا عن
 الوجه الذي منعت به تونس اليومى من الشرع فان متاعنا عهده وأما هل نفي دأره الى يوم الوقعة وترتب
 في ذمته للمسلمين من الاموال والعماء ما علمت فان كنت ممن يريد العدل فهذا عدل فيمحيى ثمنه انك
 لا ترجع جهته ولا تذهب بك النفس مذهبها لاجرم حيث نذكر عند ما تريد مع هذا المسكاز وجته
 وكتب لنا فيه اسر حنا هاسعة وصول خطابك من غير توقف فلو كنت عندنا بالجنس ما عشت هو بامام
 أهلى وأهل دارى على انى ما وردت شفاعتك منذ عرفك بشئ على ابراهيم بن يعزى في سر حنا
 لغرضك على انه ترتب في ذمته ما ينشأ على حسن ألف أوفية وذلك المال انما يقال به بيت مال المسلمين
 وانما كان يجب تخليده في السجن وأهل الحصن اخراجهم منه عن آخرهم وانفذتم كتابكم بردهم
 فاصار ذمهم عن آخرهم وابن يعقوب أو زال حاكم البلطوشة الخليفة تركاه على دارنا وحول من غير
 اذتنا ولا مشورتنا وبشأنه كانه فانفذت الكتاب فيه فرتلكه ما هو الامر الذى سافرت كتبك فيه
 ولا اسر عافيه خفاً وأما مسئلة أهل آرمور فلما جاء كتابك عز لنا صاحبه وسر حنا من كان عنده وردنا
 لنظير وقضية الجناشة الناس في شأنهم بالاجتهاد وقضية العرب اعلم ان العرب قد افسدوا الارض
 واستطالوا بسوء هذه البلايا والغرب والذي يليق بهم ما اتى به معصون في عرب افر قيسقوا العرب
 ولوطا لينا هم بجزء العشر مدة هذه الفتنة في المغرب لا في ذلك على أموالهم والناس قد خرجوا عن
 أطوارهم وأجروا الفتن طلب الراحة وانظر كتاب الاخادة كذا للقاضي واستظهر لهم فيه عليه في قضية
 شرعية مشروحة في رسمها التقديم على انهم أضف الناس فلو انظر ما صدر منهم في مالك بالعرب الذين
 خرجوا عن الطاعة ونسأوى الشيخ والخير في ذلك فان كنت تصحى لقالاتهم وساعتى مشواتهم والتمرض
 السلطان دونهم فبذات نفس خراب العالم وطالع كتاب صاحبنا من عند الراجحة وما صدر منهم لخطيكم
 ورأيت أن أقدم لك مقدمة أمام هذا وان كانت أدبية فيسأل ابن الزوى وهو على بن العباس لم تحصل
 كقول ابن العز

كان آذيرتنا • والنفس فيه عالة • مداهن من ذهب • فيها بعلنا عالة

الجناشة ككناوا يبيون
 أولاد المسلمين للتصاري

فأجاب بان قال لا يقدر ان يقول هو مثل قولي في وصف الرقاقة

ما أنس لأنس خبز امررت به • يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتي في كنفه كرة • وبين رؤيتها فوراً كالقصر
الاجسد لو مات سداح دائرة • في صفحة الماء يرى فيه بالبحر

وقال كل منا وصف أو اوى بنه ورب البيت أعلم بما فيه وأهل مكة أدرى بشهيم أو الصير في أعرف بنقد
الدينار وقصة الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقوله
العلام وأقامته الجدار والكليم رذيله في كل ذلك حتى أنباء الله بسر ما لم يعلم على ان علم الخضر في علم
موسى كحكمة ملقاة في فلاة هكذا قل بعض العلماء وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ومن
هنا جوز ابن عربي الخاتمي في بعض كتبه وأحسب أن ذلك في الفصوص ان الولي الذي يتقنه الله
ويصطفيه بحبته يطلمه على علم يطلع عليه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال مشير الى نفسه
أطلعني الله على علم يطلع عليه آدم فمن دونه واعلم ان السلطنة لها أسرار لا بد منها وسياسة يشكر ظاهرها
ولكن ترجع الى الغرض ومرا ذلك أخبرنا كيف يحب أن يسلك الناس في العرب فان كنت تحب أن يسلك
الناس فهم مسلك مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان والاسرار قاطعت وبلغت النهاية والله تعالى قد
بعث أنبياءه وأتمل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان وهذا يعرفه من خايط الشرائع والكتب للترلة وأخذ
العلم من أفواه الرجال وآدبته بحال العلم ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما أورد الناس في الخراج
أما ما بنوا عليه فرضه في صدر الاسلام وادول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته وما في المغرب خصوصاً
فاول من فرضه عبد المؤمن بن علي وجعله على أقطاع الارض بناء على أن المغرب فتح عنوة والبسه ذهب
بعض العلماء ومنهم من يقول أن السهل فتح عنوة والجبل فتح صلحاً فاذا تقرر هذه أو علمت ان أهل ذلك
العصر قديادوا واندثر واوبق السهل كله لو نال بيت المال نعين أن يكون الخراج فيه على ما يرضى
صاحب الارض وهو السلطان والجبل تتم معرفة ما كان الصلح عليه ولا سيول الى الوقوف عليه
فيرجع فيه الى الاجتهاد وقد اجتهدنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لاول الدولة الشريفة على
حسب وفق أئمة السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك المهد فخرى الامر على السنن القويم الى ان
هبت عواصف الفتنة لا يام ابن همام صاحب الجبل وادله مولانا الامام وصنوه المرحوم على حواضر
المغرب وسوله عند الخضر الاثر الك وامتنت به الفتنة في الجبل الى أن هلك مع النصاري في الغزوة
الشهيرة وجاء الله من مولانا المقدس بالجبل الماصم للاسلام من طوفان الاهوال فتقرر رضي الله عنه
الاشياء حق قدرها وراى أن المغرب تلك الفتن قد تفرقه لالتها مع عدوان عظيم ان التركة وعدو الدين
الطاغية فاضطر روجه الله الى الاستكثار من الاجناد لتقاومة العدو وللذب عن الدين وحماية تقور
الاسلام فعدا تضايف الاجناد الى تضايف العطاء وتضايف العطاء الى تضايف الخراج وتضايف
الخراج الى الاتخاف بالريسة والاتخاف بالريسة أمر يستكفر رضي الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في
سيرة عده طول أيامه فلم يمكن له حينئذ الا أن أمعن النظر روجه الله في أصل الخراج فوجد بين السعر الذي
بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبس الذي تعطيه الريعة منذ زمان الغرض وبين سعر الوقت أضمافا
حينئذ تخرى روجه الله العغل غير الريعة بين دفع كل شيء بوجهه ودفع ما يساو به بسعر الوقت فاختروا
السعر مخافة أن يطلع الى ما هو أكثر فاجابهم السيد رضي الله عنه وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد من
أهل الدين ولا من أهل السياسة لبث شعرى لوطيلنا نحن الريعة بسعر الوقت الذي طلع اليوم الى
أضماق مضاعفة ماذا تقولون وقد انتقدتم علينا ما هو أخف من ذلك والحاصل راجعوا رضي الله عنكم
ماعدد الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في ضرب الخراج فقد استوفى الكلام في ذلك وأما

ما تقضيه من الحب لتعطل أجور بقاءك فقص نراجع أقل منك ولكن كتابك كدمناه على قصة أهل
 آرمور فافضنا من أخرج الذي كان به وأقصاه عنه وشر من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع الخديم
 فحيثما أجبناكم بما وصلكم ونجيب الجواب فاعلم أن الذي يقتضي ذلك أمور منها أن يكون الأمر
 الذي ورد الخطاب فيه منكم ما سمعته ولا يلغني فتوجه البحث عنه والتمس عن أسبابه فربما أوجب
 ذلك البطء بحسب الأماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وبيان وإن كان عندنا خبر ما ورد فيه
 خطابكم فالجواب لا يتأخر وقد وقع هذا من غير مرة وتكون تعطيله منسوبة ما من الله به علينا من رجوعنا
 إلى سرير ملكنا واجتماعنا بسيرنا آمين أعلم أن أهل هذا المغرب استأثروا على وخرجت إلى المشرق
 والتقيت بالترك والارام والاسوف والسمت وطالبوني وخطبتهم فهم مشافهة ومنهم من أسأله وكنيت
 أيام مقامي في أرضهم كقاي على سرير ملكي لأن كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومروهم كان يشجع
 فضلي ويعد كفه ورغبة في نعمتي وأسبغت الجميع عطاه مترافع فله الزاد الذخيرة وترفعت عن مواساة
 الأماثل والاكار من الجهم والعرب ولا ركت لأحد بل تجودت بما قدرت عليه من الأخسية حتى جعلت
 محلة برماثا وخبيلها فترامت على الجهم بالرغبة وبسطوا الكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في
 جلهم وعرضوا على الأقطاعات السنية والبلادات الملوكية بلطف مقال وأدب خطاب حتى قال لي
 القبطان مراد رئيس المجاهدين وما مثلك يكون مع العرب هاشم نخدملك بما موالتا وأنفسنا وبما لنا من
 السفن حيث أردت وأجبت وما انضمت عنهم حتى كتبت لهم بخطي أني أحمل أهلي وحاشيتي وأرجع
 إليهم إلا أن تمكن لي الدخول في الملك والغلبة على البلاد أو بعضها وقتلت من عندهم ولم يتعلق بثوب
 عساق ما يشينه معهم ولا مع العرب ولا كان لأحد على منة ولا نعمة إلا فضل الله سبحانه وكان فضل الله
 علينا عظيما ثم اني دخلت محبلاسة على رعم أنف أهلها والهاومها دخلت السوم وجعلت ولي الله
 المعروف بأبي محمد عبد الله بن المبارك واسطة بيني وبين أخي حتى اجتمعت بأهلي ومالي ثم بعثت إلى الترك
 بأحد بكاشات اسمه مصطفى صولجي إلى السوم وأغيبني في أنجاز الوعد وخصت للسير إليهم فرأيت
 الأهل والاتباع قد علموا الأمر عليهم واستعظموا الخروج فأسفحت رغبتهم في المقام بالمغرب وشيعت
 الرسول قائلا إلى قومهم من محبلاسة عند الدخول الثاني لما ومنا إليه أهلها عليها وعزته برسول من عندي
 إليهم بشف وأموال ورد بها عليهم مع رسولهم ثم اني اقتضيت مراكنس على أهل فاس على كثرة عددهم
 وعددهم وقتي ففتح الله ثم خرجت إلى السوم مرة أخرى وأوقعت ولده مولاي أحمد الشريف وجوع
 مراكنس وقد تعصبوا عليه لأنهم شيعه جده ففضضته على رعمهم ونزلته بالسهل والحزن حتى أمكن الله
 منه وحكم بيني وبينه ثم نجح الفوى أو محلى وغلبت على الرأي وقد قال من هو أفضل مني مولانا على كرم
 الله وجهه لا رأي لمن لا يطاع ودخل هذه البلاد وخرجت أنا إلى السوم عريما فاجتمع قبائلنا في المكان
 الذي كان اجتماعهم فيه إلى أن بلغتهم وقصد إليهم أو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد أن اتخنوا فيسه بالقتل ثم
 وافيتهم فكان الحرب بيننا مجالا فهل سمعتم خلال هذه الأحوال اني احتجيت إلى أحد فيما قل أو جل
 وهذا كله بحيث لا يخفى عليك اللهم الآن نعتوا الوفاة التي وقدنا عليك من قبيل الاضطراب والاحتياج
 فلا أدري على اني ما قصدت لك المطلب دنيا لا في كنت أسمع ما أنت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال
 على طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غرو أن من كان هذا وصفه كان جديرا بان
 بقصد الدعاء لصلاح القلب ولا شك اننا نرندادك وحلفنا بك ذلك ولما وقع الاجتماع بك سرت المذاكرة
 في أبي محلى وغيره حتى كتبت الكتاب الذي علمنا عليه وها هو بخط يدك فان سئنا بعض ما فيه ولا فعلنا
 فآخبرنا به نستدرك وهذه مراكنس التي ذكرتم قد كتبت فيها كما ذكرتم ووقفت على عبد المؤمن بن
 سامي وعدته مرة أخرى في مرضه وهل قصده لطلب دنيا أو عرقته لاجلها ومحمد بن أبي عمر ولما وقفت

على المدرسة التي من بناء مولاي عبد الله وقت عليه في داره وكل ذلك انما فعله تأكيدا للمحبة وزيادة في
 المعرفة بالله ولو علمت أن ذلك بعد عيا ويظن أنه نوع من الاحتياج ما كنت والله لا تفعل على أحد ولو أنه
 على كني الدنيا بعد اذ هالان الكثير والشريد الفاعل المختار فهو أولى بالاضطرار اليه وأما سر في تاتر قوع
 قسطي يا من وأما من كان بالدار التي ذكرت فاعلم أنهم أهلي ومثروك أعماهي وهذه الدار التي ذكرت
 فهنا نحن ننقل عنها إلى بعض البلاد الغربية البصرية كما قلت ذلك مشافهة ساعة قلت لي ينبغي
 للشراف بنما الجبل لوقت ما وحكيت ذلك عن والدك وأما ما أخبركم به القاضي أيام ورودي إلى السوس
 وقت بلقي كتابكم الذي نصه قد اجتمعت أناس وفسدت النيات ونهضت المطامع وأردنا تدبيركم لأن الملوك
 أهل التدبير والمراد جو عبالا وكان من غير وصحة تلحق الجائنين فكلما جمل فهو عني والتزمته إلى الآن
 الا ما طرأ علينا فيه النسيان فذكر ونابها فانا لا نخرج عنه وأما بين المصنف وأي حلفت فيه للقائد عبد
 الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا أحلف لاحد إلى لقاء الله ما علمت أني حضرت بيعة الشيخ المأمون
 صاحب الغرب سامعه الله وحضر أولاد السلطان واستخفهم له إلا أن رضى الله عنه فانه قال فلان لا يحلف
 لا يحتاج اليه فيما أمر به من فعله وعظم ذلك على اخوتي وظهرت في وجوههم لاجله الكراهية ولكن
 الذي قلت لعبد الصادق أحلف لرباط فاني أوفي لك به ولا زلت على ذلك لأن الذي صكفت تقول في ذلك
 الوقت أخاف ان تقع في أهل مرا كش والا كابر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر ونحوها أما أهل
 مرا كش فما تضرعتنا لاحد منهم حتى تركنا متاعنا لاجلكم كولد المولوع وغيره وهذا الميدان والشعراء
 فابعت من رضىت ينادي فيهم من له حق علينا منعه منه ومن خدأى أيضا وان كنت سمعت قضية
 منصور المكارى فالمكارى نزل أهلنا في خيمته عند وقعة رأس العين فلما أرادوا الطلوع إلى الجبل تركوا
 أكثر ما هم في خيمته مع بعض الخدم خوفا من غائلة البربر لما كان وقع منهم لاهل بابا أبي فارس فاخذ
 سباطا من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية وكان أيام أبي حسون معه وفي جلته حتى مات القاتم فبذل خيمته
 بأخبار عشرين ألفا والباقي حتى يؤديه على سعة وطلب منا أن يتعمل ويتولى بعض الخطط ليتنفع ويجمع
 بعض ذلك فصر فشاء حتى أجازاه أبو محمدي ووقع ما وقع طال البناء بمتاعنا وهو لا يسمعه أنكره وهكذا عبد
 الكريم الذي في زاويتك بنفسه يعلم ان اخوته أخذوا إلى سلعة في وسط حلتهم وأناب ييوتهم تزيد على
 خمسين ألفا وأخذوا الأبل وهما نحن سكتنا عنهم ولا طال بناهم بها وأيضا قال لك أنظر ما فعل باخوتي
 وصرت تكتاتنا وأنت لا علم عندك باصل المسئلة وأما الاموال فان الله سبحانه قد وسع علينا من فضله
 وعندنا ما يكفي الخوامس والسادس من الولد وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا ولو أردت
 خجما ثمة ألف منقال من أصحاب أفلامك أو من أصحاب الانجليز وكنت اليهم في ذلك ما أنا فاني معته ولا
 لأذافيه بعمدرة وقد كفانا الله به والحمد لله على ذلك واعلم أن الظن فيك جيل ولولا ذلك ما أعطيت خمسة
 آلاف منقال وصحبت بالمال الذي حل اليكم ابن عبد الواسع أولا وسلعة السفن أخيرا وهذا كله تستدل
 على صفه السريرة وصالح النية والله سبحانه يعلم ذلك وأما الامتناع من عدم الأنة القول وحسن
 الخطاب فكما قال تعالى وقول للناس حسنوا انك لم تبلغ ولو نصف ما حاط به إلا ثمة رضوان الله عليهم
 أهل زمانهم اتكالا على علمنا بوحسبي نصع الفضيل بن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم فهذه
 المسئلة حسبي في الجواب منك انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة وهي دالة على براعة الرجل فها هو أبا
 وكال من وده وعلوه وحقه الله وغفر ذنوبه

﴿استبلا نصارى الاصبيول على المعمورة ونهوض أبي عبد الله العباسي لجهادهم﴾
 ﴿وانتفاض أندلس سلا على السلطان زيدان رجه الله﴾

قد قدمنا في أخبار الوطاسيين ما كان من استيلاء البرتقال على المعمورة السمسة اليوم بالمهدية ومقامهم
 بهاسنين قلائل ثم جلاهم عنها ثم استولى الاصبينول خذله الله في هذه المدة على العرايش كما مر طمعت
 نفسه الى الاستيلاء على غيرها وتفرز بها اختار أي أن المهدية أقرب اليها فبعث اليها الطاغية قبيس
 الثالث من جزيرة قادس تسعين مركباوية فانتروا اليها واستولوا عليها من غير قتال لفرار المسلمين الذين
 كانوا بها عنها هكذا في نواريج الفرج وهو قال شارح الزهرة كان نزول النصاري بمرسى الحلق سنة اثنتين
 وعشرين وألف وقبل سنة ثلاث وعشرين بعد هاتوا قيسل غير ذلك وكان عدو الله الاصبينول أراد أن يضمها
 الى العرائش لينضبط له ما بينهما من السواحل وتتقوى عساكره بها فحبيب الله ظننه ولقي من أهل
 الاسلام عرق القريه وكان أبو عبد الله العياشي بعد رجوعه من آرمور وسلامته من اغتيال فائز زيدان
 دخل سلافي نحو أربعين يوما لا زل ضرر بريح شيخه أبي محمد بن حسون وبات عنده فجاءه أهل سلاو ذكروا
 له ما هم فيه من الخوف من نصاري المعمورة وأن مسارحهم قد امتدت الى الغاية وأن النصاري ألفان
 من المائة سوى الفرس فامرهم بالتهيؤ بهم وهو في نشر الثاني ما نصه وهو في أوخر جادى الثانية سنة
 ثلاث وعشرين وألف أخذ النصاري للمهدية فكتب أهل سلا الى السلطان زيدان فبعث اليهم أبا عبد الله
 العياشي الذي كان مقدما بواو كاته على الجهاد بكالة وهو يقتضى أن يحجى العياشي الى سلا كان باذن
 السلطان لافرار منه والاول أصح اللهم الآن يكون بحيشه فإرا كان بعد هذا التاريج والله أعلم وأمر أبو
 عبد الله العياشي أهل سلا بالتهيؤ للفرز واتخاذ العدة فلم يجد عندهم الا نحو المائتين منها وكانت السنوات
 والفتن قد أضاعفتها فضعفهم على الزيادة والاستكثار منها فكان مبلغ عتقهم بملازمه هذه أربعمائة
 ثم مضى بهم الى المعمورة فصلافيهما من النصاري غرة فكانت فينه وبينهم حرب قريه الى ان غربت
 الشمس فقتل من النصاري زهاء أربعمائة ومن المسلمين مائتان وسبعون وهذه أول غزوة أوقعها في
 أرض الغرب بعد صدوره من ثغر آرمور ومنها أقصرت النصاري عن الخروج الى الغابة وضاق بهم الحال
 ثم أن السلطان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيدى محمد العياشي بسلا وسلامته من غدرة قائده
 السنوسى بعث الى قائده على عسكر الاندلس بخصبة سلا المعروف بالزعرورى وأمره باغتيااله والقبض
 عليه ففاوض الزعرورى أشياخ الاندلس في ذلك فاتفق رأيهم على أن يكون مع العياشي جماعة منهم عينا
 عليه وطمينة على نيته واستخبار الماهو طازم عليه وما هو طالب له فلازمه بعضهم وشعر العياشي بذلك
 فانتقبض عن الجهاد ولم يفته ثم ان الله أوقع النفرة بين السلطان زيدان وبين أهل الاندلس وذلك أن
 السلطان المذكور كان قد بعث قبل ذلك الى القائد الزعرورى أن يجهز الى درعة أربعمائة من اندلس
 سلافيهم هم اليها وطالبت غيبتهم ما فقرأ كثرهم ونفرت قلوبهم عن الزعرورى وسلطانه فكان زيدان
 يبعث الى أهل الاندلس بسلا بتجديد البعث الى درعة فبايون الانتقاد اليه في ذلك وكروهه وأزعجوا على
 خلق طاعته ثم وشوا اليه بقائده الزعرورى فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الاندلس
 داره وكتبوا الى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة ونفاقا فبعث اليهم مولاه وقائده المملوك بحجيا
 فكثرت بين أظهرهم مدة فلم يعزوا به وصاروا يهزؤون به ثم عدوا عليه فقتلوه فظهر منهم شق العصا على
 السلطان زيدان وأظلم الخويشنة وبينهم وبين أهل سلا فوضى لا والى عليهم وكثرت الهب وامتدت أيدي
 اللصوص الى المال والحريم وسيدى محمد العياشي ساكت لا يتكلم واستمر الحال على ذلك الى ان كان من
 أمره ما ذكره بعد هذا ان شاء الله

ثم انطلق الى خبر عبد الله بن الشيخ بغاس والثوار الغائبين بها وما تامل ذلك

قد قدمنا ما كان من قدوم السلطان زيدان الى فاس واسط سنة تسع عشرة وألف واستيلائه عليها

ثم خرج منها وارضاه عنها وعن أهلها إلى آخر دولته وكان عبد الله بن الشيخ حياة أبيه الشيخ تحت أمره
يصغي إليه ولا يقطع أمرادونه وقيل أنه خرج من طاعته سنة عشرين وألف ولما قتل أبوه ييلا دالمبط
كأمر استبدع الله هذا بغاس وما انضاف إليها على وهن وفشل ريح وكان غالب جنده من شرافة
وشرافة هؤلاء هم عرب بادية تلسان وما انضاف إليها وسواها تلك لأنهم في ناحية الشرق من المغرب
الاقصى فاهل تلسان وأهلها يسمون أهل المغرب الاقصى مغاربهم أهل المغرب الاقصى يسمون أهل
تلسان وأهلها مشاركة لكن العامة يخطون في هذه النسبة فيقولون شرافة فكان غالب جند عبد الله
من هؤلاء العرب ومن انضم اليهم فهم جاته وأنصاره ووجههم كان يعتصم حتى أعطاهم أجسة الناس
ودورهم فكان الرجل من أهل فاس يأتي بسنائه فيجد الأعرابي يضمنه في وسطه فيقول له أعطانيه
السلطان ومثوا أيديهم إلى حريم الناس ونهبوا الامواق وجاهروا بالفساد وأظهروا السكرفى الطرقات
واقصموا على الناس دورهم حتى إن امرأة كانت تطبخ خبزا وولادها رضيع عندها فاقصم عليها
الدار أحد شراكة فهوربت المرأة وأغلقت عليها مشربة لها فلم يقدر لها على شيء فأرودها على النزول فأبنت
فقال لها إن لم تنزلي وميت الولد في الطخيرة فمادت على الامتناع فرمى به فيه فاهوا إلا أن رأته ولدها في وسط
الطخيرة صاحوا وألقت بنفسه عليه فاندقت رقبته وأماتت فقاط الناس ذلك وأعظموه وقام رجل منهم
يقال له أبو الريح سليمان بن محمد الشريف الزرهوني محتسبا على شرافة وأعصوب عليه كثير من
الامة وقاموا بنصرته فقتل شرافة والتلسانيين بغاس حيث وجدوا وحكم السيف في رقابهم ونفاههم
عن فاس وجاها من اذابتهم وطهرها من رجسهم فاستحسن الناس أمره وأدعوا اليه وقال في المرأة
وفي يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الاول يعنى سنة عشرين وألف ثلث بغاس الشريف أبو الريح
سليمان بن محمد الزرهوني وعنده الفقيه أبو عبد الله محمد الطلي المعروف بالربوع وتبعه ما أهل فاس
بأجمعهم وأخرجوا من كان بها من جيش السلطان وقتلوا كثير منهم وجرت في ذلك خطوب آلت بعد
سنتين إلى انقطاع الملك بغاس وبقي الناس فوضى إلى الآن أه كلام المرأة وكان ابتداء أمر شرافة
واشتهاد شوكتهم سبعة وستة عشرة وألف كانوا اذالة على أهل فاس نازلين بقصة الطالعة وقصة أخرى
وبعض القنادى وقرب باب المسافرين إلى ان قام عليهم الشريف أبو الريح في التاريخ المتقدم وكان
عبد الله بن الشيخ يوم ثورة أبي الريح وقتل شرافة غائباً في سلا فلبى بلغه الخبر فقدم ورام أن يصلي بين
أهل فاس وبين شرافة وراودهم على ذلك فقالوا الا لا خفت تلك السنة سنة لا ثم أمر أبو الريح أهل
فاس بشراء العدة والنهي لقتال شرافة وخرج اليهم فاقتلوا خارج باب الجيسة فانهم من شرافة واستتب
أمر أبي الريح وسكنت أحوال المدينة وأمن الناس أما ما لم يهد من زمان السلطان الغالب بالله وفي يوم
الاربعاء رابع عشر جادى الثانية سنة عشرين وألف كانت وقعة بالقرب موضع خارج باب الفتوح وسببها
أن أهل فاس استغاث بهم الملائكة واستمر نحوهم على شرافة مكيدة وحيلة فخرجوا في يوم شديد الريح
وكن لهم شرافة بخولان وأغاروا عليهم بشفة فانهم من الناس وقتل من أهل فاس نحو الالفين وفي نفس
المنافى سبعة مائة فقط قال وجههم هلك بالعطش وغلبت الاوباء واضطربت المدينة وهاج الشر بسبب
ذلك فتم خروج أهل فاس مرة أخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزموه وأسرروه وبقي في أيديهم ففقوا
عن قتله وأطلقوه وذهبوا خائفين حتى دخل داره من فاس الجديد ولما قتل أبوه الشيخ سنة اثنتين
وعشرين كأمروا واتصل خبر مقتله بابنه عبد الله عزم على الاخذ بثأره من قاتليه أولاد أبي الليف وأزعم
المسير اليهم وواقعه على ذلك الشريف أبو الريح والفقيه الربوع وأصحابهم ما امتنعت العامة من
الذهاب معهم لأن الشيخ لم يبق له في نفوس المسلمين مودة حيث باع العرائش للنصارى فاجتمعت العامة
بجامع القرويين وقالوا لا نقبل سليمان ولا الربوع وجا صوا حيلة جرو الحش وانخذلوا رؤساء آخرين

فوقع بسبب ذلك شر عظيم أدى الى قتل الشريف مولاي ادريس بن أحمد الجعفي التونسي
وسبب ذلك ان منادى أبي الربيع مر نادى في السوق باستنفاذ الناس مع عبد الله بن الشيخ فقام اليه
الشريف مولاي ادريس وضر به بعضا وسبه فأقبل أبو الربيع ومن معه واقصموا على مولاي ادريس
دار القبطون وقتلوه على خصته ولما كان صباح القبر من الضد قام ولدمولاي ادريس وشكا ضيقه
لعماد فاس فأمروه بالصبر ثم التف عليه أهل العدو وقصدوا دار أبي الربيع ونالوه الحرب فخرجوا
مغلولين وقتل بعضهم والامر لله وحده ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وربع للتو كثرت الاموات
حتى ان صاحب المارستان أحصى من الاموات من عبد الله حتى من سنة اثنيتين وعشرين وألف
الى ربيع النبوي من السنة بعد هاربعة آلاف وستمائة وثربت أطراف المدينة وخلت المداشر ولم يبق
بلطة الا الوحوش وكثر النهب في القوافل ولما كان المحرم فاح سنة ست وعشرين وألف قبض الشريف
أبو الربيع على أربعة من كبار تراقه ثم قتلهم فوجم لها الطيرون وخاف الناس على المدينة ونفقوا الشريف
وعظم الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهرجة في كل مسجد من مساجد الخطبة بفاس وذلك
انه كان امام جامع القرويين ذات يوم يخطب والناس في حن المسجد فوقع شربو بمن المطر غريفا يندبر
من في الحصن الدخول الى تحت السقف فظن الناس ان أبو الربيع قد قصده فترافقه فاهزموا وخرجوا
من المسجد لايأوى أحد على أحد فبلغ الخبر الى أهل جامع الاندلس فاقصدوا بهم وبلغ الخبر الى أهل
الطالعة فكان كذلك وتتابعت الهزائم للمساجد وفي يوم السبت انطام من صفر سنة ست وعشرين
وألف قتل الشريف أبو الربيع غدرا في جنازة رجل ملطى خرج اليها فقتله الفقيه المربوع وقتل أباه
وأبناءه معه وستة من أصحابه ودفن مع والده بمسجد الجرف ولما قتل أبو الربيع بقيت فاس في يد المربوع
واعصم صوب عليه الطيرون واشتدت شوكة ثم قدم جمع من عسيرة أبي الربيع من زرهون وحاولوا
القتل بالمربوع ففطن بهم ووقع بينهم وبينهم قتال هلك فيه نحو مائة وثلاثين رجلا وسلم المربوع منها نحو وقال
صاحب معتدل اوىي لما قتل أبو الربيع الزرهوني قام أخوه مولاي أحمد بطلب بثاره وساق معه نحو
أربعمائة من الزرانة واقصم بهم فاس وقتلوا الفقيه المربوع وشيعته من الأتليين فالتف أهل فاس
على المربوع وقتلوا معه الشريفيدا واحدة فانهزم الشريف وقتل جل من معه وكذا يقبض عليه باليد
فقتلوه وضعت سيدي أحمد الشاوي ومعه نحو الثمانين من أصحابه فقبضهم الفقيه المربوع في جمع عظيم من
الأتليين واقصم عليهم المروضة فقتلوا الزرانة الى بيوت دار الشيخ فقبض عليهم المربوع بجندته وقتلهم
أجمعين ثم ان المربوع والأتليين جاؤا برجل يقال له عبد الرحمن الخنادي كان يتعبد بزهرهون فاستقر زموه
في جادي الأولى سنة سبع وعشرين وألف فوراموا أن يملكوه ويجمعوا عليه فازلوه مع أصحابه في روضة
الشيخ أبي الحسن على بن حرزهم واتصل الخبر بالقائد أحمد بن حميرة وزير عبد الله بن الشيخ فأتى وقتك
بأصحاب الرجل المذكور وولجأه الى ضريح الشيخ أبي حرزهم فرموه من طاق هنالك فقتلوه وسقط ميتا
على القبر وبطل أمره ولما سئم أهل فاس من الفتن وكثرة الحصار وضاق بهم الحال من غارات الاعراب
ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بفاس الجدي ونصروا وأظهروا المحبة له فخرج بهم غاية وتعالفت العامة
والخاصة على نصره والاذعان اليه فصنع عنهم وغفاهم عما سلفوا بهت وزيره الى المربوع بالامان
فلما آمن وخاف على نفسه وصهم مع الأتليين على قتال عبد الله وتهدأ له حتى لم تصل الصلوات الخمس
بالقرويين ثم ان القائد جوا بن عمرو وزير عبد الله أمر بان ينادى بامان الأتليين فقتل الطيرون عن المربوع
حيث شذ حتى لم يبق معه الا قليل ثم تبع اليه عبد الله بسبعته وخاتمه أمانا فلما آمن وقرئ لاي بني حسن
فاخذهم شيخهم سرحان وأتى به الى عبد الله فضاغته وعادت دولة عبد الله الى شيام واستتب أمره وتمهدت
له البلاد وذلك في جادي الأولى سنة سبع وعشرين وألف فجمع الجيوش وبعت بعض جنده لحصار

نطاوين وبعضهم لقبض الاغسل وبعث وزيره جوان عمر ومع المربوع لارجن موضع من جبال
الزيب فنذر المربوع بالوزير وقتله اعتمادا على كلام سمعه من عبد الله فقتض عبد الله وأمره أن ينفسه
ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع النبوي سنة ثمان وعشرين وألف قتل المربوع الطلي ونهبت داره وهو قال في
نشر المثنائي قتل عبد الله بن الشيخ وعلقه على البرج الجديد خارج باب السبع ثم أنزله ولعبت عليه خيله
ثم بعد أيام وظف عبد الله على اللطيين ثمانين ألفا فقتل عليهم أمره فاهربوا في كل وجه فأسقط عنهم
نصفها والله تعالى أعلم

خبر محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على أخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع في ذلك

وقال في شرح زهرة الشمارح كما رأى أهل بلاد حلب ما وقع من افتراق الكلمة وتوقد الفتنة بما جمعا محمد
ابن الشيخ المعروف بزغودة على ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وكان الذي قام بدعونه
الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن الأدرسي المحمدي التونسي المعروف
بأبنا ريسون وهي أم جده على تزيل تاجروت ويأبوه على الكتاب والسنة وعلى أحياء الحق وإماتة
الباطل فلما بلغ خبره أخاه عبد الله خرج لقتاله فالتقى الجمعان بوادي الطين واقتتلوا فأنزله عبد الله
وتقدم محمد إلى فاس فدخلها واستولى عليه في شعبان سنة ثمان وعشرين وألف وقضى على بعض عمال
عبد الله فقتلهم واستصفي أموالهم وفي آخر شعبان المذكور وقعت الحرب بينهما بمكة فأنزله محمد
ودخل عبد الله فاسا في مهل رمضان من السنة وأظهر العفون الخالص العام ثم قتل أهل فاس فأخذه
ابن شبيب وأخذوا حذرهم من عبد الله ثم وقع قتال بين أهل الطالعة وأهل فاس الجديد ودام أياما عديدة
حتى اصطلموا التاسع رجب من سنة تسع وعشرين وألف ثم أن عبد الله خرج لقتال أخيه محمد فوقع
المعركة بينهما بوادي هيت فأنزله محمد وقرى به إلى أن قتله ابن عمه كما سأل أن يشاء الله وفي يوم الجمعة
خامس ذي القعدة من سنة ألفين وثلاثين وألف قتل الفقيه العالم القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم
بعد أن نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد فقتلته الأصوص بسباب المدرسة العنانية وفي نشر المثنائي قتلته
اللطيين بالزبطانة لأنهم أتهموه بالميل إلى عبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل
العدوتين فقام ولم ير عبد الله في معاملة أهل فاس فتارة يميلون إليه وتارة يضررون عنه لفساد
سيرته وبيع طويته حتى كان قائده مأمي العلي بنهب الدور جهارا ويعطى عبد الله كل يوم على ذلك عشرة
آلاف مما ينهب من الناس من غير جريعة ولا ذنب وقام عليه بمكة أيضا رجل يقال له الشريف أعمار
وقام عليه بتطاوين المقدم أبو العباس أحمد النقيس ولم يبق في يده إلا فاس الجديد وأما فاس القديم
فتارة وتارة كما ذكرنا أنفالا نه استولى عليها الشريف أبو الزبيد والفقيه المربوع ولما قتل كما ذكرناه
أنفقا قام بفاس محمد بن سليمان الطلي المدعو الأقرب وعلي بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان وقام أحمد
ابن الأشهب مع ابن عبد الرحمن المذكور فوقع قتل وروب ثم قام الحاج علي سوسان وابن يعلى وتولى
أيضا بزور ومسهود بن عبد الله وغيرهم من الثوار وكانت فاس أيام هؤلاء على فرق وشيع لا يأمن
التاجر على نفسه إلا أن استجلبوا أحدهم هؤلاء ووقع من الفتن ما أعظم به جوف فاس ونبت أفعها العاطر
الانفاس وغلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كانت فاس
تضمحل ويضور سمها وحدث غير واحد من الثقات أنه لما دامت الحرب بين أهل العدوتين ولم يكن
لأهل الاندلس غلبة على اللطيين قال الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي لا يغلب أحد اللطيين
ماداموا ما غلب على قراءة الحزب الكبير للإمام الشاذلي رضي الله عنه وكانت طائفة من اللطيين
يقرونه كل صباح بزوايه سيدي رضوان الجنوي من عدوة اللطيين فسمع ذلك أهل عدوة الاندلس

فاستلوا على ابطال قراءة ذلك الحزب ان يعموا أحد فاحتمل على أولئك الذين يقرؤنه فاستضافهم قباوا
عنده جميعا في منزله فلما طلع الفجر أو كاد زعم ان مفتاح الدار قد سقط منه وتلف ولم يزل يعاني فقها إلى
ان طلعت الشمس فخرجوا ولم يقرؤ الحزب ذلك اليوم وأخبر أهل الاندلس بذلك فحماوا على أهل عدوة
الطليين فهمزموهم وتحكموا فيهم مع انهم كانوا لم يجدوا اليهم سيلا قبل ذلك ببركة حزب الشاذلي رضي
الله عنه **و** ذكر بعضهم **هـ** أن سبب هذه الفترة ما حكى أن عبد الله بن الشيخ عزم على التكنيل بأهل فاس
في بعض غلباته عليهم أيام خروجهم عليه فاستشفعوا اليه بالصالحين المجذوبين سمدي جلول بن الحاج
وسمدي مسعود الشراط وكانا من اللامية فلما وقفا بين يديه قال أما وجد أهل فاس شيئا غير هؤلاء
الخرائين في ثيابهم فغضب سمدي جلول وقال والله لا تصرف فيها يعني فاسا أحد أربعين سنة وانصرفا
فيقال ان عبد الله بن الشيخ انقلب معدته فخرج فاططه من فة أياما إلى ان أتى بالشيخين فاسترضاها
فكان أمر فاس **هـ** كما قال سمدي جلول لم يطأ طي رؤس أعيانها سلطان إلى ان جاء الله بالمولى الرشيد
ابن الشريف المصطفى رحمه الله كما سيأتي ولما كان يتصرف فيهار رؤساء أهل فاس الذين يسمونهم
السيباب قال البيهقي وهذه حكاية صحيحة سمعتها من غير واحد فاس ولخصها ما ذكرنا ولم يزل عبد الله
في محاربة أهل فاس القديم من سنة عشرين وألف إلى ان توفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان
سنة اثنتين وثلاثين وألف بسبب مرض اعتراه من اسرافه في الخير وادمانه عليه وكان لا يفارقه ليلا ولا
نهارا ويتعاطاه سرا وجهارا **و** قال في شرح زهرة الشماريح **هـ** ولما توفي عبد الله ولّى بعده أخوه عبد الملك
في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف ولم يزل مقتصر على ما كان قد صفا ل أخيه إلى ان توفي في ذي الحجة سنة
ست وثلاثين وألف **هـ** ومن آثار عبد الله بن الشيخ القبة التي على انحصه الكائنة أسفل المنارة التي بوسط
عين جامع القرويين فإنه لم يكن في القديم الا انحصه للمقالة لشارقي الجامع المذكور **هـ** غريسة **هـ** قال
البيهقي حدثني شيخنا الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد قال كان شيخ شيوخنا الفقيه الامام أبو عبد الله محمد بن
أحمد ميارة يقول ان أحمد بن الأشهب الذي تقدم ذكره قبل في التواريخ أخبره النبي صلى الله عليه وسلم قال
والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبير للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله اهـ وقيل ولد ابن
الأشهب أربع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين وألف قتل به علي بن سعد في جامع القرويين وهو في صلاة
العصر وقامت بسبب ذلك حرب بين أهل عدوة الاندلس والطليين وانتهت الساع التي بسوق القيسارية
وسوق العطارين وبنى الطليين الدرب الذي بباب العطارين واستمرت الحرب نحو ثمانية أيام ثم اصطلموا

و ثورته أبى ذكره بانه عبد المنعم بالسوس ومقالته لابي حسون السملالي **هـ**

و المعروف بابي دميعة على نار ودانت **هـ**

كان الفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحامشي ملارجع من مراکش إلى السوس
حسبا بمراد الله في طلب الملك وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وواديه وكان الم رابط
أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس أحمد بن موسى السملالي ويقال له أيضا
أبو حسون فظهر بالصقع السوسي عند فشل ريج السلطان زيدان به واستولى على نار ودانت وأعمالها
فلما نار الفقيه أبو زكريا سار إلى نار ودانت فقتل عليها وملكها من يد أبي حسون المذكور وبعد
أن وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة وكان القاضي بتار ودانت يومئذ الفقيه العالم أبو مهدي
عيسى بن عبد الرحمن السكاني وكان أبو زكريا قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافق عليه على ذلك ولم يساعده
على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب فغضب عليه الفقيه أبو زكريا حتى أمر بقتله
غيلة فبما قيل فخرج القاضي من المدينة خائفا يترب وذهب إلى مراکش فاستقر بها وعظم الله منته

وكتب الى أبذ كبريار ساله يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴾

يقول الفقير الشديد الحاجة الى راحة مولاه الغني به عن سواء السائيل منه التوفيق والطف في ظنه وماواه كاتبه عيسى بن عبد الرحمن السكاتي عفا الله عنه وسمح له الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الانبياء وأورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء والصلاة والسلام على من أكد أمر الصلح وقال الدين النصيحة فقبل لي يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم والرضاعن آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى وقوع القصاص بين الخليفة وبعدائي لما قتلت بحمد الله بسلامة وعافية الى جبلي وجدت أهلي وأولادي مستوحشين من البادية وإن كانت محمل سني ومقر تلادي بعد أن ألقوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانوا أحق بها وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالأولاد فقد كنت قول بعض فقهاء الأندلس عن نابه محشل مائتي وأصابه مثل ما أصابي

أليس من القبيح مقام منسلي * بدوا الحسف منكسف الجبال

أخاطب أهل سائمة وسرح * وأرتع بين راعي سائمة الجبال

فأجبت فكري وإن كان الكل بقدر الله وادته فرأيت أن ذلك وفي القضاء لطف أمر انتبه كالأينقي على ذي بصيرة ما حل بالغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياطين الانس والجن بقوى العقول منهم فصار وأخر بابا وفرقا فتبع كل طائفة من هواها ما كانت تعبد حتى أذاع عرض لعاقل أو عرض عليه منهم الاقلاخ بادره الشياطين فسدوا عليه ما به واروه باغوائهم وزينوا له أن ذلك يشينه لدى السامة ويرجبه السقوط من أعين الناس مع أنه لا بعدهم من السقوط إلا الوساوس الخناس التي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وأين يغيب عن الموفق أن السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى وأين غاب عنه أن العبرة بكاتب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام المهجج الرعاع عن لا يزال الشيطان يلعب به أخذ بزمامه ما كنا على قلبه ولسانه وأين يغيب عنه من كتاب الله فأما من طغى وأثر الجاهلية الذي كان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فقلت أنا لله وأنا البهرا جئون هذه مصيبة عظيمة نزلت بغرنا فترق ملاهم وقتل سر وانهم وانتبهت أموالهم وهتك سرهم ومزقت أعراضهم وضبت أديانهم واختلت وبعدت عن التوفيق آراؤهم وكادت تطمع بل طمعت فيهم أعداؤهم اللهم يا ذا الطول والامتنان يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام تدركنا بالظلمة الخفية في ديننا ودنيانا ما طالق الأرض والسماء فأن قلت في ما ذكرته من أن غر وجل من الحواضر الى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة كاقصه من يقتدى به من العبادة رضي الله عنهم قبيح صريح وما دليك على التلاعب في ما توجه أئمة العصاح من منع الخروج على الأئمة وإن الواجب في حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب إذ غائلة الجور وإن تفاش أقل بكثير من غائلة الخروج الذي يترتب عليه فساد المهج والاموال والأعراض والأديان وهتك الحرم ولهذا صبر على الخجاج من علماء العبادة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالي الأديان وعبادته مغتني الزمان وتذكر قابا المهدي من قدم بالمرباط أبي محلي كان في قطره عالي الصيت يقصدون بتركه بوي معتد فيه أنه قطب زمانه ببلغه الحال الى أن سولت نفسه أو سول لها أنه يصلح به المصلح بغيره من أهل الزمان فقام وأعانه عليه قوم آخرون حتى ملا الدنيا صبا وادعاوى وعماطاً وكذب لا يشهد لها عقل ولا نقل

فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده قتل ونهب وسب واغتاب وحل نفسه ما لا تطيقه فاستهوت به
 شياطين الانس والجن والنفس والهوى ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سمعه على طائل وآفة الغفلة عن
 الكتاب والسنة والرضا عن النفس حتى انه حكمها فصار تلعب به الى ان فاه واتى بدعاوى استيعبها
 ما كان معصوما من دمه وهلكت بعده بسببه نفوس ومال وغير ذلك ايشك من ارض الكتاب
 والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حله عليه من تعجب مخالفة من الشيطان والنفس والهوى
 وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابتلى به أو قلده تقليدا رديا في فعله فان توليت فلما عليك
 اثم الاريسين والى الان كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع انه يجزل من الكتاب والسنة
 فان قلت في هذه طائفة الفقهاء ما بين متعصب منحرب ومختل متصيد ومتسور على ما استأثر به
 الباري من الصيوب من تركب لالا نام مصر على الصيوب فان قلت في هذه طائفة الفقهاء ما
 ما تقدم وزادات تضيق عن الاطاعة السطور والطروس قد بدت اثار العياذ بالله الفتن وشردها
 ما تنفوقه من المحن بانث العلوم واضلعت الفهوم وتعللت الرسوم فلا منطوق يذكروا مفهوم
 هذا الزمان الذي كنا نحاذره • في قول كعب وفي قول ابن مسعود

قلت في هذا الشيخ اوزكرياه وهو الذي يساق الى نصحه الحديث كانه تنسقي به ونستفي وكانت
 تشد اليه الرحال ولا يأنف من اتياه النساء والرجال قد آتته من اقطار منبرنا الوفود ودانت له
 الذئاب والاسود وكان يعلم الجمال ويهدى الضلال ويطمع الجائع ويكسو العريان ويعين ذا الحاجة
 ويثبت اللهاق وهي سبل بالهامن سبل وطريقة ما احسنها من طريقة ثم صارت تلك الجوارح وكان
 امر الله قدرا مقدورا ايدي سبا وتلاشت شذو مدبرها لمن بنا ايم الشيخ اكرمك الله بتسديده أو تعبد
 في الوجود ملكا اعظم من ذلك الملك قطلبه أو سلطانا وازيه أو يقاربه فتعاوله أين خفي عليك الشيء
 وهو ضروري أم ابن ضلت عنك النصوص من الكتاب والسنة وأنت منقول معقول ألم يأن
 للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق لعل الله أكبر من مقتكم أنفسكم ولن أنفن
 الكلام الى الله أن يقول الرجل للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك هو طرف من حديث خرجته النساء
 قد وعظمتك وذكرك ان نعت لا ذكرى قال جل من قاتل وذكرك ان الذي ترفع المؤمنين

قلت من التعجب لبت شعري • أيقاظ أمسية أم نيام

فان قال شيطان من شياطين الانس والجن هذا ما أرى به وجه الله قلت الله الموعدا بما كن والظن فان
 الظن أ كذب الحديث وستقولون بكم فيساكم عن أعمالكم وان خطر هذا وهجم بقلب الشيخ اكرم
 الله والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم قلت أدل دليل على اني قصدت محض النصيحة هو انه
 استعصني على دفاع أي محلي شعته وقلت له ان هذا لا نستقيم معه للامانة فكأنه ما قبل فانفصلت عنه
 وهو يقول استخري الله فكاتبته بان لا يفعل ثم لما نزل وكان على باب الغرور من نار ودانت خلوت به فقلت
 له اذالك ان الناس يقولون كذا وكذا لوعزته اذالك بعازته من أبناء الزمان فجعلنا في رمة الى الان
 اتخيل حرا وتبرأ من كل مليقال ومازلت على المتع الى ان جاءت كرا ريس من قبل أي محلي قتلتها
 فوجدتها مشغلة على كبريات في جزئيات فحينئذ شرح الله صدرى لباحة دفاعه ثم وان قلت ذلك فتعصبى
 أمره ولا أقول في نفسي ما كان يقوله محضون في قضية ابن أبي الجواد مالي وله الشرع قتله ولو قلت أو
 غشيت لغشيت في قضية ذلك الرجل وزينت قتله أولا لان ذلك هو مقتضى التعصب للامير واذ لم
 أتعصب اذالك فكيف أستعصم الا أن تعين اني نصحت لكم ان قلمكم والاكفقال تعالى عن بني من
 انبيائه ولكن لا تحبون لنا نصيح انشدك الله الذي باقته تقوم السموات والارض أما قلت لك بعد
 رجوعي العام الاول من مهاكش بل للذي قبله أن الصدور لا يحسن وصريحه ولو حبت بان شق العصا

لا يعمل غير مرة وما كفا في القول الدال على ذلك إلى أن زدت الفعل بالخرج من مدينة لا يبعثها كما قال
قوله ما فارقته عن قل لها * واني بشطى جانيها العارف

ورضيت بالبادية مع جفائها إقرارا من القنن وعمل بقوله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال الرجل
غنما يتبع به سف الجبال ومواقع القطر يقر بدينه من القنن ثم بعد فعل هذا كله نصحت فلم أفلح وناؤا
فأفلحوا وعدوا على من القبايح طاعتى للارعة مع انك يوم جاء إلى دارك قلت لهم هذا أميركم ونحن لا نشك
الملك من المتعبرين في مغربنا وإن يبعثك لاحد لازمة لنا وكذلك حين ذهبت إلى مراكنش في وقعة أبي
محلى قد أراد أهل مراكنش فليت وأبجت البلاد لحدم الأمير وقلت لهم أنه الأمير وفهمه الناس عنك
بلسان الحال ولسان المقال ونصروه وجرى منك ومسمع أقتشك بعد ان كان منك هذا انك مبايع وأنت
قدوة وإذا كان هذا فإني بحجة لك على الأمير ولا على الأمورين فمن زيك قتاله فقد غشك اذ هو مسلم وابن
مسلمين فان قلت موافقتي مشروطة بشرط لم يوف لي بها قلت هب انه لم يوف بك أقتستبج قتاله
لاجل ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار
الحديث فيالله أيها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وأنت طاره وما تقول فيما انتهب أو عسى أن ينتهب من
أموال الناس وأخذ بغير حق وأنت في سبيل الطاعات والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا يعمل مال
أمرى مسلم الا عن طيب نفس أو ما تستحي من ربك يوم تسأل عن النقيض والقطمير ولست عن خفي عليه
ذلك كله فتعذر عند المخلوقين أو ما علمت أن كثيرا من العوام يعتقدون ذلك اذ أراك تركت بكتبه فتكون
قد سئنت هذه السنة فوض بسبب ذلك كثيرا من الناس أو ما خشيت دعوة الظالم التي ما بينا وبين الله
حجاب أو ما كنت تهمير من تركك مثل ذلك من الولاة وتأسف عليه لانه رأى أخاك المؤمن الحديث

لانه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

أما انتبهت لما وقع لأهل درعة من التهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحرم ان دماءكم وأموالكم
وأعراضكم عليكم حرام الحديث وقد أنا السوال من قبل الشيخ عن صنع سكانه ذلك ولم يستطع اذالك
من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزير نظر إلى ما آل إليه الحال في أهل درعة مع ان جلهم حلة القرآن
وعامتهم بله وأكثر أهل الجنة البلبه أفليق بحق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرجهم ولا تترج الرجة
الامن قلب شقي اغار حرم الله من عباده الرجاء من لا يرحم لا يرحم أرجوا من في الأرض يرجكم من في
السماء أو نسيت أنه يقتضى للجماء من القرناء وأن الظلم الذي لا تركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض أفي
علمك ان حسناتك تفي بما عليك من التباعات أو أنه لا تباعة لاحد عليك ولو كنت بدو بالاحتمل أن يقال
في شأنك ما قاله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم أو كما قال عليه السلام والظلم ظلمات يوم القيامة أو تستطيع أن تقصم ظلمات الصراط وأنت
مسؤول عن القيراط وحتى أهل نادر وأنت بلغنا أنه لم يفت في شأنهم الترويح بل بلغ بهم الحال والجور إلى
التقريب فائق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له اتق الله أخذته الغرة بالأنه هذا ما يتعلق ببعض
حقوق الناس على العموم ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص انك أخذت عليه أن يؤثى الطاعة للأمير
وبرحى ما هو من شيم المؤمنين من حسن المهد والتبري من الخدوش والعصا بعد ان بذل وسعه في نصحتك
نصح الأمير وحاول بكتيبته على جمع الكلمة وتعب في ذلك واتهم فيه عقبات لا يقطعها الا بالزل ولا
سبيل اليه المثل يكون في دينه وعمله مثلي عن هونزل

لعمري أيك ما نصب المعلى * إلى كرم وفي الدنيا كرم

ولا تكن البالد اذا اقشعرت * وصوح ينبت عرى المشيم

اذ اغاب ملاح السفينة فارقت * به الريح هو جاد برتم الضفادع

ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كانه ليس من شرط تغير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير
 لان هذه طاعة وتلك أخرى والتوفيق بيد الله سبحانه نعم بلغني مع ذلك وزعم لي به أنك مع بذل النصيحة لك
 وللأمير أصح الله الجميع وأصلح ذات بينهم أحضنت على بالصدق قولك لصيتي والرجوع اليهم رعاية لما
 يجب ويندب من حقوقهم وهل هذا الحكم الهوى والشيطان أعندك ما تستطيع به ذلك مع أني والحمد لله
 أيضا كنت لأسعى في مصلحة جهد الاستطاعة أو بث نصيحة حين لا أرى من بينهما أو أمانة ملهوف
 حين تجب أمانته لن يسطت إلى يدك لتقتلني الآية ولكن الله عز وجل يقول ولا يحقيق المكر السيئ
 إلا بأهله وفي التوراة من خضر حفرة فلبسوها ولا تحضرن بئرا تريد بها أنا فابن وجدت ما يسوغ لك
 ارتكاب مثل هذا قولاً أو فعلاً أو إشارة أو تصرفاً أو نوايحاً أو أي حيلة تازی هذه الجريمة أو كبيرة من
 الآثام أكبر منها والله الموعود وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهذا السعاية المعصية بسوء إلى عن
 دفاع سكانها أن يجردون ما وجب إباحتها أين غاب عنكم انهم من الكفار وأين غاب عنكم قوله صلى الله
 عليه وسلم إن الرجل ليستكمل بالكلمة يمويهم في النار سبعين خريفاً هذا من أخلاق المؤمنين والصلحين
 وأنت من بيت الصلاح ما كان جديك رضى مثل هذا وما كان أبوك أمراً سوء وهذا والله أعلم نتيجة
 قرناه سوء ولا تصعب من لا ينضك حاله ولا يدلك على الله مقالته والى هذا ينتهي حق النصيحة أعني
 بذل النصيحة إن الله يسأل عن محبة ساعة ونحن محبتنا واعتقدناك ونعشناك ووعظناك انصرناك
 ظالمنا أو مظلوماً فنصرناك بالرد إلى الجادة أين أنت من مولانا الحسن بن علي الذي تخطى عن الأمر لابن عمه
 معاوية مع انه هاشمي علوي فاطمي أحدي بيماتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية أموي يجمعهما
 عبد مناف فتخطى عن الامارة مع انه امام وابن امام وأصلح الله به وهو سيد دين اثنين عظيمين من المسلمين
 بعد ان كان يقبب بامير المؤمنين فقال له بعض أصحابه اذ سلم عليه يا عار المؤمنين فبكثرت بذلك وقال النار
 أشد من العار ألحمتنا الله ويا كم رشداً أفسدنا وجهنا ويا كم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
 انتهى ولم يزل الفقيه أبوزكرياء مصعباً على طلب جمع الكلمة إلى أن اخترته المنية وهو قال صاحب
 الفوائد ما صورته في مقام الشيخ أبوزكرياء بجمع الكلمة والنظر في مصالح الامة واستمر به علاج ذلك
 إلى أن توفي ولم يتم له أمر انتهى وكانت وفاته ليلة الخميس سادس جادى الثانية من سنة خمس وثلاثين
 وألف بقصبة نار ودانت وجل من الغد إلى رباط ولله فدفن بجنبه رجه الله

بقية أخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله

قد ذكر المؤرخ لويز البرتقالى في كتابه الموضوع في أخبار الجديدة شيئا من أخبار السلطان زيدان
 رحمه الله فقال كان السلطان زيدان صاحب مرا كس مسالماً لنا كافاً عن حربنا وكانت القبائل تغتات
 عليه في غزواته فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا وكان هو أيضاً معهم في شدة ومكابدة من أجل أعور جاجهم
 عليه ثم ذكر أن من جملة من غزاهم في دولته السيد سعيد الدكالى فقلت هو وأظنه والد السيد اسمعيل
 صاحب الزاوية المشهورة بالادد كالة قال قهض سعيد بجمال وغيره واستعاض للسلام وسار إلى الجبل
 الأخضر وغيره فجمع الجموع نحو ثمانى عشر ألفاً ورحلهم إلى الجديدة وواقفه على ذلك قائد آرمور
 وبعض أشياخ الشاوية وكانوا في نحو مائتين وخمسين من الخيل ورائع النصرارى منهم وخافوا خوفاً
 شديداً وأمرهم قائد هب إلى الجبل في حراسة الأسوار والأتخاب وان يسد أبواب الجديدة ولا يقصروا منه إلا
 خوخته وما صرهم المسلمون ثلاثاً ثم قضى الله وفاة السيد سعيد فاقترب ذلك الجمع قال لو زمان أسفا على
 ما فاتنا من القتل بالنصارى كما يحب وفي سنة أربع وثلاثين وألف خرج السلطان زيدان من
 مرا كس وقصد ناحية آرمور ولما انتهى إلى الموضع المعروف بام غرم من بلاد كالة حل إليه نصرارى

الجديدة هدية نفيسة ثم قدم ثمراً زمو في شعور أربعين ألفاً من الخيل على ما زعم لوزير ودخل البلد
وأخرج أهل آرمو رعدة مدافع من البارود فراح به ولما سمع نصارى الجديدة بذلك أخرجوا مدافعهم
أيضاً فراح بالسلطان وأديامعه في سنة ست وثلاثين وألف في ثار على السلطان زيدان الفقير إبراهيم
كانت هكذا أسماء لوزير ولم أدر من هو قال في خامس عشر من دجنبر من السنة ثواقب جيش الثائر
الذكور مع جيش السلطان للمحرب بلاد كالة وكان جيش السلطان يومئذ ألفاً وخمسة مائة فقط وحمل
على مقدمته ابنه عبد الملك فنهزم إبراهيم وقتل وقتل جماعة كثيرة من أصحابه وقبض على ولده فلكنه
السلطان مع عدد واقر من رؤس أصحابه إلى مرا كش وأخرج نصارى الجديدة للمدافع أيضاً فراح به هذا
الخير فبعت إليهم السلطان زيدان بخرس أجر لقاء دهم كراماله وكتب إليهم بكتاب تلويحهم سادس
رمضان سنة ست وثلاثين وألف مكافأة لهم على أديهم معه انتهى كلام لوزير في وقال اليفري في رحمه الله في
كان السلطان زيدان من لدن مات أبوه المنصور وبيع هو بفاس في محاربة مع أخوته وأبنائهم ومقاتلة
مع القاتلين عليه من الثوار الذين تقدم ذكر بعضهم ولم يحل قط في سنة من سني دولته من هزيمة عليه أو
وفية بأصحابه ووقفت بينه وبين أخوته معارك شتى لها الوليد وكان ذلك سبب خلاء المغرب وخصوصاً
مدينة مرا كش وعماعته من شخص زيدان واستدل به على قتل ربيعة أنه في بعض الوقائع بحث كاتبه
عبد العزيز بن محمد النخعي بعشرة قناطير من الذهب إلى صاحب القسطنطينية العظمى وطلب منه أن
يغذي بعض أجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازي فجهزه السلطان العثماني اثني عشر ألفاً من جيش
الترك وركبوا البحر فلما توسطوه غرقوا جميعاً ولم ينج منهم إلا عراب واحد فيه شرذمة قليلة في وقال
منويل في ان قرايين الاصبينول غنم في بعض الايام مر بها السلطان زيدان فيه اثناث نفيسة من جللتها
ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والادب والفلسفة وغير ذلك في وقال اليفري في وكان زيدان غير متوقف
في الدماء ولا مبال بالعظام في وقت في وهو مخالف لما ذكره زيدان في رسالته التي خاطبهم ابارك ربه
المتقدمة من انه ماسي في قتل احد الاقوى اهل العلم والظن زيدان انه ما قال ذلك الا عن صدق والا
شئ البعيد ان يغفر على خصمه ويدي بتي هو متصف بصفته وكان زيدان فقها شاركا متضلعا في العلوم
وله تفسير على القرآن العظيم اعتماد فيه على ابن عطية والزمخشري في وقال اليفري في وكان كثير المراء
والجدال كلوقع له مع الشيخ أبي العباس الصومعي في وقت في الذي وقع له مع الصومعي هو انه لما ألف كتابه
الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى رضى الله عنه وسماه الغزى بضم الميم وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول
من الرابح عارضه زيدان وهو يومئذ تادلا والباعليهما من قبل ابيه بانه لم يسمع الرابح من هذه المادة
واختار طالب العرب عزاه بعزوه ثلاثيا فأصرأ أبو العباس رحمه الله على رأيه الى ان لطمه زيدان على وجهه
بالنعل فشكاه الى المنصور فقال له لولطمتك وهو الخطي لعاقبته اما اذ كان الصواب معه فلا في وقت في
كان زيدان يومئذ في عنفوان الشيبه تصدر منه ماصد

فان بك عامر قال جهلا • فان مظنة الجهل الشباب

ومع ذلك فما كان من حقه أن يفعل وأظن أن اتسكس رابته سائر أيامه انما هو أثر من آثار تلك اللطمة
فان الله تعالى غيره على المنسيين الى جنبه العظيم وان كانوا مقصرين فبأنه سبحانه أن يبيند ما لورد الشقاء
وبسلك بنامسالك الرقي في القضاء واللسان زيدان شر لا بأس به منته قوله

فتنتساو الف وحدود • وعيون مدحجات رفود

ووجوه تبارك الله فيها • وشعور على المناكب سود

أهلكتنا الملاح وهي ظباء • وخضعنا لها ونحن أسود

في وقوله في

مرويت بغير هامة وسط روضة • عليه من التوار مثل الخمارق
 قتلن هذا فقالوا بيلة • ترحم عليه انه قبر عاشق
 وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتهم سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الاشراق
 قبلي جامع للتصور من قصبة مصر كش وعما نقش على رخامة قبره قول القائل

هذا ضريح منه • تقطر الخمارق زيدان سبط أجد • مبتكر الماسر
 حامى جى الدين بك غل ذابل وبتر أجل من خاض الوغاه والأعادي قاهر
 لازال صوب رجة الله عليه ماطر ومن شذا رضوانه • فحمة كل عاطر
 أرح وفاة من غدا • جاز الرب غافر بمقد الصدق علا • أبو المعالي الناصر

ووزر لوه الباشا محمود ويحيى آجانا الوريكي وغيرها وكتابه عبد العزيز الفشتاني كاتب أبيه وعبد
 العزيز بن محمد النخعي وغيرها وقضائه أبو عبد الله الجرجاني وغيره وترك عدة أولاد منهم عبد الملك
 والوليد ومحمد الشيخ وهؤلاء ولوا الامر بعده وأجدو غيرهم رحم الله الجميع

في الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان زيدان رحمه الله في التاريخ المتقدم يبيع بعده ابنه عبد الملك ولما تمت البيعة ثار عليه
 أنخواه الوليد وأجدو فوعدت بينه وبينهم ما عاروا وروا إلى أن هزمهم ما واستولى على ما كان يدهم من
 العدة والذخيرة وقتل أحد إلى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة الخامس والعشرين من صفر بعد
 وفاة أبيه بستة وأربعين يوما فاقسم بسمه السلطان وضرب سكته وفي ثالث عشر شوال من السنة عدا
 على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بر عودة فقتله غدرا بالقصة ولما كان الحادي عشر من ذي الحجة سنة
 سبع وثلاثين وألف أخذ أحد المذكورين فباس الجديد على يد فادهم عبور باها وبقى مصبونا
 سبع سنين ثم خرج من السجن مستغيا بين نساء في سابع رجب سنة أربع وأربعين وألف وأعلن
 العامة بصره ولم يتم له أمر ثم توفي قتيلا في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وألف
 روى برصاصة من بعض العامة فكان منها حنقه وذلك فباس الجديد ولم يتم له أمر

في ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة أكبر عصره له على الجهاد والقيام بالحق

قد تقدم لنا انتفاض أندلس سلا على السلطان زيدان وقتلهم مولاه عجميا فبقيت سلا فوضى لا والى بها
 فكثر النهاب وانتدب إلى الصوص إلى المال والحرم وسيدى محمد العياشي ساكت لا يتكلم وكثرت
 الشكايات من التجار والمسافرين بخافة السبل وقطع الطرقات فاهرع الناس إلى أبي عبد الله المذكور
 من كل جانب وكثر وفوده وأشرقت في الجوا السلاوى أنواره فتمتع عن ساعدا الجند وأظهر الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر ولما طالبه الناس بالتقدم عليهم والنظر في مصالح المسلمين وأمر رجحاهم
 مع عدوهم أمر أشياخ القبائل وأعيانها من عرب وبربر رؤساء الأمصار أن يضعوا خطوطهم في ظهير
 بانهم رضوه وفتحوه على أنفسهم والتموا طاعته وأن أي قبيلة خرجت عن أمره كانوا معه يد واحدة
 على مقاتلتها حتى تفي إلى أمر الله فاعطوا بذلك خطوطهم في ظهير وانهم رضوه وفتحوه على أنفسهم
 ووافق على ذلك قضاء الوقت وفتحها ثم من تأسنا إلى تازي وكان الحامل له على طلب ذلك منهم أنه بلغه
 عن بعض طلبه الوقت أنه قال لا يحل الجهاد الامع الا مرفعل ذلك خروجا من تلك الادعوى الواهية
 والافتد كتب له علماء الوقت كالامام أبي محمد عبد الواحد بن عاشر والامام أبي اسحق ابراهيم الكلالي
 بضم الكاف المعقودة والامام أبي عبد الله محمد العربي الفاسي وغيرهم بأن مقاتلة العدو والكفر لا تتوقف

على وجود السلطان وانما اجاعة المسلمين تقوم مقامه ولما اكل امره وبايعه الناس على اعلاء كلمة الله
ورد الظلم عن ضعفه الاثم ضاق الامر على عرب الغرب لا عتيد لهم القصاد وعدم الوازع ومحبتهم
الخلاف والفتنة فنكت بعته جاعة منهم وكان عن نكت الناصرين الزبير في لمة من شراكه فقتلهم
أبو عبد الله حتى ظفروهم ثم غفغفهم ونكت أيضا الطاغى بالناء بدل الطلبة في اسماهم مع جوعه أولاد
سبيهم فقتلهم وعفغفهم وكذلك عرب الحباينة طغوا على أهل فاس وعاقوا خلل تلك البلاد باغراء ولد
السلطان زيدان فقاتلهم أبو عبد الله فكانت الدبرة عليهم وناب على يده جماعة من رؤساء شراكه الذين
كانوا مع الحباينة وكانت عاقبة كل من بنى عليه خسروا وكان أهل سلا قتلوا من نصارى المعمورة
مضرة وشدة فلما اجتمعت الحكمة على أبي عبد الله العباسي ورد الله كيد من نكت في نخره كان أول
ما بدأ به أنه تنهاى الخروج الى خلق المعمورة واستعد لقتاله ومنزلة من فيه من النصارى طمعا في قتله
فيستوى المسلمون بذخاؤه وكان المسلمون قد حاصروه قبل ذلك فلم يقدر وامنه على شيء وصعب عليهم
أمره وكان أبو عبد الله اذا أراد الله أن يظفروهم بغنمة رأى في منامه أنه يسوق خنازير وأضواها ولما سار
بجمع موعه الى الخلق ونزل عليه رأى قطعتين من الخنازير معها عنوز فكان من قضاء الله وصنعه أنه
في صبيحة تلك الليلة قدمت أغرب من سفن النصارى بقصد الدخول الى الخلق فضيق عليهم رماة المسلمين
الذين بالبحر قد فارادوا أن يضر فوالى البحر فذهبهم البحر الى ساحل الرمل هناك فتمكن المسلمون منهم
وقتلوا سبوا ووجدوا في الاغربة نساء ثلاثمائة أسير من المسلمين فأعتقهم الله وأسرى بعضه من النصارى
أكثر من ثلاثمائة وقتل منهم أكثر من مائتين وظفر المسلمون بقطان من عظمائهم فهدى به الرئيس طابق
رئيس أهل الجزائر وكان عندهم محبوبا في قصص من حديد واستقامت الامور لابي عبد الله العباسي
بسلا وبني داره داخل باب المنطقة منها وبني برجين على ساحل مرسى العدوتين من ناحية سلا واما
المر وفان اليوم بالبتاتين ثم كانت غزوة الخلق الكبرى وكان من خبرها أن جيش أهل فاس خرجوا
بقصد الجهاد فقتلوا ليوضع يعرف بعين السبع وكنوا فيه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج النصارى
الى تلك الجهات على غرة فظفر بهم المسلمون وكان النصارى لما خرج جيش أهل فاس أعلمهم بذلك مسلم
عندهم هم تدافعوا طغوا سلما واطعوا الى سلا بقصد سبيها والتجسس لهم على الخبر فاختدوا قتل وعمت عليهم
الانباء اذ كانوا ينتظرون من يرد عليهم فيمضوهم ولما أبطأ عليهم خرجوا فلم يدروا الا بالليل قد أحاطت
بهم وقتل منهم نحو الستمائة ولم ينج الا القليل حتى لم يبق في الخلق تلك الليلة الا نحو أربعين رجلا منهم
وغنم المسلمون منهم أربع مائة من العدة ولم يحضر أبو عبد الله العباسي في هذه الواقعة لانه كان قد ذهب
الى طنجة حنقا على يوم المسامير لان النصارى خذلهم الله كانوا قد صنعوا نوعا من السهام بثلاثة رؤس
تنزل على الارض والاربع يبق مرفوعا وبثوا ذلك في مجالات القتال مكيدة عظيمة تنضر رمها الفرسان
والرجال فلما رجع وأعلم بضعه من بقاء الخلق بعث الى أهل الاندلس يسلا يصنعون له السلام كي
يصعدهم الى من بقى في الخلق فيستأصلهم فقتلوا عن صنعها غشالا للام ومناواة لابي عبد الله حتى جاء
المدد لأهل الخلق وكانت تلك الرابطة بين أهل الاندلس والنصارى متوارنة من لدن كانوا بالوضع
فكانوا أنس بهم من أهل المغرب فلما أتى أبو عبد الله باللام لم تغن بعد شيئا ومن هنالك استحكمت
البغضاء بينه وبين أهل الاندلس وكان أهل الاندلس قد أعلموا النصارى بان محلة أبي عبد الله النازلة
لمحاصرة الخلق ليست لها إقامة فبلغ ذلك أبا عبد الله فقام عليهم الحجة وشاور العلما في قتالهم فاقى
أبو عبد الله العربى القاسى وغيره بجواز مقاتلتهم لانهم حادوا الله ورسوله والوالى الكفار ونصوهم ولاهم
تصرفوا في مال المسلمين ومنعوا هم من الراتب وقطعوا البيع والشراء عن الناس وخصوا به لانفسهم
وصادقوا الله ارى وأمدوهم بالطعام والسلاح وكان سيدي عبد الواحد بن عاشر لم يحب عن هذه

القضية حتى رأى بعينه حين قدم الى سلا بقصد المرافقة فرأى أهل الاندلس يحملون الطعام الى
النصارى ويملكونهم بعورة المسلمين فاقى حينئذ بجوارمقاتلهم فقاتلهم أبو عبد الله وحكم السيف في رقايمهم
أياماً الى أن أخذ يدعهم وجمع الكلمة معهم ولما وقعت غزوة الحلق الكبرى قدمت الوفود على أبي عبد الله
بقصد التهنئة بما منحه الله من النفر فخص الناس على استئصال شافعة من بقي بالخلق من النصارى وغير
العرب بترك الكفار في بلادهم وسكان من حضر من العرب جماعة من الخلط وبني مالك والتماشي
والدخيسي وغيرهم فقال لهم أبو عبد الله والله والله والله أن لم تأخذكم النصارى لتأخذنكم البرقة قالوا
يا سيدي كيف يكون هذا وانت فينا فقال لهم اسكروا أنتم الذين تقطعون رأسي فكان كذلك وهذا
من كرامات رضى الله عنه ثم صرف عزمه الى التضييق على نصارى العرائش وشن الغارات عليهم فتقدم
في جمع من المسلمين وكن بالغاية نخوعاً من سبعة أيام فخرجوا على حين غفلة ففكر الله من رقايمهم وكان
في مدة كونه بالغاية أخذ حناشاً من عرب طليق يقال له ابن عمود والحناش في لسان عامة أهل المغرب
هو الجاسوس فاراد أبو عبد الله قتله فقال له استعفي وأنا تأتب الى الله وأنا أنفع المسلمين إن شاء الله فتركه
فذهب الى النصارى وكان موثقاً به عندهم حتى كانوا يوثقون اليه الزاتب فقال لهم إن أحياء العرب
وحملها قد تزلوا وادى العرائش فلو أغرتم عليهم لغتتموهم فخرجوا ففكر الله منهم وطعنهم المسلمون
في ساعة واحدة طعن الحصيد ولم ينج منهم إلا الشريد وكان ابن عمود قد بقي بأيديهم فأخذوه ومثلوباه
وترعوا أسنانه وأرادوا قتله لولا أنهم فهمهم الى شرعهم وكان عددهم قد قل من النصارى نحو ألف وكانت
هذه الواقعة سنة أربعين وألف

بقية أخبار السلطان عبد الملك بن زيدان وفاته

وقال اليفري كان عبد الملك بن زيدان قاسداً للسيرة مطموساً البصرة وبلغ من قلة ديانته أنه تزايد له
مولود فأنظرته أراد أن يحتفل لسابعه فبعث الى نساء أعيان مراکش ونساء خدامه أن يحضرن وصعد
هو الى منارة في داره فظفر الى النساء وهن منتشرات قد وضعن ثيابهن فابتعن فابتعن به بعت اليها وكان
مد مناعلي شرب الخمر الى أن قتله الماويح مراکش وهو سكران يوم الاحد سادس عشر شعبان سنة أربعين
وألف ودفن الى جنب قبراياه وبسط منويل خبر مقتله فقال لما نار الوليد على أخيه عبد الملك وعادت
الكثرة عليه بقي متغلقاً في البلاد ثم رغب الى أخيه حتى رده الى مراکش فأخذ الوليد يستميل رؤسائه
الدولة ووجوهها وتجارها ويعد بهم بالاحسان حتى وافقوه على الفسك بأخيه فترصدوه حتى غفل
البوابون ودخلوا عليه قتمه وهو متكئ على طنفسة فرموه برصاصة وتناولوه بالخنجر السمكة عند المناربة
بالكميات وقامت الهبة بالشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فأخرج جنازة
أخيه الى المشور حتى شاهده الناس ميتاً فسكنوا وانقطع أملهم وباعوه انتهى **وقال اليفري** وما
رأيت منقوشاً على رخامة قبره هذان البيتان

لانتظمت فان الله منان • وعنده للورى عفو وغفران

ان كان عندك إهمال ومعصية • فتدربك أفضال واحسان

ومن وزرائه محمد باشا العلي ويحيى آجانا الوريكي وجوذر وغيرهم وقاضيه الفقيه أبو مهدي عيسى
ابن عبد الرحمن السكاكي قاضي مراکش ومفتيه أبو العباس أحمد السملالي رحم الله الجميع

والخبر عن دولة السلطان أبي زيد الوليد بن زيدان رحمه الله

ما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان في التاريخ المتقدم بريح أخوه الوليد بن زيدان فلم يزل مقتصراً

على ما كان لآخيه وأبيه من قبله لم يجاوز سلطانه مراكش وأعمالها وعظمت الفتن بفاس حتى عطلت
الجمعة والتراوج من جامع القرويين مدة ولم يصل به ليلة القدر إلا الرجل واحد من شدة الهول والحروب
التي كانت بين أهل المدينة وأقسم المغرب في أيام أولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال الأندلس أيام
طوائفها كما ذكرنا ونذكر بعد أن شاء الله

في ظهور أبي حسون السملالي المعروف بابي دمية بالسوس ثم استيلاؤه على درعة ومجلماسة وأعمالهما

هذا الرجل هو أبو الحسن ويقال أبو حسون علي بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن موسى
السملالي وكان بدء أمره أنه لما خضع أمر السلطان زيدان بالصق السوسي وفشل ريعه فيه نبغ هو
فدعا لنفسه وجرت له الرئاسة إلى قرصه وتألبت عليه البرابرة من بساط خروقه وجبالها والتفت عليه غالب
القبائل السوسية فاستولى على نازدات وأعمالها إلى أن أخرجه عنها الفقيه أبو زكرياء بن عبد المنعم
بعد حرب ووقت عظيمة حسب ما مر من الإشارة إليه ولما توفي أبو زكرياء في التاريخ المتقدم صفلا إلى
حسونة فطر السوس وفقدته أمره وسمعت كلمته ثم بعد مهلك زيدان عتيده إلى درعة فاستولى عليها
ثم استولى على مجلماسة ونواحيها فاستحكم أمره وتقوى عضده ولم يزل أمره نافذا في مجلماسة إلى
أن ناز عليه الأسد المصور ولولي محمد بن الشريف فأنزجته من مجلماسة بعد حرب وبشيب لها الوليد
ثم أخرجه من درعة أيضا على ما ذكره بعد وقد وقفت على سؤال الرفع من جانب أبي حسون إلى القاضي
أبي مهدي السكاني في شأن مدينة أليخ دار ريلسته ومقرعز به يستقيته في أحداث كنيسة اليهود بها
هل يجوز أم لا وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال هذه المدينة فلقد ذكره ونصه

الحمد لله الذي أرقض للاسلام ديننا وأنزل به على خيرة خلقه كتابا مينا الفقيه الاجل العلامة الاحفل
القاضي الاعدل خاتمة المحققين ومعمد الموقنين أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكاني وقته الله ما
يرضيه وأعانته على ما هو متولى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تقررت عند سيدنا أمر هذه
الخصرة العلية العلوية أليخ آدم الله بها كما رفع كثيرها من الحواضر ورجتها وانما محدثة قوفرت
ببركة بابيها عمارتها ومبانيها فاختارها مسكا أهل السهول والحزون وجعت أطيب تربتها بين الضب
والثون فزها برسم الاستيطان أو شاب من أهل النعمة باذن مخططها الامام العالي الهمة فاختطوها
عن اذنه منازلهم ونواحيها كتبتهم وصبروها متعبدهم فاتفقوا الحديث فمبون أن جرى بعض أندية
علمتها ومضرجع من نهاء البلدة وقعتها كلام أفضى بهم إلى ذكر الكنيسة المذكورة والمجادلة في
محصل الحكم الشرعي فيها في الدواوين المسطورة فأتى بعضهم وجوب هدمها لأنها محدثة ببلاد
الاسلام ولما في تركها من القاسد العظام وانما لا تترك لهم متعبدا وجزم الكلام وقال هذا محصل
ما ذكره في مثل هذه القضية الاعلام وأتى فريق بجوازها وانما لا ينبغي تقويض نتائجها ولا
التمترس لهم في أحداثها اذ على مثل هذا من دينهم القاسد أقروا وأعطوا الذمة فأعطوا الجزية صاغرين
ولم يرد منع اجتماع ديني إلا في جزيرة العرب وكوم من بلاد أسلاي محدث منصور بالعلماء أحدثت فيه ولم
يقولوا بجمعها ونواحيهم على تركها كالنص والدليل على جواز أحداثها وإقامتها بعده واستمر الخراج وكثر
الخراج ولم يقع كل فريقا أبداه إلا من الاحتجاج فطلبت لذلك أن تقر قوافيها بملككم النافع
بين العذب والالاج بقوى تبين جميع الأقوال من سقمها وتفصل بين لبلى وغريمها ولولا محل النازلة
من الدين مارفت الحكم فلذلك وجب الجواب عنها عليكم مع مسئلة أخرى وهي تهتم طلبوا أن تترك
لهم بقعة يوارون فيها جيف موتاهم لأن مسافة ما بينهم وبين أقران التي هي مقبرة قد دعى لهم بعيدة هل
يساغفون أم لا والله يبيحكم ومحمدكم محروس وظل من استراكم منكوس والسلام عليكم والحمد لله

الحمد لله وعلى فقهاء بلادنا السوسية وسوها الله وأكرمهم باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام ورجة الله وبركاته أما بعد فقد وقت كاتبه عما الله عنه على نكزة أهل الذمة النازلين بإبليخ مخط أولاد السيد البركة قطب بلاد ناسيدي أحد بن موسى نفسا الله بركاته وبارك في ذريته وسددهم لما فيه مرضاه آمين ولما وقت عليها تآملت أرباب الصواب فيها الفتوى بمنع أحداث أهل الذمة الكائن فيها وبهدم ما بنى فيها بعد أحداثه لأن إبليخ من بلاد الاسلام ولا فيه شبهة لأهل الذمة الطاوون عليه لا باعتبار الفسخ العنوي ولا باعتبار الصلح على الخلاف في المغرب باعتبار فسخه وحاصل أمره ما خففه الحال فيها وإذا كان الأمر هكذا فالحكم لنهائكم لمدعيها الحاضر لها والأراضي أقسام أرض اسلام لا يجوز أحداث الكائن بها باتفاق ثم ان وقع شيء من ذلك هدم وأرض إبليخ من هذا القسم فان ملكوا الأرض التي بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وجب هدمها لو تفضها ويكون لهم ما يسوغ من المنافع وان كان بناء الكنيسة شرم طارت العطية وفسخ البيع ان كان به لا نفي معنى التخصيص على الكنيسة والحاصل ان وجه دخول اليهود إبليخ معلوم وان بلده ملك للاسلام فبناء اليهود فيها الكنائس معصية وعكبنهم منه اعانته عليه وهذا لا يخفى وأما الجواز والاقا به في النكزة فيجوز عن الصواب والاستدلال على الجواز بمواضع المقرب وسكوت علماءها وموافقة أمرائها الا انهم لا أصل لعكبنهم من الكنائس مجهول ان يتحمل أمروا منها انه يتحمل ان يكون بعهد كان لهم في غير تلك البلاد من اقرارهم على بلده يسكنونه مع قائمهم على متعبداتهم ثم نقول للصلمة اقتضت ذلك أو أخرجولان البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من أهل الصلح والحاصل أن وجه دخولهم مجهول في هذه البلاد بخلاف إبليخ ونكزة إبليخ معاملة الدخول فينبغي ما يوفى قضا من أحداهما على الأخرى لا يصح وبالله التوفيق وكتب عيسى بن عبد الرحمن وفقه الله آمين ولما علم المرابط بالحكم أمرهم بدمها ومنع اليهود مما أرادوه

في قبضة أخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله

وقال في شرح الزهرة كان الوليد بن زيدان متظاهرا للديانة لمن الجانب حتى رضيت له الخاصة والعامة وكان مولعا بالسماع لا ينفك عنه ليلا ولا نهار الا انه كان يقتل الاشراق من اخوته يوبني همه حتى أفتى أكثرهم وكان مع ذلك محبا في العلماء ما نال اليهم بكنيته متواضعا لهم وله ألف القائد أو الحسن على ابن الطيب منقولته المشهورة في الفواكه الصيفية والغريبة وألف القاضي أبو مهدي السكاني شرح صغرى المغرى للسوسى برسمه والتعبية العروقة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين آسفي ونطهي منسوبة اليه وأظنه من ثنائه والله أعلم وهو ما وافقته في نسبها ان جنده من العلوج طالبوه بمرتبهم وأعطيتهم على العادة وقالوا له أعلننا ما نأكل فقال لهم على طريق التكم كلوا فقرر التلويح بالمسرة فغضبوا لذلك وكان له أربعة منهم فقتلوه غدرا يوم الخميس الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وألف هو وقال منويل كمال في الوليد قتل أخاه اسمعيل واثنين من أولاد أخيه عبد الملك وسبعة من بني محمد ولم يترك إلا أخاه الشيخ بن زيدان استصغاره اذ كان سنه يومئذ إحدى عشرة سنة وكانت أمه تتأني عليه من الوليد فكانت تحرسه منه حراسة شديدة والتي لله محبته في قلب سائر نساء القصر لما رأين من هلاك الاعيان وعرضة الملك للزوال وكن حازمات يقمن مقام الرجال حتى ان بعضهن كانت لها طبخات في خزائنها تتحرس من الشيخ من أخيه الوليد ثم ان رؤساء الدولة سمعوا ملكته فأتفقوا مع نساء القصر على قتله وكان الوليد عازما على قتل أخيه الشيخ أيضا فاحتال بان صنع ذات ليلة صنعا عظيما وطعما كثيرا دعا اليه وجوه الدولة وأعيانهم أكش وكان أخوه الشيخ عنده في الدار لا يتركه يخرج بحال وعزم انه اذا اشتغل نساء القصر بأمر الطعام ونحوه خالف اليه وقتله فكان

من قدر الله أن العالوج قد عز موافق تلك البسلة على اغتيال الوليد فكمنوا له في الحجرة التي كلن الشيخ محبوب سافيه ثم لما جاء الوقت واجتمع الناس في القبة التي أعد لها لهم الوليد قام ودخل الى الحجرة التي فيها الشيخ للقتل به فوجد الاعلاج كانه من له هناك فلما رآهم قزع وقال ما لكم فرموه بالرماس ثم تناولوه بالخناجر حتى قاطأ انتهى

في الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيد ان رحمه الله في

لما قتل السلطان الوليد في التاريخ المتقدم اختلف الناس في بقائه من لولاية عليهم ثم اجع رأيه على مبايعه أخيه محمد الشيخ والقلاء القباء اليه فخرجوه من السجن وكان أخوه الوليد قد سجنه اذ كان يتخوف منه الغرور عليه فبيع بمراكش يوم الجمعة الخامن عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف ولما بوج سار في الناس سيرة جيدة ولأن الجانب للكتابة وكان متواضعا في نفسه صفوحا عن الهفوات متوقفا عن سفك الدماء ما دلل الى الراحة ولادعة متظاهرا بالخبر ومحبة الصالحين وهو الذي بنى على قبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائل برأيه فبها فلة البناء راحة الصنعة الا انه كان منكوسا الزاية مهزوم الجيس وبسبب ذلك لم يصفه مما كان يبد آيسه واخوته الامرا كش وبعض أهم الهاوق نار عليه رجل من هشة وكه خارج باب الجيس من مرا كش وقاسى في محاربه تبعاشيدا ولم يزل يناوشه القتال الى ان كانت له عليه الكثرة فقرق جعه ثم خرجت عليه أيضا قبيلة الشياطينة فقتلهم وكانت الملاقاة بينه وبينهم عند جبل الحديده فانهم هزعت شغلا ثم حدث بينه وبين أهل زاوية الدلائل ما نذر كره بعد ان شاء الله وهو عاذ كره منويل من أخباره في أنه كان محسنا لساثر رعيته وكان حاله على الضيق من جور أخيه الوليد وعسفه قال وسرح الغرابية الذين كانوا في مصين مرا كش وأعطاهم الكنيسة التي بالسجينة منها وخالفت عليه سلا وأعمالها انتهى

في بقية أخبار أبي عبد الله العباسي بسلا والنغور وما يتبع ذلك في

كان أمر أبي عبد الله العباسي بسلا وسائر بلاد الغرب على ما وصفناه قبل من جهاد العدو والتضييق عليه والمصارفة له والابلاغ في نكايته فانتعش الاسلام وزدها الايام ودخلت في طاعته القبائل والامصار من نامسنا الى تازا كما قلنا سيما فاس وأعلامها ظاههم قد شايعوه وتابعوه على ما كان بمسده من الجهاد والرباط وحصل لهم بصيته وولايته أتم اغتباط ولم يزل في نصر العسود الى ان أمن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين

في وفاة أعلام فاس وأشرافها على أبي عبد الله العباسي بسلا في

هذه الوفاة قد ذكرها الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة القاسي في فاتحة شرحه الصغير على المرشد العين في قال في نشر الثاني في وسبب ما وقع من الحرب بين أهل فاس وبين الحباينة وشراقة على قطرة وادى سبوا وقتل فيها من أهل فاس خمسة وأربعون رجلا فخرج شرف فاس وفتحها والى سلا مستعينين بابي عبد الله العباسي قال وكان الذي أغرى الحباينة بفاس هو آجدين زيدان النغور اعليه وقاموا بدعوه ووصلوا أيديهم بشراقة وقصوا باغاص وأهلها الا طمعل حتى اخطفوا في بعض الايام نساءهم من الجنات وباعوهن في القبائل وقصوا لوهم لا ييجوز في قال الشيخ ميارة في قدم على ذوالعظمة والجلال الكرم الفضل المتعال بزيارة الولي الصالح العالم العامل السائح قطب الزمان وكهف الامان المجاهد في سميل وبالعالمين الرباط في النغور مدة عمره لحياطة المسلمين ذي الكرامات الشهيرة العديدية والفتوحات العظيمة الحيدة من لاشيه له في عصره وما قرب عنه ولا تقير ولا معين

له على نصره الاسلام ولا نصير الا الله الذي تنفصل به علينا وأقره بجه وجوده بين أظهرنا فهو كاقيل
حلف الزمان ليا تين بئس له • حشمت عيذك يا زمان فكفر

البركة القدوة المحباب الدعوة أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد العياشي أبق الله بركته وعظم حرمة
وبلغته من خير الدارين امنته وأطال للمسلمين همزه وقواه وجعل الجنة زله ومأواه مع جماعة
من أعيان السادة من الشرفاء والفقهاء القادة وذلك أواسط ذي الحجة الحرام من سبعة وأربعين
والف عام وهو روزقنا الله رضاه بنفرا أمتها الله من كل مكروه وبلا فاجتمع ائذنا بجله
السعيد الموفق الرشيد العالم المهام حجة الله في الاسلام ذي العقل الرابع والهدى الواضح عهد
من الآباء توارثها الابناء المتواضع الخاشع صاحب القلم البارع سيدي وسندي أبي محمد عبد الله
صله الله من كل مكروه ووقاه فضني حفظه الله على اختصار النسخ المذكور يعني شرحه الكبير على
المرشد المعين بعد أن طالع حله وسر به كل السرور وحث على في تقديم ذلك على جميع الامور
فلما خلت من وجهتي شرعت في ذلك تارك للتسويق طالباً من المولى سبحانه السلامة من الخطا
والتحريف انتهى المقصود منه فيقال في نشر الثاني ان يا عبد الله العياشي قدم فاساً ونظر في أمرها
وغزا عرب الحباينة مراراً ونحن فيهم حتى خضعوا للطاعة

في إيقاع أبي عبد الله العياشي بنصاري الجديدة

سبب هذه الغزوة كما ذكره الغيبة العلامة قاضي تامة سناً أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الفناي الشاوي
المعروف بسيدى روحو الفناي أن نصاري الجديدة عقدوا المهادنة مع أهل آرمور مدة فكان من غزوة
النصاري وذهاب المسلمين في تلك المدة ما تنفطر منه الأكباد وتختزله الأطواد فمن ذلك أن زوجة قبطانهم
خرجت ذات يوم في مخبتها ومعها صواحبها إلى أن وصلت حلة العرب فقتلها أهل الحلة بالزغاريت
والفرح وصنعوا لها من الاطعمة وجعلوا لها من هدايا الدجاج والحليب والبيض شيئاً كثيراً فظلت عندهم
في فرح عظيم ولما كان الليل رجعت ووقع لها أيضاً أنها أمرت القبطان زوجها أن يخرج بجيشه وبيعت
إلى قائد آرمور أن يخرج بجيش المسلمين فيلبسوا ألباسهم وهي تنتظر اليهم بقصد الفرجة والفرجة فكان
كذلك فجعلوا يلعبون وهي تتفرج فيهم فما كان بأسرع من أن جل نصاري على مسلم فقتله فكلم قائد
المسلمين القبطان وأخبره بما وقع فقال له القبطان فإضركم إن مات شهيداً من أبا المسلمين وسفر منهم
وكان الولي الصالح العابد الناسك الزاهد المجاهد رافع لواء الاسلام ومحبي مناج التي عليه الصلاة
والسلام سيدي محمد العياشي كلما سمع شيئاً من ذلك تغربوا ولا يلتذ بطعام ولا نيام وهو يفرح كيف
تكون الحيلة في زوال العرة عن المسلمين بتلك الجهة وغسل أعراضهم من وسخ الاهاث وهو مع ذلك يخاف
من العيون الذين يرصدونه من صاحب مراکش وقائد آرمور ومن قبطان الجديدة إذ كان ما تخاف
وإدى أمر يسع إلى مراکش باقياً دعوة السلطان لم يدخل في دعوة أبي عبد الله المذكور ففكت كذلك
ثلاث سنين ولم أر أن الأمر لا يزيد الا شدة وأعز إلى بعض أولاد دؤوب من أولاد أبي عزيز أن يجلبوا إلى
النصاري شيئاً من القمح خفية وأن يكون ذلك شيئاً حتى تطمئن نفوسهم وينفروا حلالاً وبوهمهم
الصالح فالحاصل ذلك جاءه جماعة منهم وأخبروه الخبر وأطعموه على غزوة نصاري خذلهم الله
فغزم على قصد الجديدة ثم بد الله في تقديم غزو العرائش ثم بأني الجديدة بنفعل بوجه الله وكان ذلك
أوائل صفر سنة تسع وأربعين وألف ثم غزم على قصد الجديدة فذكر والاه أن وادي أمر يسع في نهاية
المتوال متلا فليمنته عن ذلك وسار حتى بلغ الوادي المذكور على مشرع أبي الاعوان فوجده ممتلاً جذاً
لا يكاد يدخله أحد الا غرق فقال لأصحابه وسائر من معه توكلوا على الله واجتهدوا في الدعاء ثم أقحم الوادي

بفرسه وتبعه الناس فغير واجيعا ولم يتأذ منهم أحد وكان الماء يصل الى قريب من ركب خيلهم مع أن مد ذلك الوادي حين امتلأته لا يدرك له قعر عند الناس كما هو شهر وهذه كرامة عظيمة وقعت له رضي الله عنه وكان القاضي أبو زيد الغنای حاضر الهاوشاه واولم يقع مثل هذا فيما علمناه إلا للصحابه رضي الله عنهم مثل ما وقع لسعد بن أبي وقاص في عبوره دجلة لفتح المدائن ومثل ما وقع للعلاء بن الحضرمي في فتح بعض بلاد فارس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولما وصل أبو عبد الله الى الجديدة وجد طائفة من أولاد أبي عزيز قد نذروا به وألجوا الى القبطان خوفا منه ان يقع بهم لاجل مهادنتهم للكفار واتصل بهم فخرج القبطان في خيله وكان سيدي محمد كاملازاء الجديدة بالقابة التي كانت هناك وقد زالت اليوم فلما انفصل القبطان بجيشه عن الجديدة جل عليهم أبو عبد الله فقطعهم عن افتقروا الى جهة البحر فوقع بهم فهلكوا ولم ينج منهم الا سبعة وعشرون رجلا فقير صاحب مراكش من ذلك وأنكر ما صنع أبو عبد الله وكذا أنكره قاضيه الفقيه أبو مهدي السكافي وقد كرر لوزمارة خبر هذه الواقعة فقال ان طائفة من المسلمين قد مروا على قائد البرتقال بالجديدة وقالوا انا قد جئناك من عند الملوك محمد بن الشريف يطلب منك أن تعينه بجماعة من عسكرك على بعض عدوه فاسمعهم بذلك وكان شابا غزالم يجرب الامور فنهاه بعض كبار عسكره وحذره عاقبة الغزو فأبى وعزم على الخروج معهم أولئك المسلمين وتقاعد عنه عسكره فقال لهم اني أخرج وحدي وذهب ليخرج وحده فتيقنوه حينئذ وكانوا مائة وأربعين فارسا فلما انفصلوا عن الجديدة بمسافة وجدوا خيلا كثيرة كاسنة لهم فلم يشعروا حتى أحاطت بهم نصف دائرة منهم فاكلوهم حتى كملت الدائرة عليهم وصاروا مكرها فحينئذ التفت قائد العسكر الى ذلك الرجل الذي نهاه عن الخروج وقال له ما الخيلة فاجاب بان الخيلة القتال حتى غوت ثم أنشده شعر اضمضه اني أثرت عليك وأنت أعظم جاهامي فلم تسمع والآن تقتل معا وتخلط دماؤنا حتى لا يتقران ولا يعرف دم الشريف من الوضع والحاصل أن المسلمين أوقعوا بهم حتى لم يرجع منهم الى الجديدة الا ثلاثة وأسر منهم خمسة عشر أحياء والباقي أتى عليه القتل وقامت بالجديدة مناحة عظيمة لم يتقدم مثلها ومجن الاسارى بسلاسلين في بعض دهايزها حتى اقتادهم سلطانهم نحوان الذي جمع على كتفهم من يد الاسيرين انتهى ولما قدم سيدي محمد العياشي من هذه الغزوة سارا الى فاس للنظر في أمرها لما حاج من الجهة بين أهلها وذلك أن رجلا منهم يقال له ابن الزين عداء على رجل آخر يقال له أحمد عميرة فرماه برصاصة من علة مسجود فوق سوقه ابن صافي فقتله وهاجت الحرب بفاس بين أهل عدوة الاندلس وكان المقتول رئيسهم وبين اللطيين تقدم سيدي محمد العياشي فاحافى آخر جادى سنة خمس مائة وألف فاصلى بينهم وأقام من قاتل عميرة كبير الاندلسيين وبالجيلة فغزوات سيدي محمد العياشي رحمه الله كثيرة وذبحه عن الاسلام وجانيته للدين كما هو شهر عند الخاص والعام وفي هذه الغزوة يقول الكاتب الاديب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكارقي ما دخل السيد محمد العياشي ومسير الى الكرامة التي وقعت له في عبور النهر

حدث العلا عنكم سير به الركب • وينقله في صحفه الشرق والغرب
وحبك فرض على كل مسلم • تنال به الزلفى من الله والقرب
فانترفع من أصول ربيعة • نجوم الدياتجى فى انام لها سرب
سمى رسول الله ناصر دينه • تجلى بك عن أفعه الشك والريب
ولم أر بحرا واز البحر قبلكم • تجود واستخيد أنا ماله الصب
وما يستوى البحران عندي فان ذا • أجاج لعمرى فى المذاق وذاعذب

وكان رحمه الله عازما على أخذ المراثى فحال بينه وبينها انصرام الاجل وكذلك كان لها على أخذ طنجة فلم تساعده الاقدار

﴿مقتل أبي عبد الله العباسي رحمه الله والسبب فيه﴾

قد قدمنا أن أهل الأندلس بسلا تحزبوا على أبي عبد الله العباسي ورموه عن قوس واحدة وأنه كان قد
اطلع على خبتهم ونصهم للكفر وأهله وأنه استغنى العلم عنهم فأقتوه بإباحة قتال من هذه صفته فاطلق
فيهم السبيل أياما فقتل من وجد منهم وهرب أكثرهم فهربت طائفة منهم إلى مراکش وهربت طائفة
إلى الجزائر وأخرى إلى التنصاري وفرقة إلى زاوية الدلاء فجاء أهل الدلاء يشفعون في أهل الأندلس فأبى
أبو عبد الله أن يقبل فيهم الشفاعة وقال إن الرأي في استئصال شأقتهم فلما رأى أهل الدلاء امتناعه وودَّ
شفاعتهم غضبوا لذلك وأجمعوا على حربه ومن قبل ما كانت القوارص تسري منهم إليه يدل على ذلك
الرسالة التي كتبها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر للدلائل إلى أبي عبد الله العباسي ونصها الحمد لله الحليم
العفو الرؤوف المنزه عن صفات من وصفهم أموقف وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم المسورة
بسور السماء والحلم وعلى ساداتنا آله وحبيبه وكل من انتظم في صفك أتباعهم من أهل خزيه هذا
وإن المجلى بنور طلعته ظلم الظلم والفساد المحلى خزائن المعالي بوجبات النفاق على حين الكساد المستوطن
حبه بسويداء القواد من ألقت إليه المكلام أزقة الانقياد وعلقت به بحمد الله العباد والبلاد حوطة
الاسلام وحياته وخديم الدين الحمدي وكفانيه سيدي محمد بن أحمد المحمود والوصاف بشهادة من
يعد من أهل الانصاف زاده الله من المكارم أعلاها ومن نفائس درر المجد أغلاها وتوجه بتاج
الكرامة والرضى وأمه بدائم مدده السرمدي حتى يرضى وسلم جنبه القدسي العلمي العملي المراتبي
المجاهدي من جميع البلايا وأتخذه من تحفه العاضلة الوهية بأعلى المزايا وأهدى إليه من طيب بركاته
ورجائه ما يرضاه دينه العلي لحاته قد شهدنا على أنفسنا بالاقرار بفضله علينا وإن ما يستره يسترنا
وما يضره يضرنا علم ذلك منايقين أن له معنا أدنى مخالطة بحيث لا يمكنه أن يدفع ذلك بنوع من
المغالطة وإن الضارب العين ضاربنا سناها لكن النفوس الانسانية محل لخطاها ونسيانها ومن أقتناه
لديكم مقام الخادم والولد قدساء نامته مأساةكم معاً عنه ورد وطلبنا من جيل أوصافكم معاملته بالصنع
والجميل قلن يزال الإنسان الامن عصمه الله يستمال أو يعيل ولولا الحرارة ما عرف الطفل ولولا الوابل
لقبل النهاية في الطفل وما عرف العفو لولا الاساءه ولا يقال صبر المرء الا فمساءه وما عرف قنا صاحبه
الا بحجاب الجنب كل من للدين ينتسب قلن خرج عن نظركم فقد أمأه الغاطم من حيث لا يحتسب انتهى
وكان الشيخ ابن أبي بكر رحمه الله دمايل الثناء على أبي عبد الله العباسي ويذبح بحماسة وكان يقول في دعائه
اللهم أجزعنا سيدي محمدا العباسي أفضل المجازاة وكلفه أحسن المكافاة واجعل مكافأته لك كشف
الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه منه اللهم لا تعزمه توجهه إليك وانقطع عنه عندك اللهم
نفس كبريته وكل رغبته وأجبد دعوته وستدرميته وارده له الكرامة على من عاداه في الحق انك على
كل شيء قدير انتهى فهذا حال الشيخ ابن أبي بكر رحمه الله مع أبي عبد الله العباسي ثم قدرا الله ان حدث بين
أولاده وبين العباسي من النزعة ما أفضى إلى المقاتلة وذلك بسبب ردة شفاعتهم في أهل الأندلس وأمر
آخر فأجمعوا على حربه كما قلنا فخرج اليهم أبو عبد الله العباسي فأوقع بهم وهزمهم وقتل بالعرب الذين
كانوا مع التاغى فتفرقت الجوع وتبرأ التابع من المتبوع ثم ذهب أبو عبد الله العباسي إلى طنججة بقصد
الجهاد فلما أقبل من غزوه وجد البربر من أهل الدلاء قد وصلوا إلى أطراف أزرار ومعهم التاغى
والدخيسى وأهل خزهم من الكدادرة وغيرهم وعزموا على مصادمة أبي عبد الله فأراد أن يذبح الطرف
عنهم ويصرف عنه عن جهتهم فلم يزل أحبابه إلى أن برز لقائهم فلما التقى الجمع ان كانت الدبرة على أبي
عبد الله العباسي وقتل فرسه تحت فرج الجى بلاد الخلط وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حزب التاغى وعلى

رأى الكندادرة فرجعت البربر إلى أوطانهم وبقي أبو عبد الله العباسي عند الخلط أياماً ثم غدر وأبغضوا له
 بوضع يسمى عين القصب وأحترقوا رأسه ووجهه بعضهم إلى سلاو كما تهمله إلى أهل الاندلس انهم أعداؤه
 بها وقال في نشر المثنى وقد قنت جنته بأزهار وضة أبي الستاء رضي الله عنه ومن كراماته المتواترة
 أنهم لما جلاوا الراس سمعوه يلاوه ويرقر القرآن جهاراً حتى علمه جميع من حضر فرددوه إلى مكانه وتاب
 بسببه جماعة من الناس وأما القبة المنسوبة إليه بقبيلة أولاد أبي عزيز من بلاد كالة فالظاهر أنها متخذة
 على بعض معاهده التي كان يأوي إليها أيام كونه بالقبيلة المذكورة في ابتداء أمره كما مر وليس هنالك
 قبره على الصحيح ولما قتل أبو عبد الله العباسي فرح النصارى بمقتله غاية الفرح وأعطوا البشارة على ذلك
 وعملوا المقرحات ثلاثة أيام وكل من قتل رجلاً من آلهم ناسع عشر المحرم سنة إحدى وخمسين ألف وقد مروا
 لتاريخ وفاته يقولهم (ما ضرب الإسلام) بإسقاط ألف الوصل وحدث رجل أنه كان بالاسكندرية
 فرأى النصارى يومئذ يفرحون ويخرجون أنفاسهم فسألهم فقالوا له قتل سافطو بالمغرب وهو في الرحلة
 لا في سالم العباسي قال أخبرني الشيخ محمد الفزاري بكه قال كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل
 القصير في السنة التي قتل فيها الولي الصالح المجاهد سيدي محمد بن أحمد العباسي قال فجاء في ذات يوم وقال
 لي اني رأيت في النوم أني ورأيت رجلاً جالساً مقطوع اليد تمسك دماغه من أنف قال الإسلام
 قطعت يدي بسلا قال فسا أخبرني قلت له الذي يظهر لي من رؤياك ان الرجل الصالح المجاهد الذي كان
 بسلا قتل قال وبعد ذلك في آخر السنة قدم حجاج المغرب فاخبروني بجموعته وقد فرج وجهه الله بقصائد كثيرة
 منها قصيدة الاديب البليغ أبي العباس أحمد اللغوي التي ذكرها في التزهة ويحكى أنه وجد مقبرة
 بخط أبي عبد الله العباسي المذكور ان جملة ما قتل من الكفار في غزواته مائة ألف وسثمائة وسبعون
 ونيف وعما مدحه به العلامة الامام الشهير أبو محمد عبد الواحد بن حاشر قوله

يا حادي الاطلاعان في الرائي • ابلغ سلاي غفرا العباسي
 من نوره بدا وفضله غدا • تصدوا به الركب ان والمواثي
 طود الهدى عين الندي فرد الوري • فريد وقته الامام الخراساني
 لله سيف صارم وقاصم • ظهر العدا كبيرهم والناسي
 يتركهم عند القارهن الشقا • صرعى على الارض كالكاثي
 يا مسلمين عنكم حياتكم • ما عاش فيكم سيدي العباسي
 أنام لاشك الانام الكل في • نسل الامان لبن الفرائس
 يا عاذلي في حبه عندك دع • ولا تحذني حديث الواثي
 اني امرؤ بالحسن مقتون وعن • جميع لوم لاعمين عاني
 هديتي الى العكرام أبرزن • سلامها لاسماعيل قاني

وثناء الناس عليه كثير فقد اني عليه الشيخ مباركة كما مر وأبو عبد الله محمد العربي القاسمي وابن أبي بكر
 الدلائل وغيرهم وكان وجهه الله بحجب الدعوة مادعا الله في شئ الا استجب له شوه ذلك منه مرارا
 ومن ادعيته المحفوظة عنه اللهم اني أسألك باسمك السريع المحجب الذي خوت فيه ففواتح رجلك
 وخواتم ارادتك وسرعة اجابتك يا سريع لمن قصده ما قرب من ساهه يا محجب من دعاه اسرع على بقضاء
 حاجتي وبلوغ ارادتي يا جميع يا محجب يا سريع يا قريب آمين آمين يا رب العالمين وكان فقها مشاركا
 في الفنون وله أتباع ظهرت عليهم بركاته ولاح عليهم سره ومن أتباعه الشيخ أبو الوفاء اسمعيل بن سعيد
 الدكالي القاسمي صاحب الزاوية المشهورة بسلا دكالة ومن أتباعه أيضا المقدم المجاهد أبو العباس الخضر
 غيلان الجرفطي وقد ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي في رسالة كتبها إلى المجاهد

للكور يقول فهم امانته من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله الى الفارس القائم بنصر دين الله
 البائع نفسه في اعلاء كلمة الله انصر غيلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته واني اجد اليك الله الذي لا اله
 الا هو ابا بعد فاني احب في الله وان لسانى لهج بالتضرع الى الله تعالى في نصرتك على الكافرين حسنة
 نوح التجليز والبائع على اعلامك هذا امر ان احدهما قوله صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه
 فليعلمه والثاني استباح هتك الجعد فيما انت بصده من الجهاد وعدم الالتفات الى ما تورط فيه غيرك من
 الاغترار بالغاني فانت مادمت في هذا على طريق صلحة وعباد الله الصالحون كلهم معك ورحم الله
 صاحبك الذي اسس لك هذه الطريق الصالحة ورباك عليه ائني امير المؤمنين نور البلاد القريبة
 سيدي محمد العياشي جزاء الله عنا وياك وعن المسلمين خيرا فهو سيدناوسيد غيرنا الذي يدين الله بحبته
 ويجب علينا وعلى المسلمين تعظيمه وتعلمه من هو منه بسبيل ثم قال الشيخ ان ناصر رحمه الله بعد كلام
 مانعه وتستوصي بالسيديناوسيد المسلمين في زمانه كافة خيرا سيدي محمد العياشي فهو عزك وتعلمهم
 قوام امرك وهذا من نصيحتي اليك التي هي من نتيجة محبتك فاعلمهم بالوفاء ولا تؤاخذهم بالجفاء
 انتهى المقصود منه ولولسيد سيدي محمد العياشي وهو الفقيه العلامة سيدي عبدالله أرجوزة نظم فيها
 اهل بدر وتوسل بهم الى الله تعالى في هلاك الذين عالتوا على قتل ابيه فلم تمض الامدة بسيرة حتى دارت
 عليهم دائرة السوء ولم ينج منهم أحد في ذي البستان ان ابا عبد الله محمد الحاج الدلائي دخل بلاد الغرب
 وذلك بعد مقتل ابي عبد الله العياشي فقيه ولده سيدي عبدالله المذكور بجموع الغرب وادي الطين
 فوقت الحرب في قبائل وانتهت حلهم ومواسيهم انتهى وكان ذلك في اوائل ربيع الاول سنة ثلاث
 وخمسين وألف وسيدي عبدالله ابن سيدي محمد العياشي في بعض زياراته لايه قوله

أينما السك وانفسنا * تكاد من الخوف منك ذنوب

ولم ندر أين هو لك الذي * تحب فتحوا اليه القلوب

أفانفنا وجشأنفنا * فن خوفنا قد هتتاخطوب

فها نحن من خوفنا منك جبراه * وها نحن من خوفنا منك شيب

وقال اليعفر في الصغرة * وأخبرني حافه العلامة قاضي القضاء أوعبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن
 محمد العياشي أن جده سيدي عبدالله المذكور كان قد أصابه مرض أعنى الأطباء علاجه فلما طال عليه
 أمره ورغب منهم أن يحملوه الى ضريح الشيخ سيدي الحاج أحمد بن عاشر بسلا فلما وقف على الضريح
 أنشد ارجالا

أقول لداي اذ تنافم أمره * وعز الدوام كل من هو ناصر

الا فانصرف بالله عني انني * أنا اليوم جار للسولي ابن عاشر

قال فكانما نشاط من عقال وانفث عنه مصاب ذلك الضرر في الحال وكانت وفاة سيدي عبدالله
 المذكور ليلة عرفة سنة ثلاث وسبعين وألف ودفن بجوار الوالي الأشهر الشيخ أبي سلام من بلاد الغرب
 وبنت عليه قبة صغيرة وأخبار العياشيين ومحاسنهم كثيرة ويتهميت خيرة صلاح رحمهم الله ونفعنا
 بهم آمين

فظهر أهل زاوية الدلاء وأوليتهم بمجال تادلا وما يتبع ذلك

أما نسهم فمهم من برارة مجاط بطن من منهاجة حسبياذ كره ابن خلدون وغيره وكان مبدأ أمر أهل
 زاوية الدلاء أن حذهم الوالي الأشهر سيدي أبا بكر بن محمد وهو المعروف بجمي بن سعيد بن أحمد بن عمر
 ابن يسرى المجاطي كان ممن أخذ عن الشيخ الصالح أبي عمر والقسطلي دفين مرا كش وسكن الدلاء واتخذ

هناك زاوية فناء ولده الولي الاظهر أبو عبد الله محمد بن أبي بكر فأكمل من الفضائل ما بقي وأبى من الاسر لما خفي فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية وقصدها الناس من كل ناحية الى ان كان من أولاد الرجلين ما ذكره وأخذ الشيخ محمد بن أبي بكر عن الشيخ أبي عبد الله محمد التتري فحصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لساثر من عصره وكان أعلام الوقت كالحافظ أبي العباس بن يوسف الغفاسي والامام أبي محمد بن عاشر والفقهاء العلامة أبي عبد الله محمد معيار وغيرهم يقصدون زيارته والتبرك به ويرجعون في عويص المسائل العلمية وكان رحمه الله عالما حافظا راكبا متوسعا في علمي التفسير والحديث وعلم الكلام حسم المشاركة فيها وفي غيرها وكانت وفاته سنة ست وأربعين وألف **وقال اليعفرى** وحديثي غير واحد من أسيادنا أنه لما دنت وفاته جمع أولاده وعشيرته وقال لهم ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده وانا فحول لحيه ولا من اغترف غرفة بيده بشرب ذلك الى ما تجاذبوه من أمر الرئاسة بعده وذلك من مكاشفاته رضي الله عنه وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله وأنا أقول بأنه سوء أدب بقابلية كلام الله بكلامه وأجاب عنه حافده وهو الفقيه العلامة الشهير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن السنائي بن محمد بن أبي بكر برحالة مستقلة ولما توفي خلف من الأولاد عدة فكان أكبرهم أبو عبد الله محمد الملقب بالحاج لانه مع أبيه ووحده مرارا ويقال انه خطب الناس يوم عرفة على ظهر الجبل لامر اقتضاه الحال ولم يكن ذلك لاحد من أهل المغرب قبله وفي أيامه تكامل أمر أهل الدلاء وشاع ذكرهم وكان للزاوية في أيامه وأيام أبيه صيت عظيم وكان بها من معاطاة العلوم والدروب على درسا وقراها وقراءات البلاء ورا ما تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعيانهم كالشيخ البوسني وأضرابه حتى كانت إليها الرحلة في الغرب لا يدعوها الطالب ولا يأمل سواها الراغب وهذا الامر بها لابي عبد الله محمد الحاج وأولاده وأخوانه وبني عمه الى أن تلك مدينة فاس ومدنه مكانة وأحوالها وكافة القطر التادلي **وقال** في نشر المثنى **وقال** في سنة ست وأربعين وألف كل فقام محمد الحاج الدلاقي على الشيخ بن زيدان **وقال** ولعل للكتابة الا في بيانها بعد انما كتبت في هذا التاريخ **وقال** في البستان **وقال** في سنة تسعين وألف حذف محمد الحاج الدلاقي بعساكر البربر الى مكانة فاستولى عليها ثم زاد الى فاس فاعتزضه أبو عبد الله العياشي بمجموع أهل الغرب ووقعت الحرب بينهم فانهزم العياشي وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشي وأعاد حربا ثانية فانهمز محمد الحاج وعاد الى بلاده وفي سنة احدى وخمسين وألف بعد موت العياشي نزل محمد الحاج على فاس وحاصرها ستة أشهر وقطع عنها المواد وجبجج المرافق الى ان لحقهم الجهد وانفتحت الاسعار فدخلوا تحت حكمه ولما قام اجتمعت عليه رابة ملوية وأذعنوا له واعصوا وصوا عليه وقد كانت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وقعة أبي عقبة فانهمز فيها السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في سنة ثمان وأربعين وألف ومن ثم قطع النظر عما وراء وادي الميبد

في ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل زاوية الدلا من المراسلات والمعاتبات

وقال في التزهة **وقال** في أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان قويت شوكة أهل الدلا وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب ووضعت الشيخ عن مقاومتهم وهجز عن مقارعتهم وبعث اليهم قاضيه العلامة الفقيه أبا عبد الله محمد الزوارلرا كشي يطلب منهم ترك السنات والرجوع الى اجتماع الكلمة ويحجج عليهم بان أباهم الولي الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان والتمتع طاعته وانهم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهاجه فلما بلغهم القاضي المذكور وأدى الى حالته ونزل ما في العيينة بين قصده اعتذروا اليه بمسائل وتعللوا بوجوه **وقال اليعفرى** وقد وقعت على رسالة كتبها السلطان محمد الشيخ

المذكور اليهم بعد رجوع القاضي من السفارة وهذا نص القدر المحتاج اليه منها بعد الخطبة وانصرف
 عنان الغرض لمن عيناه لمستون العتاب والمقتضى من هم لذلك في الجواز ضابطون وفي حقائق الجواز
 ضابطون أهل وطن الدلائل من هولاء وورد الشراب محتاج السيد أو القاسم بن ابراهيم والسيد أبو عمرو
 والسيد محمد الحاج ومن نشر نصف الانصاف منهم مطابق كالسيد المسنوي والسيد عبد الخالق ولا
 زائد الا قصدا يقاتلهم من الغفوة التي طال كطلوع الشمس من المغرب ليها وامتد كارض المخمر
 فرمضها وميلها هل هذا منكم استغفار بحضرة الخلائف أو مقام وقصاص عما يجب على الرعايا من لازم
 الوظائف هذام العار لما حي نصف المتناقب ولا يلوي بين قواه الالهيع الذي لا يحمد لمختصه
 العواقب وخصوصا منكم الذي شق عصا الشقاق وشرع يبتدئ في الاطعام في استخلاص قبائل
 الاتاق وكتب لا تدرن لباس القمصان ولا الشواشي الى ان جسرهم على وطء القرب فاخذكم معه
 المغر محمد العباسي فبذتم مواثد الضيوف وتقدم بلاجه السيوف وأعانكم اضطراب القبائل
 مع وقوع الجوع ومن مضى الى أي قطر تغر عليه الرجوع الى ان أمكنتم من أزمته الرعايا وكل عنيد
 من رباط نازا الى وادي العبيد فاستعلم سكر الجبايات من الابرز والفضة الى ان جتم منه ما لا يخصص
 في عذ بواسطة القرافي والمتصر من غير ان تنفقوه على اقامة جند ولا انتفع به الاشياء المومسات
 وشياطين الفساد والشر ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عوم البرابر وأهدكم في القباب على الاسرة
 وفي بيوت الله على الكرسي والتاب عويم علينا معشر النوار كذا ثاب من كل عراوشه لتكون
 عزيزة ثم وضنا اليكم مطلة صعبة وان لا تدرى ان قيل النفوس ألتك المصلى أم الى مبلغ السوس
 وهذا القرب لا يتخول ملا من نواميس كل كاهن ومدع قرطز تسمى فيه البومة خاملة وتصيح بالخطب
 والمنقار ومعادن المهر والزواججون هم أهل الزوايا والديارات والفنادق والاسواق والصبون لكن
 من صفته عينه لا يبكي ومن التي بيده الى التهلكة لا يشكي أهلنا كم وأمهلتكم لمواثدكم من العبادة
 والطعام فطعنتم لنا في الخلق عظاما ورام لم تعلم الفقراء الابجرة جاء الدخيل على صلح اوزواج
 أولهاح الجبل وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصي من وجدة
 الى حدود السوس الاقصى فزهدكم فيما يقوم بحق تلك الراوية وأهلها بشرط أن تغفوا من سنة
 الغفلة وجهلها وان أمسكم اقدام الانقياد عن سلاسل السداد وقبول سوله فأذنوا يجرب من
 القور سوله قد شيعنا لكم قهنا وقاضينا ابعد الله محمد المزوار فصدعوه أو هبصت وانقلب عن
 المحلورة مردودا أقبح رد لولم ينال بكم الفكر والذكر ماصرقتا فيما سلف وصيقتا الامين مبلرا
 السوسي فسيد ضريح السيد محمد بن أبي بكر فدنستم خالص عرضه فانه كل لكم علينا يريد ابصيره بما
 انطوت عليه منكم غرة السريره فقص علينا دون ان نخمسه ان عيننا لحش فراره ولا يسعنا ان ندعكم
 مع أشراق مجلما وبني موسى تلعبون بنا كهمر الغالية في القفص لا يعطى غناه غلته الابونزا امسال
 التي تكلفه الرقص وحاصل الغرض تأدية البيعة كما عقدها اليكم الابر الجواد المرحوم الفاضل الحميد
 لاخينا الارضي مولاي الوليد لتستقيم كلمة الاسلام في الاقطار اذ لو ظلم لا تقي أثركم جوع المتجعين
 والامصار وان عظمت عليكم مفارقة تقييس الرأس واليد والركبة فانظروا واصبحة طلوع عليكم طلوع
 القمر على غسق الليل بخضرم خضرم من الرامة والخليل وثوب بعدكم دولة الاشراف الصعراوية ونلوي
 على زاوية الساحل الى أن تعود الالة الشبيخة علوية عالية بالصيت والذكر أو تموى الى حضن غن بني
 سعد بن بكر انتهى وكان جواب أهل زاوية الدلاء عن هذه الرسالة ما حمله باختصار ولا زائد بعد حمد
 الله الا أن مسطوركم الاخر ما ورد ما احتسب الا ذهنا والعقول فلا جرحه الا ولها حصه من
 الطنين فكادت الحبال تسقط المشائم فضلا عن الجنين فياه من صوت زجر لا ينسى عينا طول

السنين أجمعته أغرائب لم تتر لم ترها على أهل الدهر إلا في الغابر لو صدح بها على جبانته انقض أهل
 المقابر حتى يمتلأ بالخسف في أسواق المذلة والمهران وما نحن إلا غزور وركن لكل من طرقتهم وصحة وأغمة
 وأنت تعلم بتدبير وإشارة العلاج المجهولين على طبائع الخلد والنفش وتبني على قواعدهما الكرم بهما من
 عرب ولا عش ومن الدليل الشاهد والبرهان فتكهم يا خبيك مع مشاورة النسوان على غيب من
 الجنود والديوان فلا تدعهم يخدعونك وهم سلبوا روح جذك السمي من غمد الجسد وجلاها ما منه في
 مخلاة من مسد وأيم الله لئن داموا لك في الغرب بطانه لطلقوا عليك ثلاثاً أو طانه وأما نحن فبيعة
 والدنا وجه الله لم نزل لنا في الأعناق ولا ينبغي أن تعاد فتكرّر كالظهير لمن تحرّر وأيضاً منعنا من
 تجديدها لتلال البربر عن ساحتنا فتكون أقوى سبب لفضيضتنا وأجلها هذا الاجدل الذي لا تؤده
 سموم البالي ولا حرارة قبض المصيف مولانا محمد بن مولانا الشريف عقاب أشهب على قنة كل عقبه
 لم يقنعه عقد المال دون حسم الرقبه ورعا غرتنا غفلة فيشن الغارة على شعوب شباب مالويه أو ينشر
 جيوشه على رباط تزايل الأيات والألويه سيما وجناها ذوو النفوس النفيسة بربر صناجعة وعرب
 دحيسة براه التزوات بالحلة والمحال والغزوات والبياني كما تملكون كانت همة هجرته أو لا لله أهل
 الشرك ثم قد خطا العزم إلى درجة الملك وأما وصية كمال الدين مبلوك السوسى فحيث أنا نحن علينا
 لكل الإقامة لاخطاط صريح والدين رحمهما الله فبقنا بوطيف حقه الظاهر والباطن حيث اختبر
 بعين الحقيقة أرجاء أغوار المواطن ولا شك أن حال مطالعته هي التي أرخصت لنا في سوق خواركم
 الأسعار إلى أن نصبت لنا بعد الرضا حبال الانذار الجالبة للعار وجد قبائلنا تبدة على ضم حبوب
 الصيف وأعيانهم فمتدين على الخيول بدون ربح ولا مدفع ولا سيف فخالهم على غرة غنيمة بارده وما
 علم أنهم أغوال الغيل صادرة وولده فإن كانت ما بينته هي التي أطمعت أن يعودوا بيدة الغزوات
 فإحدى أن ظنه كان الخاوي الخائب من ركب الخيل لنفسه دون راتب الخزن لا ترضى همة أن بهان
 فيخزن وقضيك السيد محمد زوار حيث عين وفود الأقاليم منتشرة كالجراد على الأزقة والأدواب
 دون من لازم خدمة الأبواب تحقيق عيانات انتظام عمل الملك والمملوك لا يكون إلا على عظماء المملوك
 فقص عليكم وعلى من حضر ما اعتقدو مع ونظر وحتى الآن أن قصدتم القرب أو حصن فاس لتاتاكم
 من جانبنا مساة ولا يأس فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار يكون لنا بعد
 ذلك حكم الاختيار بين أن نؤمّن لك أو نترك لك الديار أو نستمر نحن بمثلك شريف حقيقي
 وسلطان له شغف أكثر منك في ضبط الأوطان فتقابل أذكائك القهورة بالساط ونلقى بطانته من
 شاط لاسنك الأمشاط أيهما للقرب غلب نؤدى له على الرغم ما طلب وإن قنعت بجوز الجراء من
 مراكش ورفضت عنك معاناة المراتق والتناوش فدعنا وراحة من تجارته الرياسة وهمة اشتراء
 نفيس السياسة ضرغام غاب مجملها وأما صاحب أبيخ السوسى فما مراده وما مراد ذويه إلا
 غنيمة سلامة الأعراض وتجارة سلب النفوس وفيما تلونا عليك من القصص كناية فلتن غادرتنا
 مستترين في حومة الاحترام والوقار قسم وإن زاحجتنا بكنك الهوان يدافعك عنان ادعى انه زعم وإن
 طرفنا مناخ غزمك على عبور وادى العيسد وأمر يبيع فهناك يجمع الله بين من يشتري ويبيع
 والسلام وكسب عن اذن جهور واخوته عبد الله السنأوى ابن محمد بن أبي بكر الدلاقي في يوم الاحد الثاني
 والعشرين من رجب انتهت ولما رأى السلطان محمد التنجيز زيدان تعاصى أهل زاوية الدلا على
 واستحكام أمر الغرب لهم وتقويم بالعدد والعدد صرف عناهم عن مقارعتهم ومال إلى مسالمتهم وقطع
 النظر عما في أيديهم والامر كله الله

يؤذ كرمادلو بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير المولى محمد بن الشريف رحمهم الله تعالى

كانت المكتبات والمراسلات تقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وبين الامير المولى محمد بن الشريف السجلماسي فمن ذلك رسالة بعثها السلطان المذكور الى الامير المذكور فكان من فصولها أن قال له وبلغني أنك تعلم في النوادي من الحواضر والبوادي أن جرثومة انتمائنا لبني سعد بن بكر بن هوازن مع انما في بني زرار بن معدوافية المكابيل ثقبلة الموازن واننا من يدعي أحد القصور وادي درعه ومنها أنت الله أصلنا فأزهر غصنه وأثمر فرعه قلن كل غرضك حط منطقة قدرنا من اللب فهذا من العلي عليك عار وان تحاول محونا من حبيفة النسب قلن دعوى لا تغلي أو ترخص أسواق الاسعار وقد صرفنا اليك نسخة من مناهل الصفاء في أخبار الشرفاء ليطلع عليها أنظاركم من الملوك فيزول ما يخالط من اشراك الشكوك فاجابه المولى محمد بن الشريف عن هذا الفصل بان قال له وعما بكم انتاعزونا كم لبني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور وناشرون ذلك في الحبل والسن والقصور تالله ما فنهنا بذلك عن معارفة لكم ولا جهل ولا بان نضيفكم لمن لا عشيرة ولا أهل بل اعتمدنا في ذلك بجمعة الله على ما نقله الثقات للورغون لاخبار الناس من علمه مراکش وتلسان وفاس ولقد آمن الكل التأمل بالدكر والفكر فما وجدكم الامن بن سعد بن بكر ولا معول على كتاب المنصور ومن الغشاة ولا ابن القاضي المكاسي ولا ابن عسكر الشريف الشفشافي وسواهم اذ الكل أهل بساطكم ومحل من احكم وان بساطكم ولقد بلغت نسخة مناهل الصفاء فلم تجد فيها موردا عذب وصفا وكفى دليلا بالباطن والظاهر قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر ومع هذا فلم نعتمد فكم عن شرف النسب ولا رفكم على ما وسكم الله به من زينة الحسب انتهى الغرض من هذه الرسالة وأشار بقوله قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر الى ما اتفق مع المنصور حين جالس على المائدة وقال له المنصور أين اجتمعنا فقال له ابن طاهر على هذا النوان والحكاية قدمت في صدر هذه الدولة السعدية وعما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للامير المذكور أيضا وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكها فكتب اليه السلطان المذكور يحذره من غائلة أهل القرب وغدرهم برسالة من انشاء وزيره القائد أبي عبد الله محمد بن يحيى أجا نوفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور وهي

يا شبل مولانا الشريف محمدا • نتمس السعادة والهلل الاكل
ملأت مهانتك الكبيرة مغربا • قرهت عشقه اصبان وموصل
صقر الصياصي على الاعادى صائل • طور اغبير وفي الملاحم سينل
أنباه البيض الحداد صوارم • ويكل ظفر منه أبترم فصل
فجناحك الجرد العتاق وان نظل • ت الى تلسان يطيش الشمال
هابتسك قوار الاقلم عنوة • والوحش فهي يغص منها المنزل
قد طببت ان عرفت عروقل في الوغا • خلت العنابر ديف فيها المنديل
بأمالكا سعدت به أو طاته • فيما مضى وزهايه المستقبل
نادى بك النصر العزيز لتسرب • ولكم على فاس الجديد الكلكل
فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن • كالبط يطفوع من طاه القوقل
واعدل تفوز ولا توأخي طامعا • ترد العداة وتم عنك العذل
لا تمده من جبل البرابر واصطبر • حتى يموت على الجوايس مدخل
لا تأمن الاعراب في أقوالها • واقع قنطرة من مجور ويختل

وعليك الغارات في أوطانها * بكاتب تسي الاناث وتقتل
 واغضض ولا تردى تجار مدائن * يبقى عليك المستردا يسجل
 لا تتخذ من حصن قاص صاحباً * أوحا كما يصل الامور ويفصل
 كالغزل عادته الفرار وان غدا * في حرب فتي استترك ركل
 لا تنقلن الى الصغرى ذخائرا * فيقول أهل الغرب حتما يرحل
 واضرب ليبت الملك أو تادلهما * تزداد صيتا في القلوب وتقبل
 ألف وفود الغرب واعرف قدرها * وقروم كل قبيلة لا تجهل
 واسطيد بك على العيال هنيئة * واذا غرست عروق عدل تنقل
 هذى وصايا قد أضعنا حقوقها * في آخر ما نحياه الاول
 فتي نشد الى المعالي رحالنا * بآباء نصر والمقادير تحذل
 فرضينا متبعين أحكام القضا * والله يحكم ما يريدو يعدل

فأجابه المولى محمد بن الشريف في سنة تسع وخمسين وألف بقصيدة ختمها جوابه من انشاء الفقيه
 أبي عبد الله محمد بن سودة القاسي ونصها

أحمد السمين زيدان الرضا * نخر الخلائف المهام الاكل
 فلقدا أجبته كما قد كاتبني * تطمأون تراكي ترى ما عثل
 اني أبت لكم وصايا حجة * ان أنت للنصح المصرح تقبل
 فالى متى طول الرقاد أمارى * أظعن ملكك كل يوم ترحل
 والدهر يتقف في رياش جناحك * ويدنس من الصفا ما تغسل
 مامن ملك ذاق لذته راحة * الاتجلى له الهوان فيسفل
 أحرى الذي كثرت شقائوا ره * يعوى عليه لكل عادم عقل
 تحتال تخدعه بكل حيلة * حتى يصاد كما يصاد النعسل
 فاستيقظن من الجار ومن رعى * في أرض آساد الشرى لا يغفل
 وانقض غبار الذل واخلع ثوبه * زداد وجهك بهجة وبهل
 ضيعت ملكك في الرخا وتركه * للخرى في دار الهوان يذل
 وركنت للظلم الوريف وغادة * يزهو السديع به اذا ما تفل
 واذا أردت دوام هيبه همة * وتدوم في ستر عليك بسبل
 دع عنك في الجرام روق سفرجل * ومسد بلا بالزعفران يقلقل
 واركب مطايا الماقتات الى الوغا * اما تحذروا فريضة أو تقتل
 واقرع طبلو للدرعاة وفي الوغا * يجبي الى الحرب العوان الخجل
 ونخض القفار وهزرمحاو ادع * وان العنان وفي يمينك من وصل
 خاطر بنفسك في الغياي جاثلا * تردى الهدو وكل ليسل منزل
 واصطد نهارك بالسلاق وبعدها * عقباتها وكذا لك صقرا أجسل
 وقد الجيوش كالوحوش ولا تدع * من يعص أمرك واجزئه فيفعل
 جنب آثانا الجسدين في تدبيره * واحب شجاعا للذخائر يسفل
 لا تجمعن من السلاج بطناة * قطبا عها القدر البليغ الاجل
 أما الشبابة فاحذرن من غيها * لا بد تغدر بالاخير وتخذل

ترجع عواقب دولة لنفسها * وتود من وافي جنابك ببفضل
يعطف عليك الدهر بعد نفوره * فتعود أيام السعد وتقبل
ماذا قزديان أبوك حلاوة * من ملكه حتى غدا الحنظل
فاذا امتلئت صواب صدق وصيتي * يصني الزمان لكم ويصفو التل

واعلم ان هذه الرسائل والاشعار التي اثبتناها هنا نازلة كما ترى عن درجة البلاغة وعادمة لما تستحقه
من فن الوزن ونقد الصناعة ولكن لما كان الكتاب كتاب تاريخ وأخبار لا كتاب أدب وأشعار
لم نبال بذلك اذ كان المقصود منها ما تضمنته من بيان الاحوال والاوضاع عن علي اصح منوال فان
هذه الرسائل هي عماد التاريخ وملاكه ونازلة منه بالمحل الذي نزلت من الدار املاكه فلذا أكثرنا منها
في هذا الكتاب والله تعالى للمهم للصواب

وفاته السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله سنة أربع وستين وألف وفي نشر الثاني أنه توفي قبلا
سنة ثلاث وستين وألف ودفن بقبور الاسراف من قسبة مرا كش في روضة أبيه وعشيرته وبما نقس
على راحة قبره قول القائل

لسد سموات المعالي أقول * وفي الضريح كان منه نزول

محمد الشيخ بن زيدان غاله * حاتم خزن العالمين طوبل

امام الانام ذوالما ترفله * له غزاة في الصالحات جميل

جباه العرس رحي نخسه * بما هو في الفردوس منه كفيل

وزراؤه يحيي آجنا وولده محمد وغيرهما وقضائه أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكاني وأبو عبد الله محمد
الزوار رحمه الله الجميع

وفاته الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ في التاريخ المتقدم بويع ابنه أبو العباس أحمد والعامه يقولون مولاي
العباس بدون لفظ الكنية وقام مقام أبيه في جميع ما كان بيده الا ان حى الشبانات وهم أخواله قويت
شوكتهم في أيامه وغلظ أمرهم عليه ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به فضايقوه وحاصروه بما كش
أشهر وألمارات أمه أن الامر لا يزيد الا شدة كلمته في أن يذهب الى أخواله ويأخذ بقلوبهم ويرزبل
ما في نفوسهم عليه فذهب اليهم فلما كنوا منه قتالوه غيلة وأقبلوا الى مرا كش مسرعين وبايعوا فيها
لامبرهم عبد الكريم بن أبي بكر الشافعي ثم الحريري كاسيا في وكان مقتل السلطان أبي العباس رحمه الله
سنة تسع وستين وألف كذا في التزهة والذي في نشر الثاني أنه قتل سنة خمس وستين وألف والله أعلم
بشيء وقال البيهقي رحمه الله وقد أذكر في هذه الفعلة قول المولى محمد بن الشريف في قصيدته السابقة
أما الشبانة فاحذرن من غيها * لا بد تغدرا بالخير وتغذل

فان الامر وقع كما قال مع ان المولى محمد بن الشريف كتب بالقصيدة المذكورة للسلطان محمد الشيخ
في سنة تسع وخمسين وألف وغدر الشبانات للسلطان أبي العباس كان سنة تسع وستين وألف ولعل المولى
محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف ونحوهم فان كلامه كثيرا ما يقع فيه مثل هذا
وبهذا السلطان أبي العباس رحمه الله انقضت دولة السعديين من آل زيدان وانما رجعوا انطوى
بساطها وسبحان من لا يبدى ملكه ولا يزول سلطانه لاله الا هو العزيز الحكيم

في الخبر عن دولة الشبانات جراكش وأعمالها وما آل إليه أمرها من دورها واضمحلالها

لما قتل السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان في التارخ المتقدم نار كبير في الشبانات
عرا كش من عرب معقل وهو الرئيس عبد الكريم ابن القائد أبي بكر الشباني ثم الحرزي وحرز
نخذه منها في النبعة والصميم فيها وعبد الكريم هذا يعرف عند العامة بكمروم الحاج فدخل مرا كش
ودعا الناس إلى بيعته فابعدوه مائة سنة تسع وستين ألف وانتظمت له مملكة مرا كش ونواحيها وسار
في الناس سيرة جيدة وكان في أيامه الفلاء المورخ بعام سبعين ألف وهو غلاء مفراط بلغ الناس فيه
غاية الضرر حتى أكلوا الجيف ولم يزل مستقيم الرأي عرا كش إلى أن توفي في مائة سنة تسع وستين ألف قبل
أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف باري بوما في وقال منويل في المايح أهل مرا كش عبد الكريم
الشباني خالفت عليه آسفي وأعمالها فترأهم ثم رجع مغاولا إلى مرا كش وكانت المجاعة المشهورة عقب
ذلك ثم قتله بعض أجناده دخل عليه فطعنه برمح فأنفذه ثم قبض على القاتل وقتل أيضا في الحين ولما توفي
يبيع الناس ولده أبا بكر بن عبد الكريم فبقى إلى أن قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم
ثم تبع الشبانات فأنفاهم قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره فاحرقه بالنار وانقرضت دولة الشبانات
والبقاء لله وحده في ولذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث فتقول في سنة ثلاث عشرة وألف في
في ثاني عشر محرم منها توفي الولي الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي المعروف
بإبن حسون نسبة إلى جده الحسن المذكور وهذا الشيخ هو دفن صلا الشهير بها أصله من سلاسل
مدشر على مرحلة من فاس ثم انتقل إلى سلا وسبب انتقاله إليها أنه كان بين أهل سلاسل حروب
ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله إذا غلب أهل مدشره فرح وإذا انهزموا حزن فذكر في نفسه
وقال بحجة الغلبة تستدعي محبة الشر للمسلمين وعلى عهد الله لا جالس في موضع أقرق فيه بين المسلمين
وأبني الشر لهم فارتحل إلى سلا ولما استقر بها أتاه جماعة من عشيرته يرادونه على الرجوع إلى بلادهم
وحسنوا عليه في ذلك فآخذ قد حاوره من ماء البحر ووضع ثم قال لهم ما بال ماء البحر يضرب بعضه بعضا
وتتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذي منه في القدح ساكن فقالوا له لأنه لم يبق في البحر فقال لهم الغربة
تصفي وتسكن فملوا مراده وانصرفوا آيسين في وقت في انتقاله من سلاسل إلى سلا إشارة لطيفة وهي
أن لفظ سلاسل باعتبار تفكيكه سلو موصول بحرف السين وهو حرف ذوقرون ثلاثة متشعبة فيؤخذ
منه بطريق الإشارة أنه سلو موصول بكدر بخلاف لفظ سلا فانه سلو محض وقد دعنا في أخبار ابن
الخطيب رحمه الله أن مدينة سلا كانت مقصد العباد وأهل الخلوة والافتراء من لدن قديم أخذ
الشيخ ابن حسون عن أبي محمد الهبطي عن أبي محمد الفزواني عن التابع عن الجزولي رضي الله عنهم وكان
صاحب أحوال تهدي إليه الثياب الرفيعة فيا مرها فتلقى في بيت مسدود فتبقى فيه حتى يأكلها السوس
وتضيق وكان كل يوم يصبح على بابها رباب الألات بالطبول والأبواق يضربون عليه النوبة وغير ذلك
وقد تكلم عليه الشيخ اليوسفي في المحاضرات ووجهه محلا جلا وكرامات ابن حسون كثيرة شهيرة تفقنا الله
به وبأمثاله في هذه السنة المذكورة في ربيع الأول منها في توفي الشيخ العارف بالله تعالى العالم الراني أبو
الحسن يوسف بن محمد الفاسي جد العلامة أبي عبد الله محمد العربي الفاسي الموضوع لهذا القصد بالخصوص في سنة
أربع عشرة وألف في كان الفلاء العظيم ففاس قال صاحب المنع في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن
حكيم الاندلسي أنه اعتراه ذات يوم حال فجاء إلى بعض أفران فاس وجعل يقول لصاحب الفرن اغلق فرنك
اغلق فرنك ويصعبه فإذا باله الفلاء العظيم حدث عقب ذلك وهو غلاء مائة أربع عشرة وألف قطع ذلك

القرن وغيره من أفران المدينة وكان يمر بالطرقات فيقول الناس يا كلون عن أولادهم ويكر ذلك على
 جهة الاتكاري فاه الغلاء المذكور فكان الناس يا كلون في الاسواق عن أولادهم ولم يكن يعمد الاكل
 بالاسواق قبل ذلك وفي سنة خمس عشرة وألف في ثاني جادى منها جاء بغاس سيل عظيم حتى غمر دور
 عمل الفخارين وذهب بعض أنادر الزرع وحل أمة من باب الفتوح فماتت وفي سنة اثنتين وعشرين
 وألف حدث الشر بغاس ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وبيع للذو كرت الموتى حتى ان صاحب
 المارستان أحصى من الموتى من عبيد الاصحى من سنة اثنتين وعشرين وألف الى ربيع النبوى من
 السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ونسبت أطراف فاس وخلصت المدائن ولم يبق بلطة سوى الوحوش
 وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف في ذلك عند فجر يوم السبت الثاني والعشرين من رجب منها حدثت
 زلزلة عظيمة بغاس ذكر صاحب المتع في ترجمة آى عبد الله بن حكيم المذكور أن غائلته كان قبل الزلزلة
 المذكورة يصبح المردومات المردومات فإذا بالزلزلة حدثت قال فبقيت دار من دور فاس غاليا
 دخلها القوم وفي خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قد بيض للجاج وأكبر وأصغر
 ورى حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وقتل أهلها اغناوبى لم يذب نحو ثلاثة أيام وفي سنة ست
 وثلاثين وألف في توفى الامام العارف بالله تعالى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد القاسى المعروف بالعارف
 بالله وهو أخو أبى المحسن المذكور أنفا ومناقبه شهيرة أيضا وفي السنة المذكورة كان الغلاء بغاس
 والمغرب وفي سنة أربعين وألف في عشية يوم الخميس ثالث ذى الحجة منها توفى الشيخ الامام العلامة
 الهمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن على بن عاشر الانصارى نسب الاندلسى أصلا القاسى منشأ ودارا
 الصفة المشهورة وكان رحمه الله الباع الطويل في المشاركة في العلوم مع غاية التحرير والتحقيق وله
 التأليف الحسن التي أغنى فيها عن الخبر العيان وكان ورعا سديا وكان لا يتخذ القراء على جنازة أقاربه
 ويقول بمعنى من ذلك انهم يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عذري التخلي عن الجنائز وفي سنة
 اثنتين وخسين وألف في توفى الشيخ الامام أبو عبد الله محمد العربي ابن أبى المحاسن يوسف القاسى كان رحمه
 الله متفنا عا لاله عناية كبيرة بتحصيل المسائل وتقييدها والاطلاع على غريبها وشريدها وهو صاحب
 مرآة المحاسن وكان جوالا في وادى المغرب وحواضره حتى أدته خاتمة المطاف الى مدينة تطاون
 فالتقى بها عصا التسيار الى ان توفى في السنة المذكورة ثم نقل الى فاس بعد سنتين فوجد جديا رحمه الله
 وفي سنة ستين وألف في كان بالمغرب رخاء مفرط وغلاء مفرط وبلغ صاع البرعينة
 سلا متعلا وكاد ينعدم الكلبة وهو غلاء لم يعمد منه وانتشر الفساد في
 البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق
 رجالا ونساء نسأل الله المافية وفي سنة سبعين وألف في
 كان الغلاء المفرط بالمغرب لاسيما براكش وهذه
 السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم
 الحاج لازالوا يضربون المثل بفلائها الى
 اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين
 ويخلصهم من كنفه في

حصن حصين

آمين

في الجزء الثالث ويليهِ الجزء الرابع وأوله الخبر عن دولة الاشراف المجلهاسيين
 فيمن آل على الشريف وذكر نسبهم وأوليتهم